

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه النسخة مودعة إلى مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
المنورة أمجد أمه تتم الفائدة المرجوة والله ولي التوفيق.

إباحته
لبيان
١٤١٣/١٠/١٠

١٤١٤
ع ٣٤٣

جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله

رسالة مقدمة

لنيل درجة الدكتوراة من قسم العقيدة

إعداد

ساره حامد محمد العبادي

المحاضرة بكلية التربية فرع جامعة الملك

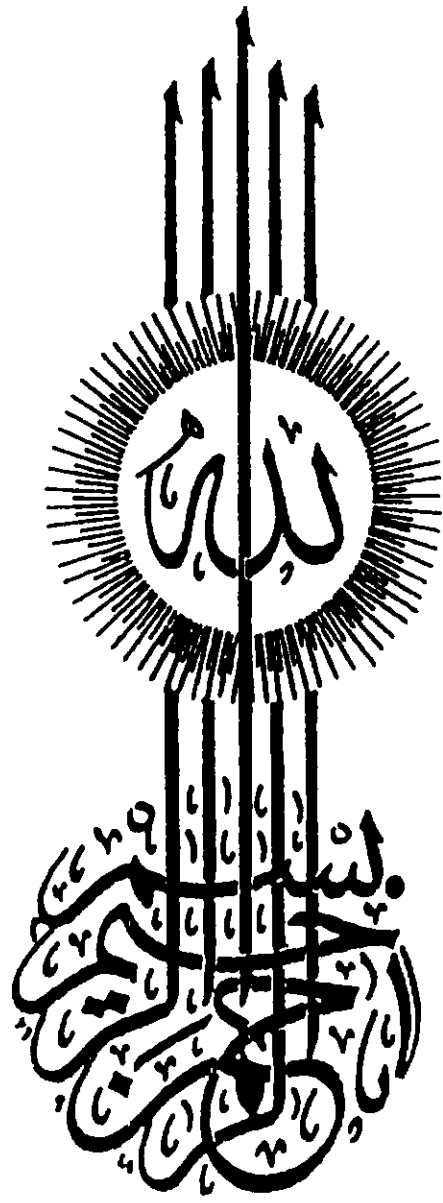
عبد العزيز بالمدينة المنورة

إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد المهدي

المجلد الأول

عام ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م



ملخص الرسالة

تحتوي هذه الرسالة على عرض لمزام وأباطيل وثقه اليهود والنصارى ضد المسيح وأمه - عليهما السلام - ثم ابطالها وتلقفها بالعقل والنقل ، وتحتوي هذه الرسالة على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة .

الباب الأول : كان الحديث فيه من (المسيح وأمه - عليهما السلام - عند اليهود) وقد تعلق من هذا الباب التأكيد على الحقد الدفين من قبل اليهود ضد المسيح وأمه عليهما السلام وهذا ما صرح به تلمودهم وظهر ذلك في أسفار اليهود ومؤلفاتهم ودواثر معارفهم .

الباب الثاني: كان الحديث فيه من (المسيح وأمه - عليهما السلام - عند المسيحيين) وقد تعلق في هذا الباب التأكيد من أسفار النصارى المقدسة على موقف اليهود العدائي من المسيح عليه السلام كما أكدت ذلك آيات الذكر الحكيم .

الباب الثالث : فقد خصته للكلام من (المسيح وأمه - عليهما السلام في الكتاب والسنة) وقد تعلق من خلال هذا الباب بيان الخلاف الجوهرى بين الاسلام والنصرانية حول معجزات المسيح - عليه السلام - فبينما يؤمن المسلمون بأنها إرادة من الله تعالى وبإذنه قبل كل شيء ، بينما ينسب النصارى بأنها بالقدرة المسيح وإرادته وهذه ، كما تعلق لسي هذا الباب بيان فضل المسيح وأمه عليهما السلام من خلال آيات الذكر الحكيم والسنة النبوية المطهرة .

الباب الرابع : فقد كان بعنوان (ابطال شبهات اليهود والنصارى حول المسيح وأمه عليهما السلام) وقد تعلق في هذا الباب ما يلي :-

- ابطال شبهات ومقائد اليهود حول المسيح وأمه عليهما السلام .
- ابطال شبهات ومقائد النصارى حول المسيح وأمه عليهما السلام .
- والخصمها فيما يلي :-
- ابطال مقيدة بنوة المسيح لله تعالى وأبوته .
- ابطال مقيدة التثليث .
- ابطال مقيدة الحلول والاتحاد عند النصارى .
- ابطال مقيدة الصلب والفداء عند النصارى .

وملى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

عميد كلية الدعوة وأصول الدين
د. علي بن نفيح العلياني

المشرف
د. أحمد المهدي

د. رشاد محمد العباري

العباري

العباري

قال الله تعالى :

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا

مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

سورة آل عمران : آية ٦٤

قال الله تعالى :

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا
عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ
اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ
وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ
الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ
وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ
إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾

سورة النساء : آية ١٧١، ١٧٢

شكر و تقدير

بعد الثناء والحمد والشكر لله سبحانه وتعالى على عظيم نعمائه يسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد المهدي (المشرف على الرسالة) لما قام به من جهودٍ مشكورةٍ في تذليل الصعاب بتوجيهي وإرشادي.

✿ أتقدم بالشكر الجزيل لوالديّ الجليلين، وأرفع أكف الضراعة لله تعالى أن يحفظهما من كل سوء ومكروه، لما قدماه لي من دعم وتشجيع ودعوات صالحات.

✿ كما لا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل لزوجي سعادة الدكتور / أحمد عابدين مُلا لمرافقته لي في أسفاري، وتشجيعي أثناء كتابة رسالتي.

✿ أشكر كلية التربية بالمدينة المنورة، فرع جامعة الملك عبدالعزيز والقائمين عليها لمنحي (بعثة داخلية) للتحضير لدرجة الدكتوراه في مجال تخصصي.

✿ أشكر كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة والقائمين عليها.

✿ أشكر كل من ساهم في اعانتني وارشادي، وادعوه تعالى أن يجزيه خير الجزاء أنه على ما يشاءقدير.

المقدمة

الحمد لله { الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن
العزیز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون } (١)

الحمد لله المستحق للعبادة والمتفرد بالخلق وحده دون سواه. والذي قد
حرّم الشرك في عبادته على خلقه، وجعله ظلماً عظيماً حيث قال تعالى: { إن
الشرك لظلم عظيم } (٢)

والحمد لله الذي جعل عبادته على خلقه شرفاً عظيماً وأي شرف..
وخضوعهم له كرامة وأي كرامة { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما
أريد منهم من رزقٍ وما أريد أن يطعمون } (٣).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن نبينا محمداً عبده
ورسوله المبعوث رحمةً للعالمين.

وأشهد أن عيسى بن مريم عبد الله ورسوله المبعوث رحمةً إلى بني
إسرائيل ليكمل لهم دينهم، وليحل لهم بعض ما حرم عليهم، والصلاة
والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم ونوح إلى نبينا محمد الذين
دعوا إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفواً أحد.

(١) سورة الحشر : آية ٢٣

(٢) سورة لقمان : آية ١٣

(٣) سورة الذاريات : الآيات ٥٥ ، ٥٦

وبعد ..

فلما كان موضوع رسالتي - السابقة - للماجستير (التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة).. وفيه وضحت مدى ما احتوته هذه الأناجيل من التحريف ومظاهره، وما احتوته أناجيل النصارى الأربعة: متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا - من تناقض. سواء أكان التناقض في كل إنجيل على حده، أو التناقض فيما بين نصوص الأناجيل الأربعة أو تناقضها في موضوع بذاته اشتركت في روايته، وبما أن الأناجيل الأربعة جزء من العهد الجديد، وهو جزء من الكتاب المقدس، فما ينطبق على الجزء ينطبق على الكل وما جاز لأحد المثليين جاز للآخر، لذلك رأيت أن أوصل البحث في موضوع يُعد امتداداً له وهو: << موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله >>.

والمسيح عليه الصلاة والسلام - يُعد المحور الذي تدور حوله جميع أبواب وفصول، بل وفقرات هذه الرسالة، ولا أعتقد أن هناك شخصية اختلفت وتباينت فيها الآراء والمعتقدات كشخصية المسيح عليه السلام حيث تباينت آراء أرباب الديانات الكبرى الثلاث تبايناً واضحاً، والبون في ذلك شاسع وكبير، حيث أن اليهود يتهمونه وأمه باتهامات يندى لها الجبين، ومما يتهمون به أمه - تلك السيدة الطاهرة البتول - بأنها أتت به من الفاحشة !! ، وأنه مُخلد في لجج الجحيم بين الغار والنار !! وأما معجزاته فقد كانت بفعل السحر !! إلى آخر السباب والتهم الفاحشة الآثمة التي احتواها تلمودهم المزيف الحاقد الآثم.

أما النصارى - وهم أرباب هذه النحلة، واصحاب هذا الكتاب، وإليهم يُنسب هذا الدين، والأجدر بهم أن يبحثوا عن الإعتقاد الصائب السليم المستقيم فيلتزموه - فكانوا على عكس اعتقاد اليهود فيه تماماً، فقد اعتقدوا فيه الألوهية وأنه إله ابن إله، قديم كقدم الإله !! وأن الإله قد حلّ فيه !! فأصبح جزء منه لاهوتيا وآخر ناسوتيا !! وأنه نزل وتجدد وعاش بين البشر ليُصلب تكفيراً عن خطيئة البشر التي انتقلت إليهم وراثياً من أبيهم آدم، لأكله من الشجرة المحرمة المنهي عنها !! وأنه لا يمكن تكفير هذه الخطيئة الشنيعة إلا بصلب ابن الإله ليكون فداءً عن البشرية الآثمة !! هذا ما يعتقد فيه النصارى.

أما المسلمون فهم أمةٌ وسطٌ، ليكونوا شهداء على الناس { وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا } (١) واعتقاد المسلمين في المسيح عليه السلام هو الاعتقاد الحق بدون إفراط ولا تفريط، يعتقدون ما جاء به الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة ومصدرهما الوحي من الله تعالى { وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى } (٢).

يعتقد المسلمون فيه ما أمرهم الله تعالى به من أنه نبي كريم بل من أولي العزم من الرسل، مؤيد بالمعجزات وأنه عبد الله ورسوله.

{ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون } (٣).

(١) سورة البقرة : آية ١٤٣

(٢) سورة النجم : الآيات ٣ ، ٤

(٣) سورة المائدة : آية ٧٥

وكان من دوافع إختياري لهذا الموضوع - أيضاً - المساهمة في الدعوة إلى الله تعالى، ورداً لكيد المبشرين إلى نخورهم حيث أنهم لا يألون جهداً في نشر دينهم هذا في كل مكان وبين جميع الشعوب وخاصة تلك الشعوب المغلوبة على أمرها والمستعمرة والفقيرة والمنكوبة، فهم يأتون بالغذاء والكساء والعلاج مقرونًا بالتبشير إلى دينهم، وإن لم يكن عملهم ذاك دعوةً دينيةً خالصةً، وكان حركةً سياسية استعمارية واستخدام الدعوة إلى الدين كوسيلة للسيطرة على الشعوب لاستعمارها واستنزاف خيراتها واستعبادها، وهم يستخدمون في ذلك وسائل كثيرة كبناء الكنائس والملاجئ والمدارس والمستشفيات التبشيرية، وكتأليف الكتب والمجلات والنشرات، وتوزيعها بين تلك الأقوام المنتسبين للإسلام اسماً ويجهلون معظم تعاليمه فيكونون ضحيةً سهلة ولقمةً سائغة لهؤلاء المبشرين لتضليلهم.

لهذا كان لزاماً على كل مسلم يعتز بدينه وقد تمكن الإيمان في قلبه أن يدافع عن دينه هذا بكل ما يملك من وسائل، والدعوة إليه بلسانه وقلمه.

وقد كنت أثناء كتابتي لبحثي هذا عندما أتحدث عن عقائد القوم سواء اليهود أم النصارى اعتمد في نقل عقائدهم من كتبهم المقدسة، والكتب المؤلفة والمسلمة لديهم لتكون الحجة أقوى والبينة أظهر.

وتحتوي هذه الرسالة على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة وقد سلكت في

كتابتها المنهج التالي:

الباب الأول: وقد خصصته للكلام عن:

(المسيح عليه السلام عند اليهود)

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: كان بعنوان :

(المسيح وأمه مريم عليهما السلام بأسفار اليهود)

الفصل الثاني: فقد تحدثت فيه عن:

(موقف اليهود من المسيح عليه السلام)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : إعراف اليهود بمواقفهم العدائية من المسيح عليه السلام من

خلال مؤلفاتهم ودوائر معارفهم.. ويشتمل على ست مسائل:

المسألة الأولى : موقف اليهود عامةً من السيد المسيح عليه السلام.

المسألة الثانية : موقفهم ورأيهم في تعميده عليه السلام.

المسألة الثالثة : موقفهم من معجزاته عليه السلام.

المسألة الرابعة : موقف اليهود من قصة القبض على المسيح عليه السلام

وصلبه كما يزعمون.

المسألة الخامسة : موقف اليهود من السيدة مريم أم المسيح عليها السلام.

المسألة السادسة : مقارنة بين المسيح اليهودي، والمسيح النصراني.

المبحث الثاني : موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال أسفار

النصارى المقدسة.

المبحث الثالث : موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال آيات الذكر الحكيم.

و أما الباب الثاني : فقد كان الحديث فيه عن :
(المسيح عليه السلام عند المسيحيين)
ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : مريم عليها السلام في العهد الجديد.
ويندرج تحت هذا الفصل خمسة مباحث :

- المبحث الأول : معنى لفظ مريم والعذراء.
- المبحث الثاني : خطبة يوسف النجار لمريم عليها السلام.
- المبحث الثالث : بشرى الملاك للسيدة مريم وقصة وضعها لابنها المسيح عليها السلام.
- المبحث الرابع : رحلة السيدة مريم عليها السلام إلى مصر.
- المبحث الخامس : السيدة مريم عليها السلام في العقيدة الكاثوليكية والأرثوذكسية.
- المبحث السادس : السيدة مريم عليها السلام في العقيدة البروتستانتية.
- المبحث السابع : السيدة مريم عليها السلام في أيامها الأخيرة.

الفصل الثاني : فقد خصصته للحديث عن :
(المسيح عليه السلام حياته ودعوته كما يصورها العهد الجديد)
ويشتمل على تسعة مباحث :

المبحث الأول : في ميلاد المسيح عليه السلام.

المبحث الثاني : طفولته وصباه ونموه عليه السلام كما يصور ذلك العهد الجديد.

المبحث الثالث : معموديته وتجربته عليه السلام كما ورد ذلك في العهد الجديد.

المبحث الرابع : آيات ودلائل (معجزات) المسيح عليه السلام كما وردت في العهد الجديد.

المبحث الخامس : الحديث عن القبض عليه، ومحاكمته.

المبحث السادس : صلبه كما يزعم النصارى في أناجيلهم.

المبحث السابع : تكفينه ثم دفنه كما تروى أناجيلهم.

المبحث الثامن : قيامته من قبره كما يزعمون.

المبحث التاسع : صعوده إلى السماء.

الفصل الثالث: تحدث فيه عن :

(المسيح عليه السلام في نظر الفرق المسيحية).

ويشتمل على تمهيد ومبحثين:

المبحث الأول : أهم الفرق المسيحية التي ظلت محافظة على عقيدة التوحيد.

المبحث الثاني : أهم الفرق التي انحرفت عقائدها عن عقيدة التوحيد.

و أما الباب الثالث : فقد خصصته للكلام عن:
(المسيح وأمه عليهما السلام في الكتاب والسنة)
ويشتمل على تمهيد وفصلين:

الفصل الأول : مريم عليها السلام في الكتاب والسنة.
ويشتمل أربعة مباحث :

- المبحث الأول : البيئة التي نشأت فيها السيدة مريم عليها السلام.
المبحث الثاني : البشارة بعيسى عليه السلام ثم الحمل به وولادته.
المبحث الثالث : فضل الصديقه مريم عليها السلام من واقع الآيات الكريمة،
ثم من واقع السنة النبوية المطهرة.
المبحث الرابع : الآراء في القول بهجرتها، عليها السلام.

الفصل الثاني : فقد تحدثت فيه عن :
(المسيح عليه السلام في الكتاب والسنة)
ويشتمل على أربعة مباحث وهي كما يلي :

- المبحث الأول : صفاته وميزاته عليه السلام الواردة في القرآن الكريم.
المبحث الثاني : آيات ودلائل نبوته (معجزاته) عليه السلام.
المبحث الثالث : فضل عيسى ابن مريم عليه السلام من واقع السنة النبوية
المطهرة.
المبحث الرابع : نزوله آخر الزمان كشرط من أشراط الساعة.

وقد قدمت الحديث عن السيدة مريم قبل الحديث عن ابنها السيد المسيح عليهما السلام لأنها أصل له وسابقة له في الوجود لا لأنها أفضل منه، ولكي اتحدث عن اصطفاء الله تعالى لها ولأبيها عمران عليهما السلام.

و أما الباب الرابع : والأخير فقد كان بعنوان :

(إبطال شبهات اليهود والنصارى حول المسيح عليه السلام).
ويظهر من عنوانه بأنه لب القضية، وزبدة هذا الموضوع، والمحور الذي يدور حوله، وقد رددت في هذا الباب على جميع الشبه التي وردت في رسالتي هذه ضد المسيح وأمه عليهما السلام من قبل اليهود والنصارى.

ويشتمل هذا الباب على تمهيد وفصلين رئيسيين هما:

الفصل الأول: إبطال شبهات وعقائد اليهود حول المسيح وأمه عليهما السلام.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول : إبطال شبهات التلمود حول المسيح عليه السلام.
المبحث الثاني : إبطال شبهات اليهود من مؤلفاتهم ودوائر معارفهم.
وقد رددت في هذين المبحثين عن جميع الشبه التي وردت ضد المسيح وأمه عليهما السلام والتي وردت في رسالتي هذه من قبل اليهود.

الفصل الثاني: فقد كان بعنوان :

(إبطال شبهات وعقائد النصارى حول المسيح وأمه عليهما السلام)

ويظهر للقارئ الكريم ضخامة هذا الفصل بالنسبة للفصل السابق وذلك لتعدد مباحثه بتعدد شبه وعقائد النصرى حول المسيح عليه السلام، هذا أولاً.. أما ثانياً: فلتوفر المادة العلمية فيه، وذلك لأني أبطل الشبه من قبلي، ثم أعضد أقوالي بما أورده أئمة وعلماء المسلمين الفطاحل رداً، وإبطالاً، ونقضاً لشبه وعقائد حول المسيح وأمه عليهما السلام. ويحتوى هذا الفصل على أربعة مباحث، وهي كما يلي:

المبحث الأول : فهو بعنوان

(إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته).

ويحتوى على سبع مسائل وهي كما يلي:

المسألة الأولى : بولس ودوره في تحريف العقيدة المسيحية الأصلية.

المسألة الثانية : مجمع نيقية وفرضه لعقيدة تأليه المسيح بقوة السلطان.

المسألة الثالثة : إبطال دعوى اتخاذ كيفية وجود المسيح عليه السلام

ومعجزاته دليلاً على ألوهيته وبنوته لله تعالى.

المسألة الرابعة : ردود ومناقشات علماء مقارنات الأديان على زعم النصرى

بألوهية المسيح عليه السلام.

المسألة الخامسة : إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته عقلاً.

المسألة السادسة : إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته نقلاً.

أ - من القرآن الكريم.

ب - من السنة النبوية المطهرة.

ج - من إنجيل برنابا.

د - من العهد الجديد.

المسألة السابعة : بطلان تأليه السيدة مريم والدة المسيح عليهما السلام.

المبحث الثاني : فقد كان بعنوان (إبطال عقيدة التثليث).

ويندرج تحت هذا المبحث ست مسائل وهي كما يلي:

المسألة الأولى : معنى التثليث.

المسألة الثانية : أهم النصوص التي يستدل بها النصارى على التثليث وإبطال الاستدلال بها.

المسألة الثالثة : المجمع القسطنطيني الأول، وأثره في إقرار عقيدة التثليث.

المسألة الرابعة : اقتباس النصارى عقيدة التثليث من أقوام سبقوهم إليها.

المسألة الخامسة : بطلان عقيدة التثليث عقلاً.

المسألة السادسة : بطلان عقيدة التثليث نقلاً.

أما المبحث الثالث : فقد كان بعنوان.

(إبطال عقيدة الحلول والاتحاد عند النصارى).

ويشتمل على خمس مسائل:

المسألة الأولى : معنى الحلول والاتحاد.

المسألة الثانية : أهم النصوص التي يستدل بها النصارى على الحلول والاتحاد

وبطلان الاستدلال بها.

المسألة الثالثة : إقتباس النصارى عقيدة الحلول والاتحاد من الفلسفات

والوثنيات القديمة.

المسألة الرابعة : بطلان عقيدة الحلول والاتحاد عقلاً.

المسألة الخامسة : بطلان عقيدة الحلول والاتحاد نقلاً.

المبحث الرابع: فقد تحدثت فيه عن :

(إبطال عقيدة الصلب والفداء عند النصارى)

ويحتوى هذا المبحث على ست مسائل:

المسألة الأولى : معنى الصلب والفداء.

المسألة الثانية : اقتباس النصارى لعقيدة الصلب والفداء من الوثنيات

والفلسفات القديمة.

المسألة الثالثة : بولس ودوره في ادخال هذه العقيدة ضمن عقائد النصارى

الحالية.

المسألة الرابعة : تناقض الأناجيل الأربعة في رواياتها لحادثة الصلب دليل على

عدم صدقها.

المسألة الخامسة : إبطال عقيدة الصلب والفداء عقلاً.

المسألة السادسة : إبطال عقيدة الصلب والفداء نقلاً.

أولاً : من القرآن الكريم.

ثانياً : من إنجيل برنابا.

ثالثاً : من الكتاب المقدس.

أما الخاتمة : فقد كانت في تعداد النتائج التي قد توصلنا إليها في

دراستنا هذه.

ويعلم الله مقدار الجهد والعناء الذي بذلته لاجراج رسالتي هذه على هذا النحو الذي هي عليه.. ومن ذلك الجهد السفر لآلاف الأميال بعداً عن وطني بحثاً عن المصادر والمراجع لرسالتي هذه، ثم السفر - أيضاً - للبحث عن من يترجم النصوص من اللغات الأجنبية (العبرية، والفرنسية، والأجنبية) ثم السهر للكتابة فيها حتى طلوع الفجر في ليالي عديدة ولسنين طويلة. وقد بذلت غاية جهدي في التعريف بالأعلام الواردة في الرسالة، ومن لم أجد التعريف به اضطررت لتركه.

أحمدته وأشكره تعالى على نعمائه الكثيرة التي لاتعد ولا تحصى وأن أعانني على إتمام بحثي هذا.

وأسأله تعالى أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم إنه على ما يشاء قدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

الباب الأول

المسيح وأمه عليهما السلام عند اليهود

ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول :

المسيح وأمه عليهما السلام بأسفار اليهود

الفصل الثاني :

موقف اليهود من المسيح عليه السلام

الفصل الأول

المسيح وأمه عليهما السلام بأسفار اليهود

كنت أتوقع أن أجد تصريحات واضحة الدلالة عن السيد المسيح^(١) عيسى ابن مريم عليه السلام في أسفار العهد القديم^(٢)، ولكن بعد البحث لم أجد إلا بعض الإشارات عنه عليه السلام^(٣) لذلك، وفي قاموس الكتاب المقدس - عندهم - تحت عنوان << نبوات وردت عن المسيح في العهد القديم وبيان تمام هذه النبوات في العهد الجديد >>^(٤) فمثلاً يقول:

- ١ - النبوه على أنه^(٥) <من نسل المرأة>: ويشير إلى موضع من سفر التكوين : << وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه >>^(٦) ثم يدعى مؤلفوا هذا القاموس بأن تمام هذه النبوه في موضع من رسالة بولس^(٧) إلى أهل غلاطيه:

(١) لماذا سُمي بالمسيح؟ انظر ص ٣١٨ من هذه الرسالة.

(٢) العهد أي الميثاق

العهد القديم : هو التسمية العلمية لأسفار اليهود، وليست التواراة إلا جزءاً من العهد القديم، وقد تطلق التوراة على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل، والعهد القديم مقدس لدى اليهود ولدى المسيحيين ولكن أسفاره غير متفق عليها، فبعض أحبار اليهود يضعون أسفاراً لا يقبلها أحبار آخرون.

(٣) انظر مثلاً: المزامير ٩: ٣-١٤، ١٦: ١٨-١٩، ٢٠: ١-٦، ٢١: ١٢-١٣

(٤) نخبه من ذوي الإختصاص واللاهوتيين، ط٦، بيروت ص ٨٦١-٨٦٣

(٥) أي المسيح عليه السلام.

(٦) تكوين ٣: ١٥

(٧) لبولس هذا دور كبير وخطير في تحريف المسيحية الأصلية، فقد كان يهودياً من فرقة الفريسيين (بمعنى المنعزلين) ألد أعداء المسيح عليه السلام وكان إسمه شاول، وكان إذا خاف على نفسه من العقاب ينتسب إلى الرومان الوثنيين، وكان قبل دخوله المسيحية يضطهد المسيحيين اضطهاداً شديداً، وهذا يدل دلالة قاطعة على أنه ليس من تلاميذ المسيح عليه السلام ولا من أنصاره، بل لم يره ولم يسمع منه، ثم تحول تحولاً مفاجئاً ==

>> ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت
الناموس >> (١)

ويشير القاموس إلى أن تمام هذه النبوه أيضاً في موضع من الإنجيل
المنسوب إلى لوقا والنص كما يلي:

>> فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجته في المذود إذ لم يكن لها موضع
في المنزل: >> (٢)

وفي الحقيقة أنه بمجرد النظر إلى هذه النصوص لا يجد القارئ أي علاقة بين
النص الأول والثاني أو بين الأول والثالث - كما اعتقد مؤلفوا هذا القاموس -
أنها نبوءة وردت في العهد القديم وأن تمامها قد ورد في العهد الجديد.
وللغموض الذي يكتنف هذه النصوص، كما هو حاصل لمعظم نصوص
الكتاب المقدس وددت أن أنقل بعض الشروح والتفاسير لذلك:

فلتفسير النص الأول من سفر التكوين يقول مفسروا هذا النص.

== وغريباً من كونه مضطهداً ومعذباً للمسيحين إلى كونه رسولاً ومصدراً
للوحي، وذلك بقصة اختلقها وهي أنه كان يسير في الصحراء بالقرب من
دمشق فسقط على الأرض فسمع صوتاً يقول شاول شاول لماذا تضطهدي،
فقال: من أنت ياسيد، فقال أنا الرب يسوع الذي أنت تضطهده فأجابه
ماذا تريد أن افعل؟ فقال إذهب وكرز بالمسيحية (أي بشر بها).
انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، رسالة ماجستير للباحث، ص

٧٥-١٠٧

(١) غلاطيه ٤ : ٤

(٢) لوقا : ٢ : ٧

>> دوام العداوة بين الحية والناس فهي تلدغ عقب الإنسان في سبيله وهو يطأها في ذلك السبيل ويسحقها، والواقع ينبئك بكره الناس للحيه مع حسن صور كثير من أنواعها، وقتلى لدغ الحيات في البلاد الحاره كالهند أكثر من قتلى الوحوش المفترسه والعداوة الدائمة بين الإنسان والشيطان أظهر من أن تبين وكره الناس للشيطان غريزي >> (١).

>> ولما جاء ملء الزمان حسب تعيين الله الآب عندما رأى العالم مستعداً لمجيء المسيح وقبوله، فلو أتى المسيح على أثر سقوط البشر لما شعروا بعظمة جرم الخطيه ومرارة اثارها وعجزهم أن يخلصوا أنفسهم باعمالهم على مافي شريعة موسى أو غيرها من المكتوب على الواح ضمائرهم، وما شعروا بالحاجة إلى مخلص ولكن في مدة نحو اربعة آلاف سنة اخترعوا ادياناً مختلفة فوجدوها غير كافيه لاصلاح أحوالهم وتحققوا بطلانها وعرفوا عجزهم عن أحسن منها، فاحتجج إلى اعداد الطريق لمجيء المسيح بواسطة نبوءات واشارات حتى يعرف عند مجيئه أنه المخلص الموعود به.

> أرسل الله ابنه < من السماء وإرسال الله إياه يستلزم أنه كان قبل أن أرسل على وفق قوله والكلمة التي كان عند الله وكونه ابن الله يستلزم أنه إله على وفق قوله > وكان الكلمة إياه < يو:١:١>

> مولود تحت الناموس < بتعيين الله وارادته هو، والمراد بالناموس هنا نوعاه الرسمي والأدبي اللذان أعلنهما الله لليهود وتممه المسيح وقام

(١) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم لمجموعة من اللاهوتين. ج ١، ط بيروت، ١٩٧٣م، ص ٥٧

بكل مطالبه باعتبار كونه نائباً عن الجنس البشري واحتمل ماوجب على الإنسان بتعديه ذلك الناموس >> (١)

ومن الواضح أن تفسير النص - عندهم - لايزيده إلا غموضاً وغمطسةً وتبجحاً في الاعتقاد بالله تعالى وعدم تزيهه عن الشرك والنقائص، فالله هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (٢) فالله سبحانه وتعالى واحد أحد لايقبل التجزئة ولا الإنقسام ولم يكن له شريك في الملك أوولى من الذل وسأورد الحديث عن هذا الأمر في حينه ان شاء الله (٣)

والله المستعان على ما يصفون

ولتفسير النص من الإنجيل المنسوب إلى لوقا يقول المفسر:

>> قمطته أي ربطته بالأقمطه حسب عوائد الشرقيين.. في المذود معلف الدواب، لم يكن لها موضع في المنزل ذكر ذلك علة لولادة مريم إبنها في محل الدواب، اضطر كثيرون ممن اصلهم من بيت لحم إلى المجيء إليها وليس لهم مسكن فيها إجابة لأمر القيصر بالاكتتاب حتى امتلأ المنزل بالمسافرين، ولعل يوسف ومريم وصلاه بعد غيرهم فوجدوا منزل المسافرين غاصاً بالناس فاضطر إلى أن يتزلا حيث يجدان مأوى، والظاهر أنه لم يفتح أحد من سكان بيت لحم باب بيته

(١) د. وليم إدي (الكتز الجليل في تفسير الإنجيل). صدر عن مجمع الكنائس في

الشرق الأدنى، بيروت، ١٩٧٣م، ج ٧، ص ٥٣، ٥٢

(٢) سورة الأخلاص : آية ٣ - ٤

(٣) انظر ص ٣٧٨ ومابعدها

لقبول يوسف النجار وخطيبته، فكانت حقارة مولد يسوع موافقه لكل تاريخ حياته الأرضيه لأنه لم يكن لها منها اين يضع رأسه في مساكن الناس ولما مات دفن في قبر ليس له مع أنه خالق العالمين، وهذا كان جزءاً من اتضاعه لفداء البشر، وهو مما يحقق لأشد الناس فقراً إن لهم مخلصاً يمكنه أن يشترك معهم في شعورهم إذ لم يولد في قصر بل في اصطبل، ولم يُربّب بين الامراء بل في بيت نجار من الجليل، والحق أن المسيح بعد ان ترك مجد السماء وسكن على الأرض لم يبق من فرق عظيم عنده بين قصر وكوخ <<(١)

يتضح ما في النص السابق من التناقض واللاعقلانيه إذ كيف ينزلون الإله وابن الإله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - هذه المنزلة الحقيرة إذ لا يكفي اعتقادهم بأنه وُلد من بشر وعاش كما يعيش البشر، بل يضعون من شأنه بأقل ما يجب لأواسط الناس فضلاً عن شرفائهم، فيعتقدون أنه ولد في اصطبل وبعد ان صلب دفن في قبر ليس له، ومن المعلوم أنه من الصعوبة بمكان لمن سبق له أن عاش عيشة النبلاء والشرفاء أن يعيش كما يعيش السفله والمحتقرون، ومع ذلك فالمسيحيون يناقضون العقل ويعتقدون أن المسيح كان يعيش في مجد السماء ثم تركه ليتجسد ويولد ويعيش في أحقر مكان ثم يصلب ليكفر عن خطيئة البشر التي انتقلت إليهم عن طريق الوراثة من أبيهم الأول آدم عليه السلام (٢)

٢ - ومن النبوات التي يعتقد مؤلفوا قاموس الكتاب المقدس أنها وردت عن المسيح في العهد القديم، وأن تمامها قد ورد في العهد الجديد..

(١) د. وليم إدي (الكتز الجليل في تفسير الإنجيل)، ص ١٦٢
(٢) لإبطال عقيدة الصلب والفداء عند المسيحيين، انظر ص ٥٢٦ وما بعدها من هذا البحث.

ذكر أن أحد المقربين إليه هو الذي يسلمه (أي المسيح عليه السلام) ويشير إلى موضع من العهد القديم..

« أيضاً رجل سلامتي الذي وثقت به آكل خبزي رفع عليّ عقبه » (١)

ويشير إلى أن تمام هذه النبوءة في موضع من الإنجيل المنسوب إلى متى.

« سمعان القانوني ويهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه » (٢)

وعند تكرار النظر والقراءة لهذين النصين نخرج بنتيجة أن لا علاقة بينهما البتة، فلانبوءة في النص الأول وليس هناك تمام لها في النص الثاني.

فمن هو الواثق ومن هو الموثوق به آكل الخبز ورافع عقبه على الواثق به، ليست هناك أي قرينه تدل على أنه المسيح - عليه السلام - أو غيره.

ولاستيضاح هذين النصين لجأت إلى الشروح والتفاسير عسى ان نخرج بأي

نتيجة:

يقول المفسر لشرح النص الأول:

« والشئ الذي يحزنه أكثر الكل هو أن هؤلاء الاعداء كانوا بالأمس

أصدقاءه، يدعون طلب سلامته، ويعملون عكس ذلك، هم من الذين أكلوا خبزه

بينه وبين بنيه عهد الخبز والملح، هذا نفسه الذي تجاسر أن يرفع رجله في وجهه،

لقد ادار له عقبه إشارة الاحتقار والنكث بالعهد كأنه لم يعرفه من قبل ولم يكن

(١) مزامير ٤١ - ٩

(٢) متى ١٠ : ٤

له اية علاقة به << (١)

ويقول المفسر لتفسير النص الثاني من الإنجيل المنسوب إلى متى:

<< سمعان القانوني ولقبه لوقا بالغيور، وليس المراد من القانوني أنه منسوب إلى قانا بل هو لقب عبراني معناه الغيور.. (يهوذا الاسخريوطي) هو ابن سمعان واصل لقبه في العبراني ابش قريوت اي رجل قريوت وهي قرية في أرض يهوذا.. (الذي اسلمه) فاختيار المسيح هذا الشخص رسولاً وهو عالم طبيعته يظهر للحكمة البشرية من أغرب الأمور.. ولعل قصده من ذلك أن يُعلم الكنيسة أن أعظم الفرص والوسائط ليست كافية لخلاص نفسٍ وأنه يمكن أن يوجد في كل كنيسة أو جماعة من المؤمنين خائنون >> (٢)

وحتى بعد اللجوء إلى الشروح والتفسير للبحث عن أي علاقة بين هذين النصين يظهر أنه لاعلاقة بينهما وكما هو واضح عند قراءة ماسبق من تفسير للنصين..

٣ - ومن النبوات التي زعمها قاموس الكتاب المقدس: < التنبؤ بأنه يصلب مع أئمة >!! ويشير إلى موضع في سفر أشعياء

<< لذلك أقسم له بين الأعداء ومع العظماء بقسيم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصي مع أئمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين >> (٣)

-
- (١) السنن القويم في تفسير اسفار العهد القديم، مبنى على آراء بعض اللاهوتين، ج٦، تفسير سفر المزامير، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، ١٩٧٣م، ص ١١٨
- (٢) د. وليم إدي (الكتز الجليل في تفسير الإنجيل)، ج١، شرح بشارة متى، ص ١٥٠
- (٣) اشعياء ٥٣ : ١٢

وقد كررت القراءة لهذا الإصحاح بكامله والتي تقع فيه الفقره السابقة فلم أجد أي ذكر للمسيح - عليه السلام - أو حتى إشاره أو قرينه تدل عليه فكيف اعتقد مؤلفوا هذا القاموس أنها نبوءة وردت عن صلب المسيح عليه السلام.

ويشير القاموس إلى أن تمام هذه النبوءه في متى:

<< حينئذٍ صلب معه لسان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار >> (١)

ولشرح النص من سفر اشعيا يقول الشارح:

<< سكب للموت نفسه: أي كانت آلامه بارادته وكانت هذه الآلام شديدة جداً حتى الموت، وأُحصى مع أئمة، غير أنه لم يحصى مع اللصين فقط بل مع كل الأئمة أيضاً.

وشفع في المذنبين قال لما صلب اغفر لهم وهو الآن عن يمين الآب يشفع فينا >> (٢)

وهذا الشرح والذي يوافق رأي المسيحين تماماً لا يعتد به لأنه من وضعهم وتأليفهم، أما النص - وكما ذكرت - فليس فيه أي دلالة على المسيح عليه السلام إذاً لانبوءة عن الصلب في العهد القديم.

ويعتقد المسيحيون >> أن اليهود لم يفهموا هذه النبوات فظنوا أن المسيح يكون ملكاً زمنياً يخلصهم من ظالمهم ويرقيهم إلى أعلى درجات المجد

(١) متى ٢٧ : ٣٨

(٢) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، تأليف بعض اللاهوتيين، ج ٨، ص ٣٣٢، ط بيروت، ١٩٧٣م.

والرفاهيه حسب معنى النبوات الحرفي، فلما ظهر المسيح لم يعرفوه بل عثروا فسقطوا في ضلال مبين حينما فسر لهم المسيح ذاته والرسل هذه النبوات على غير معناها الحرفي.. غير أن البعض من اليهود كانوا ينتظرون مجيئه وخلاصه الروحي منهم سمعان وحنه <<(١)

يتضح - مما سبق - أن أسفار العهد القديم قد أغفلت ذكر المسيح عليه السلام ومادامت قد اغفلت ذكره فمن باب أولى أن تغفل ذكر امه لأنه اشهر منها لأنه نبي ورسول بل هو عليه السلام من أولي العزم من الرسل، والمسيحيون - كما هو معلوم - يزعمون أنه إله وابن إله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

نبذة مختصرة عن التلمود :

وهناك كتاب آخر يقده اليهود، ويضعونه في منزلة التوراة في التقديس - بل في منزلة أسمى وأعظم منها أحياناً - وذلك ما يسمى << بالتلمود *Talamud* وهي مستخرجه من كلمة لامود *lamud* التي تعني (تعالم)، والتلمود هو الروايات الشفوية التي تناقلها الحاخامات جيلاً بعد جيل، ثم دونت بعد أن خيف عليها من الضياع <<(٢)

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٦٠

(٢) يقال ان الرابي جيهدود *Jehuda* هو أول من قام بجمع هذه الروايات الشفوية في كتاب دعي سفر ميشناوات *Sepher Mischnaiosis* انظر: الأب أي. بي. برانانيش (فضح التلمود) ط ٢، ص ٢٣، إعداد/ زهدي الفاتح، الناشر/ دار النفائس عام ١٤٠٥م
ويقال إن أحد الحاخامات ويدعى (يوضاس) هو أول من جمعها وذلك بعد المسيح عليه السلام بـ ١٥٠عام وأتم هذا العمل الربى يهوذا ==

>> ويتكون التلمود من المشنا *Mischnah* وهو الجزء الأساسي أو المتن ومن الجماره *Gemarah* وهو الشروح والتفاسير للمشنا وقد شرح المشنا من قبل حاخامات^(١) فلسطين فهذا يسمى تلمود أورشلیم، وهناك شرح آخر لحاخامات بابل فيسمى هو وشروحه (تلمود بابل) وهذا هو المتداول بين اليهود والمراد عند الإطلاق <<^(٢)

وقد أسهب هذا التلمود في الحديث عن السيد المسيح عليه السلام بالسب والشتم والقذف، وكلامٍ يندى له الجبين، ونحن في حديثنا في هذا الفصل عن المسيح عليه السلام عند اليهود لا بد أن نذكر ذلك بشئ من التفصيل، وقبل أن نتطرق إلى ما ذكره التلمود عن المسيح عليه السلام لا بد أن نبين ونوضح منزلة التلمود عند اليهود، وكما ذكرنا - سابقاً - إن معظم اليهود يضعون التلمود في منزلةٍ أسمى وأعظم من منزلة التوراة.

== سنة ٢١٦م، انظر: د. يوسف حنا نصر الله في مترجمه (الكتز المرصود في قواعد التلمود)، ط ٢، ص ٤١، واعتقد أن يهودا هذا هو جيهودا للتشابه بين اسميهما، وقد يكون ذلك قد حرف أثناء الترجمة.

(١) مفرده حاخام، وهو عالم الدين اليهودي ومن له الحق في شرح الكتب المقدسة وبيان الشريعة اليهودية.

(٢) انظر: الأب براناتيس (فضح التلمود) ط ٢، ص ٢١-٢٥ إعداد/ زهيدي الفاتح،

أيضا: ظفر الإسلام خان (التلمود تاريخه وتعاليمه)، ط ٢، ١٩٧٢م، الناشر: دار النفايس، ص ١١،

أيضا: الكتز المرصود في قواعد التلمود، ط ٢، ص ٤١-٤٢،

أيضا: التلمود شريعة بني اسرائيل حقائق ووقائع، ترجمة وإعداد/ محمد صبري، ص ٩

ويعتقدون أن دراسة المشنا أفضل من دراسة التوراة لأن من درس المشنا فعل فضيلة يستحق عليها المكافأة بخلاف من درس التوراة فإنه لا يستحق المكافأة!! وإن من يحتقر أقوال حاخامات اليهود يستحق الموت بخلاف من يحتقر أقوال التوراة لأن أقوال أولئك أفضل مما جاء في شريعة موسى!! كما يعتقدون بأن الله تعالى كما أعطى لموسى عليه السلام التوراة على طور سيناء فإنه أعطى لموسى عليه السلام التلمود شفاهاً وأنه تعالى عما يقولون علواً كبيراً يستشير الحاخامات عندما توجد مسأله لا يمكن حلها في السماء!! إلى ما هنالك من أقوالهم الكافره والغير متزه للذات الإلهيه العليه.

وفيما يلي النصوص المنقوله من التلمود والتي تثبت ذلك:

>> إن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها ومن درس (المشنا) فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها، ومن درس (الغاماراه) فعل أعظم فضيله.

من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت دون من احتقر أقوال التوراة ولاخلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط لأن أقوال علماء التلمود افضل مما جاء في شريعة موسى.

وقد اعطى الله الشريعة على طور سيناء وهي التوراة، والمشنا والغاماراه (الجماره) ولكنه أرسل على يد موسى الكليم التلمود شفاهاً.

إن الله تعالى يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسأله معضله لا يمكن حلها في السماء - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

إعلم أن أقوال الحاخامات افضل من أقوال الأنبياء وزيادة على ذلك يلزمك اعتبار أقوال الحاخامات مثل الشريعة لأن أقوالهم هي قول الله الحي فإذا قال لك الحاخام إن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فصدق قوله ولا تجادله << (١)

المسيح عليه السلام في التلمود :

وكما أسلفنا إن المسيح عليه السلام قد ذُكر في التلمود بوصفٍ يندى له الجبين من إصاق العار به وبأمة عليهما السلام فضلاً عن السب والشتم وإصاق التهم والصفات المشينه، وهذا ليس بغريب على كتابٍ قد تجرأ على الذات الإلهيه العليه بوصفته تعالى بالخطأ والغفلة، وكما سبق وأن نقلنا إدعاءاتهم الباطله بأن حاخاماتهم اعلم وأعرف من الحق سبحانه وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وعندما تشير نصوص التلمود إلى المسيح عليه السلام تشير إليه بعبارات، ملؤها التحقير والسخرية، وتصفه بأنه مضلل وكاذب ووثنى وبأنه ابن النجار، والرجل الذي شق إلى ما هنالك من صفاتٍ لاتنسب إلى رجل عادي وصف بالتقى والصلاح فضلاً عن أن تنسب إلى أنبياء الله المصطفين الأخيار بل ومن أولي العزم من الرسل.

وبين يدي الآن عدة مراجع تتحدث عن السيد المسيح عليه السلام في التلمود بعضها يتحدث باختصار وبعضها يتحدث بشيء من التفصيل، وأوسع مرجع بين يدي في هذا - كتاب (فضح التلمود) والذي أفرد فيه

(١) انظر: الكثر المرصود في قواعد التلمود، ترجمة د. يوسف حنا نصرالله، ط ٢،

مؤلفه (١) فصل بعنوان [يسوع المسيح في التلمود] وفصل الكلام في ذلك على ثلاث مقالات..

المقالة الأولى : ما يتعلق بأسماء يسوع المسيح في التلمود.

المقالة الثانية: حياة المسيح عليه السلام.

المقالة الثالثة: تعاليم المسيح عليه السلام.

يقول صاحب كتاب فضح التلمود في المقالة الأولى:

>> الاسم الأصلي للمسيح في اللغة العبرية هو جيشو آهانوتسري *Jeschua Hanotsri* أي يسوع الناصري.. وبما أن كلمة (جيشو) تعني المنقذ أو المخلص، فإن إسم يسوع الأصلي قلما يظهر في الكتب التلمودية، وهو يختصر دائماً تقريباً باسم جيشو *Jeschu* الذي اقتبس بحقد في الواقع من تركيب الأحرف الأولى للكلمات الثلاث اياش شيمو فيزيكر *Immach Chemo Vezikor* أي ليمح إسمه وذكره (٢)

(١) هو الآب آي. بي. برانائيس العالم الروماني نسبة إلى روما الفاتيكان الكاثوليكي اللاهوتي القدير في العبرية، والذي كان عضواً في هيئة تدريس جامعة الروم الكاثوليك للأكاديمية الإمبراطورية في مدينة (سانت بطرسبورغ القديمة، لينغراد حالياً) وقد كتب دراسته هذه باللغتين العبرية واللاتينية فرخص له بنشرها من قبل أعلى مقام اكليريكي، وقد اعتمد فيما كتبه في هذا الموضوع إلى مصادر التلمود الأصلية وهو واحد ممن قامت منظمة التشيكا (أي المخابرات السوفياتية الشيوعية) بتصفيتهم إبان الأيام الأولى من الثورة البلشفية في روسيا، هذا ما كتبه عنه مترجم كتابه من اللاتينية إلى الإنجليزية.

انظر المرجع، ط ٢، ص ١٥، ١٦

(٢) *I. Butzorf in Abbrev Jeschu*

نقلا عن الآب برانائيس (فضح التلمود) ط ٢، ص ٥٦، ٥٥

>> يدعى المسيح في التلمود (اوثوايش *Otholsch*) أي ذاك الرجل، ويراد بها أنه الرجل المعروف من قبل الجميع ففي كراسة (ابهوداه زاراه) >> (١) نقرأ ما يلي:

>> يدعي مسيحي من يتبع تعاليم ذاك الرجل الكاذبه، الذي يعلمهم الاحتفال بالعيد الديني عند أول يوم يلي السبت >> (٢).

وعلى سبيل التحقير والإزدراء يدعى يسوع أيضاً (نجار بار نجار *Naggar bar Naggar* اي نجار ابن نجار كذلك يُدعى بن شارش ايتيم *Ben Charsch Etaim* أي ابن الخطاب) >> (٣).

>> وهو يدعى كذلك تالوي *Talui* اي الرجل الذي شنق >> (٤)

المقالة الثانية: حياة المسيح عليه السلام في التلمود:

>> يعلم التلمود أن يسوع المسيح كان إبناً غير شرعي حملته أمه خلال فترة الحيض، وكانت تنقمصه روح ايسو *Esau* وأنه مجنون، مشعوذ، مضلل، صلب ثم دفن في جهنم، فنصبه أتباعه منذ ذاك الحين وثنا له يعبدونه >> (٥)

>> هم يدعونه أيضاً ابن بانديرا ويدعى كذلك يسوع الناصري في مقاطع أخرى من التلمود حيث يذكر بوضوح على أنه يسوع ابن بانديرا. في كتابه عن

(١) فصل من فصول التلمود خاص بالوثنيه، انظر: المرجع السابق، ص ٣٣

(٢) نفس المرجع السابق، ص ٥٦

(٣) *C.F. Abhodah Zarah 50b* نقلاً عن المرجع السابق، نفس الصحيفة

(٤) نفس المرجع السابق، ص ٥٦، ٥٧

(٥) الأب براناتيس (فضح التلمود)، ط ٢، ص ٥٧

سلالة نسب المسيح، يذكر الكاهن داماسين *Damascene* أيضاً، بانثيرا *Panthera* وابن بانثيرا <<(١)>>

ولاثبات ما سبق أن ذكرنا سننقل - فيما يلي - ما ترجم من نصوص تلمودهم المتضمن للاعتقادات الباطلة والآثمة ضد سيدنا المسيح عليه السلام والتي تقشع لها الأبدان، ويندى لها الجبين:

<< إن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين الزفت والنار، وأن أمه مريم أتت به من العسكري باندرامباشرة الزنا وأن الكنائس النصرانية بمقام القاذورات، وإن الواعظين فيها أشبه بالكلاب الناجمه، وأن قتل المسيحي من الأمور المأمور بها، وأن العهد مع المسيحي لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهودي القيام به، وأنه من الواجب ديناً أن يلعن ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة ضد بني اسرائيل >>(٢)

وينقل صاحب كتاب (فضح التلمود) عن أحد أسفار التلمود <تولدوت جيشو>(٣) << بأنهم يصفون فيه المسيح عليه السلام بأنه مجدف و ساحر

(١) C.F. *The Jerusalem Talmud, Abhodah Zarah*

C.F. *II, and Schabbath Ch. XIV Beth Jacobh, 127a*

نقلا عن الأب برانانيس (فضح التلمود)، ط ٢، ص ٦١ ، ٦٢ (٢) انظر: الكثر المرصود من قواعد التلمود، وهو عبارته عن كتابين فرنسيين هما (اليهودي على حساب التلمود للدكتور / روهلنج) والآخر (تاريخ

سورية لسنة ١٨٤٠م) للدكتور / لوزان ترجمهما الدكتور / يوسف حنا نصرالله، ط ٢، ص ٢٢

(٣) أي ذرية يسوع وهو كتيب صغير غارق بالتجديفات واللعنات يضم قصة

المسيح وهو حافل بمختلف ضروب الكذب والتضليل،

انظر: فضح التلمود، ط ٢، ص ٥٠

و مشعوذ >> (١)

وينقل - أيضاً - عن كراس <سانهيدرين> (٢) مايلي:

< ضلل يسوع، وافسد اسرائيل وهدمها > (٣)

وينقل الأب براناتيس عن كتاب زوهار (٤): إن يسوع مات كبهيمة ودفن في كومة قذر حيث تطرح الكلاب والحمير النافقه، وحيث أبناء ايسو (المسيحيون) وأبناء إسماعيل (الأتراك) (٥) بالإضافة إلى المسيح ومحمد (٦) غير المختونين والنجسين كالكلاب النافقه هؤلاء جميعاً مدفنون معاً >> (٧)

والمقالة الثالثة من كتاب (فضح التلمود)

-
- (١) المرجع السابق، ص ٦٤
- (٢) سفر من التلمود خاص بالمحاكم يبحث في شؤون تنظيم المحاكم ونشوتها ومحاضر جلساتها، بالإضافة إلى مسائل العقوبات التي تترتب على الجرائم الرئيسية
- انظر: فضح التلمود، ص ٣٢
- (٣) المرجع السابق، ص ٦٦
- (٤) قيل إن مؤلف زوهار هو الراي شيمون بن جوشي *Schimon ben Jochi* أحد حوارى الراي اكيها *Akibha* الذي توفي في سنة ١٢٠م، وهو يتألف من ثلاث مجلدات، طبعة امستردام سنة ١٨٠٥م ثلاثة مجلدات.
- انظر، فضح التلمود، ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٠
- (٥) يعلق الأب براناتيس في هامش كتابه بأن المقصود بالأتراك هنا المسلمون بالذات لأن الأتراك في العصر الذي أعد فيه هذا الكتاب كانوا أشهر من المسلمين.
- انظر، فضح التلمود، ص ١٦٦
- (٦) قاتلهم الله ولعنهم بما قالوا.
- (٧) انظر: فضح التلمود، ص ٦٦ ، ٦٧

هي: في تعاليم المسيح عليه السلام في التلمود.

ينقل المؤلف من (ابهوداه زاره) (١) مايلي:

>> الناصري هو الذي يتبع تعاليم كاذبه يبتدعها رجل يدعو إلى العباده في
اليوم الأول التالي للسبت << (٢)

ويقول الدكتور جوزيف باركلي: >> إن الطبقات الأولى من التلمود
شملت كثيراً من كلمات السبب والشم ضد سيدنا المسيح عليه السلام والمسيحية
ولكن الطبقات الأخيرة لاتشمل إلا القليل جداً بعد أن طهرتها الكنيسة ومن
طبقات التلمود التي كانت تسب وتشتم سيدنا المسيح طبعة امستردام لسنة ١٦٤٥،
وقد نعت فيها المسيح بالكلمات الآتية:

١ - ذلك الرجل *That one*

٢ - مثل ذلك الرجل *Such an one*

٣ - أحمق *A fool*

٤ - المجذوم *The Leper* (المصاب بالجذام)

٥ - غشاش بني اسرائيل *The deceiver of Israel*

وجاء في نفس الطبعة أيضا:

٦ - يدعى أنه ابن الجندي يوسف بنديرا *Joseph Pandira* حبلت به مريم (نعوذ

بالله من هذا البهتان الأثيم!) قبل زواجها.

(١) عُرّف في هامش ص ١٦ من هذا البحث.

(٢) انظر، فضح التلمود، ص ٧٣ ، ٧٤

- ٧ - المعجزات التي قام بها المسيح كانت بقوة السحر *Sorcery* وأنه قد تعلم السحر أثناء وجوده في مصر، واستدلوا على ذلك لانهم وجدوا على جسد المسيح عليه السلام علامة لشق اللحم!
- ٨ - زعموا أنه تعلم ما كان يقوله للناس، على يد يوشوا بن برخيا *Joshua ben Perachia* وزعموا أيضا أن يوشوا هذا قد حرمه كنسياً *Excommunicated* وألقاه بين قرون أربعمائة كبش لتفتك به هذا بالرغم أن يوشوا عاش قبل المسيح بسبعين سنة!!
- ٩ - قبل صلب المسيح - كما يعتقد المسيحيون - أعلن في المدينة عن طريق النداء العام أن يحضر الذين يريدون الشهادة ببراءة المسيح، ولكن أحداً لم يتقدم!
- ١٠ - يقول التلمود أن المسيح عليه السلام رمى بالأحجار ثم صلب مساء عيد الفصح.
- ١١ - تلاميذ المسيح ملحدون *Heretice* ويطلق التلمود عليهم أسماء شائنة، فاضحه، ويتهمهم بإتيان أفعال قبيحة.
- ١٢ - العهد الجديد (الإنجيل) يسمى بكتاب مملوء بالإثم *Sinful book* وكلما يشير التلمود إلى هذه الموضوعات تفتل لهجته بالقت الشديد والكراهية << (١)

(١) *The Talmud. Dr. Joseph Barclay, London, 1878, pp. 38-39*

كذلك : الأب العربي د. جوزيف باركلي، ص ٣٤ - ٣٦
نقلا عن: ظفر الإسلام خان (التلمود تاريخه وتعاليمه)، ط ٢، ص ٦١-٦٣
أيضا: التلمود شريعة بني إسرائيل حقائق ووقائع، ترجمة محمد صبري.
ص ٢٤، ٢٥

هذا ما ذكره تلمود اليهود عن المسيح عليه السلام وهو - كما ذكرت -
كلام آثم مليء بالسب والشم لسيدنا المسيح عليه السلام وهو كلام لا يليق بانسان
بريء، فكيف بنبي كريم من أنبياء الله معصوم اصطفاه الله على خلقه، وشرفه
برسالته، وأيده بمعجزاته؟!

وفي الحقيقة أني لم أقنع بما وجدته من تعاليم التلمود وأقواله تلك عن
السيد المسيح وأمه عليهما السلام في هذه الكتب التي بين يدي لأنها مراجع
وليست المصدر الأساسي لكتاب التلمود، فوددت بل تمنيت وحاولت بشتى الطرق
أن أجد نسخة أصلية من هذا الكتاب الحاقده، لتكون مصدراً أساسياً أستطيع أن
أنقل منه ما أريده في موضوع بحثي هذا، مع أن معظم الكتاب والباحثين المحدثين
لم يعتمدوا على النسخة الأصلية - فيما أعلم - إلا نادراً^(١)

وبعد أن اجتهدت وبحثت وتحملت مشاق السفر لآلاف الأميال بعداً عن
وطني وجدت ضالتي، ولكن ظني قد خاب في هذا الكتاب، حيث أن أيدي المسخ
والتحريف قد امتدت إليه وأزالت معظم ما دون عن السيد المسيح وأمه عليهما
السلام.

(١) وحيث أن هذا الكتاب الخطير - حسب علمي - لا يوجد في بلادنا بل
ولا يوجد في البلاد العربية فقد وصيت على طلبه من بريطانيا فاعتذر من
طلبته منه بعد البحث الجاد بأنه غير موجود، فاستعنت بالله تعالى وسافرت
إلى الولايات المتحدة الأمريكية جادة في طلبه في صيف عام ١٩٨٧م فبحثت
في كل ولاية أذهب إليها (كاليفورنيا، نيفادا، فلوريدا، نيويورك) بل وفي
كل مكتبة أراها حتى تورمت قدماي بحثاً عنه، وتحققت أمنيته تلك بأن
وجدته فقط في المكتبة العامة في مدينة نيويورك وفيها لايسمح لنا
باستعارته، فاستعنت بالفهرس العام للكتاب، وأخرجت منه جميع
الموضوعات التي تهمني في موضوعي فلم أجد إلا التزر القليل.

وقد حدث هذا في القرون الوسطى في أوروبا - كما أُعترف بذلك -
فكلمات السب المقذع والشتم المشين والذي لا يليق بإنسان عادي وصف بالتقى
والصلاح عن أن يليق بنبي مصطفى مختار بل ومن أولي العزم من الرسل قد
حذف معظمها وأزيل من التلمود.

وأعتقد أن سبب ذلك الحذف والمسح لهذا الكتاب فيما وصفه به السيد
المسيح وأمه عليها السلام هو خوف اليهود من المسيحيين ومن غضبهم بل ومن
غضب حكامهم فهم - أي اليهود - عباد للماده - كما هو معروف عنهم من
تاريخهم وطباعهم - ومستعدون أن يصنعوا أي شئ في سبيلها حتى ولو كان
الحذف والتنقيص من كتبهم المقدسة !!.

وها هي اعترافات هذا الكتاب بما حصل له من مسخ وتحريف أسجلها
ها هنا لكي تكون دليلاً صادقاً على ما نقله الباحثون الأوائل الفضلاء والمنصفون
من كلمات مشينه وسب مقذع في حق سيدنا المسيح عليه السلام.

>> لقد كانت هناك رقابة شديدة في أوروبا على التلمود في القرون
الوسطى، وقد حاول أصحاب المطابع في القرون التالية وبالتدرج وبطريقة سرية
اعادة بعض الفصول التي أسقطت منه، ولكن بالرغم من ذلك المجهود فإن أحسن
طبقات التلمود كانت محرفه وممسوخه بسبب التبديلات التي أدخلتها يد الرقابه.

>> وتعتبر طبعة باسل *Basel* المراقبه هي المثال والنموذج الأصلي لتلك
الطبقات حيث أن الرقيب حذف أو نقح كل الأجزاء من الأصل التي اعتبرها
مهينة للمسيح والمسيحية أو لبعض الأشخاص، أو انعكاسات لبعض الآراء

فهما شاهدان ضده، ويؤخذ إلى بيت الدين ويرجم، ولكن في حالة دعوة شخص واحد لعبادة الأصنام فيجب أن يجيبه بالآتي: لدي أصدقاء يودون إتباعك وعبادة الأوثان، فتعال لتعرض عليهم الأمر، فإن كان ماكرأ ورفض الكلام فيأتي بشهود يختبئون له خلف حاجز بحيث لا يراهم ولا يشعر بهم، ثم يستدرجه ذلك الشخص الذي سبق وأن دعاه إلى عبادة الأوثان ويقول له: أعد علي ما قلت لي الآن ونحن على انفراد، فإذا اعاد ما قاله فيقول له: < كيف تتخلى عن الرب في الملكوت ونتجه إلى عبادة الأوثان والأحجار، فإذا تراجع فمقبول تراجع، ولكن إذا كان جوابه: > إن واجبنا عبادة الأوثان وهو عمل حسن فإن الشهود الموجودين خلف الحاجز يأخذونه إلى بيت الدين ويرجمونه، أما إذا قال: سوف أعبد الأوثان، أو دعونا نعبد الأوثان إلى غير ذلك من الأقوال فيرجم جمارا: إذا كان الداعي إلى عبادة الأوثان شخص عادي أو جاهل فيرجم، وإذا كان نبياً!!! فيشلق، وكذلك إذا دعا مجتمعه إلى ذلك فيشلق >> (١)

وفي التعليق على ذلك (أي في هامش الكتاب) جاء ما يلي:

في الطبعة الغير مراقبه في التلمود طبعات ميونخ واكسفورد، والطبعة القديمة

يوجد هذا النص:

>> وهكذا فعلوا بابن استادا في اللد وشنقوه في ليلة عيد الفصح بن استادا

هو ابن بانديرا *Ben Padira* واستادا اسم أمه، وقد كان اسمها مريم وربما تكون

مصنفة شعر.

(١) المصدر السابق، ص ٤٥٤ - ٤٥٦

ويقول بمباديثا *Pumbaditha* إن هذه المرأة تركت زوجها واقتربت خطيئة الزنا مع عشيقها ويدعى بانديرا *Pandira* وقد عُرف ابن ساتادا بعيسى الناصري << (١)

ويضيف تلمودهم الكاذب هذا في موضع آخر:

>> تلك المرأة - يقصد مريم عليها السلام - وهي التي تنحدر من سلالة الأمراء والحكام لعبت دورالموس مع النجارين، ويعتقد أن الإيماء هنا تعني عيسى، وبالرغم من إن إسم المرأة لم يُذكر (٢) ولكن أم عيسى هي المقصوده من ذلك، ومما يقوي هذا الرأي إن مريم كان لها علاقة جنسية مع نجار << (٣) !!! قاتلهم الله ولعنهم بما قالوا إذ كيف يوجه هذا الاتهام لسيدة نساء العالمين، قال تعالى: {ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين} (٤)

وهناك نص يذكر أن يسوع تناقش مع أحد الربانيين، ودار النقاش حول حانة قد ذهب إليها فأخذ يسوع ينظر إلى صاحبة الحانة ويصفها !!! فنهره يوشع (أحد الربانيين) وطرده من الكنيسة، فتوسل إليه يسوع بأن يأذن له بالعودة إلى الكنيسة، ولكن الرباني رفض فانتهى الأمر بيسوع إن اتخذ طوبة وعكف على عبادتها!!

-
- (١) المصدر السابق، ص ٧٢٥
والتعليق: نقلا عن كتاب (المسيحية في التلمود) لهيرفورد *T. Herford*
(٢) هذه تلميحات وضعت بدلا من التصريحات في التلمود - كما ذكرنا سابقاً - حتى تنطلي على المسيحين فتتشر
(٣) المصدر السابق، ص ٧٣٥، والتعليق من كتاب المسيحين في التلمود لهيرفورد، ص ٤٨
(٤) سورة التحريم : آية ١٢
انظر: ص ٣٠٧ ومابعدها من هذه الرسالة.

ونحن إذ ننقل مفترياتهم عن المسيح - عليه السلام - نزهه كل التنزه عما
يقوله هؤلاء المفترون

وفي الطبعة الأصلية الغير مراقبة يستمر النص كالآتي:

>> أفاق يوشع وعيسى وذهبا إلى الحانة حيث وجدا التكريم والتشريف
فقال يوشع: ما أجمل هذه الحانة! فأجابه عيسى: يارباني إن عينيها ليست جميلة،
وقد أساء يسوع الفهم، حيث فهم أن يوشع يقصد صاحبة الحانة: فأجابه يوشع:
تعمساً لك أهكذا تشغل نفسك بهذا زجره يوشع، وهتف بأربعمائة بوق وطرده من
الكنيسة، وتوسل يسوع إليه مرات عديدة بأن يقبله، ويأذن له بالعودة إلى
الكنيسة، ولكن الرباني يوشع لم يلق إليه بلاً،

وبينما كان يسوع ذات يوم يقرأ الشيما *shema* تقدم إليه يوشع طالباً
الإذن بالعودة إلى رحاب الكنيسة، فأشار إليه يوشع بالقبول، ولكن يسوع أساء
الفهم، وظن أن يوشع يرفضه، فذهب يسوع وأحضر طوبة وعبدها !!!، وعندما
علم يوشع بما حصل له طلب منه التوبة عما بدر منه، فأجابه يسوع: لقد تعلمت
منك: أن من أذنب وتسبب في ذنوب الآخرين ليس له سبيل إلى التوبة، وقد قال
السيد الرباني: إن عيسى النصراني مارس السحر وقاد إسرائيل إلى الضلال >> (١)

وفي التلمود البابلي جزء سوتا *sota* هناك إضافة للافتراءات السابقة على

سيدنا المسيح عليه السلام.

(١) التلمود البابلي *Sedernezikin*, جزء سان هدرن *Sanhedin*, المترجم
للانجليزية مع التعليق الربى الدكتور ابشاتين *I.Epstein* ص ٧٣٥

« يقول البعض بأن يسوع صنع من حجر المغنطيس صنماً كهيئة العجل !!! وجعله معلقاً بين السماء والأرض !، ويقول آخرون بأنه نقش على ذلك الصنم اسم الإله الذي اعتاد أن يناديه بالعبرة التالية: انا الرب إلهكم ولا إله لكم غيري » (١)

ويقول الأستاذ ظفر الإسلام خان:

« إن الذي جعل اليهود يتشبهون بتعاليم التلمود هو الانهيار المفاجئ لشوكتهم وإغلاق مدارسهم مرة واحدة، الأمر الذي جعلهم يبحثون عن تعاليم جديدة للمرحلة القادمة، ووجدوها في التلمود الذي يعلمهم على مواصلة الحياة بالانغلاق والسيطرة على المجتمع تهيدا لإقامة إمبراطورية عالمية » (٢)

« والحديث عن عيسى ابن مريم - عليه السلام - عند اليهود موجز للغاية، فإنه لا يوجد في تاريخ اليهود الديني ولا في كتبهم (أسفار العهد القديم على وجه الخصوص) أى ذكر لعيسى بن مريم - عليه السلام - ولا لدعوته ولا لأحداث القبض عليه وصلبه (كما يعتقد المسيحيون) فالذي يقرأ كتب اليهود لا يجد لعيسى ذكراً وهذا مما حدا ببعض الغربيين إلى اعتبار عيسى شخصية خرافية فرضية ليست حقيقية واقعة

وإذا تكلم اليهود عن عيسى وقتله (كما يعتقد المسيحيون) فليس لأنه مثبت في تواريخهم المأثورة عن آبائهم ومشايخهم، ولكن لأنهم يسمعون ما يقوله

(١) ترجمه إلى الإنجليزية وعلق عليه الربى الدكتور ابشتاين *I. Epstein*، رقم الصحيفة ٢٤٧

(٢) التلمود تاريخه وتعاليمه، ط ٢، دار النفائس، بيروت، ص ٣٣

المسيحيون عن المسيح فيروون عنهم أحيانا، وإلا فكتبهم خالية من ذلك >> (١)
ويتساءل الدكتور أحمد شلبي.. لماذا أهمل اليهود شأن عيسى ولم يذكره
في كتبهم؟ ويجيب هو على تساؤله هذا بقوله:

>> الجواب أن عيسى عندهم - إن صح وجوده - رجل عادي كفر
بدعوتهم فقتلوه وهم يجمعون في كتبهم أخبار كل فرد من الدولة فهذا رجل
انشق فعاقبوه بالقتل، ولا يستحق بعد ذلك أى ذكر >> (٢)

وقد وصل الأمر بالمفكرين الغربيين إلى ما يشبه إنكار وجوده - عليه
السلام - ويتساءل ول ديورانت (٣) هل كان وجود المسيح - عليه السلام -
حقيقة واقعة أم هى أسطورة من الأساطير أو خرافة شبيهة بخرافات كرشنا
وأوزريس .. يقول:

>> هل وجد المسيح حقاً؟ أو أن قصة حياة مؤسس المسيحية وثمره أحزان
البشرية وخيالها وآمالها أسطورة من الأساطير شبيهة بخرافات كرشنا وأوزريس،
وأتيس، وأونيس، وديونيش، ومتراس (٤) لقد كان بعض الباحثين يقولون: في
مجالسهم الخاصة إن المسيح قد لا يكون له وجود على الإطلاق، وجهر

(١) د/ أحمد شلبي، المسيحية، ط٦، ١٩٧٨م، ص ٧٧

(٢) نفس المصدر السابق

(٣) مؤرخ أمريكي، حصل على الدكتوراة من جامعة كولومبيا عام ١٩١٧م له
مؤلفات عديدة أشهرها قصة الفلسفة وقصة الحضارة (في عشر مجلدات) صدر
المجلد الأخير منه في عام ١٩٦٧م، واشتركت معه في تأليف المجلد الأخير
زوجته (أريل) ويعتبر قصة الحضارة من أعظم أعماله انظر الموسوعة
الأمريكية ج ٩، ص ١٨٩٨

(٤) هذه شخصيات تدور حولها قصص خرافية واساطير قديمه ليس لها أساس
من الصحة.

أنظر: دائرة معارف البستاني، ج ٢، ص ٤٨٤، ٧١٣، ج ٤، ص ٦٤٥

فلمي Volney بهذا الشك نفسه في كتابه [خرائب الامبراطوريه] الذي نشره في عام ١٧٩١م، ولما التقى نابليون في عام ١٨٠٨ بفيلانند Wieland العالم الألماني لم يسأله القائد الفاتح سؤالاً تافهاً في السياسة أو الحرب، بل سأله هل يؤمن بتاريخية المسيح؟ <<(١).

ويقول ريمارس:

>> إن يسوع لا يمكن أن يعد مؤسس المسيحية أو أن يفهم هذا الفهم، بل يجب أن يفهم على أنه الشخصية النهائية الرئيسية في جماعة المتصوفه اليهود القائلين بالبعث والحساب، بمعنى أن المسيح لم يفكر في إيجاد دين جديد، بل كان يفكر في تهيئة الناس لاستقبال دمار العالم المرتقب، وليوم الحشر الذي يحاسب فيه الله الناس الأرواح على ما قدمت من خير أو شر <<(٢).

ويقول (ول ديورانت) أن أقدم إشارة غير مسيحية إلى المسيح قد وردت في كتاب قدم اليهود ليوسفوس.

يقول: >> وفي ذلك الوقت كان يعيش يسوع وهو رجل من رجال الدين، إذا جاز أن نسميه رجلاً، لأنه كان يأتي بأعمال عجيبة، ويعلم الناس، ويتلقى الحقيقه وهو مغتبط، وقد اتبعه كثير من اليهود وكثيرون من اليونان، لقد كان هو المسيح <<(٣).

ويطرح المستشار محمد عزت الطهطاوي السؤال التالي:

-
- (١) قصة الحضارة، ج ٣، (١١)، ط ٣، ص ٢٠٢
 - (٢) قصة الحضارة، ج ٣، (١١)، ط ٣، ص ٢٠٣
 - (٣) قصة الحضارة، ج ٣، (١١)، قيصر والمسيح، ط ٣، ص ٢٠٤، ٢٠٥

هل يوجد في تاريخ اليهود اشارة إلى المسيح عيسى بن مريم؟ ويجب عليه

بقوله:

>> لا يوجد في التاريخ الديني (للإهود) ولا في كتبهم أي إشارة: للمسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) ولا لدعوته ولا لأحداث القبض عليه وصلبه (كما يعتقد المسيحيون) مما حدا ببعض الغربيين إلى اعتبار عيسى أو يسوع شخصية خرافية فرضيه لا أساس لها من الواقع >> (١)

وإذا اعتبرنا بروتكولات حكماء صهيون (٢) من الكتب المقدسه لدى الإهود، فإنني قد بحثت في جميع تلك البروتكولات المنشورة والمدونه حالياً لأجد فيها ذكراً للمسيح عليه السلام فلم أجد له فيها ذكراً البتة.

ومما يجدر ذكره هنا أن الإهود كانوا ولا زالوا ينتظرون مسيحاً يأتي ويخلصهم من الولايات التي أصابتهم خلال تاريخهم الطويل، والذي سيأتي ويحكم ويكون مملكة كبيرة للإهود ويشتركون معه فيها.

(١) النصرانية والإسلام، ط دار الأنصار، ص ٢٢٦

(٢) البروتكولات، تقرير بالنسبة لوضعها، ومحاضر بالنسبة لعرضها على المؤتمرين في جلساتهم، وقرارات بالنسبة لقبولها وتأييدها، وقد قامت سيدة فرنسية باختلاس جزء منها من وكر الماسونيه بباريس عام ١٩٠١م ونشرت في روسيا القيصرية عام ١٩٠٢م، وهدفها هو إقامة وحدة عالمية تخضع لسلطان الإهود وتديرها حكومة يهودية، فالقسم الأول منها يبحث في موقف الإهود من العالم قبل تحقيق هدفهم، ويبحث القسم الثاني في موقف الإهود من العالم بعد أن يصبحوا أصحاب السلطان عليه.

انظر: بروتكولات حكماء صهيون، ترجمة / محمد خليفة التونسي، ط ٥،

ص ٣١،

أيضاً: د. أحمد شلي (اليهودية)، ط ٥، ص ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٣

ففي سفر اشعيا ما يلي:

>> لأنه يولد لنا ولد ونعطي إبناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيباً ويكون إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام، لنمو رياسته يجلس على كرسي داود وعلى مملكته، ويعضدهما بالحق والبر من الآن إلى الأبد، غيرة رب الجنود تصنع هذا >> (١).

ويعتقد بعض الباحثين (٢) أن عقيدة المسيح عند اليهود هذه قد نتجت من عقيدة أخرى سابقة لها وهي عقيدة الاختيار والامتياز لشعب بني إسرائيل على جميع الشعوب كما تنص على ذلك توراتهم إذ تقول :

>> أنا الرب إلهكم الذي ميزكم عن الشعوب، تكونون لي قديسين لأنني قدوس، أنا الرب وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي >> (٣)

>> إنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم، وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم >> (٤)

>> فإن اليهود وجدوا أنفسهم لاختيرة البشر كما زعموا، ولاصفوة الخلق

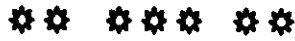
(١) ٧-٦ : ٩

(٢) أنظر: د. أحمد شلبي (اليهودية)، ط ٥، ص ٢١٨

(٣) لاويون ٢ : ٢٤ ، ٢٦

(٤) تثنيه ٧ : ٦ - ٨

كما أملوا، بل لم يجدوا أنفسهم في نفس المكانه التي ينعم بها الآخرون، وإنما كانوا هدفاً للبلايا والنكبات، ومن هنا اتجه مفكروهم في عصورهم المتأخره إلى مخلص ومنقذ ينتشلهم من هذه الوهده، ويضعهم في المكانه التي أرادوها، وأطلقوا على هذا المخلص «المسيح المنتظر» ووصفوه بأنه رسول السماء والقائد الذي سينال الشعب المختار بهديه وإرشاده ما يستحقه من سيادة وسؤدد << (١)



(١) James Hosmer: *The Jwes.* p. 85
نقلا عن د. أحمد شليبي (اليهودية)، ط ٥، ص ٢١٨

الفصل الثاني

موقف اليهود من المسيح وأمه عليهما السلام

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول :

إعتراف اليهود بمواقفهم العدائية من المسيح عليه السلام من خلال مؤلفاتهم ودوائر معارفهم

المبحث الثاني :

موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال أسفار النصارى المقدسة.

المبحث الثالث :

موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال آيات الذكر الحكيم.

تمهيد :

بعد اطلاعي على المراجع والمصادر التي بين يدي من مؤلفات علماء ومفكري اليهود، ودوائر المعارف اليهودية، ودائرة المعارف للديانات وعلم الأخلاق، وجدت أن موقفهم من سيدنا المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام يتضح في ثلاث مباحث:

المبحث الأول:

اعتراف اليهود بمواقفهم العدائية من المسيح عليه السلام منذ ولادته، وأثناء بعثته ودعوته، وحديثهم هذا يظهر من خلال أسفارهم ومؤلفاتهم ودوائر معارفهم، وفيه ستة مسائل:

* المسألة الأولى : موقف اليهود عامة من السيد المسيح عليه السلام من خلال أسفارهم ومؤلفاتهم.

* المسألة الثانية: موقفهم ورأيهم في تعميده عليه السلام.

* المسألة الثالثة: موقفهم من معجزاته عليه السلام.

* المسألة الرابعة: موقف اليهود من قصة القبض على المسيح عليه السلام وصلبه كما يزعمون.

* المسألة الخامسة: موقف اليهود من السيدة مريم أم المسيح عليهما السلام.

* المسألة السادسة: مقارنة بين المسيح اليهودي والمسيح النصراني.

المبحث الثاني :

موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال أسفار النصارى (العهد الجديد) ورأي النصارى عامة في كتبهم ومؤلفاتهم.

المبحث الثالث :

ثم يأتي القول الفصل في هذا الموضوع من الكتاب المحفوظ بحفظ الله تعالى: { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } (١)

فالقرآن الكريم تحدث في كثير من آياته وسوره الكريمة عن مواقف اليهود العدائيه من سيدنا المسيح عليه السلام بل ومن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (٢)

(١) سورة الحجر : آية ٩

(٢) وقد حكى لنا القرآن الكريم موقفهم من الأنبياء فهم لا يكتفون بتكذيبهم بل ويقتلونهم: { أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون } البقرة : آية ٨٧
{ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين } البقرة : آية ٩١
انظر ص ١٤٧ من هذا البحث وما بعدها

المبحث الأول

إعتراف اليهود بمواقفهم العدائية من المسيح وأمه
عليهما السلام من خلال مؤلفاتهم ودوائر معارفهم

وفيه ست مسائل:

المسألة الأولى : موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال
أسفارهم ومؤلفاتهم.

المسألة الثانية : موقف اليهود ورأيهم في تعميده عليه السلام.

المسألة الثالثة : موقف اليهود من معجزاته عليه السلام.

المسألة الرابعة : موقف اليهود من قصة القبض على المسيح وصلبه
كما يزعمون.

المسألة الخامسة : موقف اليهود من السيدة مريم أم المسيح عليها
السلام.

المسألة السادسة : مقارنة بين المسيح اليهودي والمسيح النصراني.

المسألة الأولى :

موقف اليهود من المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام من خلال أسفارهم ومؤلفاتهم.

فبالإضافة إلى ما أثبتناه في الفصل السابق من حديث التلمود عنه وعن أمه عليهما السلام من أقاويل مشينه يندى لها الجبين، أنقل وأثبت اعترافاتهم ومواقفهم ضده وضد أمه الطاهره البتول من كتب علمائهم ومفكريهم، ومن دوائر معارفهم، والتي توضح وتؤكد مواقفهم العدائيه منه ومن أمه الطاهره عليهما السلام.

ففي دائرة المعارف اليهودية وتحت عنوان (عيسى الناصري في التاريخ) مايلي:

>> مؤسس المسيحية وُلد في الناصره حوالي سنتين قبل الميلاد^(١) كما جاء في لوقا^(٢)، قتل في القدس ١٤ إبريل أو ٢٩ إبريل سنة ٣٧٨٩ في التاريخ اليهودي <<^(٣)

-
- (١) قوله هنا: قبل الميلاد يدل على عدم صحة التاريخ الميلادي وقد ذكر ذلك كثيرون آخرون.
- (٢) يشير في لوقا ٣ : ٢٣ وقد بحثت عن مكان اشارته فلم أجد ما يمكن أن يكون دليلاً على ما ذكر ووجدت مايلي: >> ولما ابتداء يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ماكان يظن ابن يوسف بن هالي << وقد بحثت في الفصلين السابق واللاحق لمكان إشارته فلم أجد ما يفيد حديثه!!
- (٣) انظر: *Jewish Encyclopedia* ج ٧، ص ١٦٠

حياته :

>> بالرغم من أنها كانت شخصية خطيرة ولكن كان لها تأثير ضعيف ومباشر على مجرى التاريخ في العصور الوسطى.. بينما المراجع في التلمود كان أغلبه كقصه خياليه وأسطورة خرافية تماماً كالأناجيل المشكوك في صحتها ولكن في اتجاه مضاد ومعاكس >> (١)

>> ولا يوجد أي علاقة تدل في الكتابات اليهودية على أن ظهور المسيح سواء كان معلماً أو قائداً أو مرشداً اجتماعياً أو سياسياً، كان له تأثير عميق أو دائم على الأمة اليهودية بصفة عامة، فخارج مدينة الخليل كان لا يكاد يعرف، وهذا على الأقل يوضح لنا الحقيقه بأن الأجزاء التلمودية وأكثرها كان قديماً وضعت عيسى في نفس مستوى ابن استادا الذي حوكم في لدا، وربما كان مساوياً ومشابهاً (لتيودوس الساحر) المسيح الكذاب الذي ظهر في عام ٤٤م، وكذلك

(١) ومن الغريب حقاً أن دائرة المعارف الخاصة باليهود تتحدث عن التلمود بهذه الطريقة!! فهم يقدسونه أكثر من تقديسهم للتوراه!! - كما ذكرنا في الفصل السابق - ففي هذه العبارة يقرر مؤلفوا هذه الدائرة أن التلمود كالأناجيل تماماً عبارة عن قصص وأساطير خرافية، ولكن الأناجيل تعظم المسيح أما التلمود فهو في اتجاه مضاد ومعاكس لذلك تماماً.

يشبه النبي المصري الكذاب الذي اختلق ثورة مسيحية بعد ذلك بسنوات (١) والذكر الوحيد لعيسى في المؤلفات اليهودية المعاصرة، وُجدت في قسم (جوزفس) وهي عبارته عن فقرات دُست بواسطة الناسخين المسيحيين، والذي يظهر أن أصل هذه الفقرات تحتوي على الفقرات الآتية: وجد في ذلك الوقت شخص يُدعى عيسى رجل رشيد الذي كان يقوم بمعجزات معلم لرجال متشوقين لتلقي بشائر جديدة، وبذلك جذب إليه كثير من اليهود وكذلك كثير من اليونانيين واعتبر لذلك المسيح، وعندما شهر به من رجالٍ مهمين منا (أي من اليهود) قام بيلاطس الحاكم الروماني بالحكم عليه بالصلب (٢)، ولكن الأشخاص الذين تأثروا به في أول الأمر لم يتركوا اعتقادهم به والقبيلة المسيحية التي نسبت إليه لم تنقرض حتى هذا اليوم << (٣)

(١) وهذه العبارة تكشف مدى حقد اليهود الدفين على المسيح وعلى الأمة المسيحية حيث أنهم يقررون هنا في دائرة معارفهم بأنه لم يكن له أي تأثير على الأمة اليهودية، وأنه لا يكاد يعرف خارج مدينة الخليل، وكذلك فهم يشبهونه بالمتنبئين الكذبة والسحرة والدجالين، حاشاه - عليه السلام - ان يكون منهم وهو من أولي العزم من الرسل قال تعالى { تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس { البقرة: ٢٥٣

(٢) هذا تأكيد لاعتقاد اليهود بصلبه عليه السلام { وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم { النساء : ١٥٧

(٣) انظر: *Jewish Encyclopedia*, ج ٧، ص ٥٠

الناشر: *Funk and Wagnalls Company*

وتضيف دائرة المعارف اليهودية بأن الأناجيل قد أكدت أن يوحنا المعمدان هو أول من قام - هو وجماعته - بالإعداد والاستعداد لما أسموه (بالحركة المسيحية) وذلك باستغفارهم وتعميدهم وصومهم استعداداً لقدم المسيح، كما أن عيسى لا يُعد إلا من حوار يوحنا المعمدان ويُفهم من النص أن عيسى عليه السلام استغل سجن يوحنا فتقدم كداعي إلى مملكة السماء، وأنه يعترف أثناء نقاشه مع العلماء بأنه لم يكن نبياً بل إن يوحنا هو الذي يعترف به كنبى. أليس هذا يتناقض عجيباً؟! إذ كيف يتقدم بدلاً من يوحنا بالدعوة إلى المسيحية ثم لا يعترف بنبوته؟!

وبعد ذلك بأسطر قليلة يناقض مؤلفوا الدائرة أنفسهم فهم يذكرون بأن عيسى لم يدع أنه لقب بأي لقب سوى أنه نبي أو عامل بالروح المقدس!!

وفيما يلي نص الترجمة من الإنجليزية من دائرة المعارف اليهودية:

>> وتتفق وثائق الإنجيل على نقطة أساسية أكدت في (جوزفس) وهو المرجع السابق، وذلك أن الدافع للحركة المسيحية كان من يوحنا المعمدان وهو القديس الذي كان مع مجموعة أعدوا أنفسهم لقدم المسيح باستغفارهم وصومهم وتعميدهم وذلك لتحضير

أنفسهم لقدم المسيح^(١) واعتبر يوحنا كواعظ أو كداعي للتوبة

(١) ويشير إلى الإصحاح الثالث من متى، وعندما بحثت مكان إشارته وجدت مايلي: << وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية. قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات، فإن هذا هو الذي قيل عنه بإشعيا النبي القائل صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب >> ٣-١

<< حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلاً أنا محتاج أن اعتمد منك وأنت تأتي إليّ، فأجاب يسوع وقال له اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر حينئذٍ سمح له >> ١٣-١٥

ويشير أيضاً إلى الإصحاح الأول من مرقس وعندما بحثت مكان إشارته وجدت ما يلي: << كما هو مكتوب في الأنبياء، ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيم طريقك قدامك، صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمه، كان يوحنا يُعتمد في البرية ويكرز بعمودية التوبة لمغفرة الخطايا، وخرج إليه جميع كورة اليهوديه وأهل أورشليم وأعتمدوا منه في نهر الأردن معترفين بخطاياهم >> ٢-٦

وهذه النصوص السابقه تشير ولو قليلاً على ما أراد قوله مؤلفوا هذه الدائره، ولكن النصوص التاليه والتي أشاروا إليها في متن دائرتهم تلك لامتت بأي صلة لما أرادوا قوله، وفيما يلي أنقل هذه النصوص من الإصحاح الثاني من لوقا:

<< وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان وهذا الرجل كان باراً تقياً ينتظر تعزية إسرائيل والروح القدس كان عليه، وكان قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب، فأتى بالروح إلى الهيكل، وعندما دخل بالصبي يسوع أبواه ليصنعا له حسب عادة الناموس، أخذه على ذراعيه وبارك الله وقال الآن تطلق عبدك ياسيد حسب قولك بسلام >> ٢٥-٢٩==

والبشرى مما دعا الناس إلى الانسياق إلى نهر الأردن لتطهير أنفسهم من ذنوبهم توقعاً لتوحيد المملكة المسيحية، وعرف بعد ذلك كطبقة من المعمدين، عرفوا تحت اسم (حواري يوحنا المعمدان) وعُرف ولاءهم جزئياً لفرقة (المانديتز)^(١).

وقد كان عيسى عموماً واحداً من حواري يوحنا، ففي اللحظة التي سجن فيها يوحنا تقدم عيسى كواعظ أو كداعي إلى مملكة السماء أو مملكة الله العلويه بنفس تعبير استاذة^(٢)، وحتى النهاية كان عيسى

== >> وكانت نية حنه بنت فنوئيل من سبط أشير وهي متقدمه في أيام كثيره قد عاشت مع زوج سبع سنين بعد بكوريتها >> ٣٦ ويشير كذلك إلى الاصحاح الخامس عشر من مرقس فبحث مكان إشارته فوجدت مايلي: >>ولما كان المساء إذ كان الاستعداد أي ما قبل السبت، جاء يوسف الذي من الرامة مشير شريف وكان هو أيضاً منتظر ملكوت الله فتجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع >> ٤٣-٤٤

(١) هي فرقة يهودية، أنظر:

The Mandaean Brandt Die Mandäische Religion pp.136-218 et sea

(٢) ويشير إلى موضعين من إنجيل متى وموضع من إنجيل مرقس ليستدل به على أقواله وفيما يلي ننقل النصوص المشار إليها:

>> ولما سمع يسوع أن يوحنا أسلم انصرف إلى الجليل، وترك الناصره وأتى فسكن في كفر ناحوم >> ١٢:٤ وبعد هذا النص بعدة فقرات وجدت نصاً أثبتته هاهنا ولو لم يشير إليه المؤلف: لأنه يدل على ما أراد قوله من أن يسوع بدأ يعظ بعد أن قبض يوحنا: >>من ذلك الزمان ابتداء يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات >> متى ١٧:٤ فبإضافة هذه الفقره إلى سابقتها يكمل المعنى. ==

يعترف أثناء نقاشه مع الكبار بأن يوحنا كان يعترف به عالمياً كنبى بينما هو نفسه (أي عيسى) لم يعتبر نفسه نبياً، وفي الحقيقة أن (هيرودس انتباس) عندما سمع بالمعجزات التي قام بها عيسى أعتقد بأن يوحنا المعمدان قد بُعث من موته، وأنه هو الذي قام بتلك المعجزات.

ولم يكن عيسى نفسه حسب السجلات القديمة قد ادعى أي لقب غير أنه نبى أو عامل بالروح القدس كأى قديس^(١) وبالتدريج

== أما النص الآخر من متى فهو كما يلي: >> فإن هيرودس كان قد أمسك يوحنا وأوثقه وطرحه في سجن من أجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه، لأن يوحنا كان يقول له لايجل أن تكون لك << ١٤: ٥-٣

وهذا النص الأخير يدل على أن الامبراطور هيرودس قد قبض على يوحنا بالفعل.

(١) لا يخفى التناقض والذي يظهر واضحاً هنا في دائرة المعارف اليهودية، إذ كيف أن عيسى لم يعتبر نفسه نبياً؟! ثم يذكر ويقرر بعد سطرين فقط بأن يسوع لايعترف بأي لقب سوى أنه نبى!! ويقول الله سبحانه وتعالى في معرض الحديث عن عيسى عليه السلام:

أورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبريء الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين { آل عمران: ٤٩

ويشير مؤلفوا هذه الدائره إلى مواضع من متى ولوقا ويوحنا فبحث مكان الإشارة فوجدت أن هذه الفقرات التي أشاروا إليها لا تمت بأي صلة إلى ما أرادوا قوله وفيما يلي أنقل تلك الفقرات: ==

فإن الشهرة الواسعة لعيسى كمبدئ وشافي وكمساعِد لذوي العاهات والمرضى، والذي حجب أعمال يوحنا المعمدان - على الأقل في أواسط مجتمعات مدينة ناصرة الحليل بحيث اعتبر الأخير (أي يوحنا) فقط كمبشر للشخص الذي قدر له أن يتغلب على مملكة الشيطان، وأعني بذلك يسوع كرسول مملكة المسيح، أو منشئ المملكة المسيحية، وقد كان يوحنا من البدايه قد تنبأ بمملكة المسيح^(١)، وعيسى كرجل الشعب

== >> وإذ كانوا يطلبون أن يسكوه خافوا من الجموع لأنه كان

عندهم مثل نبي << متى ٤٦:٢١

فالنصان يفيدان اعتراف الجموع بأنه نبي، على خلاف كلام المتن في الدائرة أنه هو يعتبر نفسه نبي، أو أنه لم يلقب نفسه بأي لقب سوى أنه نبي.

>> فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم

وافتقد الله شعبه << لوقا ١٦:٧

>> قالت له المرأة ياسيد أرى أنك نبي << يوحنا ١٩:٤
وأيضاً فإن هذين النصين من لوقا ويوحنا لا يفيدان ما أراد قوله مؤلفوا هذه الدائرة.

(١) ويشير إلى مواضع من مرقس ولوقا، فبحثت مكان إشارته فوجدت

ما يلي: >> وكيف هو مكتوب عن ابن الانسان أن يتألم كثيراً ويُردل، لكن أقول لكم إن إيليا أيضاً قد أتى وعملوا به كل ما أرادوا كما هو مكتوب عنه << مرقس ٩ : ١٢-١٣

>> وقال لها أذهباً إلى القرية التي أمامكما فلووقت وأنتما داخلان إليها تجدان جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحد من الناس، فحلاه وأتيا به << مرقس ٣:١١

>> قالت له المرأة ياسيد أرى أنك نبي << يوحنا ١٩:٤

ومما هو ظاهر بالملاحظة أن هذه النصوص المشار إليها لاتفيد المعنى المراد مما أرادوا قوله أو الاستشهاد له في دائرة ==

ابتعد وخالف ممارسات الصدوقين والفريسيين في الابتعاد عن الاتصال بالمنذيين وجامعي الضرائب والعشارين والمحتقرين الذين كانوا يعتبرون معدين وملوثين ونجسين، وهو يرفع من مكانتهم، متبعاً القول: « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى^(١) وشعر عيسى بالدفاع على أن يبلغ الإنجيل للفقراء^(٢) وفي الحقيقة أصبح مخلص الطبقات الحقيرة والسفلى وقد كانت استجابتهم سريعة أن رفعوه إلى منزلة المسيح^(٣)».

== المعارف لامن قريب ولا من بعيد، حتى أي أحاول ربط هذه النصوص المشار إليها بالمعنى المراد في متن هذه الدائرة فأقرأ عدة فقرات قبل وبعد فقره المشار إليها بل وأقرأ الإصحاح بأكمله وفي كثير من الأحيان أقرأ الإصحاح السابق واللاحق لإحتمال أن يكون قد وقع خطأ في كتابة الرقم، فلا أجد ما يدل على ما أرادوا الاستشهاد له!!

(١) ويشير إلى متى ١٢:٩ « فلما سمع يسوع قال لهم لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى »

وعلى خلاف ما سبق فقد وافقت هذه فقره ماجاء في متن الدائرة.

(٢) ويشير إلى موضع من لوقا: « وجاء إلى الناصره حيث كان قد تربى ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ » ١٦:٤

ولكن هذا لايفيد الاستشهاد لما ذكره مؤلفوا هذه الدائره ووجدت ما أرادوا الإشارة إليه بعد فقرات من نفس الإصحاح: « روح الرب لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي المنكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر، وأرسل المستحقين في الحريه، وأكرز بسنة الرب المقبوله » ٤: ١٨-١٩

(٣) انظر : *Jewish Encyclopedia*, ج ٧، ص ٥٠

وتضيف دائرة المعارف اليهودية باللغة الإنكليزية ما ترجمته:

>> والظاهر أنه (أي المسيح) لم يدع أنه المسيح قبل دخوله القدس لعدم اذاعة السرفي أنه ابن داود^(١) ويتضح ذلك بالإنداز الذي أعطاه للحواريين وللمصابين بالأرواح الشريره، وإشارته إلى نفسه بأنه

(١) ويشير إلى موضع من متى وعندما بحثت مكان إشارته وجدت مايلي:

> وأوصاهم أن لا يظهروه < ١٦:١٢ فلم أفهم فقرأت ما قبلها ومابعدا من فقرات فوجدت ما يلي:

>> فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكي يهلكوه، فعلم يسوع وانصرف من هناك وتبعه جموع كثيرة فشفاهم جميعاً، وأوصاهم أن لا يظهروه، لكي يتم ما قيل بإشعيا النبي القائل، هوذا فتاي الذي اخترته حبيبي الذي سرت به نفسي، أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق << متى ١٢ : ١٤-١٨ وكما هو واضح ليس هناك أي علاقة بين ما في المتن وما أشار إليه مؤلفوا دائرة المعارف اليهودية هذه!!

ويشير أيضاً إلى موضع آخر من متى فبحثت مكان إشارته فوجدت مايلي: >> حينئذ أوصى لتلاميذه أن لا يقولوا لأحد أنه يسوع المسيح << متى ٢٠:١٦ وهذا موافق لما جاء في متن الدائرة على خلاف السابق.

ويشيرون إلى موضع من لوقا وعندما بحثت مكان إشارتهم لم أجد مايفيد ما أرادوا قوله وفيما يلي نص لوقا المشار إليه: >> وكانت شياطين أيضاً تخرج من كثيرين وهي تصرخ وتقول أنت المسيح ابن الله. فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوا أنه المسيح << لوقا

إبن الانسان بطريقة دانيال^(١) ليس لها قيمة تاريخية، بينما في مرقس^(٢) وفي متى^(٣) ان ابن الانسان يعني رجل، فبينما تنبؤات يوم الحشر في متى^(٤) ولوقا^(٥) وما بعده وفي أماكن أخرى أخذت حرفياً من الوحي اليهودي، وقد نسبت إلى عيسى أنه تكلم بها، ولكن تعاليم وأفعال عيسى فضحت بعد التحليل الدقيق اللهفة الشديدة من قبل الناس

-
- (١) ويشير إلى موضع من دانيال ذكر فيه لفظ ابن الانسان: << كنت أرى في رؤى الليل وإذا ما سحب السماء مثل ابن انسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فربوه قدامه >> دانيال ٧:١٣ أيضاً يشير إلى موضع من متى ذكر فيها لفظ ابن الانسان: << ها نحن صاعدون إلى اورشليم وابن الإنسان يُسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت >> متى ١٨:٢٠
- (٢) ويشير إلى مرقس ٢:٢٨ < إذا ابن الانسان هو رب السبت أيضاً >
- (٣) ويشير إلى متى ٨:٢٠ < فقال له يسوع للشعالب أوجره ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الانسان فليس له أين يسند رأسه >
- (٤) ويشير إلى متى ٢٤:٢٥ < ها أنا قد سبقت وأخبرتكم > ويلاحظ ان مؤلفي هذه الدائرة أشاروا إلى هذه الفقرة فقط وهي بحد ذاتها لاتفيد شيئاً ولكن الاصحاح ككل يتحدث عن علامات انقضاء الدهر كما تفيد هذه الفقرة من نفس الاصحاح: << وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين قل لنا متى يكون هذا وماهي علامة مجيئك وانقضاء الدهر > متى ٣:٢٤
- (٥) ويشير إلى لوقا ١٧:٢٢ < وقال للتلاميذ ستأتي أيام فيها تشتتهون أن تروا يوماً واحداً من أيام ابن الانسان ولا ترون >

(بعد زوال عصر المسيح) والتي كانت فرحتهم ولهفتهم أشد وأكثر منها عند ظهوره وفي عصره >> (١)

ويضيف مؤلفوا الدائرة: >> وما كان يسمى (بصلاة دعاء الرب) تصنيف رائع لأدعية يهوديه قديمة (٢) وهي عبارة عن شكوى أو طلب التماس بدلاً من أن تكون الشكر لله على منحهم المملكة المسيحية، وكذلك جميع القوانين الأخلاقية التي وضعها عبي حواريه في خطبة الجبل (٣) وهو ليس بقانون ومنهج لعالم يكاد يطير فرحاً لوصول منقذ البشرية (٤) ولكنه كمرشد للأقلية المختارة والقديسه التي تنتظر انتهاء هذا العالم سريعاً وقيام عالم آخر (٥) والأحداث الأخيرة فقط

(١) انظر: *Jewish Encyclopedia*, ج ٧، ص ٥١

(٢) ويشير إلى موضع من لوقا لفقرات تنص على هذه الصلاة: >> وإذ كان يصلي في موضع لما فرغ قال واحد من تلاميذه يارب علمنا أن نصلي كما علم يوحنا أيضاً تلاميذه، فقال لهم متى صليتم فقولوا أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض >> لوقا ١١ : ١-٤

(٣) ويشير إلى موضع من لوقا لبعض فقرات من تلك الخطبة المشار إليها: >> ورفع عينيه إلى تلاميذه وقال طوباً لكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله >> لوقا ٦: ٢٠

(٤) وهذا انتقاد واضح من كتاب الدائرة للقوانين والمناهج الأخلاقية التي أتى بها عيسى عليه السلام حسبما وردت في الأناجيل.

(٥) ويشير إلى موضع من متى: >> ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى، فإني الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان >> متى ١٠: ٢٣

هي التي أدت إلى التلميح بأن ابن الإنسان في تلك الأقوال يقصد بها عيسى <<.

وتضيف دائرة المعارف اليهودية تحت عنوان < القصص المنقولة عن اليهودية عن عيسى > عليه السلام ما ترجمته:

>> القصص المنقولة عن اليهودية عن عيسى لها ثلاث مراجع كل واحد منها لا يعتمد على الآخر:

١ - من كتاب العهد الجديد المشكوك في صحته والمؤلفات التي صدرت في المناقشات والمجادلات المسيحية.

٢ - من التلمود والميدراش^(١)

٣ - من حياة عيسى الذي نشأ في العصور الوسطى.

وتميل كل هذه المصادر إلى تحقير وتصغير شخصية عيسى^(٢)

(١) لتعريف التلمود انظر ص ١٠ من هذا البحث، أما الميدراش فهو التعليم الشفهي للتوراة، والكلمة مأخوذة من أصل عبري معناه تعمق في الدراسة وهو على نوعين. (مدراس حلقة) وهو المتعلق بالنصوص التشريعية و (مدراس هاجاداه) وقد تناقلها العلماء اليهود شفهاً من جيل إلى جيل إلى أن جرى تدوينها في حوالي القرن السادس من الميلاد، انظر: اليهودية د. ايزويدور ابشتاين نقلاً عن (التوراه تاريخها وغاياتها) ترجمة وتعليق سهيل ديب ط ٢، ص ٩٤

(٢) هنا كلام متناقض وغير صحيح، فكيف يقال إن كل هذه المصادر تميل إلى تحقير المسيح عليه السلام ومن بينها الإنجيل، ونحن نعرف أن بعض نصوص الإنجيل ترفعه إلى مقام الألوهية.

انظر مثلاً: يوحنا ١: ١٤ ، يوحنا ٥: ٢٥ ، لوقا ١: ٣٥ ، مرقس ٥: ٧

بنعته بولاده غير شرعية (ابن زنا) وبنعته بالسحر وبالموت الغير شريف، وبعض ما كتب عنه مثل أنه ساحر وجد ذلك بين الكتاب الوثنيين وبعض المسيحيين الذين عاشوا مدةً طويلةً مع اليهود، والذين يعتبرون من أصحاب البدع الضالين وهذا هو الأصل لتلك المصادر المذكوره، ويمكن القول بأن كثيراً من تلك القصص لها خلفيه لاهوتيه^(١) ولاسباب جدليه كان من الضروري أن يصر اليهود على أن ولادة عيسى غير شرعيه وذلك ضد رجوع نسبه إلى داود الذي ادعته الكنيسة المسيحية^(٢) ونسبة السحر اليه كانت ضد المعجزات التي ذكرت في الأناجيل، وتحقيره سواء في حياته أو بعد موته وذلك ضد الادعاء والتوهم لقيامه عيسى^(٣) والقصص اليهودية عن عيسى تعتبر أقل عداوةً

(١) لا يخفى ما في هذه الأقوال من التناقض إذ كيف يقال بأن النعوت التي وصف بها عيسى عليه السلام من كونه ابن غير شرعي وأنه ساحر وجدت بين كتاب وثنيين أو بين مسيحيين عاشوا فترةً طويلةً مع اليهود ثم يضاف إلى ذلك بأنه يمكن القول بأن كثيراً من تلك القصص والنعوت لها خلفيه لاهوتيه!!

(٢) إذاً هذا اعتراف من دائرتهم اليهوديه على أن اصرار اليهود على أنه ابن غير شرعي لنفي رجوع نسبه إلى داود الذي ادعته الكنيسة المسيحية وليس لأنه كذلك، كما كانوا ولازالوا يصفونه لعنهم الله بما قالوا.

(٣) أيضاً هذا اعتراف منهم بأن احتقاره وتصغيره في حياته أو بعد موته كان ذلك ضد لنفي ادعاء أو توهم قيامته من الأموات بعد صلبه ودفنه كما تدعي الكنيسة المسيحية، وليس لأنه محتقر في ذاته فهو نبي معصوم مؤيد بالمعجزات عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

إذا قورنت بمثلها من كتابات الأميين^(١) وبعض المصادر المسيحية، وخصوصاً كالفصص التي تحكي الاساطير والتخيلات التي وصف بها عيسى والتي استفزت اليهود^(٢).

وهناك كتابات في مراجع موثوق بها تقول بأن عيسى ولد عن طريق غير شرعي^(٣) فالجملة الخفيه < ذلك الرجل > المذكوره في تلك المراجع قد وجدت في سجل العائله لذلك الباحث الذي قد وجدها^(٤) ويظهر أنها تدل على عيسى، وفي الكتابات المتأخره قد استعملت جملة (الرجل الغير مسمى) وترك ذكر اسم عيسى^(٥)، أما لفظ (ابن زنا)

(١) الأميون هم الجويم أو ماعدا اليهود من الأمم، ولكن ماذا قال الأميون عن المسيح عليه السلام وكيف عادوه، لاعتقد أن هناك عداوةً للمسيح عليه السلام تفوق عداوة اليهود له، حتى ما فعلته به الحكومة الرومانيه من السجن ثم الصلب حسب اعتقاد الفريقين (اليهود والنصارى) كان بايعاز من اليهود.

(٢) لأدري ماذا يقصد بالتخيلات التي وصف بها عيسى والتي استفزت اليهود، ولكن يظهر -والله أعلم- أنها معجزاته وصفوها بأنها تخيلات.

(٣) انظر: *Jesus is that in Yeb. IV.3*

The Jewish Encyclopedia, ج ٧، ص ١٧٠

(٤) وهو: *R. Simeon ben Azza*

انظر: *The Jewish Encyclopedia*, ج ٧، ص ١٧٠

(٥) ولكن عبارة (الرجل الغير مسمى) من غير نعت أو قرينة لاتدل على عيسى عليه السلام

فقد استعمل في الأيام المتأخرة، وذاك السجل العائلي للباحث المذكور ربما كان قد حفظ في القدس في المجتمع اليهودي المسيحي.

واليهود الذين اعتبروا كأعداء لعيسى في الأناجيل القانونية، اعتبروه بأنه ابن شرعي وولد بطريقة شرعية ا وقد ظهر بيان معاكس لوجهتهم هذه لأول مرة^(١). كما يقرر أحد الباحثين^(٢). إلى أن من زنا بها كان جنديا اسمه بانثيرا، وبعد قرنين يظهر مرجع^(٣) ينسب إسم بانثيرا إلى يعقوب من اجداد عيسى، ويوحنا من دمشق يضع أسماء بانثيرا في نسب مريم، ومن المؤكد كذلك ان المصادر عن الأحبار تعتبر عيسى ابن (بانديرا) كما أنه يسمى كذلك (ابن استادا)

ويظهر كذلك أن الزوجين بابوس يهوذا ومريم الماشطه اعتبرا أبوين لعيسى، وبابوس ليس له اى صلة بقصة عيسى، ولكن ارتبط أسمه بهذه القصة لأن زوجته كانت تدعى مريم، وكانت معروفة

(١) انظر: *Acts of pilate*

Gospel of Nicodemus" ed Thilo, in "Codex Apoc Novi Testamenti" i.

Leipsc, 1832 ٦٢٥

نقلا عن: *The Jewish Encyclopedia*, ج ٧، ص ١٧٠

(٢) مؤرخ يهودي يدعى *celsus* انظر: نفس المرجع السابق

(٣) انظر: *Epiphanius (Haeres IXXVIII 7)*

نقلا عن: *The Jewish Encyclopedia*, ج ٧، ص ١٧٠

بأنها عاهرة (١).

والبيان الوحيد الذي اتفقت عليه كل هذه القصص المشوشة هو ماله علاقة بمولد عيسى، بالرغم من ان هذا نسب إلى اليهود إلا أن هذا لايعني بالضرورة أنهم هم الذين القوه، لأنه من الممكن أن يكون، قد ابتداءً بين المبتدعين المعادين لعيسى (٢) الذين تكلموا باتهامات كريهة ضد عيسى، ومن المحتمل ان الاتهام بعدم شرعية ولادة عيسى لم تكن تعتبر ذات أهمية كبيرة عندئذ، لأن هذه التهمة الصقت بكثير من الشخصيات الهامة، وهي متوفرة في الأساطير الشعبية.

كما أن محادثاته وخصامه مع الكتبة قد نسخها الربانيون والأخبار في مراجعهم، وكل الطبقات عن ولادته تحتوي على قصص

(١) لا يخفى ما في هذه الأقوال من التضارب والتناقض حول عيسى وأمه - عليهما السلام - فهناك منهم من يدعى بأنه ابن غير شرعي!! بينما اليهود المعادين له اعتبروه إبنا شرعي!! ثم يدعون أن من زنا بأمه شخص يدعى بانثيرا، ثم يدعون ان الزوجين بابوس ومريم الماشطه ابوين لعيسى، وسرعان ماينفى هذا القول، وذلك كله دون ترجيح رأي على رأي أو قول على قول، وإنما هو عرض لتلك الأقوال فقط، فيخرج القارئ مشوش الذهن خال الفكر، ألا يتقون الله أذ كيف ينسبون هذه الأقوال المشينة إلى نبي من أنبياء الله؟!

(٢) مثل: *Ophites, Origen, Celsus*

انظر: *The Jewish Encyclopedia*, ج ٧، ص ١٧٠

مماثلة للخصام بين عيسى والكتبة الذين أعلنوا أنه ابن غير شرعي كنتيجة لتلك الخصومات >> (١)

وقد تحدثت دائرة معارف الديانات وعلم الأخلاق (باللغة الإنجليزية) تحت عنوان (المسيح عيسى عليه السلام في اليهودية)

وختصر حديثها: بأن قدومه عليه السلام كان خيراً وبركة للأمين، ولكنه كان نذير سوء ومعاناة قاسية وطويلة لليهود لم يشهدا تاريخهم الماضي!! ولذلك فلا عجب ان يكتب اليهود ضد المسيح عليه السلام لأنه كان المصدر الأساسي لكل شقائهم.

وتضيف دائرة المعارف هذه ما يناقض القول السابق فتذكر أن اليهود لا يذكرونه إلا قليلا وذلك لندرة وجود أخباره لديهم، أو لأنهم يعلمون بأن ما يريدون قوله لن يلقى قبولا من الأمين عامة، ومن المسيحيين خاصة، أو لأنهم يخشون الاضطهاد.

وتضيف هذه الدائرة: بأنه يكفي أن يُعلم بأن الشخص المذكور تحت اسم (بن بنديرا) أو (ابن استادا) كان هو عيسى بالفعل - أي أنه ابن العسكري بنديرا فهو ابن غير شرعي حاشاه عليه السلام أن يكون

(١) إذا فقد اعتادوا ان يلصقوا هذه التهم المشينة بكثير من الشخصيات الهامة، وكان اعلانهم ونعتهم له بانه ابن غير شرعي نتيجة للخصومات التي حصلت بينه عليه السلام وبين الكتبة من اليهود،

انظر : *The Jewish Encyclopedia*، ج ٧، ص ١٧٠

كذلك وهو نبي من أولي العزم من الرسل ومع ذلك فهم يُحطُّون من يفترض عداؤهم لعيسى عليه السلام.

وهناك بعض اليهود الذين اعتنقوا المسيحية قد أخبروا المسيحيين عما سجل في التلمود ضد المسيح عليه السلام وضد المسيحيين، وقد حاول اليهود الدفاع عن تلمودهم بأن ما كتب فيه لم يقصد به المسيح النصراني وإنما المقصود به مسيح آخر عاش قبله بقرن تقريبا.

وفيما يلي ترجمة النص الإنجليزي من دائرة معارف الديانات وعلم الأخلاق تحت عنوان:

« المسيح عيسى عليه السلام في اليهودية »

« العلاقة بين اليهودية والمسيحية لم تكن وديه إلا نادراً، فالكنيسة في أولها تخلت عن النصر اليهودي وفي القرون التالية عندما أصبح للكنيسة القوة والقدرة على الاضطهاد لم تعتبر اليهود كانساب وأقرباء لعيسى ولكن اعتبروا بانهم رفضوا عيسى وقتلوه^(١) ومن النادر أن تجد من يمتدح اليهود إلا من غير المسيحيين، واليهود من جانبهم أيضاً لا يوجد لديهم اي محبة للمسيحيين أو أي قول حسن عنهم،

(١) الرفض والهزاء والسخرية والتكذيب قد حصل له باعتقاد الجميع سواء أكانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهود، أما القتل والصلب فهذا باعتقادهم كنصاري ويهود بخلاف العقيدة الإسلامية والتي تنفي ذلك كما سيتضح فيما بعد إن شاء الله.

انظر : ص ٥٢٦ وما بعدها من هذه الرسالة

وقدوم عيسى إلى العالم ربما كان قدوم بركة للأمين، ولكنه بالنسبة لاسرائيل كان نذير المعاناة القاسية والطويله والتي لم يشهدا تاريخهم الماضي.

ولذلك لا يستغرب أن يتوقع ان كتابات اليهود ستكون مرة قاسية ضد مؤسس الديانة المسيحية لأنه المصدر الأساسي لكل شقائهم^(١).

ومع ذلك لم يكن ذلك هو السبب، لأن الحقيقة الواضحة عن كتابات اليهود سواء في عهد التلمود أو في العصور الوسطى او حتى في يومنا هذا هو ندرة ذكر المسيح نفسه، ويوجد الكثير من الجدل ضد المسيحيين خصوصاً فيما يتعلق بالشريعة، ولم يقصر اليهود في الدفاع عن ديانتهم بكل ابعادها ضد الهجمات المسيحية، ولكنهم لا يذكرون المسيح إلا قليلاً، والسبب في ذلك هو أنه لا يوجد لديهم ما يقولونه، أو لأنهم يعلمون بأن ماسوف يقولونه لن يلق الرضى ولا القبول فلذلك آثروا الصمت في أوقات يخشون فيها الاضطهاد، عدا ذلك فهم لا يعلمون الكثير عن عيسى وليست لديهم الرغبة في أن يعرفوا أي شئ عنه.

وفي هذا العصر الحاضر بدأ بعض الكتاب اليهود في اظهار رغبة حقيقية للتعرف الكامل على التاريخ الحقيقي فيما يتعلق بالمسيح، وقد

(١) هنا يرد تساؤل في الذهن لماذا يدعون أن المسيح عليه السلام هو المصدر الأساسي لكل شقائهم؟ وما هو دليل ذلك؟ وهل يمكن ان يكون نبي من أنبياء الله تعالى مصدر شقاء لأحد؟!

تبين لهم بأن هناك ما يمكن أن يعلم ومن المستحسن لاسرائيل أن تعلمه. أما في الفترة التي غطاها التلمود فتحتوي على ميلاد عيسى ونشأة الكنيسة المسيحية، وبناءً على ذلك فما كتب في التلمود والكتابات المشابهة له تحتوي على ما قالته اليهودية في القرون الخمسة الأولى بعد المسيح عن عيسى، وجملة ما كتب كان قليلاً ونادراً وما كان ذا أهمية، ويكفي أن يعرف بأن الشخص الذي ذكر في الأحاديث عن المدارس المختلفة تحت اسم (بن بنديرا) (ابن اسنادا) كان فعلاً هو عيسى، ولكن الأحاديث المنقولة عنه كانت قليلة جداً ولا تضيف أي شيء عما ذكرت في الأناجيل.

وعندما يجمع ما كتب عن عيسى في الكتابات الربانية يتبين أنها ليست كثيرة في الكمية أو في المحتويات، وعلى كل فمن الخطأ أن يفترض أن تفي تلك الكتابات بتكوين اتجاه معاد للمسيحية أو لمؤسسها !! فقد كان الربانيون يفكرون في ديانتهم وليس في ديانة أخرى.

وعندما يحتاج الأمر إلى التلميح عن عيسى يذكر ذلك على الهامش لبيان وجهة نظرهم وليس لأهمية موضوعه لديهم.

ولم يظهر في تفكير مؤلفي التلمود من الربانيين اية أهمية لعظمة عيسى^(١) وقد ذكر وكان ذكره قليلاً بأنه الرجل الذي أوجد الفتنة

(١) ويا ليتهم توقفوا عند هذا الحد بل سخروا منه وهزؤوا به واتهامه بأفطع الاتهامات المشينه، انظر: ص ١٦ وما بعدها من هذا البحث.

والتزاع لاسرائيل، وكان اقرب ما وصف به في التلمود هو أنه مارس السحر وخدع إسرائيل وأضلها^(١)، وسرعان ما كثر القيل والقال حول هذه الجملة بالتدريج حول عيسى مثل تلميح غير كريم عن مولده وذكرى محاكمته ومثل ذلك مما يشبه ما جاء في التعليق على الأناجيل، ومن المحتمل ان تكون تلك الكتابات تعتمد اساساً على المعلومات المستقاه من الاختلاط بالمسيحيين اكثر من أن يكون الربانيون أنفسهم قد قرأوا الأناجيل.

والنقطة الهامة هي أن عيسى لم يكن له وزن كبير عُبر عنه في الكتابات الربانية في القرون الخمسة الأولى، وقد كان - في نظرهم - ينتمى إلى المسيحية، واليهودية تسير في طريقها لاتهم به ولا بالديانة التي كان يدعو إليها.

وقد كان عهد التلمود عهداً صعباً بالنسبة لاسرائيل ولم يعد ذلك بصفة خاصة إلى اضطهاد المسيحيين لهم، ففي الحقيقه لم يذكر التلمود أي شئ عن اضطهاد اليهود على ايدي المسيحيين، وقد أشار التلمود إلى اعتناق الامبراطوريه للمسيحيه كديانة ولكنه لم يشر إلى أي عداوة ضد اسرائيل.

(١) *Encyclopaedia of Bob Sanh 1076* انظر:

تأليف: *Religion and Ethics, James Hastings* مجلد ٧، ط ١٩٤٠م، ص

أما في العصور الوسطى فقد حاول المسيحيون الدفاع عندما اتهموا بأنهم يتبعون شريعة باطله وخصوصاً عندما وصل بهم الأمر إلى اتهام عيسى بالكفر، وقد أخبر اليهود الذين اعتنقوا المسيحية إخوانهم المسيحيين عن الكثير مما كتب عن المسيح في التلمود، فحمل بذلك مجادلو المسيحية سلاحاً موجهاً ضد اليهود، وقد حاول مدافعو اليهودية الرد على ذلك الهجوم بزعمهم بأن ما كتب في التلمود من كتابات غير لائقه بعيسى لم يكن المقصود هو عيسى مؤسس المسيحية ولكنه شخص آخر عاش قبل قرن تقريباً من ولادة عيسى الناصري.

ولم يكن الهجوم موجهاً ضد التلمود وحده فهناك كتاب آخر (١) وجه تهماً كثيرة غير منسوبة إلى شخص معروف موجهة ضد عيسى (٢) وبعض بقايا هذا الكتاب وجدت في القرن التاسع وربما تكون من أصل ألماني، وهو عبارة عن قصة متصلة عن ما ذكر عن عيسى في التلمود ولكنه بولغ فيه بطريقة قصد بها إثارة السخرية ولكنها الآن تعتبر عقيمه، فالتلميح الجارح في التلمود (٣)

(١) *Fugio Fidei* نقلا عن:

Encyclopaedia of Religion and Ethics, مجلد ٧، ص ٥٥٢

(٢) *Tola'oth Y'shu ed, e.g E.Bishoff, Leipzig 1895*

نقلا عن: *Encyclopaedia of Religion and Ethics* مجلد ٧، ص ٥٥٢

(٣) في الحقيقة لم يكن تلميحاً فقط وإنما كان تصريحاً جارحاً ومشيناً. انظر ص ١٦ من هذه الأطروحة وما بعدها.

هو العنصر الأساسي للكتاب ولكن مجمل الكتاب غير مقبول، وهناك طبقات من الكتاب تظهر حتى الآن ولكن من الظلم إعتبار ما جاء به معبراً عن الأفكار اليهودية عن عيسى وهو يمثل الانتقام البئيس لليهودي المضطهد للعذاب الذي لقيه على أيدي المسيحيين، ولكن قادة اليهود لم يعترفوا قط بهذا الكتاب وبما جاء فيه سوى أنه هجوم غير لائقاً^(١).

وموقف يهود العصور الوسطى كان دقيقاً في تلميحهم مما رفع الاتهام عن اي نية سيئة ضد عيسى، والذي قصد الهزء به في الكتاب وبمعنى آخر أن يهود العصور الوسطى لم يكونوا ليتعرضوا له لولا انهم اضطروا لفعل ذلك دفاعاً عن النفس^(٢).

وفي العصور الحاضرة ظهر تغير كبير في موقف اليهود نحو عيسى، وان كان ذلك لايشمل جميع اليهود، وظهر ذلك من كتابات

(١) لم يكن هجوماً غير لائقاً فقط، وانما كان هجوماً بذئياً وفاحشاً على نبي من أنبياء الله - تعالى - بل ومن أولي العزم من الرسل.

(٢) لا بد وأن هناك استفهات كثيرة ترسم في ذهن القارئ الكريم، ولأول وهله عند قراءته لهذه النصوص، فما هو الأمر الذي اضطرمهم ليسخروا ويهزؤا بنبي من أنبياء الله تعالى؟! وكيف يرفع الاتهام عنهم وهم قد فعلوا ذلك؟ بل وأعظم من ذلك من اتهامات مشينه يندى لها الجبين لاتليق برجل عادي وصف بالتقى والصلاح فضلا عن أن تليق بنبي من أنبياء الله تعالى!

كتابهم المرموقين ومن المحتمل أن تكون الحقيقة أن السواد الأعظم من اليهود الذين لم تسمح لهم ظروفهم بالتأثر من الأفكار الحديثة والذين لا توجد لديهم أي فكرة عن عيسى سوى أنه كان سبباً لأذى إسرائيل من وقت سحيق ولكن بزيادة الطمأنينة والحريه أوجدت الفرصة للعلماء والمثقفين اليهود أن يستفيدوا من الطرق الحديثه للبحث، وبذلك ابتعدوا عن الموقف الماضي بالكره الصامت لعيسى أو الامتناع من ذكره.

وهناك كتاب أُلّف في تاريخ اليهود يعتبر ذا تأثير كبير، عبر فيه مؤلفه (١) عن اعجابه بعيسى والذي اعتبره كناسك أسىء اليه من اطراء تلاميذه أكثر من إساءة أعدائه، والصورة التي صوره بها أدت إلى الإنتقاد بدون شك ولكن النقطة الهامة هي المحاولة الجادة لاطهار صورة عيسى وهي محاولة لانصاف عيسى من ناحية اليهود، ومن الطبيعي لم ير المؤرخ اليهودي في عيسى ما يراه المسيحيون فهو يصف عيسى كإنسان مخلوق ولم يُظهر في الصورة بأي طريقة ما يراه المسيحيون في إنسانية عيسى، ومهما يكن في الأمر من سلبات فإن ما كتب في هذا الكتاب - المذكور - عن عيسى يعتبر أحسن وأعظم ما قاله اليهود

(١) يُدعى Graetz أحد المؤرخين اليهود، انظر:

Graetz, Whose History of the Jews Gesch der Juderz ed 1863, Vol.

III p.p.222-252

عن عيسى حتى ذلك الوقت << (١).

ونعود مرةً أخرى إلى دائرة المعارف اليهودية حيث تدعى:

<< أن عيسى كان تأثيره بين أهله وجيرانه متبايناً ومختلفاً حيث

أعتبره بعضهم بأنه مجنون ومختل العقل (٢) (وتضيف) والذي يظهر أنهم لم

يخالطوه ولم يتبعوا الحركة المسيحية إلا بعد موته، وعيسى نفسه ساعد على

إذكاء هذا الوضع برفضه الإعتراف لأي قرابة خاصة حتى لأمه (٣) كما

أعلن أن القرابه الروحية تفوق قرابة الدم والنسب (٤)، كما شعر أنه

مضطر إلى الخروج إلى النشاط العام،

(١) انظر: *Encyclopadia of Religion and Ethics*

تأليف: *James Hastings*، مجلد ٧، ط ١٩٤٠، ص ٥٥١ - ٥٥٢

(٢) ويشير إلى موضع في إنجيل مرقس << ولما سمع أقرباؤه خرجوا
ليمسكوه لأنهم قالوا إنه مختل >> ٢١:٣ نزه عيسى عليه السلام
ونزه جميع أنبياء الله تعالى ان يكونوا كذلك.

(٣)، (٤) ويشير إلى موضع في مرقس: << وكان الجمع جالساً حوله فقالوا
له هو ذا أمك وإخوتك خارجاً يطلبونك، فأجابهم قائلاً من أمي
وإخوتي، ثم نظر حوله إلى الجالسين وقال ها هي أمي وإخوتي،
لأن من يضع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي >> مرقس ٣ :

٣٢-٣٥

وقد ذكر هذا النص أنه عليه السلام له إخوه وأخوات!! فكيف
يكون ذلك وأمهم عليهما السلام على الراجح لم تتزوج لأنها كانت
موهوبه من أمها لخدمة بيت المقدس، وقد سكت كل من القرآن
الكريم والكتاب المقدس عن ذكر زواجها، ولكن يرجح أنها عليها
السلام لم تتزوج لأنها اشتغلت بالنسك والعباده وخدمة ==

وفي نشوة النجاح لبداية عصر جديد في عشرة أشهر أدت إلى حماس
روحي شديد أدى إلى انطباع الوحي (١)

وفي هذا الموضوع كتب أحد المؤرخين (٢) وقد وافق على أن هناك
تفاعلات فكرية غير طبيعية حدثت في كلام وتصرفات عيسى << (٣) !!

== بيت المقدس، كما رجح ذلك الكثير، منهم الإمام ابن كثير في قصص
الأنبياء، ج ٢، كما قد يتبادر إلى الذهن ان المقصود بتلك الأخوة
الأخوة الإيمانية، ولكن يأتي نص من إنجيل يوحنا لينفي ذلك ويفيد
أن اخوته لم يكونوا يؤمنون به، ٧ : ١٠-١١

انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، رسالة ماجستير للباحث،
ص ٢٥٢-٢٦٠

ويشير إلى موضع آخر في مرقس: << فقال لهم يسوع ليس نبي بلا
كرامة إلا في وطنه وبين اقربائه وفي بيته >> ٤:٦ ويشير إلى
موضع في يوحنا: << ولما فرغت الحمر قالت أم يسوع له ليس لهم
خمرة، قال لها يسوع مالي ولك يا امرأة لم تأت ساعتي بعد >> ٢
: ٣-٤، والدائرة تشير إلى هذه المواضع تريد الاستدلال على ما
ذكرته من آراء عن عيسى عليه السلام.

(١) لا أدري ماذا يقصد (بانطباع الوحي) هنا؟ هل معنى ذلك أنه أصبح
بعد حماسه ذاك ودعوته نبيا أم ماذا؟

(٢) انظر: *Holtzman War Jesus Ekstatiker? (leptic, 1902)*

(٣) انظر: *Jewish Encyclopedia*, ج ٧، ص ١٦١

أما رأي اليهود في تعاليمه وأقواله عليه السلام كما هو مدون في دائرة معارفهم اليهوديه فيوضحه ما ترجمته:

>> وتعاليم عيسى الأساسيه كانت هي تعاليم يوحنا المعمدان، وقد تركزت في نقطتين:

١ - التوبة.

٢ - قرب مملكة الله، وهناك نقطة أخرى لاحظها اللاهوتيون المسيحيون كجزء من تعاليمه الأساسي وهو التصميم على أبوة الإله، وهذا اعتقاد عام لليهود ولا يحتاج ذلك إلى تأكيد أو إثبات بأن هذه النقطة يهوديه بحته (١)

أما من ناحية التوبه فإن اليهوديه تضع وزناً كبيراً عليها في الحياة الدينيه أكثر من المسيحية، ومن هذا المنطلق يعتبر عيسى يهودياً أكثر منه نصرانياً (٢)

(١) أي يدعون أن من تعاليمه عليه السلام أنه صمم وأكد على إمكانية أبوة الإله، والظاهر أنهم يقصدون بها الأبوه النسبية لالتشريفيه - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - وأن هذا الاعتقاد لم يكن خاصاً به وإنما قد أخذه واقتبسه من اليهود.

(٢) يفهم من ذلك أن معظم تعاليمه عليه السلام قد أخذها من اليهود، لذلك يعتبر - على حد قولهم - يهودياً أكثر منه نصرانياً، ولكن هناك سؤال يطرح نفسه. فإذا كان ذلك كذلك فلماذا تنسبون إليه وإلى والدته عليهما السلام البهتان وتقذفونهما بأبشع التهم بشهادة تلمودكم المقدس؟! لاشك أنهم أناس منحرفون ومتناقضون.

أما من ناحية مملكة السماء فهي بالذات يهوديه، ويظهر أن عيسى شارك اعتقاد العصور الوسطى بأن هنالك كارثة عالمية متوقعة، وأن مملكة السماء ستنشأ على أنقاض الدنيا المنتهيه والهالكة << (١)

(١) ويشير إلى موضع في مرقس: << وقال الحق أقول لكم إن من القيام هنا قوما لا يدوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوه << ١:٩

ويشير أيضاً إلى موضع آخر من مرقس: << اسهروا إذا لأنكم لا تعلمون متى يأتي رب البيت أمساءً أم نصف الليل أم صباح الديك أم صباحاً، لئلا يأتي بغتةً فيجدكم نياماً. وما أقوله لكم أقوله للجميع اسهروا << مرقس ١٣ : ٣٥-٣٧، وكما هو واضح أنه ليست هناك أي علاقة بين ما أرادوا قوله في دائرة معارفهم وبين هذا النص.

ويشير أيضاً إلى موضع من متى: << ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى، فإني الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان << ٢٣:١٠، وحتى هذا النص من متى - كما يظهر واضحاً - ليس له أي علاقة بما أرادوا قوله في دائرة المعارف اليهوديه، حيث أن الحديث في الدائرة يدور حول التوبه وقرب مملكة السماء وهي ضمناً من تعاليم المسيح والتي أخذها من تعاليم اليهود - كما يدعون - أما في نص متى فيأمرهم أنهم إذا طُردوا من هذه المدينة التي يسكنونها أن يتوجهوا إلى مدينة أخرى حتى يأتي ابن الإنسان لذلك ليس هناك أي علاقة بين النصين.

انظر: *Jewish Encyclopedia*, ج ٧، ص ١٦٢

>> وتقريباً من بداية دعوة عيسى اختلف عن يوحنا المعمدان في

اتجاهين :

أولاً : إهمال نسي لقوانين موسى أو قوانين الربانيين

ثانياً : اتجاه شخصي من عيسى بنقض تلك القوانين^(١) وموقفه هذا كان موقفاً يهودياً محضاً حتى في الاتجاهات التي تعتبر كلامه ضيق أفق في اليهوديه، ويظهر أن عيسى كان يعظ بانتظام في المعبد اليهودي، وهذا يدل بأن تعاليمه لا تختلف عن تعاليم واعتقادات الفريسيين المعاصره، وإلا لم يسمح له بذلك، ففي وعظه إتبع طريقة الامثال الدارجة منها ٣١ مثال كتبت في الأناجيل والتي كونت في الواقع أكبر جزء من تعاليمه المدونه، ومن الواضح أن هذه الطريقه معرضه لسوء الفهم، ومن الصعب في جميع الحالات أن تتفق الآراء في فهم معنى المثل^(٢) وهناك مثال يستحق الذكر هنا،

(١) يقصدون بذلك أن عيسى نقض قوانين موسى عليهما السلام فإذا كانوا يقصدون نقض أصول الدين فهذا محض افتراء لأن اصول دين الأنبياء واحده ومصدرها واحد وهو الحق سبحانه وتعالى ولا يمكن ان تنقض. { شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه { الشورى : ١٣

أما إذا كان مقصدهم فروع الدين من عبادات ومعاملات فالنسخ جائز في ذلك كما هو معلوم.

(٢) وقد استفاد من ذلك اعداء اليهود - كما يزعمون - في تحريف بعض نصوص الإنجيل ضد اليهود كما سيتضح فيما بعد.

ومن الواضح أنه قد غير لأسباب تعسفيه لتستعمل ضد اليهوديه (١)

وقد كان المثال عن السامري الطيب في النسخه الاصلية أن من مرّ على الجريح هم الكاهن واللاوي (ليفى) (٢) والاسرائيلي العادي (وهذا يمثل الثلاث طبقات الكبيرة لليهود) الذي كان ولا يزال متبعاً في تقسيم اليهود، وبيت القصيد من هذا المثال أنه كان ضد الطبقة الكهنوتيه الذي كان لأعضائها الاشتراك

(١) يشير إلى موضع من لوقا ليوضح بذلك المثال الذي حُرّف ليصبح ضد اليهود: >> فأجاب يسوع وقال إنسان كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوص فعرفوه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حي وميت، فعرض أن كاهناً نزل في تلك الطريق فرآه وجاز مقابله، وكذلك لاوي أيضاً إذ صار عند المكان جاء ونظر وجاز مقابله، ولكن سامرياً مسافراً جاء إليه ولما رآه تحن، فتقدم وضمّد جراحاته وصب عليها زيتاً وخمراً وأركبه على دابته وأتى به إلى فندق واعتنى به، وفي الغد لما مضى أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق وقال له اعتن به ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعي أوفيك، فأى هؤلاء الثلاثة ترى صار قريباً للذي وقع بين اللصوص، فقال الذي صنع معه الرحمه، فقال له يسوع اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا >> لوقا ١٠ ٣٠-٣٧

(٢) نسبة إلى لاوي أو ليفي أحد أبناء يعقوب عليه السلام أو هم الرجال الذين من سبط لاوي المكلفون بالاهتمام بالمقدس. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٧٠٧، ٨٠٦ لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتين ط ٦

حقاً في قتل المسيح^(١)، حيث أنه - في النسخ التي ظهرت مؤخراً^(٢) -
حرف إسرائيلي أو يهودي إلى سامري^(٣) وهذا أوجد شيئاً من التناقض
لأنه لا يوجد سامري في الطريق بين أريحا والقدس في ذلك الوقت >>^(٤)

>> كما يظهر أن التقاليد المتأخرة اعتبرت كثير الشكوك

(١) هذا اعتراف صريح منهم بقتله عليه السلام كما يزعمون هم اي
اليهود والمسيحيون وإن كانت لهم محاولات في ذلك ولكن الله
تعالى شرفه بالرفع إليه من دنسهم وعبثهم >> { وما قتلوه وما
صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم
به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً. بل رفعه الله إليه
وكان الله عزيزاً حكيماً { النساء ١٥٧-١٥٨

(٢) أي أنه قد حدث تحريف وتبديل في النسخ الحديثه من الأناجيل،
لتحتوي بذلك على نصوص ضد اليهود.

(٣) نسبة إلى مدينة السامرة وهو اسم عبراني معناه مركز الحارس، وقد
كان هناك عداً شديداً بين السامريين واليهود، ولم يكن اليهود
يسمحون بأي علاقة دينية أو اجتماعية مع السامريين، وقد قبل بعض
السامريين رسالة المسيح ولكن اقبالهم كان ضعيفاً.

انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٤٨، ٤٥١، ط ٦

(٤) انظر: ص ١٦٢، ج ٧، Jewish Encyclopedia

والوسوسة في الاحتفاظ بالناموس كاملاً^(١) ومع ذلك وفي مواقف كثيرة تقاعس عن اتباع الناموس وارشاداته على الأقل كما كان يفسره الربانيون فيينا صام اتباع يوحنا المعمدان رفض عيسى الصوم^(٢) !!

>> فيينا كان يدعي أنه لايتدخل ولاينقض الشريعة، فقد وجه أتباعه بأن يهتموا بالنيه والدافع للعمل بدلاً من العمل نفسه، وهذا لم يكن جديداً على تطور الديانة اليهودية، فقد كان الأنبياء والربانيون يصرون على الدافع الداخلي للقيام بالأعمال الدينية كما هو موجود في فقرات من أشعيا [١]، وميخا [٦]^(٣) وقد أطمأن عيسى بأن تطبيق

(١) ويشير إلى موضع من يوحنا لايمت إلى موضوعه بأي صلة وفيما يلي نص يوحنا المشار إليه: >> من منكم يبكتني على خطية فإن كنت أقول الحق فلماذا لستم تؤمنون بي << ٤٦:٨، ويلاحظ ان النص في دائرة المعارف يتهم المسيح عليه السلام بأنه كثير الشكوك والوسوسة ذلك يقدره في قدرته على الاحتفاظ بتعاليم الشريعة، كما انه تقاعس عن اتباعها!! ولا أدري كيف يتهمون أحد انبياء الله تعالى بهذه الاتهامات المشينة؟! إذ كيف يصطفيه الله تعالى لأداء رسالته ثم يشك أو يتقاعس عن أداء رسالته؟! أما النص المشار إليه من يوحنا فهو مجرد استفهام جرى على لسان المسيح يتساءل فيه عما إذ كان قد صدرت منه خطيئة وإذا كان ذلك لم يصدر عنه فلماذا لم يؤمنوا به؟ وليس هناك أي صلة بين النصين.

(٢) المصدر السابق نفس الصحيفة.

(٣) لم يشير مؤلفوا الدائرة إلى الفقرات من الإصحاحين المذكورين من أشعيا وميخا وقد بحثت فيهما فلم أجد ما يدل على ما أرادوا قوله.

هذا المبدأ كان من الناحية العملية كثورة في الحياة الروحية، كما انه أكد على التناقض بين الشريعة القديمه والجديده خصوصاً في موعظته على الجبل^(١)، كما يظهر أنه لم يطمئن بأن الروح الجديدة سوف تؤدي إلى أي تغيير في تطبيق الشريعة، ويظهر انه اقترح بأن الزواج يجب ان يكون دائماً وأن لايسمح بالطلاق^(٢)

(١) إذا كان يُقصد من التناقض بين الشريعة القديمة والجديدة شريعة موسى وعيسى عليهما السلام فقد سبق وأن رددت عليهم في هامش ص (٦٦) بأن لاتناقض أبداً في أصول الشرائع وإنما قد يحدث النسخ في فروع الشرائع.

(٢) ويشير إلى موضع في مرقس يوضح فيه أن المسيح عليه السلام منع او حرم الطلاق بخلاف شريعة موسى عليه السلام وفيما يلي نص مرقس: >> فتقدم الفريسيون وسألوه هل يحل للرجل أن يطلق امرأته ليجربوه، فأجاب وقال لهم بماذا أوصاكم موسى، فقالوا موسى أذن أن يكتب كتاب الطلاق فنطلق، فأجاب يسوع وقال لهم. من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصيه، ولكن من بدء الخليقه ذكراً أو انثى خلقهما الله، من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، فالذي جمعه الله لايفرقه إنسان، ثم في البيت سأله تلاميذه أيضاً عن ذلك، فقال لهم من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها، وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بأخر تزني <<

في بعض الحالات فقد تستحيل الحياة بينهما، وإذا كان هذا الشرع قد صدر عن المسيح عليه السلام بالفعل فانه خاص بزمانه اذ ليست شريعته عليه السلام عامه وخاتمه كما هو حاصل لشريعة سيد الأنبياء وخاتمهم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

وفي التلمود أُثبت بأنه قد هدد عيسى بأن يغير الناموس القديم في حق وراثة البكر إلى وجوب حق إرث الأولاد والبنات بالتساوي ولكن لا يوجد ما يثبت ذلك في المصادر المسيحية، ولم يلاحظ أي تغيير منه في الشريعة خلاف النقاط السابقة >> (١)

>> وقد تكلم الأنبياء بثقة عن حقيقة رسالتهم على أساس أنهم يعلنون كلمة الله، ولكن عيسى اتبع ثقة مماثلة ولكنه اظهر سلطته الشخصية، وأن ما جاء به هو من عنده وليس من قوة عليا (٢) ولم يدع علناً - مع ذلك - في أي وقت أي سلطة لها علاقة لمركزه كمسيح، والواقع أن ادعاء مثل هذا حدث في أوقات متأخرة وتعتمد على أقوال الرسول بطرس (٣)، وكان لها علاقة وثيقة لطلب الرسول

(١) المصدر السابق، ص ٦٣

(٢) هذا افتراء باطل على نبي الله عيسى عليه السلام من ضمن أباطيلهم وافتراءاتهم الكثيرة والتي لاتعد ولا تحصى إذ كيف يدعون أنه بسلطته عليه السلام ادعى < أن ما جاء به > من الوحي والتشريع بأن ذلك من عنده وليس من قوة عليا؟! { ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شيء شهيد } المائدة: ١١٧

(٣) يقال: إنه من حوارى المسيح، وكان اسمه الأصلي سمعان، وكان صياد سمك، وقد جال بعد المسيح للتبشير، فذهب إلى أنطاكيا وغيرها، ثم ذهب إلى روما سنة ٦٥ فقبض عليه وزج به في السجن، وحكم عليه بالموت صلباً في زمن الامبراطور نيرون، وقد طلب أن يصلبوه منكساً حتى لايتشبه بالمسيح.

انظر: محاضرات في النصرانية للإمام أبو زهره ص ٨١-٨٢

المذكور أن يكون على رأس منظمة باسم عيسى، ولم يحاول الحواريون أن يعلنوا أي إدعاء مثل هذا^(١) وقد كانت رغبة وهدف بطرس في أن يتولى القيادة بعد عيسى، واعتمد على أقوال تافهه ومضحكه من عيسى، وقد وجد مثل ذلك في اقوال الربانيين^(٢)

وفي الحقيقة مما يسترعى الانتباه أن أقوال عيسى كان لها طابع السلطة الذاتية والادعاء بأن السلام الروحي والانقاذ لا يوجدان إلا في قبول قيادته ويدل على ذلك بعض العبارات في الأناجيل مثل: < احملاوا نيري عليكم فتجدوا راحة لنفوسكم >^(٣)

< من يهلك نفسه من اجلي فسوف يخلصها >^(٤)

< فيجيب الملك ويقول لهم الحق اقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم >^(٥)

(١) ويشير إلى فقرة واحدة من متى وهي: < حينئذ أوصى تلاميذه أن لايقولوا لأحد إنه يسوع المسيح > ٢٠ : ١٦

(٢) ويشير أيضا إلى فقرة واحدة من متى وهي: < وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيسة، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها > ١٨ : ١٦، وكما هو واضح لاعلاقة ولا دلالة وثيقة بين هاتين الفقرتين وبين ما ذكر في الدائره.

(٣) متى ١١ : ٢٩

(٤) لم يعين مؤلفوا الدائره هذه، الإنجيل الذي قد نقلوا منه هذه الفقره فقط قيدوا - ٣٥ : ٨ - وعندما بحث في الأناجيل الأربعة وجدتها في مرقس ٣٥ : ٨

(٥) متى ٢٥ : ٤٠

وهذه العبارات تدل على تولي السلطه والقوه وهذا الوضع غريب في التاريخ اليهودي، وهذا في الواقع أدي إلى التنافر الروحي من اليهود ضد عيسى في الوقت الحاضر طالما أن هذا الاعتقاد ظل قائماً^(١)، ومن ناحية أخرى فإن كل الدلالات تدل على أن الهدف من أقواله كان يُقصد منها تحسين العلاقات الشخصيه معه، وربما يعود ذلك من أن تجربته اثبتت ان الوصول إلى الراحه النفسية كان يعتمد على مجرد الثقة الانسانية بحسن نواياه وقوة توجيهه.

وهناك سؤال يطرح نفسه فيما إذا اعتبر عيسى نفسه كمسيح أو حاكم روحي، ولكن لا يوجد دليل يمكن الإحاطه به في الأناجيل لتبرير هذا الإدعاء، وتلك الأناجيل زعمت أن هذا الادعاء أخير بعض الحوارين وبايعوه على أن يبقى هذا الأمر سرّاً^(٢) وفي خطب

(١) ولكن هذه العبارات وهذه الأقوال لا تحمل أبداً طابع السلطه الذاتية والتي سبقت على لسان السيد المسيح عليه السلام ولكن كره اليهود له عليه السلام ليس فقط في الوقت الحاضر، وإنما كان ذلك من ايام بعثته ولم يكن كرههم ونفورهم منه فقط وإنما كان ذلك لجميع الأنبياء المبعوثين إليهم.

انظر: ص ١٢٥ ، ١٤٧ ومابعدهما من هذه الرسالة.

(٢) اعتقد أنه يقصد العبارة الوارده في متى والمشار إليها سابقاً > حينئذٍ أوصى تلاميذه أن لايقولوا لأحد إنه يسوع المسيح < ٢٤٢٦

عيسى للعامه لا يوجد أي اثر اطلاقاً لهذا الادعاء (ماعدا احتمال استعمال تعبير ابن الانسان) ومع ذلك يظهر أن عيسى اعتبر نفسه الشخص الذي تنطبق عليه بعض التنبؤات التي وُصف بها المسيح، والتي أخذت من يهود العصور الوسطى^(١)

وهناك شك فيما إذا كان هذا قول متأخر او من كلام عيسى نفسه، الذي وصف بأنه خادم يهوه الذي وُجد في سفر أشعياء^(٢) ويظهر أنه لا يوجد أي دليل لاعتقاد يهودي بوجود مسيح يعذب من أجل

== وفي عبارات دائرة المعارف اليهوديه هذه شيء من التناقض، إذ يسوقون التساؤل هنا فيما إذا اعتبر عيسى نفسه مسيح أو حاكم روحي، ثم يضيفون بأنه لا يوجد دليل يمكن الإحاطه به في الأناجيل لتبرر هذا الادعاء، وهم قد قرروا في نفس الصحيفه بأنه (أي عيسى) لم يدع علناً - في أي وقت - أي سلطه لها علاقه لمركزه كمسيح!! ثم يضيفون بأن مثل هذا الادعاء قد حدث!! في أوقات متأخره، ويعتمد على أقوال الرسول بطرس!!

(١) أيضا هذه الفقره تناقض الفقره السابقه والتي ذكرت في نفس الصحيفه في دائرة المعارف اليهودية ص ١٦٣، حيث قرر بأنه عليه السلام لم يدع علناً في أي وقت أي سلطه لها علاقه لمركزه كمسيح من ضمن ذلك التنبؤات والمعجزات كما يفهم من سياق الكلام، وفي هذه الفقره قرروا بأنه عليه السلام قد اعتبر نفسه الشخص الذي تنطبق عليه بعض التنبؤات، والتي أخذت من يهود العصور الوسطى!!

(٢) ويشير إلى الاصحاح ٥٣ من سفر أشعياء ولكن لم يحدد الفقره التي يريدھا، وقد بحثت في السفر المذكور فلم أجد لفظ (خادم يهوه) أو ما يدل عليه.

قومه، وإن كان هناك احتمال في اعتقاد أن هناك شخص يعاني مع قومه، وعيسى نفسه لم يستعمل قط لفظ المسيح بل اختار لقب ابن الإنسان الذي يمكن أن يكون له علاقة في فكره والذي يرجع إلى دانيال^(١)، ولكن هذا يعني في اللاهوت الحديث إنسان بصفة عامة، وفي تفكيره أيضاً يحتمل أن هذا يرجع إلى تبرأ أهله منه^(٢) وبمعنى آخر اعتبر عيسى نفسه كأنسان وادعى السلطه والعلاقة من هذه الوجهه، وقطعاً قد رفض الادعاء أن يلصق بنفسه صفة كونه المسيح أو انه من سلالة داود الذي كان يجادل ضدها بطريقة التلمود^(٣)

(١) ويشير إلى فقره في سفر دانيال: > كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن الانسان أتى وجاء إلى قديم الأيام فقربوه قدامه < ١٣:٧ هكذا النص بالضبط.

(٢) كونه عليه السلام إنسان بصفه عامة هذا مانقره ونعتقد به، ولكن أن يتبرأ أهله منه فلا دليل لهم على ذلك، ومع ان ذلك ليس شرطاً في عصمة الأنبياء عليهم السلام - وفيما نعلم - لم يكن له من أهله غير أمه السيدة مريم عليهما السلام وقد كانت معه إلى نهاية الطريق.

(٣) ويشير إلى موضع في الإنجيل المنسوب إلى مرقس : > ثم أجاب يسوع وقال وهو يعلم في الهيكل كيف يقول الكتبه إن المسيح ابن داود، لأن داود نفسه قال بالروح القدس قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك، فداود نفسه يدعوه رباً، فمن أين هو ابنه، وكان الجميع الكثير يسمعه بسرور < ١٢ : ٣٥-٣٧

ومن الصعب التقرير فيما إذا كان عيسى قد فكر في إنشاء منظمة دائمة لحمل مثله العليا، وقد كانت جميع أعماله لا تميل إلى أي فكرة للتنظيم !! وقد كان قبوله العملي للشريعة يدل على عدم وجود أي طريق للحياة منافسه لطريقته واعتقاده.. أما أولئك الذين يعملون بروحانية المسيح لا يمكنهم أن يفكروا في دنيا أخرى خاصة بهم، وعلى العموم يمكن القول بأنه لم يعمل خطأ عامه ولكنه عالج كل مشكلة روحانية عند حدوثها، ويظهر أنه لم يكن لديه وعي برسالة معينة بالذات، وقد كان راضياً بأن يترك الأمور تأخذ مجراها >> (١).

>> هذه هي ملاحظة المراقبين لحياته وتصرفاته، وقد كان مقتنعاً بأن يترك تأثير شخصيته على الناس حوله، وهم بالتالي ينقلون هذا التأثير بهدوء وبدون تنظيم، ويترك هذا التأثير كالحمير (٢).

(١) انظر: *E.P. Gould 'St Mark*, ص ٧٥

نقلا عن : ص ١٦٤، ج ٧، *Jewish Encyclopedia*

ويلاحظ من الفقره السابقه في دائرة المعارف اليهوديه المحاوله للتقليل من شأنه عليه السلام ومن شأن رسالته واتهامه بأن جميع أعماله لا تميل إلى أي فكرة للتنظيم، وكذلك أنه ليس لديه وعي برسالة معينة بالذات!! لا أدري كيف يجروون على تجريح أحد انبيائه - تعالى - وتجريح رسالة سماويه واضحه!!

(٢) ويشير إلى الاصحاح ١٣ في إنجيل متى دون أن يشير إلى فقرة معينة وعندما قرأته وجدته اصحاحاً طويلاً ويحوي بعض الأمثله التي وردت على لسان المسيح عليه السلام.

وكان لعيسى التبرير في تفكيره في أن هذا الانتقال الجديد سوف يؤدي إلى الانشقاق بدلا من السلام في العائلات مفرقاً بين الأبناء والآباء (١)

والاعجاب والتبجيل للسواد الأعظم من العالم المتحضر قد اتجه منذ خمسمائة والف عام نحو الشخصية الانسانية الجذابه ليهودي من الجليل كما قدم في الأناجيل، ومن الناحية التاريخية يجب الملاحظه بأن هذا الجانب من تصرفاته كان نحو الدائره المحيطة به، أما في جميع خطبه العامه تقريباً فقد كان فظاً وشديداً وغير عادل بصورة واضحة نحو الطبقة الحاكمة والطبقة الغنيه (٢) وعند قراءة خطاباته الشهيريه ضد الفريسيين والكتبة والطبقة الغنية لا يستغرب أن مثل هذا سوف يساعده على السكوت كما يجب أن يذكر أن في خطاباته العامه كان نادراً ما يجيب على أي سؤال مهم إجابة مباشرة عن أي مبدأ، ولكنه كان يتجنب السؤال بسؤال مضاد، لذلك يجب وضع هاتين الحصلتين في الاعتبار.

(١) ويشير إلى إنجيل متى ٥٣:١٠ والاصحاح العاشر في متى ٤٢ فقره فقط، ولم يصل إلى ٥٣!!

(٢) ونحن نتساءل ماهي أدلتكم على أنه كان عليه السلام فظاً شديداً وغير عادل نحو الطبقة الحاكمة والطبقة الغنيه، ومما لاشك فيه أن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم المصطفون الأخيار هم على مستوى عال وكبير من حسن الخلق والخلق ومع جميع طبقات مجتمعاتهم وإلا لانفض الناس من حولهم.

ومناقضة عيسى للشرائع أصبحت أكثر وضوحاً للحكام، وكثير من أفراد الطبقة المتدنية تجنبت الاتصال به^(١) فقد أوضح بشده من أول الأمر صعوبة التوفيق بين القدسيه والغني وبهذا تبنى آراء شبه اشتراكيه.^(٢)

وعلى الرغم من أن عيسى كان على استعداد أن يمكث في بيت زكّا الذي كان غنياً ورئيساً للعشارين^(٣) وفي مقابلته للشاب الغني ذكر في الإنجيل أن العطف كان محصوراً على فقراء الأرض المقدسة فقط. <<^(٤)

(١) لقد رددت - فيما سبق - من هذا الفصل على اتهامهم له عليه السلام بأنه يناقض الشرائع فقلت إذا كان مقصودهم اصول الدين والشرع فلا يمكن أن يتناقض أبداً لأن المصدر واحد وهو الحق سبحانه وتعالى، وأما الاختلاف في الفروع فهذا وارد في شرائع الأنبياء عليهم السلام مع أنهم لادليل لديهم لامن قريب ولا من بعيد على ما يدعونه.

(٢) يشير إلى المزامير الآتية: ٩، ١٠، ٢٢، ٢٥، ٣٥، ٤٠، ٦٩، ١٠٩

(٣) ويشير إلى موضع في لوقا: << ثم دخل واجتاز اريحا. و، إذا رجل اسمه زكّا وهو رئيس للعشارين وكان غنياً، وطلب أن يرى يسوع من هو ولم يقدر من الجمع لأنه كان قصير القامة، فركض متقدماً وصعد إلى جميزة لكي يراه لأنه كان مزمعاً ان يمر من هناك، فلما جاء يسوع إلى المكان نظر إلى فوق فرآه وقال له يازكّا أسرع وانزل لأنه ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك >> ١٩ : ١-٥

(٤) انظر: ص ١٦٣-١٦٤، ج ٧، *Jewish Encyclopedia*

المسألة الثانية :

موقف اليهود ورأيهم في تعميد^(١) المسيح عليه السلام:

كان الحديث عن هذا الموضوع في دائرة المعارف اليهوديه مختصراً جداً -
على العكس من المواضيع الأخرى المتعلقة به عليه السلام.

وقد زعم مؤلفوا الدائرة أنه عليه السلام قد رفض ان يستلم للتعميد من
يوحنا المعمدان^(٢) أول الأمر - وهذا يعني أنه عمده بعد ذلك - وذلك لأن
العاده المتبعه لديهم ان من أذنب يجب عليه الذهاب إلى يوحنا ليعمده - ولم
تذكر الدائرة ما هو الذنب الذي ارتكبه المسيح عليه السلام ليذهب إلى يوحنا
لتعميده؟! وفيما يلي ترجمة نص دائرة المعارف اليهودية.

(١) المعموديه: هي طقس الغسل بالماء رمزاً للنقاوة والانخراط في سلك طائفة ما
، وقد عرف اليهود هذه العاده واستعملوها، ولما جاء يسوع تبني هذا
الطقس وجعله فريضةً في الكنيسة المسيحية، أي أن المعموديه في العهد
الجديد تشبه الختان في العهد القديم، وكلاهما علامة على العهد. انظر:
قاموس الكتاب المقدس، ص ٦٣٧، ط ٦

(٢) ابن زكريا الشيخ وزوجته اليصابات، وقد كانت ولادته قبل ولادة المسيح
بسته أشهر، وكان أبواه يسكنان اليهوديه، وكان محرومين من بركة النسل،
وكانت صلاتهما الحاره إلى الله أن ينعم عليهما بولد، وفي ذات يوم ظهر
الملاك جبريل وسكن روعه وأعلمه أن الله قد استجاب لدعائه ودعاء
زوجته، واعطاه الاسم الذي يجب أن يسمى به الصبي متى ولد، وكان
يعمّد التائبين بعد أن يعترفوا بخطاياهم في نهر الأردن، فأصر يوحنا على
ضرورة تعميد الجميع بصرف النظر عن جنسهم وطبقتهم.
انظر: قاموس الكتاب المقدس، ط ٦، ص ١١٠٦، ١١٠٧ باختصار

>> وقد بدأت الأزمة في حياة عيسى مع وعظ يوحنا المعمدان وارشاده للتوبة وقرب مملكة الله، فقد رفض عيسى أن يستسلم للتعميد من يوحنا في أول الأمر، فقد كانت العادة المتبعة في (الإنجيل طبقاً لليهود) أن من أذنب يتحتم عليه الذهاب إلى يوحنا وأدى ذلك إلى انطباع قوي على شخصية عيسى، فربما جرب لأول مرة قوة تأثير الشخصية العظيمة على جماهير الناس >> (١)

وتضيف دائرة المعارف اليهودية:

>> كما أن الفكرة الأساسية في فلسفة التعميد قد اقتبست من الاعتقادات وشريعة التعميد اليهودية وليست من المذاهب اليونانية الغامضة، وكثير من الشرائع المسيحية التي عزاها العلماء إلى المذاهب الوثنية الغامضة وجدت في الحقيقة في محتويات ملفات البحر الميت (٢)، ويسهل بذلك معرفة أن الشريعة المسيحية قد اقتبست منها >> (٣)

(١) انظر: ص ١٦١، ج ٧ *Jewish Encyclopedia*

(٢) لعله يشير إلى كشوف وادي القمران (شرق الأردن) في مطلع سنة ١٩٤٧م، وهي تشتمل على نسخة كاملة من كتاب أشعيا، ونسخة مقروءة سليمة بعض السلامه من تفسير نبؤات حبقوق، وشذرات من تفسير كتاب ميخا، وقصة تسمى قصة الحرب بين أبناء النور وأبناء الظلام، ونسخة آراميه من كتاب غير معتمد بين كتب التوراه، وقصاصات متفرقة من كتب شتى تلحق بكتب العهد القديم، وكلها مودعه في جرار كبيره يوجد الكثير منها في بعض الكهوف المجاوره، لا يقدر عند علماء الحفريات وعلماء مقابلة الأديان، ولا شك أن اللغائف المكتشفة ذخيرة نافعة في بابها، ولكنها لاتضيف إلى معلوماتنا عن حقائق الرسالة المسيحية، ولا تخرجنا بشئ جديد في أمر هذه الرسالة >>

انظر: موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية (توحيد وأنبياء) المجلد الأول، ط ١، ص ٥٤٥، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥٠ باختصار

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٩١

المسألة الثالثة :

موقف اليهود من معجزاته (١) عليه السلام:

يعتمد اليهود في حديثهم عن معجزات السيد المسيح عليه السلام في دائرة معارفهم اليهودية على الأناجيل الأربعة!! فينقلون منها ما شاؤا وأحياناً يشيرون إلى ذلك ويعلقون عليه.

ويتهمونه عليه السلام بأنه ساحر وأنه تعلم السحر في مصر، وأنه قد عاد سراً إلى القدس، وأنه قد تعلم اسم (الإله الأعظم) والذي به استطاع القيام بمعجزاته، وقد وافق ما جاء في دائرة المعارف اليهودية في هذا الموضوع ما وجدته أثناء بحثي في كتاب ألف بالعبرانية وترجم إلى اللغة الفرنسية تحت عنوان (ولادة يسوع) في الحديث عن رأي اليهود في معجزاته عليه السلام.

وقد احتوت هذه النصوص على تهمة باطله ضد السيد المسيح عليه السلام وأن معجزاته التي قام بها لم تكن إلا لأنه قد اختلس و تعلم الكلمة (التي لا يجوز لفظها) كما يعبرون عنها والتي هي بمزلة السحر والتي قد اختلسها و تعلمها في المعبد اليهودي، وأنه ابن الله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - كما ويزعمون أنه قد احتال على الملكة هيلانه باحياء ميت أمامها فأيدته وآمنت به، وعندما علم أساتذة المعبد بذلك لقنوا يهوذا الاسخريوطي تلك الكلمة السحرية ليتفوق على يسوع، وأحضرا كلاهما أمام الملكة حيث تمكن الاثنان من الارتفاع عالياً في الهواء فاستطاع يهوذا الارتفاع فوقه ثم بال عليه!! فسقط يسوع على

(١) المعجزة: أمر خارق للعادة داعية إلى الخير والسعادة مقرونة بدعوى النبوة قصد بها إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله تعالى.

الأرض، وحكمت عليه الملكة بالإعدام، ولكنه أخذ وسُجن، ثم استطاع تلاميذته إخراجه من السجن والهروب به، ولكن يهوذا استطاع بعد ذلك أن يسلبه تلك الكلمة السحرية والتي يعبرون عنها بالكلمة (التي لا يجوز لفظها)!! فانتهت بذلك معجزاته.

وفيما يلي أنقل ترجمة النص الفرنسي من كتاب (ولادة يسوع).

>> هرب يسوع إلى القدس، وهناك في المعبد تعلم الكلمة التي لا يجوز لفظها، وكان على باب المعبد كلاب تنبح فتتسنى الخارج الكلمة إياها، وقد عمد يسوع إلى كتابة هذه العبارة على قطعة جلديه خاطها على فخذه قبل الخروج من المعبد تفادياً لنسيانها، وقد جمع حوله في بيت لحم أصحابه من اليهود وادعى أنه المسيح وابن الإله، وليعطي وزناً أكبر لأقواله كان يقوم بالعجائب ويشفي المرضى من عرج وبرص باستعماله تلك الكلمة (التي لا يجوز لفظها).

أخذ يسوع بعدها لمواجهة الملكة هيلانه حاكمة اسرائيل واتهم بالخداع والاحتيال، ولكن يسوع احيا ميتاً أمام الملكة، فما كان منها إلا أن أيدهت وآمنت به، فذهب بعدها إلى الجليل حيث قام بعدة عجائب زادت عدد أتباعه زيادة كبيرة.

وعندما علم اساتذة المعبد بذلك قاموا بتلقين الكلمة التي لا يجوز لفظها إلى يهوذا الاسخريوطي أحد تلامذة يسوع !! بحجة المضاربة عليه والقيام بعجائب مماثله، وقد أحضر كلاهما للمثول أمام الملكة حيث تمكن يسوع من الارتفاع عالياً في الهواء، فما كان من يهوذا إلا أن ارتفع أكثر منه وبال عليه، فسقط يسوع على الأرض، فحكمت عليه الملكة بالأعدام وسلمته إلى أساتذة المعبد

الذين أخذوه إلى طبريا وسجنوه هناك، ولكنه كان قد اقنع تلاميذه بأن المصائب التي تلحق به ماهي إلا ما كتب عليه منذ بدء العالم، فما كان من تلاميذه إلا ان تخاصموا مع أساتذة المعبد وأخرجوا يسوع من السجن وهربوا به إلى أنطاكية، من أنطاكية ذهب إلى مصر، ولكن يهوذا الذي استطاع أن ينضم إلى تلاميذه مرة ثانية استطاع أن يسلبه الكلمة التي لا يجوز لفظها >> (١).

أما دائرة المعارف اليهودية فقد أوردت كلاماً مشابهاً لما ورد في كتاب (ولادة يسوع) والذي أُلّف باللغة العبرية دون أن تذكره كمرجع لها.. وفيما يلي ترجمة لما ورد في دائرة المعارف اليهودية من اللغة الانجليزية:

>> وكما ذكر في التلمود أن عيسى قد تعلم السحر من مصر، وقام بالمعجزات بواسطة هذا السحر، وقد طور ذلك السحر لاحداث المعجزات، ولكن لم يذكر طبيعة الأعمال السحرية التي قام بها، وقد ذكر بان حوارى عيسى شفوا المرضى باسم عيسى بن باندرا، ويمكن القول بأنه قد أُعتبرت معجزات عيسى بأنها شفاء بطريقة إعجازية أيضاً، والكهانه والشعوذة التي نسبت إلى عيسى تختلف عن السحر.

وعندما طرد عيسى من اساتذة المعبد يقال بأنه عاد سراً من الجليل إلى القدس حيث سرق الرق (جلد خفيف يكتب عليه) والذي كتب عليه اسم الله الأعظم والذي كان تحت حراسة في المعبد واخفاه، ويقال بأنه قام بعمل معجزاته

(١) انظر كتاب *Jesus De Naszreth*

تأليف *Joseph Klausner*

نقله من العبرية إلى الفرنسية *M.R. Lavilie* طبع سنة ١٩٣٣م، ص

باستعمال هذا الأسم، وقد تطوع يهوذا الاسخريوطي للقيام بالسحر، لذلك فقد نشبت معركة جوية بين عيسى ويهوذا، والتي انتصر فيها يهوذا وهرب عيسى بعد ذلك.

والإتهام بالسحر كثيراً ما وُصف به عيسى، حتى أن بعض المسيحيين الضالين المبتدعين نظروا إلى مؤسس ديانتهم كساحر، كما كان الرأي العام لروما إتهام جميع المسيحيين بأنهم سحره، كما اعتبر رسل عيسى من السحره، ولم يكن هذا الإتهام ولا ذلك الإتهام المتعلق بولادة عيسى قد ذكر في الأناجيل القانونية، ولكن في التقارير الغير قانونيه الغير معترف بها <<(١)

ونحن إذ نزه نبي الله عيسى عليه السلام عما قاله ويقوله اليهود فيه نقول: بأن معجزاته عليه السلام بتأييد ونصر وإذن من الله جلّ وعلا فالعقيدة الإسلامية في أنبياء الله تعالى هي العقيدة الحقه وهي العقيدة الوسط فلا إفراط ولا تفريط. فهو عليه السلام كغيره من أنبياء الله تعالى المصطفين الأخيار بل هو من أولي العزم من الرسل، وقد أيده الله تعالى بنوع من المعجزات تناسب أهل زمانه، قال تعالى: {إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني، وإذ تخرج الموتي بإذني وإذ كففت بني اسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين} (٢)

(١) انظر: ص ١٧٠، ١٧١ ج ٧، *Jewish Encyclopedia*

(٢) سورة المائدة : آية ١١٠

انظر: ص ٣٣٠ من هذه الرسالة وما بعدها.

وكما ذكرت - فيما سبق - فإن اليهود يتهمون السيد المسيح عليه السلام بأنه ساحر، وأنه قد تعلم السحر في مصر وفيم يلي ترجمة للنص من دائرة المعارف اليهودية:

« وقد قام عيسى بجميع معجزاته بواسطة السحر، وهذه المعجزات لم تكتب بطريقة خاصة في التلمود، وقد ذكر بعض منها في الأناجيل مثل شفاء الأعرج والأعمى والمجدوم، وهذه تختلف بطبيعتها ولو أنها تعتمد على الأناجيل مثل قصة مشي المسيح على البحر فوق حجر رحى ثقيله» (١)

« وهناك معجزات أخرى عُرفت عن طريق تقارير مشكوك في صحتها مثل القصة بأن عيسى خلق من الطين أو الرخام كهيئة الطير، وأوجد الحياة فيها، وهذه القصة موجودة في (انجيل توماس) وفي القرآن، وهذه الأساطير قد ضخمت في (To Le Dot) المتأخر وإن كانت تدور حول نفس الموضوع» (٢)

(١) انظر: (To Le Dot) طبعة Wagenseil، ص ١٤

نقلا عن: Jewish Encyclopedia، ج ٧، ص ١٧٢

(٢) ويشير إلى موضع من متى: « فلما عبروا جاءوا إلى أرض جنيسارت، فعرّفه رجال ذلك المكان فأرسلوا إلى جميع تلك الكوره المحيطة وأحضروا إليه جميع المرضى، وطلبوا إليه أن يلمسوا هذب ثوبه فقط، فجميع الذين لمسوه نالوا الشفاء» << ١٤ : ٢٥-٢٦

ويشير إلى موضع آخر من متى: « ومن أعرّث أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فخبر له أن يُعلّق في عنقه حجر الرحى ويغرق في لجة البحر» << ١٨: ٦
ومن الملاحظ أن النص الأول صحيحاً في الاستشهاد نوعاً ما، أما النص الثاني فلا علاقه له بما جاء في نص دائرة المعارف اليهودية.
To Le Dot أحد أجزاء التلمود، انظر: نفس المرجع السابق.

وتضيف دائرة المعارف اليهودية: << وخوارق العادات التي أُدعي أن عيسى قام بها ما هي إلا مجرد أقوال ذكرت في إنجيل يوحنا >> (١)

<< وكثير من الحوادث قد اخترعت فعلاً خصوصاً في متى، لكي يطابق التنبؤات لتجعل منه شخصية المسيح نفسه أو ما مثلها حواريه، ومع ذلك أن الأمور الخارقة للطبيعة في حياة عيسى التي جاءت في الأناجيل قد حُصرت في اصغر بُعد، وتتكون أساساً من حوادث وتصرفات قُصد بها دعم تلك التنبؤات وتدعيم مركز المسيحية، وهذا ينطبق - خصوصاً - على قصة الولاده من عذراء وهي أسطورة شائعة في كل أبطال الأساطير، والتي يُقصد فيها عظمة وتفوق البطل على غيره من الناس، كما أن الإدعاء الغير ثابت رجوع نسبه إلى داود من خلال يوسف، والتي اعتمدت على نسبتين للنسب لانتفقان متى [١] لوقا [٣] >> (٢)

(١) ولم يشر إلى أي فقره أو أي اصحاح في إنجيل يوحنا.

انظر: *Jewish Encyclopedia*, ج ٧، ص ١٦٠

(٢) ولم يشير إلى أي فقرة في متى أو في لوقا، ولعله يقصد الفقرة الأولى من الاصحاح: < كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم .. الخ > متى ١ : ١-٢ ولعله يقصد من لوقا الفقرة التالية: << ولما ابتداء يسوع كان له ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي بن متشات بن لاوي .. بن ماثا بن ثاثان بن داود.. >> انظر لوقا ٣ : ٢٣-٣٨ وكما ذكرت دائرة المعارف اليهودية أن النسبتين لنسبه في الإنجيلين المذكورين لانتفقان.

ومن الواضح أن هذا النص من دائرة المعارف اليهودية ينفي معجزاته عليه السلام بطريقة غير مباشرة، كما ينفي ولادته من العذراء!! ويذكر بأنها أسطورة شائعة في كل أبطال الأساطير.

أنظر: المصدر السابق، ص ١٦١

>> وبدلاً من أن يعيش في البريه مثل يحيى أو ايسينس^(١) التي كانت ميوله تشبه ميولهم عاد إلى موطنه الأصلي، وبحث عن أولئك الذي كان يتمنى أن يؤثر فيهم، وقد تصادف ان تكونت عنده قوة جباره للشفاء، شخص مريض بالحمى^(٢)، وآخر مجذوم^(٣)، ومشلول^(٤)، وذو صرع^(٥) شفي بواسطته، ولكن معظم نشاطه منصب لإخراج الشياطين، وقد كان الطب الشعبي في ذلك الوقت يفيد في شفاء الأمراض العصبية والنفسية، ويظهر أن عيسى كان يشارك الاعتقاد المعاصر لليهود بالإيمان الغيبي لوجود الشياطين أو الأرواح الشريره،

-
- (١) أي النساك مفردها ناسك.
- (٢) ويشير إلى موضع في مرقس: >> وكانت حماة سمعان مضطجعه محومه، فللوقت أخبروه عنها، فتقدم وأقامها ماسكاً بيدها فتركتها الحمى حالاً وصارت تخدمهم << مرقس ١ : ٣٠-٣٢
- (٣) ويشير إلى موضع في مرقس فبحشت ووجدت النص الآتي: >> فأتي إليه أبرص يطلب إليه جاثياً وقائلاً له إن أردت تقدر أن تطهرني، فتحنن يسوع ومد يده ولمسه وقال له أريد فاطهر، فللوقت وهو يتكلم ذهب عنه البرص وطهر << ١ : ٤٠-٤٣
- (٤) ويشير إلى موضع في مرقس أيضاً: >> ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا قال للمفلوج، لك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك، قام للوقت وحمل السرير وخرج قدام الكل حتى بهت الجميع ومجدوا الله قائلين ما رأينا مثل هذا قط << ١٠-١٢
- (٥) ويشير إلى ٩ : ١٥-٢٩ دون ان يذكر في أي الأناجيل فبحشت في مرقس فوجدت مايلي: >> فأجاب واحد من الجمع وقال يامعلم قد قدمت إليك ابني به روح أخرس وحينما أدركه يمزقه فيزيد ويصر بأسنانه ويبيس << ٩ : ١٧-١٨ >> فلما رأى يسوع أن الجمع يتراكمضون انتهر الروح النجس قائلاً له أيها الروح الأخرس الأصم أنا أمرك، اخرج منه ولا تدخله أيضاً، فصرخ وصرعه شديداً وخرج.. فأمسكه يسوع بيده وأقامه فقام << ٢٥:٩-٢٧

وأكثر معجزاته في الشفاء تضمنت إخراج الشياطين بإصبع الإله (١) أو بروح الإله (٢)، ويظهر أنه كان يعتقد أن الأمراض كانت تعود إلى الشياطين (٣)، وكانت من وظائفه الرئيسية التي انتقلت منه إلى حواربيه القوة على إخراج الأرواح النجسه والتخلص منها (٤)، وكان تفوقه على أتباعه قد ظهر باستطاعته التخلص من الشياطين بينما فشل الأتباع في ذلك (٥).

ومن الصعب معرفة مقدار الحقيقة في معجزة الشفاء، والتي سجلت بعد أربعين عاماً من حدوثها، ولكن مما لا شك فيه أن الحماس الفكري من تأثير

(١) ويشير إلى موضع في لوقا: >> ولكن ان كنت بإصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله << ٢٠:١١

(٢) ويشير إلى موضع في متى فبحثت مكان إشارته فوجدت مايلي: >> ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله << ٢٨:١٢

(٣) ويشير إلى موضع في لوقا: >> ولما قام من المجمع دخل بيت سمعان، وكانت حماة سمعان قد أخذتها حمى شديده فسألوه من أجلها، فوقف فوقها وانتهر الحمى فتركها في الحال قامت وصارت تخدمهم << ٤ : ٣٩-٣٨

(٤) ويشير إلى موضع من الإنجيل المنسوب إلى متى: >> ثم دعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسه حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف << ١:١٠

(٥) ويستشهد بنص من مرقس: >> ولما جاء التلاميذ رأى جمعاً كثيراً حولهم وكتبه يحاورونهم، وللوقت كل الجمع لما رأوه تحيروا وركضوا وسلموا عليه، فسأل الكتبة بماذا تحاورونهم، فأجاب واحد من الجمع وقال يا معلم قد قدمت إليك ابني به روح أخرس، وحيثما أدركه يمزقه فيزبد ويصر بأسنانه ويبيس، فقلت لتلاميذك أن يخرجوه فلم يقدرُوا << ٩ : ١٨:١٤

عيسى كان له تأثير جزئى أو وقتى لعلاج الحالات والأمراض النفسيه، وهذا مما يؤكد الانطباع بين أولئك الذين شهدوا الشفاء، وبين حواريه على أن له قوة خارقه للعادة، وقد كان هو نفسه لايميل إلى المبالغه في إعجازه في الشفاء، وهذا يظهر واضحاً في حالة إبنة بايرس، فقد أعلن بوضوح بأن الصبيه التي أحيها لم تمت ولكنها كانت نائمة >> (١)

وتواصل دائرة المعارف اليهودية حديثها عن معجزات المسيح عليه السلام فتقول: >> ولما سجن يوحنا المعمدان تولى عيسى عمل سيده كواعظ ومبشر للتوبه وذلك لقرب مملكة الله (٢)، وقد اختار بحيرة جينسارت (٣) الجميلة كميدان لنشاطه.. وقد كان نشاطه الرئيسي هو شفاء الذين التمسوا بأرواح شريره نجسه

(١) ويستشهد بنص من إنجيل مرقس: >> وبينما هو يتكلم جاءوا من دار رئيس المجتمع قائلين ابنتك ماتت، لماذا تتعب المعلم بعد، فسمع يسوع لوقته الكلمة التي قيلت فقال لرئيس المجمع لا تخف آمن فقط، ولم يدع أحداً يتبعه إلا بطرس ويعقوب ويوحنا أخا يعقوب، فجاء إلى بيت رئيس المجمع ورأى ضجيجاً يبكون ويولولون كثيراً، فدخل وقال لهم لماذا تضحجون وتبكون، لم تمت الصبيه لكنها نائمة، فضحكوا عليه، أما هو فأخرج الجميع وأخذ أبا الصبيه وأمها والذين معه ودخل حيث كانت الصبيه مضطجعه، وأمسك بيد الصبيه وقال لها طليثا قومي الذي تفسيره يا صبيه لك أقول قومي، وللوقت قامت الصبيه ومشت لأنها كانت ابنة اثنتي عشرة سنة، فبهتوا بهتاً عظيماً، فأوصاهم كثيراً أن لا يعلم أحد بذلك وقال أن تُعطى لتأكل >> مرقس ٥ : ٣٥-٤٣

انظر: *Jewish Encyclopedia*, ج ٧، ص ١٦١ ، ١٦٢

(٢) ويستشهد مؤلفوا الدائرة بنص من إنجيل مرقس فبحثت مكان إشارتهم فوجدت مايلي: >> وبعدهما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببيشارة ملكوت الله، ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل >> مرقس ١ : ١٤

(٣) وهي ما يطلق عليها بحر الجليل أو بحر طبريه وهو الإسم المشهور به بين العرب، وهي بحيرة عذبه تستمد مياهها من نهر الأردن.

انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٦٦

والذين تجمعوا في المعابد غروب يوم السبت^(١)، وحيثما تجول في الجليل وسوريا اتبعه الناس^(٢) يحضرون له المرضى والمجانين، وأصحاب الصرع والمشلولين لشفائهم، وقد كان يخرج الأرواح الشريرة بزجرهم^(٣) بكلمة سحرية^(٤) وفي بعض الأحيان شفى المصابين بمجرد لمسه من يده^(٥) أو بقوة تبعث منه إلى أهداب ثوبه^(٦)، أو استعمال الريق بوضعه على العضو المصاب مع الهمس، وبنفس قوة الرقية استطاع إخراج مجموعة كبيرة من الأرواح الشريرة وعددهم ٢٠٠٠ من

(١) ويستشهد أيضا بنص من مرقس: «ولما صار المساء إذ غربت الشمس قدموا إليه جميع السقماء والمجانين، وكانت المدينة كلها مجتمعته على الباب، فشفى كثيرين كانوا مرضى بأمراض مختلفة وأخرج شياطين كثيرة ولم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم عرفوه» << ١ : ٣٢-٣٤

(٢) ويشير إلى نص من متى: «وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب، فذاع خبره في جميع سورية فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة والمجانين والمصروعين والمفلوجين فشفاهم» << متى ٤ : ٢٣-٢٤

(٣) ويستشهد بنص من إنجيل متى: «فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان فشفى الغلام من تلك الساعة» << متى ١٧: ١٨

(٤) ويشير إلى موضع من متى «فأجاب قائد وقال يا سيد لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي، لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامي» << متى ٨: ٨

(٥) ويشير إلى موضع من متى يقول: «وفيما هو يكلمهم بهذا إذا رئيس قد جاء فسجد له قائلاً إن ابنتي الآن ماتت لكن تعالي وضع يدك عليها فتحيا» << ١٨: ٩ > فلما أخرج الجمع دخل وأمسك بيدها، فقامت الصبية، فخرج ذلك الخير إلى تلك الأرض كلها» << ٩ : ٢٥-٢٦

(٦) ويستشهد بنص من متى أيضاً: «وإذا امرأة نازقة دم منذ اثنتي عشرة سنة قد جاءت من ورائه ومست هذب ثوبه، لأنها قالت في نفسها إن مسست ثوبه فقط شفيت، فالتفت وأبصرها فقال ثقي يا ابنة إيمانك قد شفاك، فشفيت المرأة من تلك الساعة» << ٩: ٢٠-٢٢

رجل مجنون من نزلاء المقابر وجعلهم يدخلون في قطيع من الخنازير^(١) وقد كانت هذه الأعمال الإعجازية هي التي اكسبته لقب النبي^(٢) وفي الحقيقة أن هذه القوى الخارقة للعادة التي كانت لديه جعلته يعتقد بان له سلطة وقوة على جميع الشياطين وأن مملكة الله ستكون قريبا^(٣) وأن هذه القوى أعطيت للحواريين - أيضاً - لممارستها فقط في التبشير بمملكة الله^(٤) وقد كان أولئك بالنسبة له الإثبات الرئيسي لمسيحيته^(٥)، وقد كانت مقدرته على إزالة الآلام

(١) ويستشهد بنص من لوقا: << ولما خرج إلى الأرض إستقبله رجل من المدينة كان فيه شياطين منذ زمان طويل وكان لا يلبس ثوباً ولا يقيم في بيت بل في القبور، فلما رأى يسوع صرخ وخر له وقال بصوت عظيم مالي ولك يا يسوع ابن الله العلي اطلب منك أن لا تعذبني، لأنه أمر الروح النجس أن يخرج من الإنسان لأنه منذ زمان كثير كان يحطفه، وقد ربط بسلاسل وقيود محروساً، وكان يقطع الربط ويساق من الشياطين إلى البراري.. وكان هناك قطيع خنازير كثيره ترعى في الجبل فطلبوا إليه أن يأذن لهم بالدخول فيها فأذن لهم، فخرجت الشياطين من الإنسان ودخلت في الخنازير فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحيرة واختنق، فلما رأى الرعاة ما كان هربوا وذهبوا وأخبروا في المدينة وفي الضياع، فخرجوا ليروا ما جرى وجاءوا إلى يسوع فوجدوا الإنسان الذي كانت الشياطين قد خرجت منه لابساً وعاقلاً وجالساً عند قدمي يسوع فخافوا >> لوقا ٨ : ٢٦ : ٣٥

(٢) ويشير إلى نص من الإنجيل المنسوب إلى متى: << فقالت الجموع هذا يسوع النبي الذي من ناصره الجليل >> ١١: ٢١

(٣) ويستشهد بنص من لوقا: << ولكن إن كنت بأصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله >> ١١: ٢٠

(٤) ويشير إلى نص من لوقا: << ودعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم قوةً وسلطاناً على جميع الشياطين وشفاء أمراض، وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى >> ٩ : ١ - ٢

(٥) ويستشهد بنص من لوقا أيضاً << في تلك الساعة سُفي كثير بين من أمراض وأدواء وأرواح شريره، ووهب البصر لعميان كثيرين، فأجاب يسوع ==

جعلته يعتبر نفسه قد أرسل إلى خراف بني إسرائيل الضالّه وبنفس هذه الروح أرسل تلاميذه لشفاء المرضى في كل مكان ومع ذلك استبعاد الوثنيين من هذه المنافع^(١) وهناك معجزات أخرى نسبت إلى عيسى مثل إطعام الخمسة آلاف، والأربعة آلاف^(٢) ربما تكون أخذت واقتبست من معجزات موسى، وإحيائه الموتى قد اقتبست من معجزات اليشع^(٣)... وعندما كان يقوم بمعجزاته كان برابطته وتعاونه مع الشيطان أو الأرواح الشريره بدلاً من ان تملأ هذه

== وقال لهما اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما، إن العمي يبصرون، والعرج يمشون، والبصر يُطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يبشرون، وطوبى لمن لا يعثر فيَّ >> ٢٣-٢١:٧

(١) ويستشهد بنص من متى >> هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالّه >> ١٠ : ٥-٦

(٢) ويشير إلى نص من مرقس : >> فأجاب وقال لهم أعطوهم أنتم ليأكلوا فقالوا له أتمضى ونبناع خبزاً بمئتي دينار ونعطيهم ليأكلوا، فقال لهم كم رغيفاً عندكم، اذهبوا وانظروا ولما علموا قالوا خمسة وسمكتان، فأمرهم أن يجعلوا الجميع يتكئون رفاقاً رفاقاً على العشب الأخضر، فاتكأوا صفوفاً مئة مئة وخمسين خمسين، فأخذ الأربعة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارك ثم كسر الأربعة وأعطى تلاميذه ليقدّموا إليهم وقسم السمكتين للجميع، فأكل الجميع وشبعوا، ثم رفع من الكسرات اثني عشرة قفه مملوءه ومن السمك وكان الذين أكلوا من الأربعة نحو خمسة آلاف رجل >> ٦ : ٢٧:٤٤

(٣) ويشير إلى نص من لوقا ولكن ليس هناك ما يشير إلى أن معجزاته هذه قد أخذت أو اقتبست من موسى أو اليشع أو أي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.. >> فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول ابن وحيد لأمه وهي أرمله ومعها جمع كثير من المدينة، فلما رآها الرب تحن عليها وقال لها لاتبكي، ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون، فقال أيها الشاب لك أقول قم، فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه >> لوقا ٧ ١٢-١٥

بالروح القدس >> (١)

وكما يلاحظ القارئ الكريم أن هذه المعجزات الكثيرة المنسوبة إلى المسيح عليه السلام والتي قد وردت في أناجيل النصارى الأربعة المعتمده، والتي قد اعتمدت ونقلت منها دائرة المعارف اليهودية عندما تحدثت عن موقفهم من معجزاته عليه السلام.

ونحن المسلمين إذا كنا لانصدق ولانكذب ما ورد في الأناجيل من معجزاته عليه السلام والتي لم تذكر في القرآن الكريم إذ لا يوجد لدينا ما يثبت أو ما ينافي ذلك، واتباعاً لما ورد عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم >> لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا الآية >>، أخرجه البخاري في صحيحه (٢)

ونتقل من دائرة المعارف اليهودية إلى أحد مولفي اليهود المشهورين في

(١) ويستشهد المؤلف بنص من مرقس : >> وأما الكتبة الذين نزلوا من أورشليم فقالوا إن معه بعلزبول، وإنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين: ولكن الفقرات اللاحقه بنفس النص السابق توضح رده عليه السلام على إتهامهم هذا فيقول: >> فدعاهم وقال لهم بأمثال كيف يقدر شيطان أن يخرج شيطاناً، وإن انقسمت مملكة على ذاتها لاتقدر تلك المملكة أن تثبت، وإن انقسم بيت على ذاته لايقدر ذلك البيت أن يثبت، وإن قام الشيطان على ذاته وانقسم لايقدر أن يثبت بل يكون له انقضاء >> ٣ : ٢٢-٢٦

انظر : *Jewish Encyclopedia*, ج ٧، ص ١٦٧ ، ١٦٨

(٢) انظر: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للإمام بدرالدين العيني كتاب (تفسير القرآن الكريم) ج ١٨، ص ٩٣-٩٤

القرن السابع عشر والمعروف (بابن كمونه اليهودي)^(١) حيث تحدث عن النبوات في كتابه (تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية، والمسيحية، والإسلام) وأنقل هنا ما ذكره عن رأيه كيهودي في معجزاته عليه السلام إذ يقول:

>> ثم جميع ما ينقلونه عن السيد المسيح من المعجزات وغيرها فهو عن الأفراد الذين هم أصحابه، فلا يكون متواترا ولا موثوقا اليه، وبتقدير صحة النقل فهو غير بعيد في العقل أن يكون واقعا بالحيل أو بالمواطاة عليه، وإذا لم يثبت صحة نقلهم لم يتحقق ما ادعوه من كونهم علموا بالضرورة من رأي الحواريين والسيد المسيح أن شريعتهم لا تنسخ <<^(٢)

ثم يضيف إلى ما ذكره في موضع آخر قوله: >> والحق أن ما نقل عن أصحاب السيد المسيح من المعجزات لا نسلم أنه على وجه التواتر الذي هو موجب لليقين، كتواتر وجودهم ووجود المسيح

(١) اسمه سعد بن منصور بن كمونه كان عالما بالقواعد والقوانين المنطقية، شرح كتاب الإشارات لابن سينا، وكان من المدافعين عن اليهودية، وفي كتابه هذا حاول التصدي لأسس الديانات الثلاث منها الإسلام بالنقل عن اليهودية، وعدم انطباق شروط النبوة على النبي محمد عليه الصلاة والسلام، الأمر الذي أثار حفيظة الجماهير عليه فهاجمت داره عقب صلاة الجمعة، وساعده الحكام على الهرب من بغداد انظر: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية د/عبد المنعم الحفني، ط١، ص ٣٤-٣٥

أيضا: تنقيح الأبحاث للملل الثلاث لابن كمونه، ط، دار الأنصار، ص ١١٢

(٢) ط دار الأنصار ص ٦١، ٦٢

وصلبه^(١)، بل هو من قبيل ما ينشر فيشتهر فيشبهه بالمتواترات ولا يكون متواترا على الحقيقة.

وأما كون معجزاته لا يمنع العقل أنها واقعة بالحيل والمواطاة عليها، فهم يدعون تحققهم أن ذلك التحيل وتلك المواطاة مما لم يكن ولم يقع، بل وإنه غير محتمل الوقوع، وان لافرق في عدم احتمال الحيلة بينها وبين معجزات موسى عليه السلام، كانشقاق البحر وما يجري مجراه، فإن من أحياء وأبرأه لم يقع شك في موته ومرضه، ولهم أن يستدلوا على صحة ذلك بأنه لو كان مشكوكا فيه لاشتهر بين أعدائه من اليهود أو غيرهم في زمانه ولو اشتهر في ذلك الزمان لنقل، وحيث لم ينقل، بل نُسبه بعضهم إلى السحر، أو إعانة الشيطان عليه، أو إلى تعلم الإسم الأعظم، على أنهم قد كانوا متيقنين من الحيل والتواطؤ عليه، وهذا اقناعي غير مفيد لليقين^(٢)، بل عسى أن يفيد ظنا غالبا، بعد تسليم تواتر نقلهم، ولكنه إذا عضد بالنظر في جملة أحوال السيد المسيح وأحوال أصحابه في زهدهم وورعهم وتحملهم المشاق العظيمة في إقامة هذه الدعوة وانتظام أمور هذا الدين

(١) لا أدري كيف تواتر صلبه عليه السلام عند ابن كموه اليهودي؟! هل ذكرت توراته المحرفة ذلك؟! وحسب علمي فإن كتاب العهد القديم ككل لم يصرح بشئ عن السيد المسيح عليه السلام علاوة عن أن يتواتر فيه شئ عنه وكما ذكرت ذلك في الفصل الأول من هذا البحث، إذا يبقى التساؤل ويبقى الاستفهام كيف تواتر صلبه عليه السلام عند ابن كموه اليهودي وما هو دليله في ذلك؟!

(٢) اليقين في اللغة: العلم الذي لا شك معه وفي الاصطلاح اعتقاد الشئ بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن الا كذا، مطابقا للواقع، وهو نقيض الشك.

انظر: التعريفات للجرجاني ط ١٩٧٨م، ص ٢٨٠

المسألة الرابعة :

موقف اليهود من قصة القبض على المسيح عليه السلام وصلبه كما يزعمون.

وقد اعتمد مؤلفوا دائرة المعارف اليهودية - وهى حسب علمي أضخم وأكبر كتاب يتحدث عنه - اعتمدوا على الأناجيل في جميع النقاط التي تتحدث عنه عليه السلام من تعميده، ومعجزاته، وقصة القبض عليه وصلبه إلى آخر ذلك، فينقلون ماشاؤا، ويشيرون أحيانا إلى الإصحاحات والفقرات التي ينقلون منها إشارة فقط دون النقل، فاضطر إلى الرجوع إليها للتأكد من صحة إشارتهم لها، ثم أرصدها في هامش هذا البحث.

وقد تشابه عرض قصة القبض عليه وصلبه في دائرة المعارف اليهودية مع ما في كتاب (ولادة يسوع) والذي أشرت إليه - فيما سبق - ألفه أحد كتاب اليهود^(١) باللغة العبرية، ثم ترجم إلى اللغة الفرنسية، واستطعت الحصول على النسخة الفرنسية، وأخذت منها ما وجدته مناسبا في موضوع بحثي هذا، وقد عرض قصة القبض عليه وصلبه - كما يزعمون - كل من كتاب (ولادة يسوع) ودائرة المعارف اليهودية في أن أحد أصحاب المسيح ويدعى يهوذا قد خانته، وأوشى به لدى الحكومة الرومانية آنذاك، وبعد الحكم عليه بالموت صلبا رفضت جميع الأشجار أن يُلصَب عليها بأن سقطت وتكسرت تلقائيا سوى النخلة!! في رواية كتاب (ولادة يسوع)، وسوى شجرة الكرنب!! في دائرة المعارف اليهودية، وهذا كله من غير إشارة إلى أى دليل في أى مصدر، وعندما صلب وبعد موته ودفنه سرق الجثة يهوذا البستاني أو يهوذا الاسكربوتي في رواية كتاب دائرة المعارف اليهودية، واستعملها كسد لمنع الماء من دخول حديقته!!، ونفس الرواية في كتاب (ولادة يسوع) إلا أن يهوذا البستاني قد قذفها في قناة الماء للحديقة

(١) يُدعى : Joseph Klavsner

المجاورة!! وتدعي دائرة المعارف اليهودية زوراً بهتاناً أن القرآن الكريم قد نوه عن الإهانة التي قوبلت بها جثة المسيح عليه السلام من غير إشارة إلى أى مصدر!!!

ويدعي كتاب (ولادة يسوع) أن تلاميذ المسيح قد أتوا في اليوم الثاني للدفن فلم يجدوا الجثة فذهبوا إلى الملكة وأخبروها بأن يسوع قد قام من الأموات، فأمرت الملكة باعدام علماء بني إسرائيل! حتى أتى أحد الكهان بعد ٤٠٠ سنة من ذلك التاريخ، واستطاع العثور على جثة المسيح وأخذها وعلقها على ذنب حصان لعرضها على الملكة واثبات الخدعة التي دبرها تلاميذ المسيح بإدعائهم أنه قام من بين الأموات.

ولا أدري كيف استطاعت تلك الملكة المدعوه (هيلينا) كما ورد في الكتاب المذكور أن تعيش حتى ٤٠٠ سنة بعد المسيح؟!!

ولا أدري كيف استطاع ذلك الكاهن العثور على جثمان المسيح؟!!

ثم كيف علم أنه جثمانه لاجثمان غيره؟!!

ويكمل القصة كتاب (ولادة يسوع) بأن تلاميذ المسيح قد انتشروا - بعد ذلك - في أنحاء العالم للتبشير..

وفيما يلي أنقل ترجمة للنص الفرنسي من كتاب (ولادة يسوع):

>> وقد ذهب يسوع مرة ثانية إلى القدس ليتعلم مرة أخرى الكلمة التي لا يجوز لفظها، ولكن يهوذا كان قد وشى به للأساتذة في المعبد، وأوعز لهم بأن علامة التعريف ستكون السجود أمام يسوع لتمييزه عن بقية التلاميذ الذين يرتدون نفس الملابس، وهكذا تمكن الأساتذة من توقيف يسوع مرة ثانية

وتعليقه يوم الجمعة قبل عيد الفصح على نخله، حيث أن باقي الأشجار واعتماداً على الكلمة التي أنزلت منذ البدء قد رفضت أن تُستعمل أداة لقتل يسوع. وفي اليوم نفسه، وقبل يوم السبت، قبر جسد يسوع فما كان من يهوذا البستاني إلا أن سحب الجثة من القبر وقذف بها في قناة للماء في الحديقة المجاورة!!

وعندما أتى التلاميذ في اليوم الثاني للدفن لم يجدوا الجثة في المقبره، وذهبوا إلى الملكه (هيلانه) وأخبروها بان يسوع قد قام من بين الأموات، فما كان من الملكة إلا أن أحضرت علماء بني اسرائيل وحكمت عليهم بالإعدام، وهكذا بدأ اليهود بالبكاء والنحيب والصيام، حتى أتاهم كاهن عاش حتى ٤٠٠ سنة بعد يسوع!!، واستطاع العثور على جثمان يسوع في حديقة يهوذا!! فأخذ الجثمان معلقاً على ذنب حصان ل عرضه على الملكه وإثبات الخدعه، وهكذا توزع تلاميذ يسوع بعدها على بلدان العالم ومن بينهم الاثني عشر صحابي الذين ألقوا باليهود اضراً بليغة >> (١)

وفيما يلي أنقل ترجمة للنص الإنجليزي من دائرة المعارف اليهودية: >> وقد أخذ علماء بني اسرائيل يسوع إلى معبد طبريه وربطوه إلى عمود، وعندما حضر تلاميذه لفك وثاقه جرت معركة هزم فيها اليهود، وأخذه أتباعه إلى أنطاكيه، وفي مساء عيد الفصح دخل القدس راكباً حماراً (٢) متكراً،

(١) انظر : ولادة يسوع *Jesus De Nazareth*

المؤلف: *Josph Klausner*, ط ١٩٣٣، ص ٥٩-٦٠

(٢) ويستشهد بنص من متى > فكان هذا كله يتم ما قيل بالنبي القائل، قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على أتان وجحش بن أتان <

ولكن يهوذا أحد تلاميذه السابقين قد خانه فقبض عليه، وقد أعدم في مساء عيد الفصح والذي كان يوافق مساء السبت أيضاً، ولم يتمكن جلادوه من شنقه على شجرة لأنه استحلف جميع الأشجار بإسم الله أن لا تقبله، ولذلك كسرت جميع الأشجار، وأخيراً قبله جذع شجرة الكرنب الكبير!!^(١) ودفن في نفس اليوم حسب الشريعة، وقد بكى حواريوه المترددون على قبره، وقد بحث حواريوه عن جثته في القبر ولما لم يجدوها اتخذوا من ذلك دليلاً أمام الملكة (هيلينا) بأنه قد قتل ورفع إلى السماء، وظهر بعد ذلك بأن هنالك رجلاً يسمى أحياناً يهوذا البستاني، وأحياناً يهوذا الاسكروتي، وأحياناً سيد البستان، وقد أخرج الجثة من القبر واستعملها كسد ليمنع الماء من دخول حديقته وامتلاً قبره بالماء!!، وقد عادت السعادة إلى بني اسرائيل ثانية بعد أن أخذت الجثة للملكة في القدس، وشعر المسيحيون بالحجل.

وهناك ثلاثة نقاط تستحق الملاحظة في هذا التقرير:

١ - حقيقة أن الجثة قد سُرقت، وقد جاء في متى^(٢) أن الفريسيين طلبوا من

(١) انظر: *Targ Sheni to Esth* ٩:٧

نقلا عن: *Jewish Encyclopedia*, ص ١٧٢، ج ٧

(٢) ويستشهد بنص من متى وهو كما يلي:

>> وفي الغد الذي بعد الاستعداد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين ياسيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حيّ إني بعد ثلاثة أيام أقوم، فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتي تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات، فقال لهم بيلاطس عندكم حراس اذهبوا واضبطوه كما تعلمون << ٢٧ : ٦٢-٦٤

بيلاطس أن يضع حراسة على القبر حتى لا يسرقها حواريوه ويدعون بأن عيسى قد رُفِع إلى السماء، ولكن عندما انتشر خبر قيام عيسى من بين الأموات، قام الفريسيون باعطاء الرشوة لجنود الرومان ليقولوا بأن حوارى عيسى قد سرقوا جثته (١).

٢ - ماذكر عن سرقة الجثة وبأن البستاني كان خائفاً من حوارى عيسى في أن يحاولوا تخريب الحس المزروع.

٣ - الإهانة التي قُوبلت بها جثة يسوع في شوارع القدس وقد نوه القرآن عن ذلك!! (٢).

وتضيف دائرة المعارف اليهودية في موضع آخر مايلي:

>> وفي الروايات المتأخره وجدت محاولات تؤدي إلى الإنطباع بأن عيسى كان يعرف المصير الذي ينتظره في القدس، بينما في الروايات الأولى (٣) عرف أن حواريه لم يفهموا التلميح الغامض، وهناك ما يؤيد بأن زيارته للقدس

(١) ويشير إلى نص من متى - أيضاً - > وفيما هما ذاهبتان إذا قوم من الحراس جاءوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان، فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين قولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام، وإذا سمع ذلك عند الوالي فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين، فأخذوا الفضة وفعّلوا كما علموهم فشاع هذا القول عند اليهود إلى اليوم < ٢٨ : ١١-١٥

(٢) انظر: *Jewish Encyclopedia*, ج ٧، ص ١٧٢

(٣) ويستشهد مؤلفو دائرة المعارف اليهودية بنص من مرقس: > وخرجوا من هناك واجتازوا الجليل ولم يرد أن يعلم أحد، لأنه كان يعلم تلاميذه ويقول لهم إن ابن الإنسان يُسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه، وبعد أن يقتل يقوم في اليوم الثالث، وأما هم فلم يفهموا القول وخافوا أن يسألوه < مرقس ٩ : ٣٠-٣٢

كانت رحلة انتحاريه مشرفه، ففي آخر لحظه في جشيماني^(١) حاول أن يقاوم القبض عليه^(٢)، فقد كانت القدس في ذلك الوقت في حالة فوضى، فقد كانت هناك محاولة انقلاب وفتنة من شخص آخر يدعى عيسى باراباس^(٣) الذي قبض عليه وكان في السجن في ذلك الوقت^(٤)، ويظهر من عادة بيلاطس

(١) كلمة آراميه معناها معصرة الزيت، وكان بستاناً فيه أشجار الزيتون ومعصرة لعصره وهو يقع شرق أورشلیم فيما وراء وادي قدرون قرب سفح جبل الزيتون، يعتقد المسيحيون أن المسيح كان يتردد إليه كثيراً طلباً للعزله وترويح النفس ولأنهم يعتقدون بأنه كان من مكان ألمه وتسليمه والقبض عليه. انظر قاموس الكتاب المقدس، ط ٦، ص ٢٤٩

(٢) ويشير إلى مرقس ١٤ : ٤٢، فوجدت أن ما يناسب إشارته قبل ذلك بعشر فقرات: << وجاءوا إلى ضيعة إسمها جشيماني فقال لتلاميذه اجلسوا ههنا حتى أصلي ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب، فقال لهم نفسي حزينة جداً، حتى الموت، امكثوا هنا واسهروا، ثم تقدم قليلاً وخزّ على الأرض وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة أن أمكن، وقال يا ابا الآب كل شيء مستطاع بك، فأجز عني هذه الكأس، ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت >> مرقس : ١٤ : ٣٢-٣٦

(٣) رجل اشتهر بسفك الدماء وفعل المنكرات، ويعتقد المسيحيون أنه كان سجيناً أثناء محاكمة المسيح، وأنه كان من عادة الحكومة الرومانية أن تطلق اسيراً كل سنة في عيد الفصح ممن أرادوا، وأنه قد بلغ من إخطاط تلك الأمة في ذلك الحين أنهم طلبوا من الحاكم الروماني اطلاق باراباس المجرم وتسليم مسيحها إلى الموت على الصليب.

انظر: قاموس الكتاب المقدس، ط ٦، ص ١٥٧

(٤) ويستشهد بنص من مرقس: << فأجابهم بيلاطس قائلاً أتريدون أن اطلق لكم ملك اليهود، لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسداً، فهيج رؤساء الكهنة الجمع لكي يطلق لهم بالحري باراباس، فأجاب بيلاطس أيضاً وقال لهم فماذا تريدون أن أفعل بالذي تدعونه ملك اليهود، فصرخوا أيضاً اصلبه، فقال لهم بيلاطس وأي شر عمل فازدادوا جداً صراخاً اصلبه، فيبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجمع ما يرضيهم اطلق لهم باراباس وأسلم يسوع بعدما جلده ليصلب >> مرقس : ١٥ : ٩-١٥

أن يأتي إلى القدس كل عام في عيد الفصح، والغرض من ذلك التصدي لأي فتنة في ذلك الوقت، والتي تنادي بخلص اسرائيل >> (١)

>> ويظهر أنه في الوقت الذي أحس فيه عيسى عن نوايا علية الكهنة في الحاق الضرر به لأنه بعد احتفال العشاء الأخير أخفى نفسه في حديقة جشيماني ولكن مكان اختفائه قد عرف بعد أن وشى به أحد اتباعه المقربين وهو يهوذا الاسخريوطي.

لماذا قبض على عيسى؟ لم يعرف جواب ذلك بوضوح، فحتى لو ادعى بأنه المسيح فإن هذا الإدعاء لايعتبر جريمة حسب القانون اليهودي.

وعند تسليم السجين عيسى إلى الحاكم بيلاطس، رفض اليهود الرسميين الدخول إلى منصة الحكم باعتبارها منطقة محرمة على اليهود، على كل اظهروا إيمانهم في إدانة عيسى من الرومانيين، وأمام بيلاطس كانت التهمة الوحيدة ضد عيسى هي الثوره ضد الامبراطور ولسبب آخر يظهر ان الإدعاء بأنه ملك اليهود أو ملك السماء كان امام بيلاطس من عيسى نفسه كما ظهر في الكتابه على الصليب.

وبالنسبة لبيلاطس فمشكلة عيسى تشبه موقف مسؤول هندي وثني قدم أمامه مسلم يدعي أنه المهدي، فإذا كان صاحب هذا الإدعاء اضطراب وفتنه في المنطقه التي كان فيها، فلاشك ان المسؤول الهندي يحكم بإدانتته وهذا ما فعله بيلاطس، ولكن بيلاطس تردد في إصدار الحكم، فبالرغم من أنه إدانته ولكنه

(١) انظر: *Jewish Encyclopedia*, ج ٧، ص ١٦٤

اعطاه الفرصة للحياة، ويظهر أن العاده ان يعفى عن المسجونين اليهود يوم الاعياد الرسمية، ولذلك طلب بيلاطس من الغوغاء والرعاغ المحيطين بحلبة الإعدام أن يختاروا للعفو احد الاثنين، عيسى الناصري، أو عيسى باراباس والذي كان قد أتهم بالثوره، ومن الواضح أن الرعاغ تعاطفوا مع الثائر المجاهد ضد الرومان فطلبوا أن يعفى عنه، وتركوا عيسى الناصري الذي كان يشجع على دفع الضرائب، فتركوا عيسى الناصري لعقاب الرومانيين لصلبه مع اثنين من المجرمين، وعند الصلب رفض بكلمات قاسيه^(١) الشراب المخدر المكون من المر والخل والذي اعتادت نساء القدس تقديمه للمجرمين المحكوم عليهم بالصلب لكي يموتوا في حالة اغماء.

وقد قاسى عيسى من التعذيب الأليم للأعضاء الداخلية برباطة جأش حتى آخر لحظة حتى تلفظ في صيحة يائسة ومحنة << يا الهى لماذا خذتني >>^(٢)، والذي يظهر أنه بالرغم من ثبات عزمته وإرادته القوية إلا أن عزمته قد خارت مما عاناه، وكلماته الأخيرة وما تدل عليه تدحض الإدعاءات المبالغ فيها من اتباعه بعد موته، والعقاب نفسه الذي تعرض له عيسى يدحض تلك الإدعاءات في أعين اليهود، فليس هو بالمسيح الذي يعترف به اليهود ويعاني من مثل هذه الميتة

(١) ويشير إلى موضع من إنجيل لوقا: << فالتفت إليهن يسوع وقال يا بنات أورشليم لا تبكين علي بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن، لأنه هوذا أيام تأتي يقولون فيها طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد والثدي التي لم ترضع، وحينئذ يبتدون يقولون للجبال اسقطي علينا وللأكام غطينا، لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس >> لوقا: ٢٣:

٣١-٢٨

(٢) << إلهي إلهي لماذا تركتني بعيدا عن خلاصي عن كلام زفيري >> مزامير

١:٢٢

السيئة > المشنوق ملعون من الله < (١) وهذا فيه إهانة لمقام الإله في علم اللاهوت، وبما أن الأناجيل التي تحتوي على معلومات قيمة كتب جميعها بروح جدلية ولغرض البرهنة على الإدعاء على مسيحية عيسى ووضعه فوق المقام البشري كان من الصعب الحكم المحايد لقصة حياته، كذلك الأمر بالنسبة للتصور المأخوذ عن عيسى من الأناجيل والذي قدمه الكتاب المسيحيون المعاصرون، والذي انتقص الجزء الإعجازي عنه لاقل مقدار ممكن، فلا يعطينا فكرة قريبة عن حقيقة عيسى >> (٢).

وتقول دائرة المعارف للديانات وعلم الأخلاق حول تأثير عقيدة الصلب والفداء المسيحية على بعض الشعوب:

>> وقد حاول اليهود والمسيحيون في الدفاع عن دينهم والترغيب فيه لدى الوثنيين معتمدين على تقبل ديانتهم للعقل (٣) !!، والدعوة إلى الفداء من المسيح لم تلعب دوراً هاماً في نشر الديانة المسيحية لدى اليونان الوثنيين، وإن كان لها بعض التأثير على جمهور الناس غير طبقة المتعلمين والمثقفين، ومنذ البداية كان لتأثير الثقافة اليونانية أثر كبير على الديانة المسيحية، أما في العهد الثاني للمسيحية خلال عهد الآباء والرسل فقد كان التأثير الاغريقي ضعيفاً >> (٤).

(١) ويستشهد بموضع: من سفر التثنية: >> فلا ثبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلق ملعون من الله، فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلهك نصيباً >> تثنية: ٢١: ٢٣

(٢) انظر: *Jewish Encyclopedia* ج ٧، ص ١٦٦، ١٦٧

(٣) كيف يتقبل العقل ديانتهم المحرفة بما فيها من التعارض والتناقض فالمسيحيون مشركون ويثلاثون، واليهود مشبهون ومجسمون ومشركون أيضاً

(٤) انظر: ص ٨٧، ط ١٩٤٠، مجلد ٧، *Religion and ethics*

المسألة الخامسة

موقف اليهود من السيدة مريم أم المسيح عليها السلام:

يظهر رأي اليهود في أم المسيح وموقفهم منها عليها السلام من خلال مؤلفاتهم الخاصة بهم ومن خلال دوائر معارفهم، ففي كتاب < ولادة يسوع > والذي ألفه أحد كتاب اليهود بالعبرانية ثم ترجم إلى الفرنسية، يزعم هذا الكتاب بأن مريم عليها السلام قد تمت خطوبتها على شخص يدعى يوحنا من بيت داود، ومع ذلك كانت معجبة بشاب آخر وسيم يدعى يوسف بانديرا!! استطاع ان يراود مريم عن نفسها فاستسلمت له وهي حائض!! ظنا منها بأنه خطيها، ثم أخذت تلومه عندما رأته فيما بعد فعلم من حديثها معه أن شخصا آخر قد فعل معها الفاحشة!! فهرب يوحنا إلى بابل بعد أن علم بحمل مريم، فوضعت مريم الطفل فشب وكبر ودرس التوراة ولكنه شذ عن تعاليمها حتى اتفق اساتذة المجمع على أنه ابن سفاح!!، وهذا الكلام يشبه كثيرا ماجاء في التلمود كتاب اليهود المقدس كما أثبت ذلك في الفصل الأول حيث يلصق اليهود التهم المشينة والتي يندي لها الجين بسيدنا المسيح وأمه عليها السلام .

وفيما يلي أنقل ترجمة للنص الفرنسي من كتاب < ولادة يسوع >:

>> شخص يدعى يوحنا من بيت داود تمت خطوبته على مريم من بيت لحم، وهي ابنة أرملة كانت تعيش على مقربة من بيته عرفت بالبراءة والتزاهة، وقد أعجبت مريم بشاب وسيم يدعى يوسف بن بانديرا، استطاع في ليلة السبت، وهو يوم مقدس عند اليهود ان يراود مريم عن نفسها، وظنا منها بأنه

خطيبها يوحنا استسلمت له وهى في حالة الحيض، وقد تعجبت لهذا العمل الذي أقدم عليه شخص معروف بالتقوى والزاهة.

وقد أنبت مريم يوحنا على فعلته هذه عندما رأته - فيما بعد - فعلم عندئذ أن شخصاً آخر قد قام بهذا العمل فأخبر يوحنا الحاخام شمعون بن يشطاع بان لديه شك بشخص بانديرا، وبفعلته، ثم هرب يوحنا إلى بابل عندما حملت مريم لعدم قدرته على إثبات أبوة الجنين.

وضعت مريم الطفل وأسمته يشوع على اسم خالها، وقد تعلم يسوع التوراة على أيدي أساتذة معروفين وبرز في هذا الميدان وإن يكن شذ عن هذه التعاليم فقد كان يمر أمام أساتذته دون أن يضع غطاء على رأسه، فاتفق اساتذة المجمع على أنه ابن سفاح!! وغير طاهر << (١)

أما دائرة المعارف اليهودية فتقرر أن الإختلاف الجوهرى بين المسيحية واليهودية هو عبادة مريم العذراء، وأن اليهودي يكره فقط عبادة مريم العذراء خاصة في العصور الوسطى... فيما يلي أنقل ترجمة لنص الدائرة من اللغة الإنجليزية:

>> والاختلاف الجوهرى لبعده المسيحية من اليهودية هو عبادة مريم العذراء كأم لله، فالمجتمعات المسيحية والكتابات في العهد الجديد ترحب بهذه الفكرة التعبدية وتؤيدها، فاليهودي يكره فقط عبادة مريم في العصور الوسطى،

(١) Jesus De Nazareth Joseph Klausner, طبعة سنة ١٩٣٣ ص ٥٧

وهذه العبادة لا تختلف عن عبادة ايزيس^(١) وابنها حورس.. <<(٢)
>> والقصص التي لها علاقة بعباسي وجدت في الأساطير المحمدية^(٣) فبينما
أكدت براءة مريم بشدة فقد وجد كلام مماثل ومشابه جدا للقصص اليهودية،
مما يدل بأن هذا الموضوع قد أخذ بكل تأكيد من اليهودية ووضع في
القرآن <<(٤)

(١) إلهة الحكمة والتشريع والسحر احد آلهة المصريين القدماء والتي تعتمد
عليها العقيدة الرسمية عند قدماء المصريين.

انظر: مقارنات الأديان (الديانات القديمة) للإمام ابو زهره، ط دار الفكر،
ص ١٠

(٢) انظر : *Jewish Encyclopedia*, ج ٦، ص ٥٣

(٣) ليست أساطيراً وإنما هي رسالة وحقائق موحى بها من الله تعالى ومترجمة
على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

(٤) انظر: المصدر السابق، ج ٧، ص ١٧٣

ولكن ما الذي يؤكد بأن موضوع تبرئة مريم عليها السلام قد أخذ من
القصص اليهودية ووضع في القرآن الكريم والعكس هو الصحيح، فالكتب
المقدسة اليهودية ومنها التلمود، وكذلك المؤلفات ودوائر المعارف
اليهودية، تلصق بالمسيح وامه عليهما السلام أبشع التهم وأفظعها وكما
وضحنا في هذا الفصل والفصل السابق.

المسألة السادسة :

مقارنة بين المسيح اليهودي والمسيح النصراني

ومما يجدر ذكره هنا أن اليهود كانوا ولا زالوا ينتظرون مسيحاً يأتي ويخلصهم من الولايات التي أصابتهم خلال تاريخهم الطويل، والذي سيأتي ويحكم ويكون مملكة كبيرة لليهود ويشتركون معه فيها.

ففي سفر أشعيا مايلي:

« لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً ويكون إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام لنمو رياسته يجلس على كرسي داود وعلى مملكته، ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد، غيره رب الجنود نصنع هذا » (١)

ويعتقد بعض الباحثين (٢) أن عقيدة المسيح عند اليهود هذه قد نتجت من عقيدة أخرى سابقة لها وهي عقيدة الإختبار والإمتياز لشعب بني إسرائيل على جميع الشعوب كما تنص على ذلك توراتهم إذ تقول:

« أنا الرب إلهكم الذي ميزكم عن الشعوب، تكونون لي قديسين لأنني قدوس، أنا الرب وقد ميزتكم عن الشعوب لتكونوا لي » (٣)

(١) ٧ - ٦ : ٩

(٢) انظر: أ.د. أحمد شلي (اليهودية)، ط ٥، ص ٢١٨

(٣) لاويون ٢٠ : ٢٤ ، ٢٥

>> إنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم >> (١)

>> فإن اليهود وجدوا أنفسهم لاختيرة البشر كما زعموا، ولاصفوة الخلق كما أملوا، بل لم يجدوا أنفسهم في نفس المكانه التي ينعم بها الآخرون، وإنما كانوا هدفاً للبلايا والنكبات، ومن هنا اتجه مفكروهم في عصورهم المتأخرة إلى مخلص ومنقذ ينتشلهم من هذه الوحده ويضعهم في المكانه التي أرادوها، وأطلقوا على هذا المخلص [المسيح المنتظر] ووصفوه بأنه رسول السماء والقائد الذي سينال الشعب المختار بهديه وإرشاده ما يستحقه من سيادة وسؤدد >> (٢).

وقد كتب أحد الاساتذة بالجامعة العبريه بالقدس الشريف مقالاً - ضمن مجموعة مقالات نشرتها مكتبة العلوم بالقدس باللغة العبريه عام ١٩٥٥م - يقارن فيه بين المسيح اليهودي والذي لازال اليهود ينتظرونه، والمسيح النصراني أي المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

ومن هذه المقارنة - والتي سأنقل نص ترجمتها من اللغة العبريه فيما يلي - نستطيع أن نستنتج رأي اليهود وخاصة المحدثين منهم في المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

(١) تثنية ٧ : ٦-٨

(٢) *James Hosmer: The Jews*, ص ٨٥،

نقلا عن : د. أحمد شلي (اليهودية)، ط ٥، ص ٢١٨

ويُفهم من مقاله هذا بأن المسيح اليهودي بشر ككل البشر فهو من بني آدم وهو منقذ عظيم يأتي لينقذ شعب إسرائيل بشكل خاص في الأيام الأخيرة للدنيا، كما أنه سينقذ العالم كله من الإغراف والحروب وبأيامه سيعم السلام على العالم كله، وسيعم الرخاء والإزدهار وستخرج الأرض - في أيامه - فواكه وطيبات يسعد بها الانسان كثيراً ولن تنتهى أبداً، وأن العالم كله سيعترف بإسرائيل!! وبالتوراه وبملك المسيح اليهودي، وسيكون إله إسرائيل إله للعالم كله - كأن لبني إسرائيل إلهها خاصة بهم وللعالم إلهها خاصة به!! فهذا اعتقاد صريح بالشرك والعياذ بالله (١)

ولم يتحدث كاتب المقال كثيراً عن المسيح النصراني، ولكنه يؤكد اعتقاد اليهود بصلبه عليه السلام وأنه مات مصلوباً عقاباً لتمرده وتجديفه (٢)

(١) وهذا ليس بغريب عليهم فقد عُرفوا بالشرك في تاريخهم الطويل، فعبدوا العجل { ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون { البقره: ٩٢، ثم سألوا موسى أن يروا الله جهره!! يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم، ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً { النساء: ١٥٣

ثم إنهم بعد خروجهم من مصر إلى صحراء سيناء طلبوا من موسى عليه السلام ان يجعل لهم أوثاناً يعبدونها عندما رأوا أناساً عاكفين على أصنام يعبدونها أوجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آله قال إنكم قوم تجهلون، إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون { الأعراف : ١٣٨-١٣٩

(٢) نزهه عليه السلام من الإتهامات والأقوال المشينه التي ينسبونها إليه والتجديف: هو الكلام على الله تعالى بالكفر والإهانه.

وقد ذكرنا ذلك في الفصل السابق - أما النصاري فلا يخفى اعتقادهم بأنه صلب ولكن لغاية أخرى وهي تكفيره عن خطيئة البشر الأزلية والتي توارثوها عن أبيهم آدم عليه السلام عند أكله من الشجرة المنهي عنها!!^(١)

وفيما يلي أقفل نص الترجمة لذلك المقال من اللغة العبرية:

➤ الذي كان تحت عنوان [المسيح اليهودي و المسيح النصرائي]

➤ الملحوظة الأولى: إن هذا المقال يحتاج إلى كتاب لتفسيره وشرحه، ومن

خلال مقال قصير أستطيع فقط أن أحدد الخطوط العريضة للمشكلة الخطيرة ونقتصر فقط على أسس مهمه بذاتها.

الملحوظة الثانية: وقد كانت هناك فترات طويلة وسنين الفرق بين هذا

المسيح وذاك النصرائي. فالمسيح التابع ليسوع مختلف عن ذلك التابع لدانيال

ولا يشبهه لنوعية المسيح اليهودي الذي ورد في العرائض التلمودية الأولى بالتوراه

التي أتت على لسان الراميام (حاخام يهودي قديم) وبالكتب المقدسه، وهكذا

الأمر بالنسبة للمسيح النصرائي، فيسوع نفسه قد فهم بعثه بصورة تختلف عن تلك

التي فهمها بولس^(٢) وقد غير كهان الكنيسة تلك الصورة عما فسرهما بولس، وقد

كان الكاثوليك واليونانيون والارثوذكسيون والبروتستانت الأوائل من بين هؤلاء

الذين غيروا من هذا المفهوم بصورة ملموسه، وهنا أسمح لنفسني بالإعتقاد على

تفسير نوعية المسيح اليهودي كما ظهر في اليهودية التلمودية الأولى، وقد عمم

(١) انظر ص ٥٢٦ من هذا البحث وما بعدها.

(٢) لترجمته انظر هامش ، ص ٣ من هذا البحث.

على كل أبناء شعب إسرائيل، أما بالنسبة لنوعية المسيح النصراني فإنني اعتمد على التسجيلات المشتركة بين طوائف النصرانية الثلاث الموجودة في الوقت الحالي. وحتى نستطيع بيان الفرق بين المسيح اليهودي والمسيح النصراني فإنني أعرض الفروق فيما يأتي:

المسيح اليهودي منقذ عظيم بقوته وبروحه، ويأتي لمعرفة النجاة في الأيام الأخيرة للعالم، وهذا الانتقاذ سيكون سياسياً واقتصادياً وروحانياً لشعب إسرائيل بشكل خاص، ويعد المسيح اليهودي من بني آدم فهو بشر ككل البشر كما ورد على لسان < طه نون اليهودي > (١) حيث قال نحن معشر اليهود نعرف ونتوقع أن يكون المسيح بشراً من بني آدم، وهذا التعريف الإنساني للمسيح اليهودي بقي حتى يومنا هذا عالماً بالأذهان.

وقد وردت في بعض الكتب القديمة بعض الأوصاف للمسيح اليهودي منها بن يوسف الذي سيقتل في حرب الجوج وماجوج!! ومنها مسيح بن داوود ملك السلام والذي قيل عنه بأنه لحظة ظهور ملكه سيسعى للسلام لبني إسرائيل، ومن هذه الأسماء أيضاً مسيح السلام.

ما هي نوعية نشاط ملك المسيح اليهودي؟

إنه سينقذ إسرائيل وينقذ العالم كله من الانحراف ومن الحروب ومن

(١) انظر: *Justinus Martyr, Dialogus Cum Tryphone*

نقلًا عن مجموعة مقالات بالعبرية للبروفيسور يوسف كلورند، الناشر: مكتبة العلوم بالقدس، ١٩٥٥م، ص ٢٠٥

الكبائر، وبأيامه سيعم السلام على العالم بين الأمم، لأن جميع الأمم ستكون يهوديه في أيام هذا المسيح اليهودي، وسيُنقذ هذا المسيح الإنسان من الشرور والأخطار الموجوده في الطبيعه، ولن يتبقى حيات وثعابين شريره وسامه، وسيكون هناك ازدهار في هذا العالم، وستخرج الأرض فواكه وطيبات، ويسعد بها الإنسان كثيراً والتي لا تنتهى أبداً، وبالنسبة لما يتعلق بشعب إسرائيل فإنه لن يعيش حراً في أرضه فقط، ولكن سيتجمع كل ابنائه المتفرقين في أنحاء الأرض، وسيعترف العالم كله بإسرائيل وبالتوراه الصادقه، ويملك المسيح اليهودي ملك الصدق، وسيكون معروفاً أيضاً باسم ملك الأمم والشعوب كما سيكون إله إسرائيل إلهها للعالم كله إلهها واحد أحد.

وفي الصلاة التي يصلها شعب إسرائيل ثلاث مرات يومياً يدعون فيها بأن يسرع الإله في تصحيح أوضاع العالم!!، وبأن يمنح القوه والإزدهار لشعبه ولأرض إسرائيل والرحمه لعبده داود وتقدير ثواب المسيح!!

ولم يذكر المسيح شخصاً بعينه في كل كتب الأنبياء فقط، بل ذكر في أسفار ناحوم، صفيه، حبقوق، ملاخي ويوثيل ودانيال إن الله وحده هو المنقذ وليس كمثلته أحد (١).

وبأسفار عاموس وحذقيال وعوبديا هناك مسيح جماعي أو عدد من المسحاء الذي ينقذون إسرائيل والعالم كله بواسطة صدقهم وحسن تصرفهم، وبأسفار حاجي وزكريا لم يرد ذكر المسيح وإنما أوصاف شخصية لا تتعدى الحدود الواقعيه وتكون من بيت داوود (٢).

(١) ، (٢) يلاحظ القارئ الكريم أن هذا اليهودي كاتب هذه المقالات مع أنه يلقب بالبرفسور، وهو أحد الاساتذة بالجامعه العبريه بالقدس الشريف إلا أنه لم يتقيد بشروط البحث العلمي فلم يذكر أرقام الفقرات ولاحتي أرقام الإصحاحات التي نقل أو اقتبس منها مقاله فأصبح كلامه عائماً هكذا.

وبأسفار دانيال ليس للمسيح شخصية خاصة وإنما هو كشعب إسرائيل عامة، وفي أغلب الكتب المحفوظة ليس هناك مسيح كشخص معين، وفي أسفار التلمود ذكر الراب هيلل^(١) أنه ليس هناك مسيح لإسرائيل، وفي كتب الراب يوسف قال إنه يكفي لليهودي أن يكون مؤمن بوطنه ودينه وينتقد بلاده، والله القديس هو وحده المنقذ والمنجز.

وهذا الاعتقاد لم يكن مقبولاً في اليهودية لأن الإيمان بمجيئ المسيح هو الأساس والمبدأ الثاني عشر من المبادئ التي نادى بها الراميام^(٢)، ولكن وضع اليهودية في هذا الوقت لا يسمح لها بالاعتقاد في المسيح المنقذ لأن المنقذ الوحيد هو الله تعالى^(٣) وأن المسيح المنقذ ما هو إلا آلة تنفيذ في يدي الله، فهو بشر من دم ولحم ككل بني البشر، وهو فقط مختار من الآدميين ومن الجنس البشري، وهو يتجلى بكل الصفات الحميمة، وهذا هو المسيح الذي يجمع بين الصفات الروحانية والجسدية في آن واحد.

(١) هو الحكيم الذي قدم إلى فلسطين من بابل، وفريقه هو الفريق السمح الودود في معاملة الأجانب، وكان شعار هيلل الاعتدال بين الزهد والمتاع وكلمته المأثوره: < إن الزيادة في اللحم زيادة في الدود > وشريعته في المعاملة إن الشريعة كلها كلمة واحدة، وهي ألا تصيب أحداً بما تكره أن تصاب به، وكل ما عدا ذلك من الأحكام المتزلة فهو تفسير وتفصيل. انظر: موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية (توحيد وأنبياء) المجلد الأول، ط١، عام ١٩٧٠م، ص ٥٧٧، ٥٧٨

(٢) كيف يُسمح لهذا الراميام بأن يشرع ويأتي بالعقائد والشرائع ويفرضها على الناس.

(٣) لا يخفي ما في كلامه من التناقض.

القيامة^(١)، أي إن الكمال يكون فقط قبل الآخرة عندما لا يكون هناك شر، وعندما يعيش الذئب مع الكبش وعندما يعرف العالم أجمع الله تعالى، وعندما تعود أرض إسرائيل، وتتوحد الكلمة واللغة الإسرائيلية أي تعود مملكة داود، وهذا سيحدث فقط في أيام المسيح اليهودي وعلى يديه، وبعد فهذا هو المسيح اليهودي، وتلك أعماله ونشاطاته والتي ينفذها بتعاليم من ربه فهو آلة التنفيذ الربانية <<(٢)>>.

وينتقل كاتب هذه المقالات من الحديث عن المسيح اليهودي ونشاطه إلى الحديث عن المسيح النصراني، وفي حديثه هذا يُلاحظ أنه يحايي النصراني ويميل إليهم أثناء رواية عقائدهم، مع أنها تخالف عقائده كيهودي، وفي الحقيقة لا أدري ما سبب ذلك؟ ولعل سببه استمالة قلوب المسيحيين، حيث أن هذه المقالات قد تنشر في أواسط مسيحيه، أو بين علماء مقارنة أديان وباحثين مسيحيين قد يجيدون العبرية، وفي مقاله هذا الكثير من التناقض، وتضارب الأقوال، وفيما يلي نص الترجمة من العبرية إلى العربية:

(١) بعكس ما ورد في الفكر الإسلامي فإن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس والعياذ بالله كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: << ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ولا المهدي إلا عيسى ابن مريم >>.

انظر : سنن ابن ماجه، ج ٢، ط ٢، ١٤٠٤هـ، ص ٣٨٩

(٢) من كتابات البروفيسور يوسف كلورند الأستاذ بالجامعة العبرية بالقدس، من مجموعة مقالات (اليهودية والإنسانية)، الناشر، مكتبة العلوم بالقدس، عام ١٩٥٥م، ص ٢٠٤ - ٢١١ باللغة العبرية

>> أولاً : المسيح النصراني :

تعتمد المسيحية كلها على شخصية السيد المسيح، وهذا شيء لا يحتاج إلى أدلة وبراهين بدأ أبناء انطاكية التمييز بين المؤمنين بيسوع من جانب، وبين اليهود المنتظرين للمسيح، وبين اليونانيين المتدينين من جانب آخر، فلم يجدوا لتلاميذ يسوع إسما أكثر ملائمة من كلمة يونانية ترجمتها المسيح، ومن البداية كان كل الفرق بين اليهود والنصارى هو هل المسيح سيأتي مستقبلاً أم أنه جاء بالفعل، ومن خلال الأدلة والبراهين فإن المسيح قد جاء بالفعل وصُلب ورفعت روحه إلى السماء، وبهذا فإنه وبالمفهوم السياسي لم ينجح في إنقاذ شعبه إسرائيل، ومن خلال الوضع السياسي المنحدر لليهود بالزمن الغابر، وبعد الحراب والخوف من نبد الروم تولدت عدة أفكار:

١ - إن المسيح لم يأت من أجل تحسين الأوضاع السياسية والإقتصادية وإنما من أجل القضاء على الشرور الروحانية^(١)

٢ - الإغدار السياسي هو بشكل خاص متعلق بإسرائيل والإنحراف الروحاني يعم على العالم كله، وبهذا يكون يسوع قد جاء للإصلاح في العالم كله إبداءً بإسرائيل وطنه التي سيكون العالم كله مثلها في الطهارة والاستقامة، ولهذا فإن مملكة المسيح لن تكون من هذا العالم^(٢)

(١) ، (٢) لا يخفى ما في هذين الفقرتين من المحاباة والميل لعقائد المسيحيين إذ أن اعترافه هنا بأن يسوع جاء للإصلاح في العالم كله والقضاء على الشرور الروحانية يخالف عقائده الفاضحة في تلموده المقدس وما وُصف به هذا النبي الكريم من أوصاف يندى لها الجبين، كما بينا ذلك في الفصل السابق، انظر ص ١٥، ١٦ وما بعدهما من هذا البحث.

٣ - صُلب المسيح ومات كمتنرد خارج ليس إلا، وقد كان يسعى إلى الخير والصدق، ولهذا لم يكن كاذباً وإنما كان صادقاً مصداقاً، وإذا كان مسيحاً منقذاً فعلاً فلماذا لم يحمه الرب عندما صُلب؟ أم أنها الإرادة الإلهية حتى يكفر عن ذنوب العالم كله والإنسانية جمعاء؟ وبهذا ضمن الإنسانية من الخطأ (١)

٤ - إن الأخطاء التي حملها المسيح بأمر من ربه وصُلب تكفيراً عنها تضعه في مكان متميز بين العباد، وعند ربه سوف يُبعث أول المبعوثين ليكون قريباً من ربه (٢).

٥ - ويدعو الله المسيح بلقب : ابني إني اليوم ولدتك وقد كان يسوع في حياته كثير التحدث عن أبيه الذي في السماء (٣).

(١) قوله بأن المسيح قد صُلب هذا تأكيد لاعتقاد اليهود بصلبه عليه السلام ولكنه يعود ليحايي المسيحيين في عقائدهم بمدحه عليه السلام بقوله: إنه كان يسعى إلى الخير والصدق - على خلاف اعتقاده - وقد تكون كلمة حق يراد بها باطل، ثم يعود ليناقض نفسه بالاستفهام الإنكاري الذي أورده: وإذا كان مسيحاً منقذاً فعلاً فلماذا لم يحمه الرب؟!

(٢) ويتضح من كلامه هذا تأييده لعقيدة الصلب والفداء عند المسيحيين، ولكنه في نفس الوقت يناقض نفسه، لأن كلامه يتضارب مع بعضه البعض، ففي الفقرة السابقة تماماً لهذه الفقرة قال: صلب المسيح ومات كمتنرد وخارج ليس إلا!!

(٣) كما يتضح في هذه العبارة تأييد كاتب المقال اعتقاد المسيحيين بنوة المسيح لله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

٦ - بعد أن ارتفع يسوع لدرجة مساوية لدرجة الرب الأب فإنه للآن لم يزل المنقذ بهذا فهو لم يزل مسيحاً، ولأنه قد جاء مرة للعالم في صورة بشر فإنه أنقذ العالم فعلاً من الخطأ والذنب والشر ومن الموت والدمار وإلى الآن يسيطر الخطأ والذنب والشر على العالم، ومن المتوقع أن تكون عودته مرة أخرى يوم الحساب، ويجلس عن يمين أبيه الرب، ويشترك في حساب البشر، وينقذ المؤمنين منهم، وحينئذٍ ينتهي الشر والخطأ ويظهر النور، ويقضى على الظلام، ويتبدل الموت، وتظهر مملكة السماء التي بدأت في الظهور عند نزوله المرة الأولى (١).

٧ - وفي هذا الزمان، وفي هذا العالم نتوجه إلى الرب أبيه، ليتوسط هو (أي المسيح) بين الله وبين البشر، وفي الواقع فإنه هو نفسه الرب، والوسيطه الحقيقية هي أمه مريم العذراء المقدسه (والدة الرب) (٢)

وهذا ما يستدل به من التعرف والفهم اليهودي للمسيح النصراني

لم يكتف بكونه بشراً فقط ولكنه تعدى الحدود البشرية وتخطاها لا لينقذ نفسه من الخطأ والشر، إنما المسيح الرب هو الذي تقمص صورة البشر لينقذ

-
- (١) وفي هذه الفقرة يؤيد كاتب المقال المسيحيين بأنه المنقذ، أنقذ العالم من الذنب والخطأ والشر، ولكنه سرعان ما يناقض نفسه، ويقرر بأن العالم مليء بالخطأ والشر والذنب، ثم يعود ليؤكد العقيدة المسيحية بأن المسيح سيجلس يوم الحساب على يمين أبيه ويشترك في حساب الناس على أعمالهم!!
- (٢) وفي هذه الفقرة تأييد صريح لاعتقاد المسيحيين بأن مريم والدة الرب!! كل هذا ينقله المؤلف بل ويؤيده من غير نقد أو رد!!
- وقد قمت بالرد والنقض لهذه العقيدة الباطلة في ص ٤١٤ وما بعدها من هذه الرسالة.

البشرية بدمه الذي أُسِيل، وسوف يعود مرة ثانية لانتقاذ الإنسانية جمعاء لأن صلبه وموته لم يكف لتخليص البشرية من الشرور وجعل البشر مؤمنين (١).

إن المسيح النصراني ليس إلا صورة حديثة أو جديدة للمسيح اليهودي القديم، لأن فكرة الإصلاح أتت النصرانية من اليهودية، كما أتت فكرة المسيح المصلح يوم الحساب، وفكرة مملكة السماء (٢) أيضاً، وكان تعريف المسيح من الأشياء الكثيرة المتشابهة بين المسيحية واليهودية، حتى بعد الابتعاد والانفصال بينهما، وأيضاً فإن الفرق بين المسيح اليهودي ونظيره النصراني بقى كبيراً وعظيماً.

بادئ ذي بدء فإن الإصلاح الإسرائيلي يستطيع أن يظهر ويعم بدون شخص المسيح، في حين أن ذلك غير ممكن في المسيحية فالمنقذ الوحيد هو يسوع فقط.

بدون المسيح اليهودي هناك يهودية مستقلة، وبدون المسيح النصراني ليس هناك مسيحية أبداً << (٣)

وينتقل كاتب المقالات إلى الحديث عن المسيح اليهودي، وكان حديثه

(١) هنا تصريح واضح بأنه هو هذا الفهم اليهودي للمسيح النصراني وتأيداً للمسيحيين ولعقائدهم المنحرفة والمحرفة بأن المسيح إله وابن إله وأنه تجسد وصلب لينقذ البشر من الخطيئة، انظر: ص ٥٢٦ وما بعدها من هذه الرسالة.

(٢) لعله يقصد المملكة التي تكون آخر الزمان، والتي سيحكمها المسيح ويشترك فيها الصالحون والمؤمنون بالمسيح، حسب اعتقادهم .

(٣) انظر: مجموعة مقالات للبروفيسور يوسف كلورند، استاذ بالجامعة العبرية بالقدس بعنوان (اليهودية والإنسانية) باللغة العبرية، الناشر: مكتبة العلوم بالقدس، عام ١٩٥٥م، ص ٢١٢-٢١٦

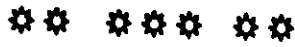
أن نقول وبدون تمييز لليهودية أن المسيح اليهودي ما هو إلا ذراع مساعدة للإصلاح في العالم كله >> (١).

ويلاحظ أن كاتب المقال بدأ أخيراً يعبر عن آماله كيهودي وذلك في تكوين مملكة لا يحكمها إلا اليهود، ويقول بأن ذلك لن يتحقق إلا إذا عاد كل شعب إسرائيل حراً طليقاً في أرضه دون أن يكون تحت حكم الأغراب، وأن ذلك حلم جميل لليهود يلمون به، ويريدون تحقيقه، وفي الحقيقة هم يريدون أن يمتلكوا العالم كله، وأن يسيطروا عليه بأسره سواءً أكان ذلك باسم المسيح أو باسم غيره أما الجويم (٢) فلاشئ لهم، بل هم محكومون وخدام خاضعون لليهود (٣).

وهنا نستطيع القول بأنه قد حصلت بالفعل نظرة تطورية من اليهود للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وهذا يظهر من خلال كتابات بعض كتابهم وذلك بسبب الظروف الإقتصادية والسياسية والعسكرية ورغبة في استمالة الرأي العام العالمي إليهم ومعظمه من النصارى، فقد خففوا من غلوائهم في العصر الحديث في نظرتهن للمسيح عليه السلام بسبب إحتياجهم للنصارى، ومما هو معلوم أن النصارى أسسوا لهم أو ساعدوهم في تأسيس دولة لهم في فلسطين، وهذا هو أحد مفكريهم وكتابهم وأحد اساتذتهم في جامعتهم العبرية يميل ويحايي النصارى في معظم عقائدهم إن لم نقل جميعها.

-
- (١) المرجع السابق، ص ٢١٦، ٢١٧
(٢) هم من عدا اليهود من الناس (هكذا يعبر اليهود عمّن عداهم من الناس).
(٣) انظر: بروتوكولات حكماء صهيون فهي قرارات زعمائهم للسيطره على العالم وحكمه بالقوة.

ومما هو معلوم أيضا: «أن المجمع المسكوني في دورته الثانية والتي عقدت في عام ١٩٦٣م قد وقع وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح وذلك بعد امضاء الكاردينال (١) الألماني رئيس سكرتارية المجمع المسكوني» (٢).



-
- (١) رجل الدين المسيحي وهو الذي وصل إلى درجة معينة وجمعه كرادله وهم الذين يُنتخب منهم البابا.
- (٢) انظر: اسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسه للأستاذ أحمد عبد الوهاب، ط١، سنة ١٩٧٢م

المبحث الثاني

موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال أسفار النصارى المقدسه
لديهم (العهد الجديد)^(١) ورأي النصارى عامة في كتبهم ومؤلفاتهم :

في بداية هذا الفصل ذكرت أن موقف اليهود من المسيح عليه السلام يظهر ويتضح من خلال ثلاثة مباحث، وقد انتهت في الفقرة السابقة من العرض والنقد للمبحث الأول وهو موقفهم منه عليه السلام بشهادتهم على أنفسهم من خلال كتبهم ومؤلفاتهم ودوائر معارفهم.

وفيما يلي سأعرض موقفهم منه عليه السلام من خلال هذا المبحث وهي أسفار النصارى المقدسة لديهم.

(١) العهد الجديد هو القسم الثاني من الكتاب المقدس، أما القسم الأول فهو العهد القديم، والعهد بمعنى الميثاق، ويقدم اليهود العهد القديم فقط أي القسم الأول، أما النصارى فيقدسون العهدين القديم والجديد، لأن العهد الجديد يعتبر مبتوراً دون القديم، فالعهد القديم كمقدمه لا بد منها للجديد. ويتكون العهد الجديد من سبعة وعشرين قسماً يمكن وضعها في ثلاثة أقسام:

- ١ - قسم الأسفار التاريخية ويشمل هذا القسم الأناجيل الأربعة (إنجيل متى وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا) كما تشمل رسالة أعمال الرسل التي كتبها لوقا، وسميت هذه الأسفار الخمسة بالأسفار التاريخية لأنها تحوي قصصاً تاريخية.
- ٢ - قسم الأسفار التعليمية وتشمل إحدى وعشرين رسالة.
- ٣ - أما القسم الثالث فهو رؤيا يوحنا اللاهوتي، وتسمى رؤيا لأنها أشبه بالأحلام ولكن يوحنا رآها في اليقظة وهي للخرافات أقرب. أنظر: د. أحمد شلي (المسيحية) ط ٦، ص ٢٠٢، ٢٠٣ باختصار

ويقول قاموس الكتاب المقدس والذي ألفه نخبة من ذوي الإختصاص
واللاهوتيين النصارى في هذا الموضوع :

>> وقد تمت المقاومة ونما عداء حكام اليهود وقادتهم له (أي للمسيح عليه
السلام) وسار حقدهم عليه شططاً من سئ إلى أسوأ، فقاموا بكل حيلة ووسيلة
لكي يوقعوه في فخاخهم حتى يحطموا سيطرته على الجماهير وقوة تأثيره عليهم،
ولكي يجدوا علة عليه ليسلموه للسلطات الرومانية لتنفيذ حكم الموت فيه (١) وقد
وجه إلى اعدائه تحذيرات غاية في العمق وغاية في الهدوء والسكينة، وقد القى
على مسامعهم تعاليم كان ينبغي أن تنفذ إلى قرارة نفوسهم لو كانوا يفقهون،
وكان هدفه في هذه جميعها أن تتغير قلوبهم، ولكن ما كان منهم إزاء هذه
التعاليم وإزاء كل أعمال الرحمة والإحسان وشفاء المرض وإقامة الموتى (٢)

(١) ويشير الى نص من متى : >> ولما أكمل يسوع هذا الكلام انتقل من
الجليل وجاء إلى تخوم اليهوديه من عبر الأردن، وتبعته جموع كثيرة
فشفاهم هناك، وجاء إليه الفريسيون ليجربوه قائلين له هل يحل للرجل
أن يطلق امرأته لكل سبب << ١٩ : ١-٣

ويستشهد أيضاً بنص من لوقا: >> وفيما هو يكلمهم بهذا ابتدأ الكتبة
والفريسيون يحنقون جداً ويصادرونه على أمور كثيرة، وهم يراقبونه طالبين
أن يصطادوا شيئاً من فمه لكي يشتكوا عليه << ١١ : ٥٣-٥٤

(٢) ويستشهد بنص من يوحنا: >> فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً
ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي، وأنا
علمت أنك في كل حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت
ليؤمنوا أنك أرسلتني، ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجاً،
فخرج الميت ويده ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل، فقال
لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم
ونظروا ما فعل يسوع آمنوا به << يوحنا ١١ : ٤١-٤٥

إلا أن هبت قلوب غالبية الفريسيين والكتبة وآخرين من قادة اليهود وزعمائهم بنيران الحقد عليه والكراهية له (١).

>> وفي سنة ٣٧ ق.م ارتقى هيرودس عرش اليهودية، وفي عهده ولد المسيح إلا أن اليهود أعادوا المعاصي التي اقترفوها من قبل، فرفضوا قبول الخلاص بالمسيح، وتحاملوا عليه وأنكروا أنه المسيح حتى طالبوا بصلبه، فأنتم الله منهم بأن أرسل لهم تيطس الروماني يؤدبهم، فاحتل تيطس القدس وأحرق الهيكل وهدم المدينة، وهكذا تمت نبوءة المسيح (٢).

(١) >> وأما قوم منهم فمضوا إلى الفريسيين وقالوا لهم عما فعل يسوع، فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجعاً وقالوا ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة، إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا، فقال لهم واحد منهم وهو قيافا كان رئيساً للكهنة في تلك السنة، أنتم لستم تعرفون شيئاً، ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها، ولم يقل هذا عن نفسه بل إذ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة تنبأ أن يسوع مزعم أن يموت عن الأمة، وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد، فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه << يوحنا ١١ : ٤٦-٥٢

انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٦٨

(٢) ويستشهد بنص من متى فبحثت مكان إشارته فوجدت مايلي:
>> لذلك ها أنا ارسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة، لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هايل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح، الحق أقول لكم إن هذا كله يأتي على هذا الجيل.

وأما الرسل المسيحيون والمبشرون الأولون فكانوا عبراني الجنس، وأنتشرت المسيحية أولاً بين العبرانيين وفي كل مكان قبل بعض منهم الخلاص يسوع المسيح وأما الآخرون فرفضوه.

وكانت نكبة القدس عاملاً في تفريق الناجين من اليهود في جميع أنحاء المعمورة، ومهما تباعدت بهم الأمكنة، فلا يزالون حتى اليوم يحافظون على ديانتهم، ولا يزالون ينكرون أن يسوع هو المسيح وينتظرون مجيء مسيحهم الخاص بهم << (١).

ويضيف قاموس الكتاب المقدس: << أما اليهود فلم يفهموا هذه النبوات فظنوا أن المسيح يكون ملكاً زمنياً يخلصهم من ظالمهم ويرقيهم إلى أعلى درجات المجد والرفاهية حسب معنى النبوات الحرفي (٢) فلما ظهر المسيح لم يعرفوه بل عثروا فسقطوا في ضلال مبين حينما فسر لهم المسيح ذاته والرسل هذه النبوات على غير معناها الحرفي (٣)، غير أن البعض من اليهود في أيام ظهور المسيح كانوا

== يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن اجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا، هوذا بينكم يترك لكم خراباً، لأني أقول لكم إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب << متى : ٢٣ : ٣٤-٣٩

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ط ٦، ص ٥٩٨

(٢) ويستشهد بموضع من المزمور الثاني: << لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب في الباطل، قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه قائلين، لنقطع قيودهما ولنطرح عنا رباطهما << مزامير ٢ : ١-٢

(٣) ويشير إلى موضع في مرقس وعندما بحثت مكان إشارته وجدت مايلي: << فأجاب وقال لهم إن إيليا يأتي أولاً ويرد كل شيء وكيف هو مكتوب عن ابن الإنسان أن يتألم كثيراً ويرذل << مرقس ٩ : ١٢

ينتظرون مجيئه وخلاصه الروحي منهم سمعان وحنه << (١).

وقد قدم قاموس الكتاب المقدس عدة نصوص من العهد الجديد تحدثت عن موقف اليهود من السيد المسيح عليه السلام وبينت ذلك الموقف العدائي بكل وضوح، من ذلك رفضهم له أول بعثته وتدبير المكائد ضده، وبعد احتجازه أراد بيلاطس الحاكم الروماني آنذاك اطلاقه فرفضوا ذلك وطلبوا استبداله بـ (باراباس) اللص والسفاح المشهور في ذلك الحين! هذا ما ترويه نصوص الأناجيل، وعلى أي حال فنحن كمسلمين لانكر موقف اليهود العدائي من السيد المسيح عليه السلام، كما سنثبت ذلك فيما بعد من القرآن الكريم، بل كان موقفهم العدائي ذاك من جميع الأنبياء والرسل الذين قد بعثوا إليهم (٢).

وفيما يلي نعرض بعض النصوص من العهد الجديد والتي تحدثت عن موقف اليهود من السيد المسيح عليه السلام.

١ - رفض اليهود له عليه السلام:

<< وإلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله >> (٣).

ويقول مفسر إنجيل يوحنا في تفسير هذا النص:

(١) ويستشهد بنص من لوقا: << وكان رجل في أورشليم إسمه سمعان، وهذا الرجل كان باراً تقياً ينتظر تعزية إسرائيل والروح القدس كان عليه، وكان قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب >> لوقا ٢ : ٢٥-٢٦

(٢) يقول الله سبحانه وتعالى : {ولقد آتينا موسى الكتاب وبقينا من بعده بالرسول وءاتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون} البقرة : ٨٧

(٣) يوحنا ١ : ١١

>> إلى خاصته أي الأمة اليهودية دون عالم الوثنيين، وسميت اليهود خاصته لأن الله اختارها لنفسه، والمسيح هو الله (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً) فاختار أولاد إبراهيم وفداهم من أرض مصر وأعطاهم أرض كنعان والشريعة والعهد والأنبياء، وسكن بينهم وكانوا خاصته أيضاً لأن المسيح يهوه العهد القديم أعنى بهم وحفظهم في كل طرقهم وقصد بذلك اعدادهم لقبوله حين يأتي.

جاء : أي ظهر علانية، وخاصته لم تقبله: جاء فيما سبق أن الظلمة لم تدركه، أن العالم لم يعرفه، وزاد على ذلك هنا أن خاصته لم تقبله مع أن الله اعدّها لقبوله برموز ونبوءات وجعلها تتوقع مجيئه، فكان عليها أن تعرفه وتقبله عند مجيئه ولكن لما ظهر بينها رفضته بل صلبته، وعلّة رفضها إياه اعماء الخطية لعيونها وعدم رضاها مخلصاً وملكاً روحياً >> (١)

وهناك نص آخر من إنجيل لوقا: >> فقاموا وأخرجوه خارج المدينة وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنيةً عليه حتى يطرحوه إلى أسفل >> (٢).

ويقول مفسر إنجيل لوقا في تفسير هذا النص :

>> الناصره مبنية على سفح أكمة يحيط بتلك الأكمة أكامم أرفع منها، والذي يقصد الناصره اليوم وشاهد الأكمة التي بنيت عليها يحكم بأن أهلها صعدوا بيسوع إلى قمة تلك الأكمة، وهناك علو منها نحو ثلاثين أو أربعين قدماً فقصدوا أن يطرحوه من أحدهما إلى الحضيض فيميتوه، وكان قبل هذا من عوائد

(١) د. وليم إدي (الكتز الجليل في تفسير الإنجيل)، ج ٣، ص ١٤

(٢) لوقا ٤ : ٢٩

الرومانيين في إهلاك الناس، وكان اليهود يفعلون كذلك أحياناً، فمعاملة أهل الناصرة ليسوع مصداق لقول البشير إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله >> (١).

وهناك نص آخر من إنجيل لوقا :

>> ولكن ينبغي أولاً أن يتألم كثيراً ويرفض من هذا الجيل >> (٢).

ويقول مفسر إنجيل لوقا في تفسير هذا النص :

>> أنبأ بأنه يسبق مجيئه الثاني رفض الأمة اليهودية إياه وتألمه وقُصد بهذا الجيل الأمة اليهودية، وما ذكر هنا هو أعظم الحوادث المتعلقة بمجيئه الأول، واستعداد لمجد مجيئه الثاني لأنه قدم نفسه اختياراً للرفض والآلام إرادة فداء العالم >> (٣).

٢ - تدبير المكائد ضده عليه السلام.

يقول إنجيل متى في ذلك :

>> فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكي يهلكوه، فعلم يسوع وانصرف من هناك وتبعته جموع كثيرة فشفاهم جميعاً >> (٤).

ويقول مفسر إنجيل متى في تفسير هذا النص :

(١) انظر: د. وليم إدي (الكتز الجليل في تفسير الإنجيل)، ج ٢، ص ١٨٩

(٢) لوقا ١٧ : ٢٥

(٣) الكتز الجليل في تفسير الإنجيل، ج ٢، ص ٣١٦

(٤) متى ١٢ : ١٤-١٦

هذا أول نبأ في بشارة متى بأن الفريسيين^(١) عزموا بعد المؤامرة على قتل المسيح، وأما ما كان من أمر أهل الناصرة في أن يطرحوه من فوق الجبل فكان نتيجة هيجان الجمع على غير قصد، ولم يعزم الفريسيون على قتله إلا بعد أن عجزوا عن دفع حججه وهكذا ألوف من شهداء المسيح الأمانة أبكموا بالسجن والرجم والجلد والإحراق والإغراق وسائر أنواع القتل لا بالحجة والبرهان.

تساوروا : المرجح أن الاجتماع للتشاور لم يكن عاماً بل حصر في فريسي المدينة التي صنعت فيها المعجزة المذكورة، والذي حملهم على ذلك أسباب دينية وسياسية وشخصية وأعظمها حسدهم المسيح على رغبة الناس فيه، وما كان من أمر هؤلاء في مشاهدتهم المعجزة يدلنا على أن ليس للمعجزات من تأثير حسن في المشاهدين إذا كانوا من المتعصبين في آرائهم <<(٢).

وهناك نص آخر من إنجيل مرقس يقول فيه :

>> ثم دخل أيضاً إلى المجمع وكان هناك رجل يده يابسة، فصاروا

(١) الكلمة آرامية ومعناها المنعزل وهي إحدى فئات اليهود الرئيسية الثلاث التي كانت تناهض الفئتين الأخرين فئتي الصدوقيين. والاسينيين، وكانت أضيقتها رأياً وتعليماً، ويرجح ان يكون الفريسيون خلفاء الحسديين المتظاهرين بالتقوى، أما من حيث العقيدة فكانوا يقولون بالقدر ويجمعون بينه وبين إرادة الإنسان الحرة، وكانوا يؤمنون بخلود النفس وقيامه الجسد ووجود الأرواح، ومكافأة الإنسان ومعاقبته في الآخرة بحسب صلاح حياته الأرضية أو فسادها غير أنهم حصروا الصلاح في طاعة الناموس فجاءت ديانتهم ظاهرية وليست قلبية داخلية.

انظر: قاموس الكتاب المقدس، ط ٦، ص ٦٧٤ باختصار

(٢) انظر: الكثر الجليل في تفسير الإنجيل، ج ١، ص ١٨٨، ط بيروت ١٩٧٣م

يراقبونه هل يشفيه في السبت لكي يشتكوا عليه، فقال للرجل الذي له اليد اليابسة قم في الوسط، ثم قال لهم هل يحل في السبت فعل الخير أو فعل الشر تخليص نفس أو قتل فسكتوا، فنظر حوله إليهم بغضب حزيناً على غلاظة قلوبهم وقال للرجل مد يدك، فمدها فعادت يده صحيحة كالأخرى، فخرج الفريسيون للوقت مع اليهوديين وتشاؤروا عليه لكي يهلكوه» (١).

ويقول مفسر إنجيل مرقس لتفسير هذا النص مايلي:

« إن اليهوديين وافقوا الفريسيين في المؤامرة على المسيح، وبعض أنواع الغضب جائز وهو الغضب على الخطيئة إذا كان ممزوجاً بالحزن والشفقة على الخاطئ، فالمسيح لم يرد بغضبه أذى من غضب عليهم ولا الانتقام منهم. غلاظة قلوبهم : اظهروا تلك الغلاظة بعدم تأثرهم من البراهين القاطعة على صحة لاهوته وعدم شعورهم بتخطئة بعضهم إياه وقصدهم قتله وعدم انتباههم لدعوة المحبة وانذارات الدينونة، لكي يهلكوه: قصدوا ذلك لأن يسوع قدوس وهم خطاة ولأن قداسته كانت توبيخاً دائماً لهم على خطيئتهم ولأنه كشف الحجاب عن ريائهم، ولأنه علم ما ينافي تقاليدهم وبذلك تقص سلطانهم على الناس واعتبار الناس إياهم وأفحمهم قدام الشعب، ففضلوا قتل موبخهم على ترك آثامهم التي ومبخهم عليها، ووافق اليهوديون الفريسيين على قتله لغايات سياسية علاوة على حسدهم وتعصبهم الديني لأنهم أرادوا أن يكون هيروودس انتيباس أو غيره من العائلة الهيروودية ملكاً على اليهودية والسامرة بدلاً من بيلاطس الوالي، فخافوا أن دعوى المسيح الملك تمنعهم من نوال بغيتهم.

(١) مرقس ٣ : ١-٦

وكان الهيرودسيون أعداءً للفريسيين لأنهم صدقيون وأجازوا إعطاء الجزية لقيصر إرضاءً للرومانيين وحرّم الفريسيون ذلك، ومع ذلك إتفق الفريقان على المسيح لإمكان الإتفاق بين كذب وكذب آخر ولكن لا يمكن أن يكون إتفاق بين الحق والكذب لأنه ليس بينهما سوى الحرب الدائمة» (١).

ويضيف مفسر آخر لتفسير هذا النص :

« وهذا يبين المدى الذي قد يذهب إليه الفريسي في كراهيته، ففي الظروف الطبيعية كان يعامل الهيرودسيين على أنهم نجسون لا يحل له أن يتعامل معهم لأنهم خونة يعملون في بلاط ملك نجس، ولكن في سبيل تنفيذ مؤامرة ضد يسوع فإنه - أي الفريسي - يتفق مع هؤلاء النجسين ليساعده على ذلك، ما أفسى الكراهية التي تتوقف عند أي اعتبار مهما كان» (٢).

٣ - محاولة اليهود رجمه عليه السلام بالحجارة!!

ففي الإنجيل المنسوب إلى يوحنا :

« فتناول اليهود أيضاً حجارةً ليرجموه، أجابهم يسوع أعمالاً كثيرة حسنة أريبتكم من عند أبي بسبب أي عمل منها ترجموني، أجابه اليهود قائلين لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً، أجابهم يسوع أليس مكتوباً في ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة... فالذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف لأنني قلت إنني ابن الله» (٣).

(١) انظر : الكثر الجليل في تفسير الإنجيل، ط بيروت ١٩٧٣م، ص ٢٧ باختصار

(٢) انظر: وليم باركلي تفسير العهد الجديد (إنجيل مرقس)، ط دار الجليل، ص

(٣) يوحنا ١٠ : ٣١-٣٦

ويقول مفسر إنجيل يوحنا في تفسير هذا النص :

>> أرادوا رجمه لأنهم حسبوا أن كلامه تجديفاً، وأرادوا أن يعاقبوه بمقتضى الناموس، ولم يقدرُوا أن يجروا ذلك شرعاً لمنع الرومانيين لهم لكنهم قصدوا أن يفعلوه على سبيل الهياج والشغب والظاهر أن اجابته لهم اوقفتهم وقتاً عن رجمه إياه، وخلاصة قوله : انه لا يجوز العقل ولا الشرع أن ترجموا احداً قبل بيان ارتكابه الذنب الموجب لذلك.

وأنت إنسان : نعم لو كان المسيح إنساناً فقط لكان كلامه تجديفاً، واستحق أن يرمم بموجب شريعتهم ولكنه مع كونه إنساناً هو الله (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً) فكان يستحق الإيمان به والسجود له فما بقي في المسألة إلا أحد الأمرين وهو إما أن يعبدوا يسوع إلهاً وأما إن يرمموه مجدفاً^(١).

ويضيف مفسر الإنجيل المنسوب إلى يوحنا لتفسير هذا النص :
أنا قلت أنكم آلهة : هذه الآية السادسة من المزمور الثاني والثمانين والمتكلم هو الله قاضي القضاة والمخاطبون هم القضاة ودعاهم الله آلهة لأنهم رؤساء الشعب وممثلتهم أرفع من منزلة غيرهم من الناس وعليهم مسؤولية عظيمة في سياسة الشعب >>^(٢).

(١) المسيح عليه السلام كما هو معلوم لم يكن إلهاً فلا إله إلا الله تعالى، ولم يدع الألوهية وحاشاه أن يفعل ذلك أما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد المائدة : ١١٧
انظر: ص ٣٦٣ من هذا البحث وما بعدها.

(٢) انظر: الكثر الجليل في تفسير الإنجيل، ط بيروت ١٩٧٣م، ص ١٨٠ باختصار
وتصرف

٤ - التآمر ضده لاغتياله أو تسليمه للحكومة الرومانية:

ونستدل على ذلك بنص من الإنجيل المنسوب إلى متى.

« و لما أكمل يسوع هذه الأقوال كلها قال لتلاميذه، تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح وابن الإنسان يسلم ليصلب، حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذي يُدعى قيافا، وتشاوروا لكي يسكو يسوع بمكرٍ ويقتلوه، ولكنهم قالوا ليس في العيد لئلا يكون شغب في الشعب» (١).

ويقول مفسر إنجيل متى في تفسير هذا النص :

« هذه الأقوال كلها : أي ما تكلم به لتلاميذه على جبل الزيتون، وكان ذلك جواباً لسؤال أربعة منهم، والأقوال التي أكملها كانت من متعلقات ممارسته الوظيفية النبوية.

تعلمون : لم يتضح أن المسيح أراد مجرد علمهم وقوع عيد الفصح بعد يومين لكنه قصد أن يخبرهم بتسليمه إلى الموت، والفصح : أي عيد اليهود الأعظم، والفصح لفظة عبرانية معناها العبور.

الكتبة : حفظة الكتب المقدسة ومفسروها.

شيوخ الشعب : أي نوابه في المجلس الكبير، وكان الحبر الأعظم رئيسه.

دار رئيس الكهنة : أي الحبر الأعظم وكان من عادة أعضاء ذلك المجلس

أن يجتمعوا في إحدى ديار الهيكل لكن يجوز لهم الاجتماع في دار رئيس الكهنة.

(١) متى ٢٦ : ١-٥

قيافا : واسمه يوسف كما قال يوسيفوس المؤرخ.

وتشاوروا لكي يسكوه بمكر : لأنهم لم يجسروا أن يفعلوا ذلك علانية فانهم قصدوا قتل يسوع من وقت إقامته لعازر، والذي منعهم عنه قبلاً خوفهم من الشعب لأن كثيرين منهم حسبوه نبياً.

ليس في العيد : كذا قصدوا أولاً بناءً على معرفتهم كثرة المجتمعين في العيد لأنهم لم ينقصوا في بعض السنين ثلاثة ملايين، وعلمهم وقوة الجليليين بينهم الذين أخذ المسيح تلاميذ وأصدقاء كثيرين منهم << (١).

وهناك نص آخر من مرقس يدل على تأمرهم على إغتياله عليه السلام:

>> وكان الفصح وأيام الفطير بعد يومين، وكان رؤساء الكهنة والكتبة

يطلبون كيف يسكونه بمكرٍ ويقتلونه، ولكنهم قالوا ليس في العيد لئلا يكون شغب في الشعب << (٢).

ويقول مفسر هذا النص :

>> الأرجح أن ذلك الإجتماع كان مساء الثلاثاء أي في أول يوم

الأربعاء وذلك موافق لقول متى بعد يومين يكون الفصح، وقصدوا حينئذ أن

لايسكوه إلا بعد العيد خيفةً من ثورة تلاميذه وأتباعه إذا أمسكوه فيه، ولكن

خيانة يهوذا ثنتهم عن ذلك العزم إلى مسكه في العيد << (٣).

(١) انظر : الكتز الجليل في تفسير الإنجيل، ج ١، ص ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨ باختصار وتصرف.

(٢) مرقس ١٤ : ١-٢

(٣) انظر : الكتز الجليل في تفسير الإنجيل، ج ٢، ص ١٠٥

٥ - احتواء الأناجيل على نصوص تدل على مدى كراهية اليهود للمسيح عليه السلام لدرجة أن بيلاطس الحاكم الروماني أراد إطلاقه بعد القبض عليه لأنه لا يستحق العقاب في نظره فهو لم يخطئ، ولكن اليهود يرفضون ذلك بكل صراحة ويطلبون إطلاق باراباس اللص والسفاح بدلاً منه!!

وفيما يلي نص متى والذي يدل على هذا المعنى :

>> وكان الوالي معتاداً في العيد أن يطلق للجمع أسيراً واحداً من أرادوا، وكان لهم حينئذٍ أسير مشهور يسمى باراباس، ففيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس من تريدون أن أطلق لكم باراباس أم يسوع الذي يدعى المسيح، لأنه علم أنهم أسلموه حسداً، وإذ كان جالساً على كرسي الولاية أرسلت إليه امرأته قائلةً إياك وذاك البار، لأني تأملت اليوم كثيراً في حلم من أجله، ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على أن يطلبوا باراباس ويهلكوا يسوع، فأجاب الوالي وقال لهم مَنْ من الإثنين تريدون أن أطلق لكم، فقالوا باراباس، قال لهم بيلاطس فماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح، قال له الجميع ليصلب، فقال الوالي وأي شر عمل فكانوا يزدادون صراخاً قائلين ليصلب، فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً بل بالحري يحدث شغب أخذ ماءً وغسل يديه قدام الجميع قائلاً إني بريء من دم هذا البار، أبصروا أنتم، فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا، حينئذٍ أطلق لهم باراباس، وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب << (١).

ويقول مفسر إنجيل متى في تفسير هذا النص :

>> باراباس : أحد جماعة أثاروا فتنة على الرومانيين وقتلوا بعضهم، فكان هذا الإنسان مرتكباً فعلاً ما اتهموا به يسوع كذباً وكان فوق ذلك لصاً قاتلاً.
باراباس أم يسوع : علم بيلاطس أن رؤساء اليهود سلموا يسوع حسداً وأن العامة إعتبرته فتحول عن الرؤساء وسأل العامة آملاً أنهم يطلبون إطلاق يسوع فيتخلص من الحاح الرؤساء في طلب قتله.

وكان إختيار إطلاق الأسير للشعب لا للرؤساء فخاف الرؤساء أن يذهب كل جهدهم باطلاً ويخيب رجاؤهم إن اختار الشعب يسوع، فأسرعوا إلى خطاب الشعب واجتهدوا في أن يقنعوهم بأن يطلبوا إطلاق باراباس، ولعلمهم قالوا للشعب إن باراباس محب للوطن، وأن الرومانيين قبضوا عليه لأنه سعى في تحرير اليهود وحارب لأجل حقوقهم، وأن يسوع جليلي والجليليون مبغضون من أكثر اليهود.

فماذا فعل يسوع : في هذا السؤال تعجب وشئ من سؤال الشعب أن يعيدوا نظر الاختيار بين يسوع وباراباس، ولعله نتج عن أمله أن يطلبوا إطلاق الإثنين فيكون له حجة لمقاومة الرؤساء وإطلاق يسوع بلا خوف من أن يشكوه إلى الأمبراطور.

ليصلب : ولعل الذين ابتدأوا يصرخون قائلين ليُصلب يسوع الذي هو أقبح طرق العقاب أمران : الأول التشفي من البغض، والثاني: أن يجعلوا اسم المسيح مكروهاً إلى هذا الحد حتى لا يلتفت أحد إلى دعواه بعد.

فقال الوالي وأي شر عمل : هذا استفهام انكاري معناه أن يسوع لم يعمل

شراً.

ليصلب : وكان قصد بيلاطس أن يجيئوه ببيان ذنب يسوع ولكنهم أجابوه بتكرار قولهم ليصلب، وهذا نتيجة عجزهم عن تبين ذنب له وإقرار بأن لا ذنب عليه.

أخذ ماءً وغسل يديه : أتى هذا العمل كناية عن أنه برئ من كل ما يجرونه بعد ذلك على يسوع.

دمه علينا : أي إذا كان باراً ويعاقب أحد بموته فذلك علينا، فخاب قصد بيلاطس بانتقاد المسيح الواسطه لأن الشعب لم يخف أن يحمل كل مسؤولية موته طوعاً واختياراً.

وعلى أولادنا : أي العقاب الذي يترتب على قتل يسوع أن كان برياً نأخذه ميراثاً لأولادنا كما أخذنا نصيباً لنا >> (١).

وأكتفي بنقل نص آخر من إنجيل يوحنا لأن كل نصوص الأناجيل الأربعة تحمل نفس المعنى :

>> فقال له بيلاطس أفأنت إذاً ملك، أجاب يسوع أنت تقول أي ملك، لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق، كل من هو من الحق يسمع صوتي، قال له بيلاطس ما هو الحق، ولما قال هذا خرج أيضاً إلى اليهود وقال لهم أنا لست أجد فيه علة واحدة، ولكم عادة أن اطلق لكم واحد في الفصح أفتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود، فصرخوا أيضاً جميعهم قائلين ليس

(١) انظر: الكترول الجليل في تفسير الإنجيل، ج ١، ص ٥٠٠-٥٠٤ باختصار وتصرف

هذا بل باراباس، وكان باراباس لصاً >> (١).

ويقول مفسر إنجيل يوحنا لتفسير هذا النص :

>> أفأنت إذاً ملك : لا يخلو سؤاله من شيء من التعجب كأنه يتوقع أن يسوع ينكر أنه ملك (٢).

لهذا قد ولدت ولهذا قد أتيت إلى العالم : هذا شرح لقوله إنه ملك وبيان غاية إتيانه من السماء إلى الأرض وهي إقامة مملكة الحق وإعلان حق الله الأزلي للناس.

قال لهم أنا لست أجد فيه علة واحدة : كان على بيلاطس أن يطلق يسوع في الحال على موجب حكمه هذا ولم يفعل ذلك خوفاً من اليهود لئلا يشكوه لطيباريوس قيصر على ذنوب كثيرة كان قد ارتكبها في محاكماته لكنه حاول أن يرفع عن نفسه مسؤولية الحكم على يسوع.

والظاهر أن بيلاطس ظن الشعب يطلبون إطلاق يسوع إذا خيرهم بينه وبين باراباس، وترك لهم أن يحكموا بصلب أحدهما وإطلاق الآخر وقصد بذلك أن ينجو من ملامة الرؤساء، إذا اطلق يسوع بقوله إن الشعب أجيره.

وباراباس : كان قاتلاً فضلاً عن أنه لص، ولاريب في أن بيلاطس عجب من هذا الصراخ إذ كان يتوقع خلافه، فأظهروا أنهم أحبوا لصاً قاتلاً أكثر من يسوع المسيح البار >> (٣).

(١) يوحنا ١٨ : ٣٧ - ٤٠

(٢) هل المسيح عليه السلام ملك؟ ليس في كلامه ما يدل على ذلك

(٣) انظر: الكثر الجليل في تفسير الإنجيل، ج ٣، ص ٢٩٢، ٢٩٣ بتصرف واختصار

وكتب د. وليم باركلي في تفسيره للعهد الجديد، تحت عنوان (خطايا اليهود)

بعد نقله للنص السابق من إنجيل يوحنا مايلي:

« من أجل ذلك نحن أيضاً نشكر الله بلا إنقطاع لأنكم إذ تسلتم منا كلمة خير من الله قبلتموها لا كلمة أناس بل كما هي بالحقيقة كلمة الله التي تعمل أيضاً فيكم أنتم المؤمنين، فإنكم أيها الأخوة صرتم ممثلين بكنائس الله التي هي في اليهودية في المسيح يسوع لأنكم تألمتم أنتم أيضاً من أهل عشيرتكم تلك الآلام عينها كما هم أيضاً من اليهود الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن، وهم غير مرضين لله وأضداد لجميع الناس، يمنعوننا عن أن نكلم الأمم لكي يخلصوا حتى يتمموا خطاياهم كل حين، ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية» (١).

« ١ - إنهم قتلوا الرب يسوع والأنبياء، وعندما جاء رسل الله إليهم تخلصوا منهم بالطرد أو بالقتل، إن زعماء اليهود أرادوا أن يتخلصوا من يسوع المسيح قبل أن يتمادى في إلحاق الضرر بهم، ولكن ما من إنسان استطاع أن يوقف تأثير رساله بمجرد قتل المرسل.

٢ - إن اليهود اضطهدوا المسيحيين، ولو أنهم رفضوا رسالة الرب يسوع كانوا على الأقل يسمحون لغيرهم أن يصغي لها. ويقبلها، لكنهم لم يدخلوا ولم يدعوا الداخلين يدخلون» (٢).

(١) اتسالونيكي ٢ : ١٣ - ١٦

(٢) انظر: تفسير العهد الجديد الرسائل إلى (فيلي وكولوسي وتسالونيكي).

د. وليم باركلي، ترجمة القس جرجس هاييل، ط ٢، ص ٢٢٥، ٢٢٦

ويتحدث أحد الكتاب المسيحيين عن محاكمة اليهود ليسوع ويعلق على

ذلك بقوله :

>> أجل ! جلس حول قوس المحكمة قضاة يضمرون أعنف الحقد لرجل جعلوا منه متهماً وهو بريء، تحجرت ضمائرهم وألقت البغضاء على بصائرهم وشاحاً أسود، ونسوا أو تناسوا ما أمرهم به الله في كتابه وما نهاهم عنه، وتمغضوا بفكرة واحدة تسلطت على عقولهم: الموت ليسوع، ينبغي أن يحكموا بالموت على الناصري، إنه يقض عليهم مضاجعهم ويلقي على الناس مواعظ تدعوهم إلى المحبة والتسامح، إنه يحدث اليهود عن ملكوت ليس من هذا العالم، عن ملكوت الروح، ولو وقفت رسالته عند هذا الحد لهان الأمر، ولكنه ذهب إلى أبعد من ذلك، لقد دعا إلى محبة المبغضين ومباركة اللاعنين.. وراح سلطان رؤساء الكهنة والشيوخ والفريسيين يترجرج، لقد هزّ عروشهم بعظاته وعجائبه، أفبوسعهم بعد ذلك أن يتغاضوا عن أعماله؟ أيجلون الساحة لشاب فقير حقير (١) يصول فيها ويجول؟ أيتنازلون عن حقوق ورثوها وعن امتيازات جعلتهم يرفلون في أثواب المجد والغني؟ كلا ينبغي أن يحى هذا الشاب من الوجود. تلك كانت نفسية القضاة الذين اجتمعوا ليحاكموه باسم العدالة اليهودية << (٢).

(١) لا أدري كيف ينعت من يعتقد أنه إله بالحقارة حاشاه عليه السلام أن يكون كذلك، بل هو نبي كريم ومن أولي العزم من الرسل.

(٢) انظر: نصري سهلب (في خطى المسيح)، ط ٢، ص ٣٦١-٣٦٢

>> تلك كانت محاكمة يسوع ماساة مهزلة لعب الدور الرئيسي فيها زعيم الأمة اليهودية المؤمن على شريعة الله ووصاياه >> (١).

>> وفي تلك الأثناء كان زعماء الأمة اليهودية يحاكمون يسوع باسم العدالة اليهودية ويسومونه شتى أنواع العذاب، حتى انتهى بهم المطاف إلى إصدار حكم الموت عليه، وسرى الخبر حتى بلغ سمع يهوذا فأدرك هذا الأخير فظاعة جرمه، وضجت في أذنيه كلمات يسوع >> أبقلة تسلم ابن البشر >> فغدا كمن أصيب بمس من جنون... >> فمضى وخنق نفسه >>.

تلك كانت نهاية الاسرخيوطي، فقد أمله بغفران يسوع فخرس العالم ونفسه.

كان يهودياً بكل ما في هذا التعبير من معنى، وحاول أن يكون مسيحياً فأخفق في منتصف الطريق >> (٢).

ويقول أحد الكتاب المسيحيين تحت عنوان (اتهامات اليهود للمسيح) بعد أن نقل نصاً من الإنجيل المنسوب إلى يوحنا :

>> ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية، وكان صبح. ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية لكي لا يتنجسوا، فيأكلون الفصح، فخرج بيلاطس إليهم وقال : أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان؟ أجابوا : لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه إليك، فقال لهم بيلاطس : خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم فقال له اليهود : لا يجوز لنا ان نقتل أحداً، ليتم قول يسوع الذي قاله

(١) المرجع السابق، ص ٣٦٤

(٢) المرجع السابق، ص ٣٦٥

مشيراً إلى أية ميته كان مزماً أن يموت >> (١).

>> كانت الجريمة الأولى التي نسبها شيوخ اليهود للمسيح هي أنه يفسد الأمة، أي يثير فتنة سياسية ضد الحكومة. لكن لو صدق هذا القول لكان بيلاطس قد عرف هذا بواسطة جواسيسه دون تدخل الرؤساء الذين لا تسيئهم الفتنة ضد الحكومة.

وكانت الجريمة الثانية : أن المسيح يمنع أن تعطى جزية لقيصر. وهذا ما حاولوا أن يجعلوا المسيح أن يقوله، لكنه رفض وقال : >> أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله >>

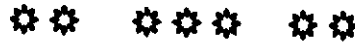
وأما الشكاية الثالثة فكانت أنه يقول إنه هو مسيح ملك. وهذا أيضاً كذب، فليس في هذه التهمة أيضاً ما يؤثر على الوالي، لأنه يعلم جيداً أن هؤلاء اليهود يفتخرون بكل من يقاوم الحكم الروماني، فلا يمكن أن يسلموا يهودياً للقتل بهذه التهمة لو كانت صحيحة.

فأجابهم الوالي بنفور وتحقير وتهكم : >> خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم >> مع أنه لاعلاقة بين الجرائم التي ذكروها وبين ناموسهم، وكأنه يقول لهم : لا تستطيعون أن تفعلوا ما تشاؤون بدوني، وأنا لا أخضع لمطالبكم بدون فحص، فاضطر الرؤساء إلى التذلل لينالوا مرامهم، فقالوا : لا يجوز لنا أن نقتل أحداً >> (٢).

(١) يوحنا ١٨ : ٢٨ - ٣٢

(٢) انظر : سيرة المسيح لجورج فورد، ص ٤٨٤-٤٨٥

من النصوص السابقة يتضح موقف اليهود من المسيح عليه السلام ومدى كراهيتهم له كما حدث ذلك لجميع الأنبياء والرسل المبعوثين إليهم - وكما نوهنا - وقد تبين في الشعبة الأولى بشكل قاطع موقفهم العدائي منه عليه السلام وذلك من كتبهم ومؤلفاتهم ودوائر معارفهم، كما تبين لنا في الشعبة الثانية موقفهم العدائي منه من خلال نصوص العهد الجديد والمقدس لدى النصارى. ومن خلال ما كتبه مؤلفوهم وكتابهم ومفسروا الإنجيل.



المبحث الثالث

موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال آيات الذكر الحكيم.

لا يخفى على القارئ الكريم أن القرآن الكريم تحدث عن السيد المسيح عليه السلام حديثاً شيقاً وممتعاً وقد دافع عنه وبين اصطفاء الله له نبياً من أنبيائه تعالى ومن أولي العزم من الرسل، ووضح الموقف الصحيح والذي يجب أن يتخذ منه عليه السلام فلا إفراط كما فعل النصارى بتأليهه أو جعله جزءاً من الثالوث الإله (الآب والإبن وروح القدس) ولاتفريط كما فعل اليهود باتهامهم له - قاتلهم الله - بأبشع الاتهامات المشينه، وقذفهم إياه بأبشع القذائف هو وأمه الطاهره مريم البتول^(١) عليهما السلام.

وآيات الذكر الحكيم تحدثت عن الموقف العدائي، والذي اتخذته اليهود تجاه نبي الله عيسى عليه السلام وذلك منذ مولده وبعثه عليه السلام، ويتضح ذلك كما يلي:

أ - موقفهم منذ ولادته، وقد كانت ولادته إرهاباً^(٢) لنبوته حيث أنه عليه السلام ولد من غير أب فاتهمت عليها السلام بفعل الفاحشة، وقد دافع القرآن الكريم عنها وعن ابنها وبين حقيقتها الناصعه بآيات بينات كريمات.

(١) كما وضعنا ذلك في الفصل الأول من هذا البحث واستدلنا بنصوص من التلمود.

انظر: ص ١٥-١٦ من هذا البحث.

(٢) الإرهاب: هو أمر خارق للعادة يظهر للنبي قبل إدعائه النبوه تمهيداً لدعواه.

قال تعالى :

{ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً، قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً، قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً، قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً، قال كذلك قال ربك هو عليّ هين ولنجعله آية للناس ورحمةً منا وكان أمراً مقضياً، فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً، فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً، فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً، وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً، فكلي واشربي وقري عيناً فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً، فأنت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً، يا أخت هارون ما كان أبوك إمراً سوء وما كانت أمك بغياً، فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً، قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً، وبرأ بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً، والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً } (١).

والشاهد في هذه الآيات الكريمات قوله تعالى : { فأنت به قومها تحمله

قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً }.

>> يقال : إنها عليها السلام لما ولدته ذهب الشيطان فأخبر بني إسرائيل

أن مريم قد ولدت، فأقبلوا يشتمون فدعوا فأنت به قومها تحمله وقوله قالوا

يامريم لقد جئت شيئاً فريباً، أي لما رأوا مريم ورأوا معها الولد الذي ولدته قالوا لها يامريم لقد جئت بأمر عجيب، وقيل: لما رأوها ورأوه معها قالوا يامريم لقد جئت شيئاً فريباً أي الفاحشة >> (١) أي مع أنها عليها السلام كانت قد وصفت بالتقى والصلاح والعفاف والطهر، وهي قبل ولادتها قد وُهبِت من قبل أمها - امرأة عمران - (٢) إلى بيت المقدس للخدمة فيه، وكذلك فهي من آل بيت أتقياء وأطهار، ومع ذلك كله نجد أن اليهود قد اتهموها وقذفوها بالفاحشة، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

ب - عندما دعاهم عليه السلام إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد شأن جميع الأنبياء من نون آدم ونوح إلى نبينا محمد (٣) عليهم الصلاة والسلام أنكروا عليه ذلك بل كذبوه واتهموه بأنه ساحر مبین. قال تعالى :

{ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون

(١) انظر : جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، ج ١٦، ص ٥٨

(٢) لقوله تعالى : { إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم، فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنتى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم } آل عمران : سورة ٣٥ - ٣٦

(٣) لقوله تعالى : { وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون } الأنبياء : ٢٥

طيراً بإذني وتبرئ الأكمه، والأبرص بإذني وإذ تخرج الموقى بإذني وإذ كفت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحرٌ مبين {١}

وقوله تعالى :

{ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين {٢}

والشاهد في الآية الكريمة الأولى، قوله تعالى :

{ فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحرٌ مبين }

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره :

>> أي : واذكر نعمتي عليك في كفى إياهم عنك حين جئتهم بالبراهين والحجج القاطعة على نبؤتك ورسالتك من الله إليهم فكذبوك واتهموك بأنك ساحر، وسعوا في قتلك وصلبك، فنجيتك منهم ورفعتك إلى وطهرتك من دنسهم وكفيتك شرهم، وهذا يدل على أن هذا الامتنان واقعاً يوم القيامة وغير عنه بصيغة الماضي دلالة على وقوعه لاحالة، وهذا سر من أسرار الغيوب التي أطلع الله عليها نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم >> {٣}

(١) سورة المائدة : آية ١١٠

(٢) سورة الصف : آية ٦

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٢، ط دار المعرفه، ص ١١٥

والشاهد في الآية الكريمة الثانية قوله تعالى :

{ فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين }

>> وقرئ هذا ساحر مبين، وأي الناس أشد ظلماً ممن يدعو ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذي له فيه سعادة الدارين، فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق هذا سحر لأن السحر كذب وتويه >> (١).

والظاهر - والله أعلم - أن اليهود عندما جاءهم عيسى عليه السلام بالبينات الباهرات من المعجزات كخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله، وحيائه الموقى، وإبرائه الأكمه والأبرص، كل ذلك بأمر الله وبإذنه تعالى، ومع أن اليهود - قاتلهم الله - يعلمون تمام العلم صدقه عليه السلام وحقيقة معجزاته تلك، وأن هناك فرقا بين السحر وهذه المعجزات لأن المعجزة: أمر خارق للعادة يظهر على يدي مدعي النبوة تأييداً له في دعواه، فالمعجزات حقائق ظاهره وبينه، أما السحر فوجوده حقيقة ولكنه تخيل وكذب في حقيقته كما قال تعالى: { فإذا جبالهم وعصبيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى } (٢).

فالسحرة يسحرون أعين الناس، أما حقيقة الأشياء فهي كما هي لا تتبدل ولا تتغير، ومع ذلك أخذ اليهود يوهمون العوام منهم أن ما جاء به المسيح عيسى عليه السلام ليس إلا سحراً، وذلك كما فعل كفار قريش مع نبينا

(١) انظر : الكشاف للزحشري، ط دار المعرفة، ج ٤، ص ٩٩

(٢) سورة طه : آية ٦٦

محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: { وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر } (١)، وكما فعل فرعون وقومه مع نبي الله موسى عليه السلام كما قال تعالى: { ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين، فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين } (٢).

ج - ينص القرآن الكريم على أن اليهود لا يكتفيهم تكذيب الأنبياء بل إنهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون!!، ومن ضمن الذين قد تورطوا بدمائهم على حسب اعتقادهم واعتقاد إخوانهم النصارى المسيح عليه السلام وقد نجاه الله سبحانه وتعالى من عبثهم كما هو ثابت في القرآن الكريم (٣) وكونهم قاموا بالوشاية وإرشاد جنود الرومان على مكانه للقبض عليه، ومطالبتهم بقتله صلباً كما هو ثابت لديهم (٤) فهذا وحده يكفي في إثبات تورطهم في دمه.

يقول جلّ ذكره في سورة البقرة :

{ ولقد آتينا موسى الكتاب وقيننا من بعده بالرسول وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم

(١) سورة القمر : آية ٢

(٢) سورة يونس : آية ٧٥ - ٧٦

(٣) لقوله تعالى: { وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم.. } النساء : ١٥٧

(٤) انظر ص ٢٢٢ من هذا البحث.

استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون { (١).

والشاهد من الآية الكريمة : { فريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون }

>> فقد كانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء أسوأ المعاملة ففريقاً يكذبونه، وفريقاً يقتلون، وما ذاك إلا لأنهم يأتونهم بالأموار المخالفة لأهوائهم وآرائهم وباللزام بأحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها، فلهذا كان ذلك يشق عليهم فكذبوهم، وربما قتلوا بعضهم.

وإنما لم يقل وفريقاً قتلتم لأنه أراد بذلك وصفهم في المستقبل أيضاً لأنهم حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم بالسم والسحر >> (٢) وفي حديث السيدة عائشة: >> كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بجير فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم >> (٣).

(١) سورة البقرة : آية ٨٧

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ج١، ط دار المعرفة، ص ١٢٢ - ١٢٣

(٣) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٨، ص ١٣١ رواه البخاري، تعليقا في كتاب المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، ووصله الزار والحاكم والإسماعيلي.

وقد رواه الدارمي في المقدمة باب ما أكرم به نبيه صلى الله عليه وسلم من كلام الموقى رقم الحديث ٦٨

رواه أحمد في المسند، ج٦، ص ١٨ من حديث زوجة عبدالله بن كعب بن مالك عن أم مبشر.

رواه أبو داود مرسلأً ووصله البيهقي في دلائل النبوه من حديث أبي هريره.

د - وينص القرآن الكريم على أن اليهود كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، بمعنى أنه إذا فعل فريق منهم المنكر - وهو ما نهى الله عنه - لا يقاتله بل ولا ينهاه الفريق الآخر عن ترك ذلك المنكر، وكذلك كان اليهود يتخذون الذين كفروا أولياء من دون المؤمنين، لذلك لعنهم الله تعالى على لسان داود وعيسى ابن مريم عليهما السلام.

قال جلّ ذكره في محكم آياته :

{ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون، ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون } (١).

والشاهد في هذه الآيات الكريمات قوله تعالى :

{ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم } إذاً يتضح هنا موقفهم من المسيح عليه السلام فقد كان موقفاً قبيحاً ومشيناً وهو مخالفتهم وعصيانهم لأوامر الله التي بعث بها، لذلك فقد وجب عليهم اللعن وهو الطرد من رحمة الله على لسان داود وعيسى ابن مريم ولكونهم لا يتناهون عن منكر فعلوه، وكونهم يتولون الذين كفروا من دون المؤمنين.

>> ويجيز الله تعالى أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل فيما أنزله على داود نبيه عليه السلام وعلى لسان عيسى ابن مريم بسبب عصيانهم لله

واعتدائهم على خلقه، قال العوفي عن ابن عباس لعنوا في التوراة والإنجيل وفي الزبور وفي الفرقان، ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم. فقال تعالى : { كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون } أي كان لا ينهى أحد منهم أحداً عن ارتكاب المآثم والمحارم ثم ذمهم على ذلك ليحذر أن يرتكب مثل الذي ارتكبه فقال لبئس ما كانوا يفعلون << (١).

>> وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا شريك بن عبد الله عن علي بن بذيمة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسهم في مجالسهم، قال يزيد وأحسبه قال في أسواقهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم << (٢).



(١) انظر : تفسير ابن كثير، ط دار المعرفة، ج ٢، ص ٨٢

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند، ج ١، ص ٣٩١

رواه أبو داود في كتاب الملاحم باب الأمر والنهي رقم الحديث ٤٣٣٦
رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، الباب ٤٨ تفسير سورة المائدة رقم
٣٥٠ وحسنه.

رواه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف رقم ٤٠٠٦
رواه الطبري في تفسيره، ج ١٠، ص ٤٩١، ٤٩٣

الباب الثاني المسيح وأمه عليهما السلام عند المسيحيين

ويشتمل على ثلاثة فصول :

✻ الفصل الأول :

مريم عليها السلام في العهد الجديد.

✻ الفصل الثاني :

المسيح عليه السلام : حياته ودعوته كما

يصورها العهد الجديد

✻ الفصل الثالث :

المسيح عليه السلام في نظر الفرق المسيحية.

الفصل الأول

مريم عليها السلام في العهد الجديد

ويشتمل على سبعة مباحث :

- * المبحث الأول : معنى لفظ مريم والعذراء.
- * المبحث الثاني : خطبة يوسف النجار لمريم عليها السلام.
- * المبحث الثالث : بشرى الملاك للسيدة مريم وقصة وضعها لابنها المسيح عليهما السلام.
- * المبحث الرابع : رحلة السيدة مريم عليها السلام إلى مصر.
- * المبحث الخامس : السيدة مريم عليها السلام في العقيدة الكاثوليكية والأرثوذكسية
- * المبحث السادس : السيدة مريم عليها السلام في العقيدة البروتستانتية.
- * المبحث السابع : السيدة مريم عليها السلام في أيامها الأخيرة.

الفصل الأول

مريم عليها السلام في العهد الجديد

لكي نتحدث عن موقف النصارى من المسيح عليه السلام لابد أولاً من الحديث عن موقفهم من أمه السيدة مريم عليها السلام كمقدمة تمهيدية لابد منها للحديث عن موقفهم منه عليه السلام. وعند الحديث عن مريم عليها السلام في العهد الجديد يندرج تحت ذلك عدة مسائل وهي كما يلي:

المبحث الأول

معنى لفظ مريم ، والعذراء .

يقول قاموس الكتاب المقدس أن «مريم اسم عبري معناه عصيان» (١) ويقول أحد الكتاب المسيحيين في تفسير كلمة العذراء «إن كلمة العذراء في اللغة العربية هي فتاة لم يمسهها بشر ولكن حين تدخل عليها "أل التعريف" فيقال العذراء فإنما يقصد بها "مريم" ابنة الحبر الجليل "يواكيم" وزوجته حنه أو عمران وحنه. وتأتي كلمة عذراء بالعبرية بنطقين :

— النطق الأول بتولا *Betula*

— والنطق الثاني ألما *Alma*

وتعريف كلمة *Betula* بالعبرية أو باريثنوس *Parthenos* باليونانية فتاة عذراء لم تعرف رجلاً، أما كلمة ألما *Alma* فتعني فتاة عذراء ناضجة كاملة الأنوثة

(١) لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ص ٨٥٦

لم تنجب أطفالاً ولكن يحتمل أن تكون مخطوبه >> (١).

المبحث الثاني

خطبة يوسف النجار لمريم عليها السلام.

علمت - بعد البحث - أن الكتاب المقدس بما فيه العهد الجديد لم يتحدث ولم يشير إلى نشأة السيدة مريم أم المسيح عليها السلام ولا إلى عائلتها ووضعهم الاجتماعي وما إلى ذلك بل أهمل ذلك إهمالاً تاماً.

ويقول أحد الكتاب المسيحيين >> يوم ولدت مريم كان والداها يواكيم وحنة قد بلغا من العمر عتياً وماتا وهي في عمر الزنقة فنشأت يتيمة الأب والأم وعاشت في عصمة الله تستمد من السماء عطقاً وحناناً >> (٢).

>> ومنذ حادثة مريم عقدت خطبتها على مواطن لها يدعى يوسف ينتسب مثلها إلى سبط يهوذا وسبط داود الملك، ولم يكن يوسف سوى رجل جمع التقوى والفقر معاً، ومارس أعمال التجارة ليعيش من ريعها الضئيل، وكان زاهداً إلى أبعد حد، مستسلماً لمشيئة الله لا ينبس ببنت شفة ولو رزح تحت وطأة الألم. وللخطبة في الشرع اليهودي تقاليد لا تختلف عن تقاليد الزواج في عصرنا الحاضر إلا أن الخطيبه - أو الزوجة - ما كانت لتنقل إلى بيت الزوجيه إلا بعد فترة

(١) يوسف حلمي المصري (مريم في الإنجيل والقرآن)، الناشر: دار الهلال للطباعة، ص ٤٧

(٢) الأستاذ يوسف حلمي المصري (مريم في الإنجيل والقرآن)، ص ٢٣، ولم يشير إلى المصدر الذي نقل عنه ولا إلى أي نقطة من الكتاب المقدس!

من الزمن تقضيها في كنف ذويها - وقد تكون لمدة عام واحد قبل الزواج - ذاك كان وضع مريم عندما اصطفاها الله، وكذلك أعد يوسف هو أيضاً منذ الأزل لاروع المهمات وأقدسها، فبتولة مريم كانت أمانة في عنقه كما كان يسوع وديعة بين يديه << (١).

وفي الإنجيل المنسوب إلى لوقا ما يلي:

<< وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصره، إلى عذراء مخطوبة لرجلٍ من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم >> (٢)

ويقول مفسر الإنجيل :

<< وولد المسيح من امرأة لكي يشترك في الطبيعة البشرية، وولد من عذراء لكي يكون ممتازاً على غيره من الناس بولادته كما يليق بمقامه، ولكي لا يكون شريكاً في طبيعة آدم الخاطئة كما وجب أن يكون لو وُلد ولادة طبيعية، وولد من مخطوبة دفعاً للاوهام (٣) وحفظاً لشرفها ولكي يكون لها من يعتني بها >> (٤).

(١) المرجع السابق، ص ٢٦،

أيضاً انظر : قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٥٦

(٢) ٢٦ : ١ - ٢٧

(٣) السيدة مريم عندما ولدت المسيح عليهما السلام لم تكن متزوجة، وكونها

مخطوبة لا ينفي عنها التهمة بقدر تيرئة الله تعالى لها كما ورد في القرآن الكريم

والغريب ان الأناجيل والعهد الجديد عموماً أهمل حديث المسيح في المهد

إهمالاً تاماً { ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين } آل عمران : ٤٦

{ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أينما كنت

وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً، وبراً بوالدي ولم يجعلني جباراً شقياً،

والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً } مريم : ٣٣-٣٠

(٤) انظر: الكتر الجليل في تفسير الإنجيل، د. وليم إدي، ج ٢، ص ١٤٥

ويقول مفسر آخر :

>> في الشهر السادس أي من وقت الإعلان الذي أعلن به زكريا بولادة يوحنا المعمدان، وها هو جبرائيل يعود بعد هذه المدة ليعلن لمريم العذراء تلك الأخبار المفرحة، وهنا نرى الله يتم مقاصده الأزلية بترتيب وإتقان، بخلاف الإنسان الذي يتعب في ضبط أعماله، كأن عنايته قد هيأ العذراء المغبوطة بالنعمة، فكانت الحالة مناسبة لتنفيذ مقاصد الله بواسطتها لم تكن مثل أية عذراء تعيش عيشة غير لائقة، بل صالحة لتنفيذ مقاصد الله، كان لابد أن تكون تقية ومتواضعة خاضعة لله، وقد كانت مخطوبة لرجل ولاشك أن هذا الوضع قد هيأه الرب لكي تكون وهي حبل تحت اسم يوسف، فلا تحسب زانية وتستحق الرجم حسب شريعة موسى!! >> (١)

المبحث الثالث

بشرى الملاك للسيدة مريم وقصة وضعها لابنها المسيح عليهما السلام.

وقصة حمل السيدة مريم بالمسيح عليهما السلام في الأناجيل تشبه إلى حد كبير ما ورد في القرآن الكريم (٢) من حيث أن الملاك جبرائيل قد بشرها بأنها ستحبل بالمسيح عليهما السلام ثم تعجبت لذلك لأنها عذراء ولم تكن قد تزوجت، ثم حملت بأمر الله تعالى وكلمته لأن الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

(١) تفسير إنجيل لوقا، جمع وتقديم / هلال أمين موسى، ص ٢٠

(٢) { إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين، ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين، قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون } آل عمران : ٤٥-٤٧

ففي إنجيل لوقا :

>> فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها الرب معك، مباركة أنت في النساء، فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية، فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله، وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع، هذا يكون عظيماً وإبن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية. فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً، فأجاب الملاك وقال لها، الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى إبن الله، وهوذا إيصابات نسيبتك هي أيضاً حبلى بإبن في شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً، لأنه ليس شئ غير ممكن لدى الله، فقالت مريم هوذا أنا أمة الرب ليكن لي كقولك، فمضى من عندها الملاك >> (١).

ويقول شارح الإنجيل :

>> إن مجيء الملاك إلى مريم لم يكن نتيجة اختبارات خاصة أو صلوات خاصة كما في حالة زكريا، بل نتيجة فيضان نعمة الله، اتجاه السماء نحو الأرض من أجل فرح الإنسان، وهي ليست نعمة وقتية أو بسبب ظروف متغيره بالنسبة للإنسان، بل الله نفسه ينتجه للإنسان في نعمة سامية تعلو فوق كل شئ، وتسمو فوق أفكار الإنسان كسمو السماء على الأرض، ولم تكن مريم كزكريا لها تفكير في الذات، الأمر الذي

قاده إلى عدم الإيمان^(١)!! وإذ لم يكن لها تفكير في الذات على الإطلاق سلمت نفسها لله لكي تصبح الإناء الذي يعمل به الله بحسب أفكار نعمته الفائضة، ولذلك نراها تقول << هوذا أنا أمة الرب ليكن لي قولك >> وتقول لها اليصابات << فطوبى للتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب >>^(٢).

أما عن قصة وضع السيدة مريم لابنها المسيح عليهما السلام كما وردت في الأناجيل، فيروي إنجيل لوقا أن السيدة مريم ذهبت إلى بيت لحم وهي حبلى بصحبة يوسف، وذلك لكي يكتبوا في مدينتهم حسب أوامر أوغسطس قيصر، فولدت ابنها البكر وقمطته واضجعتة في المذود، فقام الملاك بتبشير الرعاة الذين كانوا يجرسون في تلك الليلة بأنه قد ولد لهم المخلص وهو المسيح، وعلامة ذلك أنهم سيجدونه مضجعا في مذود للبقر، بعد ذلك ظهرت مجموعة من الملائكة يسبحون الله ويمجدونه لذلك الحدث.

وفيما يلي نص إنجيل لوقا:

<< وفي تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتب كل المسكونه وهذا الأكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والي سورية، فذهب الجميع ليكتبوا كل واحد إلى مدينته، فصعد يوسف - أيضا - من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية

(١) حاشاه عليه السلام وهو نبي من أنبياء الله أن يكون عديم الإيمان وهذه الجملة لا يجوز أن تُنقال في حق رجل تقى صالح على أن تقال في حق نبي من أنبياء الله تعالى، قال تعالى: أوزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين { الأنعام : ٨٥

(٢) انظر : تفسير إنجيل لوقا (هلال أمين موسى)، ص ٢١-٢٢

إلى مدينة داود التي تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى، وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد، فولدت إبنها البكر وقمطته وأضجعتة في المذود إذ لم يكن لهما موضع في المنزل.

وكان في تلك الكوره رعاة مبتدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم، وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم فخافوا خوفاً عظيماً، فقال لهم الملاك لا تخافوا فيها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب، أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب، وهذه العلامة تجدون طفلاً مقمطاً مضجعاً في مذود، وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين، المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسره.

ولما مضت عنهم الملائكة إلى السماء قال الرجال الرعاة بعضهم لبعض لنذهب الآن إلى بيت لحم وننظر هذا الأمر الواقع الذي أعلمنا به الرب، فجاءوا مسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضجاً في المذود، فلما رأوه أخبروا بالكلام الذي قيل لهم عن هذا الصبي، وكل الذين سمعوا تعجبوا مما قيل لهم من الرعاة، وأما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به في قلبها، ثم رجع الرعاة وهم يجدون الله ويسبحونه على كل ما سمعوه ورأوه كما قيل لهم << (١).

ويقول مفسر إنجيل لوقا :

<< وكان من عوائد الرومانيين أن تكتتب النساء كالرجال إجباراً وإلا فما اضطرت مريم أن تذهب إلى بيت لحم مسافة أربعة أيام وهي على تلك الحال،

(١) لوقا ٢: ١ - ٢٠

وقضى الله ذلك لاتمام مقاصده، ولكي لا يولد المسيح في الناصره حيث سكنت مريم بل ليولد في بيت لحم حسب النبوءة^(١) وذهب مريم مع يوسف إلى بيت لحم للإكتتاب أحد الأدله على أنها من نسل داود.

ولنا من هذا انه اتفق اوغسطس وهيرودس وكيرينوس على إتمام مقاصد الله ونبوات العهد القديم المتعلقة بالمسيح وذلك بدون أن يقصد أحد منهم سوى اجراء إرادته، ولم يخطر على بالهم أن يكونوا آلات لتأسيس مملكة تدوم بعد اضمحلال المملكة الرومانية وملاشاة عبادتها الوثنية.

ولاشيء في كلام لوقا من الأدله القاطعه على تعيين الشهر الذي ولد فيه المسيح إلا انه كان فصلاً من السنة يمكن للرعاة فيه أن يجرسوا غنمهم في البرية ليلاً، ولما ذهب المسيح إلى يوحنا ليعتمد منه كان ذلك اليوم أول السنة الثلاثين من ميلاد المسيح وهو وفق اليوم الذي ولد فيه <<(٢)>>

وينكر المؤرخ الأمريكي <<ول ديورانت >>^(٣) أن يكون مولد المسيح في كهف أو في مذود للدواب كما ينكر سجدود الرعاة له وعبادتهم إياه ويعتبر ذلك سخفاً يقول في ذلك:

-
- (١) ويشير إلى متى ٥ : ٢ وبحث مكان إشارته فوجدت مايلي:
<<أما أنت يا بيت لحم أفراة (هكذا كتب) وأنت صغيرة ان تكوني بين الوف يهوذا فمناك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل >> ميخا ٥: ٢
- (٢) د. وليم إدي (تفسير الإنجيل)، ج ٢، ص ١٦١-١٦٢
- (٣) لترجمته انظر: هامش ص ٢٨ من هذا البحث.

>> وتأتي شخصية مريم في القصة بعد شخصية ولدها في الروعة والتأثير: فهي تُربيه وتتحمل مسرات الأمومة المؤلمة، وتفخر بعلمه في أيام شبابه، وتدهش فيما بعد من تعاليمه، وترغب في أن تبعده عن جمع أتباعه المثيرين، وأن تعيده إلى بيته الهادئ الشافي، وشاهدته وهو يصلب، وعجزت عن إنقاذه، ثم تلقت جسده بين ذراعيها، فإذا لم يكن هذا تاريخاً فهو الأدب السامي، لأن صلاة الآباء والأبناء تؤلف مسرحيات أعمق مما تؤلفه عاطفة الحب الجنسي، أما القصص التي أذيعت فيما بعد عن مريم وجندي روماني، فالنقاد مجمعون على أنها افتراء سخيف، وأقل من هذا سخفاً تلك القصص التي تذكر أكثر ما تذكر في الأسفار المحذوفة عن مولد المسيح في كهف أو اصطبل، وعن سجود الرعاة والمجوس له وعبادتهم إياه، وعن مذبحه الأبرياء، والفرار إلى مصر، وإن كان العقل الناضج لا يرى ضيراً في هذا الشعر الشعبي، ولا يذكر بولس ويوحنا شيئاً عن مولده من عذراء، وأما متى ولوقا اللذان يذكرانه فيرجعان نسب يسوع إلى داود عن طريق يوسف، بسلاسل أنساب متعارضه ويلوح أن الاعتقاد في مولد المسيح من عذراء قد نشأ في عصر متأخر عن الاعتقاد بأنه من نسل داود << (١).

المبحث الرابع

رحلة السيدة مريم عليها السلام إلى مصر

ويتحدث الإنجيل المنسوب إلى متى عن رحلة السيدة مريم وابنها بصحبة يوسف النجار إلى مصر وظهور الملاك ليوسف في حلم يأمره بأن يأخذ الصبي وأمه

(١) انظر: قصة الحضارة (قيصر والمسيح)، ترجمة / محمد بدران، ط ٣، ص

ويهرب بهم إلى مصر لأن الأمبراطور هيرودس قد نوى على قتل الصبي، فقام يوسف بتنفيذ الأمر فأخذهما إلى مصر حتى وفاة هيرودس.

وفيما يلي نص إنجيل متى :

>> حينئذ دعا هيرودس المجوس^(١) سراً وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر، ثم أرسلهم إلى بيت لحم وقال اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي، ومتى وجدتموه فأخبروني لكي آتي أنا أيضاً وأسجد له، فلما سمعوا من الملك ذهبوا وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي، فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً، وأتوا إلى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمه فخرؤا وسجدوا له^(٢) ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهباً ولباناً ومرأ، ثم إذ أوحى إليهم في حلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس انصرفوا في طريق أخرى إلى كورثتهم.

وبعدما انصرفوا إذ ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلاً قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك، لأن هيرودس مزعم

(١) المجوس : كلمة فارسية تعني كهنة، وقد عبدوا العناصر الأربعة: النار، والماء، والتراب، والهواء، ولكن جل عبادتهم انحصرت في النار، وكانوا لا يدفنون موتاهم بل يضعونهم على سطوح المنازل فتأتي جوارح الطير وتأكل لحومها، وكانوا علماء الأمة الفارسية

انظر: قاموس الكتاب المقدس، ط ٦، ص ٨٤٢

(٢) كيف يعظم المسيح ويسجد له جماعة من المجوس عباد النار، هكذا دون أي سبب يذكر؟، ومن أين جاءهم نبأه؟ ومن دعاهم إليه؟ كل هذه وغيرها استفهامات ترسم في الذهن لا يجد لها القارئ جواباً بين نصوص الأناجيل!!

أن يطلب الصبي ليهلكه، فقام وأخذ الصبي وأمه ليلاً وانصرف إلى مصر، وكان هناك إلى وفاة هيرودس، لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل من مصر دعوت ابني. حينئذ لما رأى هيرودس أن المجوس سخروا به غضب جداً فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذي تحققه المجوس، حينئذ تم ما قيل بإرمياء النبي القائل، صوت سمع في الرامه نوح وبكاء وعويل كثير، راحيل تبكي على أولادها ولا تريد أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين.

فلما مات هيرودس إذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر، قائلاً قم وخذ الصبي وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل، لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي، فقام وأخذ الصبي وأمه وجاء إلى أرض إسرائيل، ولكن لما سمع أن أرخيلوس يملك على اليهوديه عوضاً عن هيرودس أبيه خاف أن يذهب إلى هناك وإذا أوحى إليه في حلم انصرف إلى نواحي الجليل، وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصره لكي يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصرياً >> (١)

ويعلم مفسروا الأناجيل أمر ملاك الرب الذي ظهر ليوسف في حلم بالهرب إلى مصر بالذات قالوا: >> لأنها قريبة إليهم، فلا تزيد المسافة إلى تخومها على ثلاثة أيام أي نحو ستين ميلاً، ولأنها لم تكن تحت سلطة هيرودس بل تابعة للرومانيين ولأن نحو عدد كبير من اليهود كانوا قاطنين هناك، ولا يعرف المكان الذي استوطنت فيه العائلة

المقدسة، ويظن من التقاليد أنه كان قرب القاهرة ولكن لا دليل على ذلك >> (١)

ولكن أحد الكتاب المسيحيين يحدد المدن والأماكن التي ذهبت إليها مريم مع إبنتها عليهما السلام بصحبة يوسف النجار في مصر ويذكر أنها استقرت بأسيوط في جبل مقام حيث الدير المحرق الآن وذلك دون أن يذكر أي دليل على أقواله وفيما يلي نص ذلك:

>> وقد سارت العائلة المقدسة إلى العريش في حمى من لا يغفل ولا ينام، ففي ظلمة الليل سار الركب العائلي في هدوء وسكينة حتى وصل إلى الفرما، وأستأنفت العائلة المقدسة السفر إلى بسطة (الزقازيق حالياً) ومنها إلى منية جناح قرب سمنود ثم سمنود فالبرس فدير المغطس، وبعدها جنوباً إلى وادي النطرون، ثم فانصامير، ثم عدة بوق فالتمساحيه السواقنا فالقوصيه وأخيراً استقرت بأسيوط في جبل مقام حيث الدير المحرق الآن، ثم عادت من نفس الطريق إلى مصر القديمة حيث أقامت في موضع كنيسة سرجه ومنها إلى موضع شجرة العذراء مريم بالمطرية، ثم إلى موضع كنيسة العذراء بمسطرد، ثم تابعت العائلة المقدسة سيرها إلى فلسطين بعد أن أعلمها الملاك بوفاة من كان يطلب نفس الصبي. ولقد صممت الأناجيل الأربعة: إنجيل متى البشير، وإنجيل لوقا الطيب الرسام، وإنجيل مرقس صديق بطرس الرسول، وإنجيل يوحنا الرسول الحبيب، صممت جميعها عن ذكر أخبار تلك الرحلة (٢) حتى متى الرسول الذي أورد خير الحلم والأمر بالهرب إلى مصر أو عن أمكنة إقامة العائلة المقدسة، أو مقدار الزمن الذي قضته في مصر >> (٣)

(١) انظر: د. وليم إدي (الكتر الجليل في تفسير الإنجيل)، ج ١، ط بيروت، ص

١٧-١٨

أيضاً: تفسير إنجيل متى لمجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس، ص ١٥ (٢) إذا ما هو مصدر تلك المعلومات المفصلة عن رحلة السيدة مريم وابنتها عليهم السلام بصحبة يوسف النجار إلى مصر ياترى؟! هل هو مجرد ظن؟! ولكن الظن لا يفيد علم اليقين.

(٣) انظر: يوسف حلمي المصري (مريم في الإنجيل والقرآن)، ص ٣٢

المبحث الخامس

السيدة مريم عليها السلام في العقيدة الكاثوليكية (١) والأرثوذكسية (٢)

>> وتسمى العذراء مريم في العقيدة المسيحية الكاثوليكية والأرثوذكسية

(١) الكاثوليك : وكنيستهم تسمى الكنيسة الكاثوليكية أو الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية، ومعنى الكاثوليكية أي العامة لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها، وسميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني خاصة إلى بلاد إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال، وإن كان لها أتباع فيما عدا ذلك من البلدان وسميت الكنيسة البطرسية أو الرسولية لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول كبير الحوارين ورئيسهم والبابوات في روما خلفاؤه.

والكنيسة الكاثوليكية تتبع النظام البابوي ويرأسه البابا والكرادله وهم أصحاب الحق الأول والأخير في تنظيم الكنيسة، إذ يتكون منهم المجمع الكنائسي الذي يُصدر إرادات بابويه ساميه هي إرادات إلهية، لأن البابا هو تلميذ المسيح الأكبر على الأرض فهو ممثل الله، ومن هنا كانت إرادته لاتقبل الجدل أو المناقشة.

انظر : د. أحمد شلبي (المسيحية)، ط٦، ص ٢٣٧-٢٣٨

أيضا : محمد فؤاد الهاشمي (الأديان في كفة الميزان)، ص ٤٤

(٢) الأرثوذكس : وتسمى كنيستهم كنيسة الروم الأرثوذكسية أو الكنيسة الشرقية أو اليونانية، لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية على العموم كروسيا والبلقان واليونان، وكان مقرها الأصلي القسطنطينية، وقد فصلت عن الكنيسة الكاثوليكية أيام ميخائيل كارولاريوس بطريك القسطنطينه سنة ١٠٥٤ وهي الآن مؤلفة من عدة كنائس مستقلة.

انظر: *Encyclopedia of Religions and Ethics Vol.3, p.590*

نقلا عن : د. أحمد شلبي (المسيحية)، ص ٢٣٨

<< والدة الإله >> أو << الأمومة الإلهية >> (١)

وينطق بها باللغة اليونانية [سيوتوكس *Theotokos*] وباللغة القبطية [سمافي سنوتي *Smavmi Souti*] وباللغة اللاتينية [دي ماتر *Dei Mater*] ولكن اللاتين لا يستعملون هذا المقابل الحرفي بل يستعملون [دي جيني تر كس *Dei Genitrix*] وهو مقابل آخر يحمل المعنى الأصلي امتداداً للمعنى الأول.

ومريم العذراء عنصر أساسي في التجسد، وأية محاولة للتخلص من هذه الحقيقة يخلخل الإيمان المسيحي من أساسه، يدلنا على ذلك قانون الإيمان الذي يقول << نؤمن بإله واحد، أب ضابط الكل، خالق السموات والأرض، كل ما يرى وما لا يرى إلى أن يقول ونزل من السماء وتجد من الروح القدس ومن مريم العذراء..

(١) كيف تكون السيدة مريم والدة الإله؟ وأي إله؟ اهل هو رب العالمين وحاشاه تبارك وتعالى أن يكون له والده أو والد أو صاحبه { قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد } الإخلاص.

أم من يكون ذلك الإله والتي هي والدته؟ هل هو المسيح؟ وإذا كان المسيح عليه السلام لم يدع ذلك بشهادة القرآن الكريم الكتاب المهيمن على جميع الكتب السماوية يقول تعالى:

{ وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتم عليهم شهيذاً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد } المائدة :

كما شرح الرسول بولس إمكانية هذه الولادة في موضع آخر بقوله << أخلى نفسه آخذاً صورة عبد >> !!

وهذا السر العجيب هو معجزة التجسد^(١)، فالتجسد : هو اتحاد كامل بين الطبيعتين ويعرف ذلك في التعبير اللاهوتي (بالإخلاء) أي قدرة الله سبحانه وتعالى على إخلاء ذاته من مجد الألوهية في تواضع فائق لامكانية الظهور للإنسان بأي صورة مبسطة !!

ومن هنا يتضح لنا أن الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية يتفقان في أن مريم هي والدة الإله، يدل على ذلك بترديد المصلين أثناء القداس^(٢) الإلهي بقولهم << بشفاعه والدة الإله القديسة مريم >>

كما تتفق الكنيستان بأن لمريم شفاعه عند الله لاتدانيها شفاعه أحد من الأنبياء أو القديسين أو الملائكة، فالمتعبدون من أهل الكنيستين يرون أن هناك التكريم العادي للقديسين والملائكة، ولكن هناك تكريم أكبر وأجل هو التكريم الفائق الذي تختص به العذراء مريم.

(١) العجيب في التجسد هو إيمان البعض به وتصديقهم به، فكيف يتجسد الإله خالق الأكوان ما يرى ومالا يرى؟! ويسكن في رحم امرأة ويتغذى من جسدها، ثم تلده كما يولد أي انسان أو حيوان!! ثم يربى في حضنها ويرضع لبنها وهو خالق الأكوان!! أي عقل هذا الذي يؤمن بهذا الهراء أو يصدقه؟! وأي ضلال هذا الذي يؤمن به ويصدقه المسيحيون؟!

انظر، ص ٤٨١ ، ٤٨٣ من هذه الرسالة.

(٢) ترديد المصلين لذلك الذي يسمى بالقداس ليس بدليل على صحته، وإنما يدل على مدى ضلال المساكين المخدوعين بهذه العقيدة.

ويدللون على ذلك بأن الله عز وجل وقد كرمها باختيارها للرسالة السماوية دون نساء العالمين فلا بد إذن أن تكون لها مكانتها العالية عنده سبحانه وتعالى. وأمومة مريم الإلهية التي حازتها بولادتها للسيد المسيح تجعلها شريكة في عملية الفداء والخلص.

ومن قبل دحض بولس الرسول ما نادى به [نسطور Nestor] فيما بعد فقد قال الرسول بولس ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة ولكن [نسطور Nestor] أسقف القسطنطينية الذي نادى بانفصال الطبيعة الإلهية عن الطبيعة البشرية للسيد المسيح رفض لمريم هذا اللقب [والدة الإله] أي أن العذراء مريم تكون بذلك والدة الأقتوم الجسدي ذي الطبيعة الجسدية فقط ولا علاقة لها بالأقتوم الإلهي ذي الطبيعة الإلهية فسامها والدة المسيح و [والدة الإنسان].

ولكن الكنيسة تصدت لهذا النزاع اللاهوتي الخطير في المجمع المسكوني الذي عقد في أفسس ٤٣١م برئاسة القديس كيرلس بابا الاسكندرية وأثبت اتحاد الطبيعتين في شخص المسيح اتحاداً كاملاً كلياً.

وتلقيب مريم بوالدة الإله يطابق نصوص الكتاب المقدس كقول الإنجيل حين زارت العذراء مريم ابنة خالتها اليصابات زوجة زكريا إذ قالت لها اليصابات >> من أين لي هذا أن تأتي أم ربي إلى << (١)

كما يطابق نبوءات الأنبياء أشعياء النبي >> لكي يعطيكم السيد نفسه آية

(١) لوقا ١ : ٤٣

ها العذراء تحبل وتلد >> (١)

ويعترف البابابولس السادس في توجيه منشور له إلى الأساقفة (٢) إلى أن العبادة المسيحية تمتد من الآب والإبن والروح القدس إلى أم الرب أي السيدة مريم!! ثم إلى القديسين لأن الكنيسة تعلن فيهم سر الفصح اذ تألموا مع المسيح وتمجدوا معه وفيما يلي نص حديثه:

>> يحسن أولاً وإلى أعلى حد، أن تعبر الممارسات التقوية نحو العذراء مريم، بوضوح عن طابع التالوث وكيان المسيح الملازم لها بموجب أصلها وجوهرها، اذ أن العبادة المسيحية هي بطبيعتها عبادة تقام للآب والإبن والروح القدس، أو على الأصح حسب تعبير الطقس، للآب بالإبن في الروح القدس، ولهذا القصد تمتد العبادة بحق، ولو كان بصورة مختلفة إختلافاً جوهرياً، أولاً وبخاصة إلى أم الرب، ثم إلى القديسين، لأن الكنيسة تعلن فيهم سر الفصح اذ تألموا مع المسيح وتمجدوا معه، ففي العذراء يرجع كل شيء إلى المسيح ويتبعه إذ أنه من أجله قد اختارها الله الآب من قبل الدهور أما فائقة القدسية، وزينها بمواهب الروح، مما لم يمنحه لأي كائن آخر >> (٣).

(١) أشعيا ٧ : ١٤

انظر: يوسف حلمي المصري (مريم في الإنجيل والقرآن)، ص ٤٨ - ٥٠

(٢) مفرده أسقف وهي مرتبة معينة في نظام اللاهوت المسيحي تبدأ بالبطريك ثم المطران ثم الأسقف ثم القسوس ويسمون بالقمامصه والقسوس ذوي المرتبة البسيطة ويطلق عليهم اسم القساوسة فقط.

انظر: الأديان في كفة الميزان، محمد الهاشمي، ص ٤٤

(٣) انظر: البابا بولس السادس (إكرام مريم) ترجمة د. بطرس كساب، ص ٢٦

أما المؤرخ المسيحي [جاء المنفلوطي] فيؤيد القول بالاتجاه إلى العبادة المريمية في العصور الوسطى، وأنها من أهم الشخصيات التي أصبحت الجماهير تقدم لها عبادتها مع وجود المعارضين في ذلك يقول:

«ومن أهم الشخصيات التي أصبحت الجماهير تقدم لها عبادتها القديسة مريم العذراء، ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن العبادة المريمية وجدت معارضة في الفترات السابقة من تاريخ الكنيسة، وكان من هؤلاء المعارضين [أبيفانيوس] الذي كان يؤمن باستمرار عذراوية القديسة مريم بعد ولادتها ليسوع، لكنه رغم هذا كتب يقول: لنكرم العذراء تكريماً يليق بها، لكن دعونا نقدم عبادتنا للإله الواحد الآب والإبن والروح القدس.

وقد اعتنق كثيرون هذه الفكرة، لكن تطورت الأمور بعد ذلك، حتى وصلت إلى العبادة المريمية، ثم ظهرت عقيدة الحبل بالعذراء بلادنس، باعتبارها الإناء الذي اختاره الله ليحل فيه جسد الإبن المبارك» (١).

(١) تاريخ المسيحية في العصور الوسطى، ط دار الجيل، ص ٤٤

المبحث السادس

السيدة مريم عليها السلام في العقيدة البروتستانتية (١)

>> ينظر البروتستانت أو الإنجلييون إلى العذراء مريم نظرة الحب والاحترام والتبجيل والإعزاز، فهم يرون أن الله قد اختارها لتكون أم المخلص يسوع من دون نساء العالم، لأنها أفضلهن.

(١) البروتستانت : وتسمى كنيستهم الكنيسة الإنجيلية، وقصد بهذه التسمية أن أتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره، ويفهمونه بأنفسهم، ولا يخضعون لفهم سواهم له، ولا تختص بفهمه طائفة دون أخرى فالكل له الحق في فهمه، وجميعهم متساوون ومسؤولون أمام هذا الكتاب، وبهذا الإتجاه يعارضون الكنائس الأخرى التي تعتبر فهم الإنجيل وفقاً على رجال الكنيسة، والتي لاتعتبر الإنجيل هو المصدر الوحيد للديانة المسيحية بل تضيف إليه الإلهام والتعاليم غير المكتوبة التي يتناقلها البابوات واحد عن الآخر.

وتنتشر البروتستانتية في المانيا و إنجلترا والدايمرك وهولندا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية، ولكن الإنجليز اعتقدوا أن حركة الإصلاح حركة رشيدة عادلة وأنها الاصل فيما يجب أن تكون عليه الكنيسة.

وسمي الذين اعتنقوا مبدأ الإصلاح الكنسي، وخرجوا على الكنيسة الكاثولوية بروتستانت، لأنهم عندما أريد تنفيذ قرار الحرمان عليهم أعلنوا احتجاجاً يسمى بالانجليزية برتست، فسمى الذين أمضوا القرار بروتستانت أي المحتجين.

انظر : د. أحمد شلي، المسيحية، ط ٦، ص ٢٤٠

أيضا : محاضرات في النصرانية للإمام أبو زهرة، ط دار الفكر، ص ٢٠٠

كما يعتقدون أنها ولدت من أب وأم بالخطيئة الأصلية^(١) !! >> معصية آدم لربه << شأن بقية أبناء العالم، ويدللون على ذلك بقول مريم >> وتبتهج روجي بالله مخلصي << فهذه شهادة منها عليها السلام بأنها نالت الخلاص من المخلص أي ابنها السيد المسيح له المجد، الذي جاء إلى الأرض وصلب من أجل آثام البشرية^(٢).

وأما عن الشفاعة فهم يعتقدون أن لهم شفيعا واحدا هو السيد المسيح - له المجد - إذ يقول: >> تعالوا إلي يا جميع المتعبين ومثقلي الأحمال وأنا أريحكم <<^(٣).

-
- (١) ليست هناك خطيئة أصلية، وليس هناك أحد يولد بها، فإن كان آدم عليه السلام قد عصا ربه فقد استغفره وقد عفا عنه سبحانه وغفر له، قال تعالى: { فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى } طه ١٢١ - ١٢٢ وبالطبع وبالعقل فإن ذنوب الآباء لا تنتقل أبداً إلى الأبناء والعكس صحيح، فالكل محاسب على أعماله إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرأ، قال تعالى: { فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره } الزلزلة : ٧-٨
- (٢) لنقض عقيدة الصلب والفداء عند المسيحيين، انظر ص ٥٢٦ وما بعدها من هذه الرسالة.

- (٣) انظر: يوسف حلمي المصري، مريم في الإنجيل والقرآن، ص ٥١ ولكن الكاتب لم يرجع النصوص التي نقلها إلى مصادرها فحاولت الاستدلال عليها من قاموس الكتاب المقدس فلم استطع التعرف على مواقعها فيه.

المبحث السابع

السيدة مريم عليها السلام في أيامها الأخيرة

بعد أن بحثت في كتاب قاموس الكتاب المقدس ثم في كتاب العهد الجديد لأجد أي ذكر عن وفاة السيدة مريم، أو أي ذكر للسيدة مريم في أيامها الأخيرة فلم أجد أي ذكر لذلك، ولكني وجدت في كتاب (مريم في الإنجيل والقرآن) مقالاً عن هذا الموضوع فأضفته هنا ليكمل الفصل الأول من هذا الباب.

يقول المقال : >> لم يذكر الكتاب المقدس شيئاً عن مريم بعد دفن ابنها السيد المسيح ولكنها رجعت حسب وصيته له المجد إلى بيت يوحنا الرسول وقام المسيح في اليوم الثالث بعد دفنه، وظهر لتلاميذه طوال أربعين يوماً، وكانت مريم معهم طيلة هذه المدة، وكانت في حياتها تداوم على الصلاة والعبادة.

وكانت مريم مع الرسل في أورشليم وقت حلول الروح القدس عليهم في اليوم الخمسين من قيامة السيد المسيح، وبعد إثني عشر عاماً من انتقال السيد المسيح له المجد، اراد الله سبحانه وتعالى أن تنتقل مريم العذراء فائقة الطهر من العالم الزائل إلى الحياة الأبدية، فأرسل لها ملاكاً يحمل إليها خبر إنتقالها، ففرحت كثيراً، وطلبت أن تجتمع مع الرسل في الجثمانية حيث كانت موجودة، وبإرادة إلهية حضروا جميعاً من أنحاء العالم - ماعدا توما الرسول - حيث كانوا يكرزون بالإنجيل، فعزتهم وودعتهم كما حضر ابنها السيد المسيح وأسلمت روحها الطاهرة بين يديه المقدستين.

وقد روى التقليد الكنسي أن الرسل حملوا جسدها الطاهر في موكب الدفن وهم يرتلون مع الملائكة، ولكن اليهود اعترضوا طريقهم وهجموا على الفراش الذي يحمل جسد العذراء يرومون طرحه على الأرض ولكنهم نالوا القصاص الألهي، فأصيبوا بالعمى أما المعتدي فقد انفصلت يدها عن جسده وعلقتا بالنعش فبكى وتاب.

فقال له بطرس الرسول >> آمن أن هذه بالحقيقة هي أم السيد المسيح الذي ولد من هذه العذراء، فصرخ معترفاً بتولية العذراء وبأنها أم السيد المسيح - له المجد - فقربه بطرس من يديه وفي الحال التصقت يده بجسده مرة أخرى.

ودفنها الرسل في الجثمانية بجبل يهو شافاط، وظل الرسل يصلون ويسبحون أمام قبرها.

أما توما الرسول فقد كان يكرز بالإنجيل في بلاد الهند حين أرسل الله إليه صحابه لتحمله إلى بلدة الجثمانية ليلتقي بإخوانه الرسل، ورأى وهو على السحابة الملائكة تحمل جسد العذراء فاستفسر عن الحقيقة فقالوا له إنه جسد العذراء التي تَنَيَّحِيَتْ، وقد أمرنا السيد الإله أن نحمله ونصعد به إلى الفردوس النعيم، وفرح كثيراً وسجد وقبّل جسدها الطاهر،

وصلى الرسل صلاة حارة، ضارعين إلى الله أن يريهم موضع الجسد فاخطفوا في ١٦ أغسطس إلى الفردوس السماوي حيث رأوا الجسد الطاهر موضوعاً تحت شجرة الحياة انتظاراً ليوم القيامة.

وقد كانت العذراء تبلغ الثالثة عشر من عمرها حين جاء جبرائيل عليه السلام يبشرها بميلاد المسيح له المجد.

وقد عاشت مريم مع السيد المسيح ثلاثة وثلاثين عاماً، وبعد قيامته عاشت مريم اثني عشر عاماً أي أنها بلغت من العمر حتى يوم وفاتها ثمانية وخمسين عاماً >> (١).

(١) انظر: يوسف حلمي المصري (مريم في الإنجيل والقرآن)، ص ٤٠-٤٢ بتصرف قليل، ولم يذكر المصادر التي نقل عنها.

الفصل الثاني

المسيح عليه السلام حياته ودعوته كما يصورها العهد الجديد

ويشتمل على تسعة مباحث :

- ✻ المبحث الأول : ميلاد المسيح عليه السلام.
- ✻ المبحث الثاني: طفولته وصباه ونموه عليه السلام كما يصور ذلك العهد الجديد.
- ✻ المبحث الثالث: معموديته وتجربته عليه السلام كما ورد ذلك في العهد الجديد.
- ✻ المبحث الرابع: معجزات (آيات ودلائل) المسيح عليه السلام كما وردت في العهد الجديد.
- ✻ المبحث الخامس: الحديث عن القبض عليه، ومحاكمته، ثم صلبه ودفنه وقيامته، وصعوده إلى السماء كما يزعم النصارى في أناجيلهم.
- ✻ المبحث السادس: صلبه كما يزعم النصارى في أناجيلهم.
- ✻ المبحث السابع: تكفينه ثم دفنه كما تروى أناجيلهم.
- ✻ المبحث الثامن: قيامته من قبره كما يزعمون.
- ✻ المبحث التاسع: صعوده إلى السماء.

الفصل الثاني

المسيح عليه السلام حياته ودعوته كما يصورها العهد الجديد

لقد تحدث العهد الجديد، وأكثر من الحديث عن المسيح عليه السلام بل كان عليه السلام محور حديثه، فالعهد الجديد عامةً والأنجيل الأربعة خاصة كانت عبارة عن روايات تاريخية مشوشة - لا تخلو من التناقض والتحريف^(١) عن حياة السيد المسيح عليه السلام منذ الحبل به وولادته ونشأته ودعوته حتى صلبه ودفنه وقيامته كما يزعمون.

وفيما يلي سنتحدث عن حياته ودعوته في نظر المسيحيين، وكما يصور ذلك العهد الجديد وسيشمل على المباحث التالية :

المبحث الأول :

ميلاد المسيح عليه السلام

لقد تحدثنا عن ميلاده عليه السلام في الفصل السابق عند الحديث عن السيدة مريم عليها السلام في العهد الجديد، ولكننا نضيف إلى ما ذكرناه - سابقاً - الحديث عن تاريخ ميلاده عليه السلام وكيف أن هذا التاريخ قد وقع فيه الخطأ، لاندرى أهو خطأ مقصود أو غير مقصود، وفيما يلي نص قاموس الكتاب المقدس :

(١) انظر : التحريف والتناقض في الأنجيل الأربعة، رسالة ماجستير للباحثة، ص ١٠٩ وما بعدها، ص ٢١٥ وما بعدها.

>> وإذن فميلاد المسيح تم إما في أواخر سنة ٥ ق.م أو في أوائل سنة ٤ ق.م (١) أما الاحتفال بميلاد المسيح في الخامس والعشرين من ديسمبر فقد بدأ في القرن الرابع الميلادي، ولذا فربما كان ميلاد المسيح في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر عام ٥ ق.م، وهذا يجعله سابقاً للتاريخ الذي وضعه ديونيسيوس (أي ٢٥ ديسمبر سنة ١ ميلادية بخمس سنوات، أما تاريخ بدء خدمة المسيح ومناداته ببشارة الإنجيل فيهم من لوقا (٢) حيث يذكر البشير انه عند بدء خدمته كان في الثلاثين من عمره تقريبا، وقد بلغ الثلاثين من العمر في ٢٥ ديسمبر سنة ٢٦ ميلادية >> (٣).

المبحث الثاني

طفولته وصباه ونموه عليه السلام كما يصور ذلك العهد الجديد

ويتحدث الإنجيل المنسوب إلى لوقا عن السيد المسيح عليه السلام في طفولته وصباه ونموه عليه السلام وقد ذكر بأنه عليه السلام عندما كان صبياً ينمو ويتقوى بالروح ويمتلئ بالحكمة والنعمه، وأن أبواه - ويقصد بذلك السيدة مريم - عليهما السلام ويوسف النجار قد نسياه مرة في أورشليم!! وقد كان عمره آنذاك اثني عشر عاماً، وبعد مسيرة يوم رجعا إلى أورشليم ليبحثا عنه فوجدان بعد ثلاثة أيام وسط المعلمين يناقشهم وقد تعجب منه سامعوه.

(١) لاندرى كيف يختلفون في ميلاد من يدعون أنه المخلص من الذنوب بل هو الإله وإبن الإله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٢) ويشير إلى موضع من لوقا: >> ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن إبن يوسف بن هالي >> لوقا ٣ : ٢٣

(٣) انظر : قاموس الكتاب المقدس، ط ٦، ص ٨٦٤

وفيما يلي نص إنجيل لوقا :

>> وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمةً وكانت نعمة الله عليه، وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح، ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم في عيد الفصح، وبعد ما أكملوا الأيام بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في أورشليم ويوسف وأمه لم يعلما، وإذ ظناه بين الرفقة ذهباً مسيرة يوم وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف، ولما لم يجدها رجعا إلى أورشليم يطلبانه، وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل جالساً وسط المعلمين يسمعون ويسألهم، وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته، فلما أبصره اندهشا، وقالت أمه يا بني لماذا فعلت بنا هكذا هو ذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين، فقال لهما لماذا كنتما تطلباني ألم تعلمتا أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي، فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما، ثم نزل معهما وجاء إلى الناصره وكان خاضعاً لهما، وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها، وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس >> (١)

ويقول المفسرون في تفسير هذا النص :

>> يتضح أن ليسوع نفساً بشرية كما أن له جسداً بشرياً، وأن عقله كان يتسع في المعرفة والعلم مع نمو جسده، وإتساع عقله تدرجاً لا ينفي لاهوته، كما أنه لا ينفيه نموه في القامة والقوة (٢)، فاختر يسوع في حياته كل أحوال الإنسان إذ كان طفلاً

(١) لوقا ٢ : ٤٠ - ٥٢

(٢) بل إن هذا الدليل كافٍ على أنه ليس باله ولا يمكن أن يكون إلهاً، فهو إنسان وبشر ونبى معصوم ومصطفى من الله تعالى، فهو يتدرج في النمو والقوة والقامة كما يتدرج الإنسان العادي إلا أن له صفات الأنبياء ومميزاتهم.

ثم صبيماً ثم شاباً ثم رجلاً كامل السن!! لكي يشعر مع جميع الناس صغاراً وكباراً، ولم يكن بين يسوع وأترابه فرق إلا بأنه كان كامل القداسه.

وكان على كل ذكور اليهود شرعاً أن يأتوا أورشليم ثلاث مرات كل سنة في الأعياد، ولم يكن ذلك مشروعاً على النساء ولا ممنوعاً، والراجح أن النساء التقيات كثيراً ما رافقن أزواجهن إلى هنالك، .. والأرجح أن مريم قصدت أورشليم حباً لله لاطوعاً لأمر ذلك المعلم اليهودي.

صعدوا : أي يوسف ومريم ويسوع، ويستنتج من هذا أن يسوع لم يصعد إلى أورشليم منذ ختانه وتقديمه للفداء، وكان في ذلك الوقت قد بلغ السن الذي اعتاد اليهود أن يأخذوا من بلغه من أولادهم إلى العيد في أورشليم ليشاركوهم في اتمام الفروض.

وكانت المسافة بين الناصرة وأورشليم نحو ثمانين ميلاً وكان يقطعها الفارس في ثلاثة أيام أو أربعة، وكان المسافرون في مثل ذلك الوقت ألوفاً، والحادثة الآتية هي الحادثة الوحيدة التي ذكرت منذ إتيانهم من مصر إلى الناصرة إلى أن بلغ سن الثلاثين وابتدأ يبشر.

بقي .. الصبي يسوع : لم يذكر لوقا كيف كان ذلك، ولا يلزم من هذا أن يوسف ومريم لم يعتنيا به الاعتناء الواجب، والأرجح أنه كان معهم جماعة من أقربائهم وأصحابهم الذين أتوا معهم من الناصرة هم وأولادهم فكان يوسف ومريم يتركان يسوع بينهم، ولاريب في أن يسوع كان أكثر إدراكاً ونباهةً من سائر أترابه حتى لم يكن محتاجاً إلى من يعتني به كغيره << (١).

(١) انظر : الكثر الجليل في تفسير الإنجيل، د. وليم إدي، ج ٢، ص ١٧٣

ونلاحظ أن الشارح لهذا النص يحاول التعليل لنسيان الصبي كما يحاول إبعاد تهمة عدم الإعتناء به من قبل مريم عليها السلام ويوسف.

وهناك شارح آخر لنفس النص يدعي بأنهما أي مريم عليها السلام ويوسف لم يعرفا قيمة الكنز الذي ائتمنا عليه يقول : «>> في هذه الحادثة نرى يوسف ومريم لايسيران مع الأمور كما هي بحسب فكر الله، ومع أنهما من الأتقياء لم يعرفا قيمة الكنز الذي أئتمنا عليه، ذهبا مسيرة يوم بدونه، وكان هوفي ذلك الوقت في الهيكل قد يرجع الجميع بعد أن يكملوا الطقوس المطلوبة منهم، ولكن إتمام الطقوس الواجبة شئ والتعلق بأمرور الله شئ آخر»^(١).

ثم يعود المفسر مرة أخرى ليعلل - بعد ذلك - لكيفية نسيانهم له.. وأنهم كانوا في قافلة كبيرة ولم يعلموا بنسيانهم له إلا بعد نزول القافلة في المساء واجتماع كل عائلة على حده يقول:

«>> لا بد من أنه كان الراجعون من أورشليم إلى الناصره قافلة كبيرة ولذلك لم يستطيعا في أول اليوم وهما مسافران في الطريق أن يتحققا أن يسوع ليس معهم ولكن عند نزول القافلة مساءً واجتماع كل عائلة على حدها اتضح انه ليس في القافلة، فرجعا في الغد يسألان عنه كل من رأياه في الطريق وفحصا عنه في اورشليم يوم وصولهما ولم يجدها إلا صباح غده وهو اليوم الثالث فيتضح من ذلك أنه ليس لواحد منهما قوة إدراك غير عادي وإلا لم يتعبا هكذا.

(١) انظر: تفسير إنجيل لوقا جمع وتقديم هلال أمين موسى، ط ١٩٧٠م،

<< وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل ... >>

في الهيكل : أي في احد أروقة دار النساء حيث اعتاد علماء اليهود أن يعلموا الناس مجاناً ويفسروا الشريعة ويتباحثوا في المسائل الدينية.

المعلمين : وهم الربانيون من كتبة وفريسيين.. وأظهر يسوع بذهابه إلى الهيكل عندما ترك لنفسه وحضوره مكان التعاليم الدينية أي المواضيع التي تلذ له أعظم لذه.

وكان طريق السؤال والجواب مما اختاره المعلمون للتعليم في تلك الأيام فكان التلميذ يسأل عما يجهل والمعلم يسأل ليعرف ما عند التلميذ ويبيّن كلامه على الجواب فيزيل الخطأ ويجبر النقصان <<(١)>>.

ويضيف الشارح للنص السابق :

<< ولاريب في أن المسيح أظهر بأسئلته وأجوبته قوة عقل وصحة علم لم يشاهد الناس نظيرها من أولاد مثل سنه، وكان ذلك أشعة من النور العظيم الذي بدأ منه في تعليمه الشعب فيما بعد >>(٢).

ويذكر النص من إنجيل لوقا أنهما أي مريم عليها السلام ويوسف عندما أبصراه اندهشا ويعلل الشارح سبب إندهاشهما : << بأنهما لم يتوقعا أن يجدها مطمئناً بل انتظرا أن يجدها قلقاً خائفاً من بقائه منفرداً عن أهله لكنهما رأياه هادئاً مسروراً بمعاشرة من هم أكبر منه خلافاً لما يتوقع من ابن اثنتي عشرة سنة، ويحتمل أنهما أصغيا

(١) انظر: الكثر الجليل في تفسير الإنجيل، د. وليم إدي، ج ٢، ص ١٧٤

(٢) نفس المصدر السابق، نفس الصحيفة

إلى كلماته في خطاب المعلمين وتعجبا من حكمته التي لم يعهدا مثلها منه وإن كانا قد
اختبرا قبل ذلك أنه حكيم» (١)

ويستنتج المفسر للنص أن مريم عليها السلام كانت كالتى توبخ ابنها عندما

سأته «لماذا فعلت بنا هكذا؟»

يقول :

«أي لماذا بقيت ونحن قد ذهبنا ولم يكن من عجب بأن تسأل مريم ابنها هذا
لو كان كسائر الأولاد لكنها غفلت عن كل ما أوحى إليها به في شأن يسوع، ولا بد
من أنه كان في سؤالها إياه شئ من التوبيخ على ظنها أنه كان يجب عليه أن يلازمها
ولا يفكر إلا فيها.

أبوك : هذا يدل على أن مريم اعتادت في مخاطبتها يسوع أن تسمي يوسف
أباه وأنت ذلك جرياً على عادة الناس لأنهم لم يعلموا حينئذ أن الله أبوه (٢).

معذيين : كانا معذيين لأنهما جهلا أين هو وخافا من أن يعرض له سوء أو أنه
في حاجة أو ضيق» (٣)

(١) نفس المصدر السابق، نفس الصحيفة.

(٢) تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً {قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم
يولد، ولم يكن له كفواً أحد} الإخلاص.

وللرد على هذه الشبهة، انظر ص ٣٦٣ وما بعدها من هذه الرسالة.

(٣) المصدر السابق، نفس الصحيفة.

ويتعجب المفسر لإنجيل لوقا من أن مريم عليها السلام ويوسف لم يفهما ما
قاله لهما المسيح عليه السلام بعد أن وجداه قال لهما: << ألم تعلما أنه ينبغي أن
أكون في مالآبي >>

يقول ..

<< نستغرب عدم فهم يوسف ومريم معنى يسوع بعد ما عرفاه من الإعلان
الإلهي.. وإذا كان أبواه مع ذلك كله لم يفهما مراده فلا عجب من أن تلاميذه لم
يدركوا معاني تعاليمه >>.

<< ثم نزل.. وكان خاضعاً لهما >> يقول المفسر : هذا مثال لكل الأولاد
في وجوب الطاعة لوالديهم، وذكر خضوعه لأبويه الأرضيين دفعاً لما يتوهم من
بيانه أن الله أبوه الوحيد أنه أنكر نسبته إلى أنسابه في الجسد لأن إعتباره لتلك
النسبه جزء من تكميل كل بر >>.

ويكمل مفسر إنجيل لوقا الحديث عن تدرج المسيح عليه السلام في النمو
في صبوته فيقول :

<< أي أنه كان يظهر من الأخلاق الجميلة والصفات الحسنة والأعمال
الصالحة ما جعل الله يسر به ويمنح له علامات المسره بما وهبه له من المواهب
الجسدية والعقلية والروحية، وماذكر جعله محبوباً إلى الناس لأنه لم يبتدئ يوبخ
الناس على خطاياهم ليهيج غضبهم عليه، وانتظار يسوع وصبره ثلاثين سنة قبل

أن ابتداء التبشير مثال لنا في التوقع والصبر >> (١).

وهناك نص آخر في الإنجيل المنسوب إلى متى يتحدث عن المسيح عليه السلام عندما جاء إلى وطنه الناصرة وكان يعلم اليهود في مجامعهم حتى تعجبوا منه ومن حكمته وقوته، إذ كيف يصدر هذا كله عن ابن نجار!!

وفيما يلي انقل هذا النص :

>> ولما جاء إلى وطنه كان يعلمهم في مجمعهم حتى بهتوا وقالوا من أين لهذا هذه الحكمة والقوات، أليس هذا ابن النجار، أو ليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان، ويهوذا، أو ليست أخواته جميعهن عندنا. فمن أين لهذا هذه كلها، فكانوا يعثرون به. وأما يسوع فقال لهم ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته، ولم يضع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم >> (٢).

يقول المفسرون في تفسير هذا النص :

إن وطنه المقصوده هنا هي >> الناصرة >> (٣).

(١) انظر : الكتر الجليل في تفسير الإنجيل، ج ٢، ص ١٧٦

(٢) متى ١٣ : ٥٤ - ٥٨

(٣) انظر : تفسير إنجيل متى لمجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس، ط مكتبة النيل المسيحية، ص ١٢٨

أيضا: الكتر الجليل في تفسير الإنجيل، ج ١، ص ٢٢٨

ويضيف الشارح: << كان الشعب أقل قسوة مما كانوا في جيئته الأول إليهم ولكنهم ليسوا أكثر ايماناً من ذي قبل وفي سؤالهم ضرب من الشك والاستخفاف، وقد سلموا انه اظهر حكمة وقوة غريبه و اشاروا إلى أن تلك الحكمة وتلك القوة ليستا له انما من آخر ولعل بعضهم ظنهما من الشيطان.

انهم لم ينكروا على المسيح معجزاته لكنهم لم يسلموا بأنها برهان على أنه المسيح فاكتفوا بان عجبوا منها كأمر فوق ادراكهم ولكن تسليمهم بحكمته وقوته لم يترك لهم عذراً على عدم ايمانهم ودل على أن التعصب والحسد والبغض تعمي القلب وتمنعه من تصديق ما تشهد به الحواس ويحكم به العقل >> (١)

ويضيف الشارح: << اتخذ اهل الناصرة معرفتهم يسوع منذ الطفولية ومعرفتهم أهله وانسبائه ومهنتهم ونسبته إليهم أي أنه واحد منهم عذراً على رفضهم دعواه أنه المسيح وهذا عذر باطل لانه بني على التعصب والهوى والحسد لا على استدلال عقلي >> (٢).

ويعلق الشارح على لفظ ابن النجار الوارد في النص:

<< اشتهر المسيح بين الناس بأنه ابن يوسف النجار.. وكان كلاً من اليهود في ذلك الوقت يتعلم شيئاً من الصنائع مهما كانت وظيفته أو رتبته، فلا ينتج من دعوتهم اياه بابن النجار أن التجارة كانت صناعة دنيئة أو أن يسوع صار ادنى منهم لمزاولته

(١) انظر: الكثر الجليل في تفسير الإنجيل، ج ١، ص ٢٢٨

(٢) المصدر السابق، نفس الصحيفة.

النجارة بل غرضهم بيان أنه كان مثلاً لهم لاحق له أن يدعي أنه اعظم منهم << (١).

<< أو ليست اخواته جميعهن عندنا.. >>. ويعلق الشارح على لفظ عندنا بأنها << الناصرة وهذا دلالة على أن الناصرة مازالت مسكن اهل يسوع بعدما ذهب منها ومن العجب انهم اتخذوا معرفتهم اصل يسوع وعائلته ومعرفة كل منها دليلاً على عدم صحة دعواه أنه المسيح >> (٢)

فكانوا يعثرون به : << هم كسائر اليهود انتظروا أن يأتي المسيح ملكاً ارضياً فيجعل الأمة اليهودية اقوى من الأمة الرومانية.. وعلى ذلك صعب عليهم أن يعتقدوا أن ابن النجار ابن قريتهم أنه هو المسيح المنتظر فكان حجر عثرة لهم فانهم اعترفوا بحكمته وقوته ولكن اهواءهم منعتهم من قبول تعليمه >> (٣)

<< ليس نبي بلا كرامة.. >> ، << لم يتخذ المسيح رفضهم اياه اعتداءً عليه واهانة له بل تصديقاً لقول جرى عندهم مجرى المثل وهو أن الإنسان يجد من الغرباء اعتباراً لدعواه لايحدها ممن هم اقرب إليه، وعلّة ذلك أن الغرباء يحكمون له بالنظر إلى اعماله العلنية وسيرته باعتباروظيفته ولكن اقاربه يحكمون بالنظر إلى امور ماضيه لاطائل تحتها من جهة الأصل والسيرة >> (٤).

(١) المصدر السابق، ص ٢٢٨ - ٢٢٩

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٩

(٣) المصدر السابق، نفس الصحيفة

(٤) المصدر السابق، ص ٢٣٠

ويعلق الشارح على آخر فقرة في النص السابق من الإنجيل المنسوب إلى

متى فيقول :

>> فكانت نتيجة عدم ايمانهم محزنة وهي أنه لم يصنع بينهم من المعجزات الا اقل مما صنعه في غير قريتهم من الجليل لانهم لم يطلبوا إليه الشفاء لعدم ثقتهم بقوته عليه، ولادليل على أن احداً منهم طلب أن يشفيه وطرد، فيظهر من ذلك أن المسيح لم يصنع المعجزات ليُتقنع منكري دعواه وإلا جاء باعظم المعجزات للذين هم اقل ايماناً من غيرهم ولكنه صنع المعجزات ختماً لسלטانه لمن استعدوا لقبوله بآية إلهية >> (١).

المبحث الثالث

معموديته (٢) وتجربته عليه السلام كما ورد ذلك في العهد الجديد

يقول قاموس الكتاب المقدس : >> عندما بلغ يسوع الثلاثين من العمر حوالي عام ٢٧ الميلادي (٣) ترك الناصره واعتمد من يوحنا المعمدان، وبعمله هذا اعلن جهاراً أنه قد تقبل عمله المجيد كالمسيا وكابن الله الوحيد (٤) والمخلص الذي مع أنه بلا خطيئة تماماً إلا أنه حمل خطيئة البشر >> (٥).

(١) المصدر السابق، نفس الصحيفة

(٢) لتعريف المعمودية، انظر: هامش ص ٧٩ من هذا البحث

(٣) ويشير إلى (لو ٣ : ٢٣) ولم يكن النص مناسباً لما ذكر وهو كما يلي:

>> ولما ابتداء يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن

يوسف بن هالي، بن مثنات بن لاوي بن ملكي بن يناين يوسف، بن مثنايا

بن عاموص بن ناحوم بن حسلي بن نجاي.. الخ (لو ٣ : ٢٣-٢٥)، أما

النص المناسب لما ذكره القاموس فهو (لو ٣: ١٥).

(٤) تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٥) لنخبة من ذوي الاختصاص، ط ٦، ص ٨٦٦

أما النص من الإنجيل المنسوب إلى لوقا والذي يتحدث عن المعمودية المسيح عليه السلام فيفهم منه أن الشعب كله كان يظن أن يوحنا هو المسيح، فأفهمهم يوحنا بأنه سيعمدهم بالماء، ولكن سيأتي من هو أقوى وأشرف منه بحيث أنه ليس أهلاً لأن يحمل سيور حذائه فيعمدهم بالروح القدس وناراً، فعمد يوحنا جميع الشعب بالماء ثم عمّد يسوع المسيح أيضاً، ثم أخذ يسوع يصلي فنزل عليه الروح القدس بهيئة الحمامة.

وفيما يلي نص إنجيل لوقا :

« وإذا كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح، أجاب يوحنا الجميع قائلاً أنا اعمدكم بماء ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن احل سيور حذائه هو سيعمدكم بالروح القدس وناراً » (١).

« ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً، وإذا كان يصلي انفتحت السماء، ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة وكان صوت من السماء قائلاً انت ابني الحبيب بك سررت » (٢).

ويعلق قاموس الكتاب المقدس على هذا النص بقوله :

« وهذه الكلمات تعلن أن هذا هو المسيا الذي تتحقق فيه النبوات بأنه عبدالله المطيع لارادته المتألم لأنه يحمل خطيئة الكثيرين » (٣).

(١) لوقا ٣ : ١٥ ، ١٦

(٢) لوقا ٣ : ٢١ - ٢٢

(٣) ط ٦ ، ص ٨٦٦

ويعلق المفسر لإنجيل لوقا على هذا النص قائلاً :

>> وتنقسم خدمة يوحنا إلى قسمين :

القسم الأول : الكرازة^(١) بعمودية التوبة لمغفرة الخطايا.

والقسم الثاني : شهادته للمسيح كمن هو أقوى منه، وهذه الشهادة لما نطق بها ازداد تأثير خدمته على الشعب وظن الشعب أنه المسيح، وأتت عندئذ الفرصة المناسبة أمام الخادم الأمين ليشهد لسيدة الذي هو مرسل أمامه >> يأتي من هو أقوى مني الذي لست اهلاً أن أحل سيور حذائه << كان يوحنا عظيماً، ولم يكن إنساناً عادياً لأنه كان ممثلاً في بطن امه بالروح القدس^(٢)، ولاشك أن عظمة يوحنا كانت ظاهرة أمام الجموع، فكم بالحرى الصورة التي رسمها المعمدان عن شخص المسيح؟ ولكن مهما كانت عظمة الصورة التي يرسمها المعمدان للمسيح فهي أقل من الحقيقة بكثير <<^(٣).

>> هو سيعمدكم بالروح القدس ونار <<

ويضيف المفسر لإنجيل لوقا :

>> ولنلاحظ أن معمودية الروح القدس والنار ليست شيئاً واحداً

فمعمودية الروح القدس ينالها كل مؤمن وهي تعني سكنى الروح القدس في

(١) التبشير والدعوة.

(٢) لم يأتِ بدليل على هذا الرأي.

(٣) انظر: تفسر إنجيل لوقا جمع وتقديم هلال أمين موسى، ط عام ١٩٧٠م،

المؤمن بمجرد الإيمان، ولكن معمودية النار ليست سوى الدينونة لغير المؤمنين >> (١).

ويضيف الشارح أيضاً :

>> ولما اعتمد (٢) جميع الشعب >> أي جميع الذين أصغوا لصوت يوحنا ومن الأناجيل الأخرى يتضح ان الذين اعتمدوا كانوا على وجه الإجمال الخطاة والعشارين والزناة، أي أناساً ليس لهم شئ من بر أنفسهم يتكلون عليه، وأما الفريسيون والكتبة وكل من شاكلهم فرفضوا معمودية يوحنا، إذ كانوا أبراراً عند أنفسهم، لقد جاء يوحنا في طريق البر، فكان يطلب البر العملي من الشعب، وجميع الذين اعترفوا بخطاياهم والشعب ابتدأوا بالأثمار اللائقة بالتوبة، وصاروا الخراف الذين كان المسيح يقودهم ويسمعهم صوته كالراعي الشفوق الحنون، دخل هؤلاء من باب المعمودية للتوبة، وأخذوا يسلكون في الطريق المرضية لله، وأصبحوا على نوع ما مفرزين عن الجانب الأكبر من الأمة المتمردة المتقدمة نحو الغضب الآتي بخطوات سريعة.

وقد اختار الرب (٣) طريق الذين اعتمدوا من يوحنا وطلب أن يعتمد بهذه المعمودية لكي ينضم إليهم جهاراً، كانوا هم خطاة سلكوا طريق التوبة، وكان هو القدوس البار، الذي ليس له حاجة إلى التوبة.

(١) المصدر السابق، ص ٦٠

(٢) يقصد : الذين عمدهم يوحنا بالماء من الشعب.

(٣) يقصد بذلك المسيح تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ولذلك نرى الرب يسوع وهو في المعمودية يصلي، وكان في هذا النموذج الكامل للإنسان، وهو في وضع الاعتماد الكلي على الله، ولذلك انفتحت السماء على هذا الإنسان المبارك، واستقر الروح القدس عليه على هيئة حمامة، إذ وجد مكان راحته في ذلك الإنسان الكامل المعتمد اعتماداً كلياً على الله >> (١).

ويقول د. وليم إدي مفسر الأناجيل في تفسير هذا النص:

>> كان الناس يومئذ متوقعين مجيء المسيح فجراءة يوحنا وسلطانه على قلوب الناس حملاً كثيرين منهم على أن يقولوا أليس هو المسيح المنتظر أي أليس اعماله وفق النبوءات المتعلقة بالمسيح >> (٢).

ويضيف : >> وخلاصة جواب يوحنا ثلاثة اشياء :

الأول : أنه ليس هو المسيح.

الثاني : قرب مجيء المسيح وظهوره.

الثالث : شرح عمل المسيح ومن ذلك فصل الأخيار عن الأشرار وخلص الأولين وهلاك الآخرين.

والفرق بين عمل المسيح وعمل يوحنا هو أن عمل الأول عمل السيد، وعمل الثاني عمل العبد، وان معمودية الأول التي هي معمودية الروح اعظم من معمودية الثاني التي هي معمودية الجسد كما أن قوة النار على التطهير

(١) تفسير إنجيل لوقا، هلال أمين موسى، ص ٦١

(٢) انظر : الكثر الجليل في تفسير الإنجيل، ج ٢، ط بيروت ١٩٧٣م، ص ١٧٩

اعظم من قوة الماء عليه >> (١).

أما عن تجربته عليه السلام فيقول قاموس الكتاب المقدس في ذلك:

>> وبهذا اليقين في قلبه اقتيد يسوع إلى برية اليهودية لكي يجربه ابليس، حتى يثبت كفايته كمخلص البشر وأهليته لهذا العمل العظيم، فكان عليه أن يبرهن أولاً على طاعته المطلقة من غير قيد ولا شرط للآب السماوي ويدل على قدرته في الانتصار على المجرب، وقد رأى بعض المفسرين في ذكر التجربة في بدء خدمة المسيح الجهارية مقابلة بينها وبين قصة السقوط في تكوين ص ٣ (٢) وكيف أن آدم الأول سقط وهو في احسن الظروف المواتية للانتصار، وكيف أن آدم الثاني الرب يسوع انتصر على المجرب وهزمه بالرغم عن الظروف القاسية التي وجد فيها، وخرج من التجربة ظافراً غالباً معلناً للعالم بأنه حقيق لان يكون ابن الله الوحيد (٣) ومخلص العالم بغير منازع >> (٤).

أما حديث الأناجيل عن تجربة إبليس له فيفهم من نصوصها أنه قد أخذ عليه السلام إلى البرية ليجرب من إبليس وذلك بعد صيامة مدةً طويلة أربعين

(١) لا أدري كيف تستخدم النار في تطهير الروح فالمفسر لم يوضح هذا الأمر وإنما زاده إبهاماً.

انظر : المرجع السابق، ص ١٨٠

(٢) يقصد بالسقوط هنا الأكل من الشجرة المنهي عنها.

(٣) تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٤) لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ص ٨٦٦

يوماً بلياليها، وعندما جاع أخذ إبليس يجربه بقوله إن كنت ابن الله فقل لهذه الحجارة أن تصير خبزاً فأجاب : ليس بالخبز يحياً الإنسان، ثم أخذه إبليس إلى الهيكل وقال له : أن كنت ابن الله فاقذف بنفسك إلى أسفل فإن الملائكة ستحمك فلا تصدم بالحجارة، وأخيراً أخذه إبليس إلى جبل عالٍ وأراه ممالك العالم ووعدته بأن يملكه إياها إن سجد له، فأجابه يسوع بأن طرده بإذهب يا شيطان مكتوب للرب إلهك أن تسجد وإياه أن تعبد ثم تركه إبليس وبذلك يكون قد نجح في تجربته^(١) وفيما يلي نصوص الأناجيل والتي تحكي تجربته هذه :

>> ثم أضع يسوع إلى البرية من الروح ليغرب من إبليس، فبعد ما صام أربعين يوماً وأربعين ليلةً جاع أخيراً، فتقدم إليه المجرّب وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً، فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله، ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لانه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك قال له يسوع مكتوب أيضاً لا تجرب الرب، ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال أعطيك هذه جميعاً إن خررت وسجدت لي، حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد، ثم تركه إبليس وإذ ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه <<^(٢).

(١) لن ينسى القارئ الكريم أننا في هذا الباب في طور العرض، عرض حياة المسيح عليه السلام ودعوته كما يصورها العهد الجديد أما النقد والرد على جميع الشبه فسيكون في الباب الأخير أن شاء الله تعالى،
انظر : ص ٣٦٣ وما بعدها من هذه الرسالة

(٢) متى ٤ : ١ - ١١

وفي الإنجيل المنسوب إلى مرقس ما يلي:

>> وللوقت أخرجه الروح إلى البرية، وكان هناك في البرية أربعين يوماً
يجرب من الشيطان، وكان مع الوحوش وصارت الملائكة تخدمه >> (١).

وإذا عدنا إلى شراح الأناجيل ومفسريه لتفسير نص إنجيل متى نجد ما يلي:

بعد أن نقل الشارح النص السابق لإنجيل مرقس ليستعين به في شرحه ثم
يقول: >> وهو بإرادته خضع لقيادة الروح، لأن الروح القدس نفسه هو روح
المسيح >> (٢) وينكر شراح الأناجيل معرفة البرية التي امتحن أو جرب فيها
المسيح ويعتبرون أن ذلك شيء غير مهم!! (٣)

ثم يقول المفسر:

>> إن كلمة شيطان باليونانية لها نفس المعنى بالعبراني < شيطان >
وتستعمل في بشارة مرقس بكلمة < المجرب > أو، المشتكي، والإسم نفسه يبين
طبيعة المعركة التي اجتازها الرب، فهو المخصص لذلك العمل وهو تأسيس

(١) مرقس ١ : ١٢ - ١٣

(٢) أما في الإسلام فالحقيقة أن روح القدس أمر مغاير لروح المسيح، فروح
القدس هو الروح الأمين هو جبرائيل عليه السلام وهو الذي ينقل
الوحي إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. { وآتينا عيسى ابن مريم
البنات وأيدناه بروح القدس { البقرة: ٨٧ ولم يقل روح القدس هي
روح المسيح وإنما كان تأييده بروح القدس، وقال تعالى: { ينزل الملائكة
بالروح من أمره على من يشاء من عباده { النحل: ٢

(٣) انظر: تفسير إنجيل متى لمجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس، ص ٢٨

ملكوت السموات على الأرض باعتبار أن ذلك هو الغرض الأعظم لرسالته الإلهية والغرض السماوي جرب بهذه الصورة المريعة، ووضع موضع الفحص والامتحان.

وبعد أن صام مدة الأربعين يوماً وبعد أن أنهك جاع، وهنا نستطيع أن نعرف البشرية الكاملة التي للمسيح ووحدته معنا كإنسان والحقيقة الكاملة لتجاريبه <<(١).

ويدون مفسروا الأناجيل ملاحظات عامة لتفسير النص السابق من الإنجيل المنسوب إلى متى :

>> ١ - هذا التقرير لا بد وأن الرب نفسه عرف به الرسل، مما يدل على أن الأمر له أهميته الخطيرة.

٢ - يوضح أيضاً عدم القابلية المطلق الذي للمسيح (٢) ضد الوقوع في الخطية، واستحالة إمكانية السقوط لها كيانها في طبيعته، ولهذا وجدت شخصية الشيطان.

(١) لا أدري كيف يستطيعون التصديق بهذا الاعتقاد إذ كيف يكون إلهاً كاملاً وبشراً كاملاً!!! وقد رددنا على هذه الشبه في الباب الأخير من هذا البحث، انظر : ص ٥٠١ وما بعدها.

انظر : تفسير إنجيل متى، ص ٢٨
(٢) هكذا كتبت

- ٤ - تريننا أيضاً أن التجربة يمكن أن تكون نوعاً من النظام الروحي الذي يمكن أن يسمح لنا الله به.
- ٥ - تريننا أيضاً الصور المختلفة التي يمكن أن تنتظر التجربة تلحق بنا كأتباع المسيح عند الاعتماد على الذات، وعدم الثقة بالله، وثقة الإنسان بنفسه وعدم الثقة فيما يستحسنه الله.
- ٦ - تعلمنا أيضاً أن نطرد التجربة بالحكمة في استخدام كلمات الروح القدس التي هي كلمات الله << (١).

(١) انظر : تفسير إنجيل متى لمجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس، ص ٣١

المبحث الرابع

معجزات (١) المسيح عليه السلام كما وردت في العهد الجديد

تروي أناجيل النصارى المعتمدة حالياً^(٢) عدة معجزات للسيد المسيح عليه السلام وعند المقارنة بما ورد ذكره في القرآن الكريم^(٣) من معجزاته عليه السلام

(١) لتعريف المعجزة انظر: هامش ص ٨١ من هذا البحث.

(٢) وهذه الأناجيل الأربعة منسوبة إلى متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، وهي باعترافهم ليست إنجيل المسيح عليه السلام أي لم يملها ولم تنزل عليه، وهي أسفار تاريخية محور حديثها شخصية المسيح عليه السلام من وقت الحمل به إلى وقت صلبه - في اعتقادهم - وقيامته من قبره بعد دفنه بثلاث ليال، وهي تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح والصلب والفداء في زعمهم. ويروي لنا التاريخ أنه كانت في العصور الغابرة أناجيل أخرى كثيرة، قد أخذت بها فرق قديمة، ولكن هذه الأناجيل قد أعدم وأحرق بعضها وألغي البعض الآخر وذلك في مجمع نيفيه والذي عقد سنة ٣٢٥م من قبل أولئك الذين قرروا ألوهية المسيح في ذلك المجمع، وقد أعدمت وألغيت تلك الأناجيل والتي لاتلائم ولا تتفق وقرار ألوهية المسيح والذي ابتدعه بولس الرسول، ووافق المجمع فقط على الأسفار السبعة والعشرين والتي تكون العهد الجديد، وردّ كل ما سواه وعده كفراً بالغاً، وزيغاً يجب إفناؤه. انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، رسالة ماجستير للباحثة، ص ٢٣، ٤٦

أيضاً: محاضرات في النصرانية، للإمام أبي زهرة، ص ٤٨

أيضاً: المسيحية د. أحمد شلبي، ط ٦، ص ٢٠٤

(٣) انظر: ص ٣٣٠ وما بعدها من هذا البحث

نجد أن بعضها يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم كإحياء الموتى وإبراء الأبرص، وتختلف في نقاط أخرى حيث أن القرآن الكريم قد ذكر عدة معجزات للمسيح عليه السلام لم تذكرها الأناجيل، وقد ذكرت الأناجيل معجزات له عليه السلام لم يذكرها القرآن الكريم.

ويجدر بالذكر هنا أهم نقطة في هذا الموضوع تختلف فيها عقيدة النصارى مع عقيدتنا الإسلامية اختلافاً بائناً وجلياً ألا وهي الاعتقاد بأن حصول هذه المعجزات ووقوعها بإرادة من الله عز وجل، أما بالنسبة لعقيدة النصارى المستنبطة من أناجيلهم الحالية والمحرفة فهي الاعتقاد بأن حصول ووقوع هذه المعجزات بقدرته المسيح وإرادته وحده!! على إعتبار أنه إله وابن إله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ومن معجزاته عليه السلام والتي وردت في الأناجيل مايلي:

- ١ - تحويل الماء إلى خمر وهي أولى معجزاته.
- ٢ - شفاء المرضى (البرص والمشلولين والمحمومين والعمى ومن بهم جنون)
- ٣ - تكثير صيد السمك عندما عجز غيره عن اصطياد سمكة واحدة.
- ٤ - المسيح يهدى العاصفة الثائرة.
- ٥ - إحياء الموتى، فقد أحيا ابنة يائرس بعد موتها.
- ٦ - تكثير الطعام، فقد أشبع خمسة آلاف شخص من طعام قليل.
- ٧ - المسيح عليه السلام يمشي على الماء

١ - أولى معجزاته : تحويل الماء إلى خمر:

أما عن أولى معجزاته عليه السلام كما وردت في الإنجيل المنسوب إلى يوحنا فهي - كما ذكرنا تحويل الماء إلى خمر!! وذلك في قانا الجليل^(١) في حفل عرس حضره المسيح وأمه وبعض تلاميذه، وقد فرغت الحمر المعدة للضيوف فأخبرته أمه بذلك فأخذ يوجهها بقوله "مالي ولك يا امرأة" ثم يطلب يسوع من الخدم ملء ستة أجران من الماء فملأوها حسب أمره ثم أمرهم ان يشربوا منها ويقدموا لرئيس المتكأ فتحول الماء خمرًا بمجرد أمره بالشرب منها، وشهد رئيس المتكأ بجودة ذلك الخمر!! وفيما يلي نقل النص من الإنجيل المنسوب إلى يوحنا.

>> كان عرس في قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك، ودعى أيضا يسوع وتلاميذه إلى العرس، ولما فرغت الحمر قالت أم يسوع له: "ليس لهم خمر" قال لها يسوع: "مالي ولك يا امرأة! لم تأت ساعتين بعد" قالت أمه للخدام "مهما قال لكم فافعلوه" وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة قال لهم يسوع املأوا الأجران ماء، فملأوها إلى فوق، ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ، فقدموا، فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمرًا ولم يكن يعلم من أين هي ولكن الخدام الذين قد استقوا الماء علموا، دعا رئيس المتكأ العريس، وقال له. كل انسان إنما يضع الخمر الجيدة أولا ومتى سكروا فحينئذ الدون^(٢) أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة

(١) قرية في الشمال الشرقي من الناصرة وعلى أمد نحو ساعتين منها وآثارها واسمها باقية إلى هذا اليوم.

انظر : الكثر الجليل في تفسير الإنجيل، د. وليم إدي، ج ٣، ص ٢٦
(٢) التي تسبب سكر الإنسان وغيابه عن وعيه وعدم انتباهه إلى مصيره الأبدي، انظر: تفسير إنجيل يوحنا، جمع وتقديم هلال موسى، ص ٣٣

إلى الآن، هذه بداية فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده فأمن به تلاميذه >> (١).

ويعلق صاحب كتاب [سيرة المسيح] على النص السابق بقوله:

>> وفي أثناء العرس فرغت الخمر، فعلمت مريم العذراء بذلك بسبب معرفتها القريبة بأهل العرس، لكن المدعوين لم يعلموا، فقالت أمه: "لا ليس لهم خمر" وذلك إما لأن آمالها به تجددت بواسطة الأخبار الجديدة عما حدث له على ضفة الأردن فقصدت أن تدعوه لكي يرى الناس مقدرة تليق بما تعلمه هي عن أصله ومقامه، أو لأنها حسبت مجيئه مع زمرة تلاميذه سبب فروغ الخمر، أو لأن روح افتخار الأمومة الطبيعي جعلها تحسب أن تعظيم ابنها ينيلها أيضا عظمة. أو بدافع آخر نجعله نحن >> (٢)

>> ومن جملة الأمور التي تبين لنا أن المسيح قدوة للبشر: موافقته على استعمال الخمر وتقديمه للمحتفلين بالعرس، لأنه يعلم الخفايا، وعمله قدوة لكل من يعلم علمه، فليس المقصود هنا السكر بالخمر، لأن السكر يؤدي للإنسان، ومانعلمه عن المسيح وعن مبادئه وتصرفاته يجعلنا نجزم بأنه لو كان في استعمال الخمر التي وضعها ضرر في حينه، لكان مستحيلا أن يضعها لهم. ولو تحول التلذذ بما هو جائز، إلى عثرة للآخرين يصير هذا التلذذ محرماً،

(١) يوحنا ٢ : ١ - ١١

(٢) جورج فورد، ص ١٠٢

إن شرب الخمر خطأ لو أُلجأ إلى السكر، أو لو أعتز الآخريين << (١).

٢ - من معجزاته عليه السلام شفاؤه للمرضى

البرص والمشلولين والمحمومين والعمي ومن بهم جنون

معجزة شفاؤه البرص

أما في معجزاته عليه السلام والتي تحدث عنها الإنجيل في شفاؤه المرضى، ومن أولئك شفاؤه البرص، وهذا ما أكده القرآن الكريم في سورة المائدة (٢).

وقصة شفاؤه الأبرص يحكيها الإنجيل المنسوب إلى مرقس ملخصها أنه في ذات يوم قد أتى إليه أبرص جاثياً يستجدي المسيح ليشفيه من مرضه، فمد المسيح عليه السلام يده إليه ولمسه وفور لمسه ذهب عنه البرص، ونهاه ان يخبر احداً بما حدث!! وأمره ان يذهب للكاهن ليشهد بطهارته وشفاؤه من مرضه - كما هي العادة في ذلك الحين.

لست أدري كيف ينسبون إلى المسيح عليه السلام عملاً كهذا؟! كيف ينسب إليه عليه السلام أنه يحول سائلاً نافعا للناس جميع الناس. بل جميع المخلوقات وهو الماء إلى سائل ضار كالخمر؟! وقد أعتز بضمره حديثاً الأطباء والمهتمين بصحة الإنسان فالخمر ضارة - بلا شك - فهي أم الجبائث لذلك حرّمها الإسلام (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون* إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم

عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) المائدة ٩٠-٩١

(٢) انظر ص ٣٣٤ من هذا البحث.

ويواصل إنجيل مرقس سرد تلك القصة بأن المريض الذي شُفي أخذ ينادي
ويذيع الخبر، خبر شفائه من مرضه بواسطة المسيح عليه السلام خلافاً لما نهاه عنه،
حتى أنه أي المسيح لم يستطع دخول اي مدينة من شدة ازدحام الناس عليه.
وفيما يلي أنقل نص إنجيل مرقس :

>> فأتى إليه أبرص يطلب جاثياً وقائلاً له: > إن أردت تقدر أن
تطهرني > فتحزن يسوع ومدّ يده ولمسه، وقال له: > أريد فاطهر > فللوقت وهو
يتكلم ذهب عنه البرص وطهر، فانتهزه وأرسله للوقت، وقال له: > أنظر، لا تنقل
لأحد شيئاً، بل اذهب أر نفسك للكاهن، وقدم عن تطهرك ما أمر به موسى شهادة
لهم > وأما هو فخرج وابتدأ ينادي كثيراً، ويذيع الخبر، حتى لم يعد يقدر
(المسيح) أن يدخل مدينة ظاهراً، بل كان خارجاً في مواضع خالية، وكان يأتيون
إليه من كل ناحية >> (١)

(١) مرقس : ١ : ٤٠ - ٤٥

يتبين من كتب الشرح والتفسير للأناجيل والواردة على نص إنجيل مرقس
السابق أن المفسرين يتحدثون عن مرض البرص الوارد في النص بأنه
الجدام - والعياذ بالله منه - ثم يستر سلون في الحديث عن مرض الجدام
وأنواعه وأعراضه إلى آخر ذلك.

انظر: تفسير العهد الجديد (إنجيل مرقس) لـ وليم باركلي ص ٦١-٦٤، أيضاً
الكتز الجليل في تفسير الإنجيل لـ د. وليم إدي، ج ٢، ص ٢٠-٢١

أيضاً: سيرة المسيح لجورج فورد، ص ١٤٩-١٥٢

معجزة شفاء مشلول

ومن معجزاته عليه السلام والمذكورة في أناجيل النصارى المعتمدة حالياً في شفاؤه للمرضى حادثه وردت في الإنجيل المنسوب إلى مرقس في شفاؤه مشلولاً أو مفلوجاً، ويذكر مؤلف هذا الإنجيل أن المسيح عليه السلام بينما كان متواجداً في بيت أحدهم آنذاك، وقد احتشد حوله جمع كبير من الناس بحيث يستحيل وصول نفر من الناس إليه إلا بصعوبة بالغة إذ قدم نفر من الناس ومعهم مفلوجاً يحملونه ليقدم إليه عليه السلام الشفاء - كما يدعون - فلما لم يستطيعوا

== وفي الحقيقة أن مرض البرص يختلف تماماً في ماهيته عن مرض الجذام،

فالجدام : هو مرض مزمن معدٍ تسببه جرثومة معينة والتي تهاجم الجلد والغشاء المخاطي وأعصاب الأطراف انظر: The Merck Manual, ط ١٣، تأليف نخبة من الأطباء العالميين ص ١٢٦

أما البرص: فهو مرض جلدي يعود إلى فقدان مادة الميلانين Melanin وهي المادة الملونة من الجلد، والسبب غير معروف في أكثر الأحيان.

ويقول المعلم بطرس البستاني في دائرة المعارف: > وأما العرب فقالوا: ان البرص بياض يظهر في ظاهر الجلد ويفور فإن لم يكن غائراً سُمي عندهم بالبهق، وان كان البرص عاماً في سائر الأعضاء حتى يصير لون الجلد كله ابيض قيل له المنتشر <، ج ٥، ص ٣٣٠

ويذكر بعض اطباء هذا العصر : ان المريض المصاب بالبرص، وكذلك الأكمه (المولود أعمى) لا يوجد لهما علاج طبي معروف حتى الآن وبذلك كانت المعجزة في شفاء امراض لاعلاج لها من قبل سيدنا المسيح عليه السلام.

أما الجزام والعشى الليل (ضعف أو انعدام الرؤيا ليلاً) فهما من الأمراض التي يمكن علاجها طبيياً في الوقت الحاضر بمشيئة الله تعالى، والله أعلم.

الوصول إليه صعدوا إلى سطح المتزل وثقبوا سقفه ودلوا سرير المفلوج من ذلك الثقب!!.. وعندما رأى يسوع ذلك قال مخاطباً المفلوج: يا بني مغفورة لك خطاياك، فاستنكر عليه قوم من كتبة اليهود قوله ذلك لأنه - على حسب علمهم - لا يغفر الذنوب إلا الله، ولكن استنكارهم ذلك كان في قلوبهم دون التصريح به، وشعر المسيح باستنكارهم، فطرح عليهم الاستفهام الاستنكاري: لماذا تفكرون بهذا في قلوبكم؟ ويضيف الإنجيل وأنه لكي يثبت أن له سلطاناً على غفران الخطايا!! قال للمفلوج قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك فقام على الفور، وحمل سريره وخرج أمام ذلك الحشد من الناس.

وفيما يلي أنقل نص الإنجيل:

>> ثم دخل كفر ناحوم أيضاً بعد أيام فسمع أنه في بيت، وللوقت اجتمع كثيرون حتى لم يعد يسع ولا ماحول الباب، فكان يخاطبهم بالكلمة. وجاءوا إليه مقدمين مفلوجاً يحمله أربعة، وإذا لم يقدرُوا أن يقتربوا إليه من أجل الجمع، كشفوا السقف حيث كان، وبعدما نقبوه دلوا السرير الذي كان المفلوج مضجعاً عليه، فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج >> يا بني مغفورة لك خطاياك << وكان قوم من الكتبة هناك جالسين يفكرون في قلوبهم: >> لماذا يتكلم هذا هكذا بتجاديف؟ من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده؟ فللوقت شعر يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا في أنفسهم، فقال لهم: لماذا تفكرون بهذا في قلوبكم؟ أيهما أيسر: أن يقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال قم واحمل سريرك وامش؟ ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن

يغفر الخطايا^(١) قال للمفلوج: لك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك فقام للوقت وحمل السرير وخرج قدام الكل حتى بهت الجميع ومجدوا الله قائلين: ما رأينا مثل هذا قط! <<^(٢).

شفاؤه المحموم

ومن معجزاته عليه السلام الواردة في الإنجيل شفاؤه المحمومين، الذين تصيبهم الحمى الشديدة التي أصابت حماة سمعان بطرس، فوقف المسيح وانتهر الحمى فتركتها، وفي الحال قامت من فراشها وصارت تخدمهم، ثم قام عليه السلام كما ذكر النص بشفاء الكثير من المرضى وذلك بمجرد وضع يده على كل واحد منهم.

(١) يقول جورج فورد صاحب كتاب (سيرة المسيح) في التعليق على هذا النص:

>> أثبت المسيح حقه في منح الغفران، فأثبت لنفسه مقاماً فوق سائر البشر وقد أثر هذا كثيراً في الذين رأوا وسمعوا ما حدث <<، ص ١٥٦، ولا يخفى على القارئ الكريم ما يثبتته ديننا الإسلامي الحنيف من أنه لا يغفر الذنوب إلا الله سبحانه وتعالى وخاصة فيما بين العبد وبين ربه، فهو الخالق الصانع الحاكم العادل، قال تعالى: {والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون} آل عمران: ١٣٥، كما قال تعالى: {ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير} المائدة: ٤٠

(٢) مرقس ٢ : ١ - ١٢

وفيما يلي أنقل نص الإنجيل :

>> ولما قام من المجمع دخل بيت سمعان، وكانت حماة سمعان (١) قد أخذتها حمى شديدة، فسألوه من أجلها، فوقف فوقها وانتهر الحمى فتركتها، وفي الحال قامت وصارت تخدمهم، وعندما غروب الشمس جميع الذين كان عندهم سقماء بأمراض مختلفة قدموهم إليه، فوضع يديه على كل واحد منهم وشفاهم، وكانت شياطين أيضاً تخرج من كثيرين وهي تصرخ وتقول: >> أنت المسيح ابن الله (٢) فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوه أنه المسيح >> (٣).

(١) سمعان بطرس وقال مرقس انه بيت سمعان واندراوس وهما اخوان شريكان في الصيد، متى ١٨:٤

نقلا عن : الكثر الجليل في تفسير الإنجيل، د. وليم إدي، ج ٢، بيروت ٧٣

(٢) يقول صاحب كتاب (سيرة المسيح) في التعليق على هذه العبارة >> تُرى هل شعر أهل المدينة بالحجل عندما رأوا الشياطين تسمية المسيح وابن الله؟ هل يمكن أن الأبالسة تعظم كذباً الذي يطردها؟ >> جورج فورد، ج ١، ص ١٤٢

ونرد عليه بأنه - وإن صدق هذا النص - فلأنهم شياطين سموه بالمسيح ابن الله، ولأنهم أبالسة - كما ذكر - أرادوا تضليل السامعين وليس هذا تعظيماً من الشياطين بل كذباً وافتراءً، فلم يكن إلهاً ولا ابن إله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.. { ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أني يؤفكون { المائدة: ٧٥

(٣) لوقا ٤ : ٣٨ - ٤١

شفاؤه للعمى

ومن أمثله معجزاته عليه السلام في شفاؤه للعمى الواردة في الأناجيل
ماورد في إنجيل متى وفيما يلي نصه:

>> وفيما يسوع مجتاز من هناك تبعه أعميان يصرخان ويقولان: > ارحمنا
يا بن داود > ولما جاء إلى البيت تقدم إليه الأعميان، فقال لهما يسوع: أتؤمنان
أني أقدر أن أفعل هذا ؟ (١) قالوا له نعم ياسيد حينئذ لمس أعينها قائلاً بحسب
إيمانكما ليكن لكما، فانفتحت أعينها فانتهرهما يسوع قائلاً: أنظر، لا يعلم أحد
لكنهما خرجا وأشاعاه في تلك الأرض كلها >> (٢)

ويروي إنجيل يوحنا بأن المسيح عليه السلام قد أشفى من كف بصره منذ

(١) ويعلق صاحب كتاب سيرة المسيح على هذه الفقرة بقوله: > تُرى لماذا
أبدى المسيح عدم الإهتمام بهما أولاً؟ لقد قصد أن يمتحن قوة إيمانهما به
لم يسألهما إن كانا يؤمنان أن الله قادر، بل كان سؤاله: هل تؤمنان أنني
قادر؟ <

انظر: جورج فورد، ص ٢٦٤

ولكن هذا على خلاف العقيدة الإسلامية والتي قررها القرآن الكريم بأن
جميع المعجزات التي تجري على أيدي الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة
والسلام ومن بينهم المسيح عليه السلام فإن الله سبحانه وتعالى هو الخالق
الصانع لها وأنها تجري بمشيئته وإرادته وحده.

انظر: الباب الثالث من هذا البحث، ص ٣٣٠ وما بعدها

(٢) متى ٩: ٢٧-٣١

ولادته (١) دون أن يُطلب منه ذلك وفيما يلي نص الإنجيل المنسوب إلى يوحنا:

« وفيما هو مجتاز رأى إنساناً أعمى منذ ولادته، فسأله تلاميذه > يامعلم، من أخطأ، هذا أم أبواه، حتى ولد أعمى؟ أجاب يسوع: لا هذا أخطأ ولا أبواه، ولكن لتظهر أعمال الله فيه. ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني مادام نهار. يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل. مادمت في العالم فأنا نور العالم.

قال هذا وتفل على الارض وصنع من التفل طيناً وطفى بالطين عيني الأعمى، وقال له: أذهب واغتسل في بركة سلوام الذي تفسيره مرسل فمضى واغتسل وأتى بصيراً» (٢)

شفاؤه عليه السلام لمن بهم داء الصرع أو مس من الجن، كما ورد ذلك

في الأناجيل

ومن معجزاته عليه السلام في شفاؤه لمن بهم مس من الجن أو داء الصرع - والعياذ بالله - كما ورد ذلك في أناجيلهم المعتمدة مايلي:

« ولما جاء إلى التلاميذ رأى جمعا كثيرا حولهم، وكتبه يحاورونهم، وللوقت كل الجمع لما رأوه تحيروا وركضوا وسلموا عليه، فسأل الكتبة: "بماذا تحاورونهم؟" فأجاب واحد من الجمع وقال: "يامعلم قد قدمت إليك ابني به روح

(١) وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم بلفظ "الأكمه"

انظر: الآيات الكريمات في الباب الثالث، ص ٣٣١، ٣٣٤ من هذا البحث

(٢) يوحنا ٩: ١-٧

أخرس، حيثما أدركه ليمزقه فيزبد ويصر بأسنانه ويبيس، فقلت لتلاميذك أن يخرجوه فلم يقدرُوا" فأجاب أيها الجليل غير المؤمن إلى متى أكون معكم؟ إلى متى احتملكم؟ قدموه إليّ" >>، فلما رآه للوقت صرعه الروح، فوقع على الأرض يتمرغ ويزبد فسأل أباه: كم من الزمان منذ أصابه هذا؟ فقال: منذ صباه، وكثيراً ما ألقاه في النار وفي الماء ليهلكه. لكن إن كنت تستطيع شيئاً فتحن علينا وأعنا فقال له يسوع: إن كنت تستطيع أن تؤمن، كل شيء مستطاع للمؤمن، فللوقت صرخ أبو الولد بدموع وقال: أوّمن ياسيد، فأعن عدم إيماني، فلما رأى يسوع أن الجمع يتراكضون انتهر الروح النجس قائلاً له: أيها الروح الأخرس الأصم، أنا أمرك: أخرج منه ولا تدخله أيضاً، فصرخ وصرعه شديداً وخرج، فصار كميت حتى قال كثيرون إنه مات، فأمسكه يسوع بيده وأقامه، فقام، ولما دخل بيتا سأله تلاميذه على انفراد: لماذا لم تقدر نحن أن نخرجه؟ فقال لهم: هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشيء إلا بالصلاة والصوم^(١)

>> وجاءوا عبر البحر إلى كورة الجدرين، ولما خرج من السفينة للوقت استقبله من القبور إنسان به روح نجس كان مسكنه في القبور، ولم يقدر أحد أن يربطه ولا بسلاسل، لأنه قد ربط كثيرا بقيود وسلاسل، فقطع السلاسل وكسر القيود، فلم يقدر أحد أن يذله، وكان دائماً ليلاً ونهاراً في الجبال والقبور يصيح ويجرح نفسه بالحجارة، فلما رأى يسوع من بعيد ركض وسجد له، وصرخ بصوت عظيم وقال: مالي ولك يا يسوع ابن الله العلي؟ استحلفك بالله ألا تعذبني؟" لأنه قال له: أخرج من الإنسان يا أيها الروح النجس وسأله

(١) مرقس ١٤:٩-٢٩

ما أسمك؟ فأجاب قائلاً: اسمي لجئون لأننا كثيرون، وطلب إليه كثيراً ان لا يرسلهم إلى خارج الكوره، وكان هناك عند الجبال قطيع كبير من الخنازير يرعى، فطلب إليه كل الشياطين قائلين: أرسلنا إلى الخنازير لندخل فيها فأذن لهم يسوع للوقت، فخرجت الأرواح النجسة ودخلت الخنازير، فأندفع القطيع من على الجرف إلى البحر، وكان نحو الفين، فاختنق في البحر، وأما رعاة الخنازير فهربوا وأخبروا في المدينة وفي الضياع، فخرجوا ليروا ماجرى، وجاءوا إلى يسوع، فنظروا المجنون الذي كان فيه اللجئون جالسا ولابسا وعاقلا، فخافوا، فحدثهم الذين رأوا كيف جرى للمجنون وعن الخنازير، فابتدأوا يطلبون إليه أن يمضي من تخوفهم، ولما دخل السفينة طلب إليه الذي كان مجنونا أن يكون معه، فلم يدعه يسوع، بل قال له: اذهب إلى بيتك وإلى أهلك وأخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك، فمضى وابتدأ ينادي في العشر المدن كم صنع به يسوع فتعجب الجميع» (١)

٣ - من معجزاته عليه السلام الواردة في الأناجيل تكثير صيد السمك عندما عجز غيره من اصطياد سمكة واحدة.

ومن معجزاته عليه السلام الواردة في أناجيل النصارى المعتمدة، تكثير صيد السمك، وذلك عندما كان واقفا عند بحيرة جنيسارت فرأى سفينتين واقفتين عندها، والصيادون قد خرجوا منها وغسلوا الشباك، فأمر سمعان أن يبعد إلى العمق ويلقي الشباك، ومع أنهم قد امضوا الليل بطوله لم يصطادوا سمكة واحدة إلا أنهم حينذاك اصطادوا سمكا كثيراً وملأوا السفينتين بها.

وفيما يلي نص الإنجيل المنسوب إلى لوقا.

« واذ كان الجمع يزدحم عليه ليسمع كلمة الله، كان واقفا عند بحيرة جنيسارت، فرأى سفينتين واقفتين عند البحيرة والصيادون قد خرجوا منها وغسلوا الشباك فدخل إحدى السفينتين التي كانت لسمعان، وسأله أن يبعد قليلا عن البر، ثم جلس وصار يعلم الجموع من السفينة، ولما فرغ من الكلام قال لسمعان: ابعد إلى العمق وألقوا اشباككم للصيد. فأجاب سمعان وقال له: يامعلم قد تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئا، ولكن على كلمتك ألقى الشبكة، ولما فعلوا ذلك أمسكوا سمكا كثيراً جداً، فصارت شبكتهم تتخرق فأشاروا إلى شركائهم الذين في السفينة الأخرى أن يأتوا ويساعدهم، فأتوا وملأوا السفينتين حتى أخذتا في الفرق!! فلما رأى سمعان بطرس ذلك خر عند ركبتى يسوع قائلاً: أخرج من سفينتي يارب لأني رجل خاطئ، اذ اعترته وجميع الذين معه دهشه على صيد السمك الذي أخذوه، وكذلك أيضا يعقوب ويوحنا ابنا زبدي اللذان كانا شريكى سمعان، فقال يسوع لسمعان: لا تخف من الآن تكون تصطاد الناس ولما جاءوا بالسفينتين إلى البر تركوا كل شيء وتبعوه »^(١)

٤ - من معجزاته: أنه يهدى العاصفة الثائرة

وقد ورد في أناجيل النصارى المعتمدة من معجزات المسيح عليه السلام في أنه كان يهدى العاصفة الثائرة مارواه إنجيل مرقس أنه عليه السلام كان ذات مساء مع جماعة من أصحابه في سفينة في عرض البحر، فحدث أن ثارت عاصفة

(١) لوقا ١٠:٥-١١

هو جاء وكان عليه السلام نائماً!!! فأيقظوه فانتهر الريح فسكنت، وأخذ يوجههم لقلعة إيمانهم وفيما يلي أنقل نص إنجيل مرقس:

>> وقال لهم في ذلك اليوم لما كان مساءً: لنجتز إلى العبر فصرفوا الجمع وأخذوه كما كان في السفينة، وكانت معه أيضاً سفن أخرى صغيرة، فحدث نوء ريح عظيم، فكانت الأمواج تضرب إلى السفينة حتى صارت تمتلئ، وكان هو في المؤخر على وساده نائماً، فأيقظوه وقالوا له: يامعلم، أما يهمك أننا نهلك؟ فقام وانتهر الريح وقال للبحر: اسكت! ابكم! فسكنت الريح وصار هدوء عظيم، وقال لهم: ما بالكم خائفين هكذا؟ كيف لا إيمان لكم؟ فخافوا خوفاً عظيماً وقالوا بعضهم لبعض: من هو هذا؟ فإن الريح أيضاً والبحر يطيعانه! >> (١)

٥ - أمثله من معجزاته على إحيائه الموتى:

ومن أمثلة ذلك ما حكاه الإنجيل المنسوب إلى مرقس: أنه ذات يوم جاءه رجل اسمه يايرس، وخر عند قدميه يرجوه أن يحيي ويشفي ابنته والتي على فراش الموت فمضى المسيح عليه السلام مع الرجل إلى داره وإذا برسول قادم من الدار يقابلهما وينبؤهما بموت الفتاة، فطمأن المسيح والد الفتاة، وعندما قدما الدار وجد من بها يبكون ويولولون لموتها، فدخل المسيح على الفتاة والتي قد ماتت وأمرها بأن تقوم.. فقامت لتوها تمشي ثم أوصى لها بطعام. وفيما يلي أنقل نص الإنجيل المنسوب إلى مرقس:

>> ولما اجتاز يسوع في السفينة أيضاً إلى العبر اجتمع إليه جمع كثير،

(١) مرقس ٤: ٣٥-٤١

وكان عند البحر، وإذا واحد من رؤساء المجمع اسمه ياريس جاء. ولما رآه خرّ عند قدميه، وطلب إليه كثيراً قائلاً ابنتي الصغيرة على آخر نسمة، ليتك تأتي وتضع يدك عليها لتشفى فتحيًا، فمضى معه وتبعه جمع كثير وكانوا يزحمونه << (١)

>> وبينما هو يتكلم جاءوا من دار رئيس المجمع قائلين ابنتك ماتت، لماذا تتعب المعلم بعد، فسمع يسوع لوقته الكلمة التي قيلت فقال لرئيس المجمع لا تخف آمن فقط، ولم يدع أحداً يتبعه إلا بطرس ويعقوب ويوحنا أخا يعقوب فجاء إلى بيت رئيس المجمع ورأي ضجيجاً يكون ويولولون كثيراً، فدخل وقال لهم لماذا تضحجون وتبكون، لم تمت الصبية لكنها نائمة.

فضحكوا عليه، أما هو فأخرج الجميع وأخذ أبا الصبية وأمها والذين معه ودخل حيث كانت الصبية مضطجعه وأمسك بيد الصبية وقال لها طليثا قومي، الذي تفسيره يا صبية لك أقول قومي، وللوقت قامت الصبية ومشت لأنها كانت ابنة اثنتي عشرة سنة، فبهتوا بهتاً عظيماً، فأوصاهم كثيراً أن لا يعلم أحد بذلك، وقال أن تعطى لتأكل << (٢).

ومن أمثلة ذلك ما حكاه الإنجيل المنسوب إلى لوقا:

أنه عليه السلام كان وتلاميذه مع جمع غفير متجهين إلى مدينة تدعى

(١) مرقس ٥ : ٢١ - ٢٤

(٢) مرقس ٥ : ٣٥ - ٤٣

نايين^(١) وإذا به يميت محمول وهو وحيد أمه الأرملة، فلما رآها أشفق عليها ولمس نعش ابنها وأمره بالقيام، فجلس وبدأ يتكلم ثم دفعه إلى أمه. وفيما يلي ن نقل النص :

>> وفي اليوم التالي ذهب إلى مدينة تدعى نايين، وذهب معه كثيرون من تلاميذه وجمع كثير، فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول، ابن وحيد لأمه ، وهي أرملة، ومعها جمع كثير من المدينة، فلما رآها الرب تحن عليها، وقال لها: لا تبكي ثم تقدم ولمس النعش، فوقف الحاملون فقال: أيها الشاب، لك أقول قم فجلس الميت وابتدأ يتكلم، فدفعه إلى أمه، فأخذ الجميع خوف، ومجدوا الله قائلين: قد قام فينا نبي عظيم، وافتقد الله شعبه، وخرج هذا الخبر عنه في كل اليهودية وفي جميع الكوره المحيطة >>^(٢).

٦ - تكثيره عليه السلام للطعام فقد أشبع خمسة آلاف شخص من طعام قليل.

ومن امثلة ذلك ما ورد في الإنجيل أنه عليه السلام قد أشبع

(١) اسم عبري معناه لذيذ وهي بلدة على الطرف الشمالي الغربي من جبل الوحي أو حرمون، على بعد ميلين إلى الجنوب الغربي من عين دور وعلى بعد خمسة أميال جنوب شرقي الناصره، وهي اليوم قرية صغيرة جداً، وفيها آثار تدل على أنها كانت ذات شأن.

انظر : قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ط٦، ص ٩٤٨

(٢) لوقا ٧ : ١١ - ١٧

خمسة آلاف كانوا في موضع خلاء وليس هناك أي طعام سوى خمسة أرغفة
وسمكتان، فأمر بترتيب الأشخاص زمراً زمراً ثم أخذ يوزع الطعام عليهم حتى
شبعوا وفاض الطعام..

وفيما يلي أنقل النص من الإنجيل :

>> وبعد ساعات كثيرة تقدم إليه قائلين: > الموضع خلاء والوقت مضى.
اصرفهم لكي يمشوا إلى الضياع والقرى حوالينا ويتاعوا لهم خبزاً، لأن ليس
عندهم ما يأكلون فأجاب وقال لهم: أعطوهم أنتم ليأكلوا فقالوا له: أنمضى
ونبتاع خبزاً بمئتي دينار ونعطيهم ليأكلوا؟ فقال لهم: كم رغيفاً عندكم؟ اذهبوا
وانظروا.

ولما علموا قالوا: خمسة وسمكتان. فأمرهم أن يجعلوا الجميع رفاقاً رفاقاً
على العشب الأخضر، فاتكأوا صفوفاً صفوفاً، مئة مئة وخمسين خمسين، فأخذ
الأرغفة الخمسة والسمكتين، ورفع نظرة نحو السماء وبارك ثم كسر الأرغفة،
وأعطى تلاميذه ليقدموا إليهم، وقسم السمكتين للجميع، فأكل الجميع وشبعوا،
ثم رفع من الكسرا اثني عشرة قفة مملوءة من السمك، وكان الذين أكلوا من
الأرغفة نحو خمسة آلاف رجل >> (١).

٧ - المسيح عليه السلام يمشي على الماء.

ومن معجزاته عليه السلام الوارده في أناجيل النصارى الحالية أنه
باستطاعته ان يمشي على الماء، وهذا مارواه إنجيل متى: أن سفينة كانت تقلّ عدداً

من تلاميذه في عرض البحر الذي كان هائجاً، وكانت الرياح باتجاه مضاد للسفينة، وفي هذه الأثناء في أواخر الليل قدم إليهم المسيح ماشياً على الماء في البحر باتجاه سفينتهم لينقذهم مما هم فيه، ولما أبصروه ظنوه خيالاً واضطربوا وأخذوا يصرخون خائفين..

وفيما يلي نص إنجيل متى :

>> وللوقت ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى العبر حتى يصرف الجموع، وبعدها صرف الجموع صعد إلى الجبل منفرداً ليصلي، ولما صار المساء كان هناك وحده، وأما السفينة فكانت قد صارت في وسط البحر معذبة من الأمواج، لأن الريح كانت مضادة، وفي الهزيع الرابع من الليل مضى إليهم يسوع ماشياً على البحر اضطربوا قائلين إنه خيال، ومن الخوف صرخوا، فللوقت كلمهم يسوع قائلاً: تشجعوا: أنا هو! لا تخافوا، فأجابه بطرس وقال: يا سيد إن كنت أنت هو فمرني أن آتي إليك على الماء، فقال: تعال، فتزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتي إلى يسوع، ولكن لما رأى الريح شديدة خاف، وإذا ابتداء يغرق صرخ قائلاً: يارب نجني، ففي الحال مدّ يسوع يده وأمسك به وقال له: يا قليل الإيمان، لماذا شككت؟ ولما دخلا السفينة سكنت الريح، والذين في السفينة جاءوا له قائلين: بالحقيقة أنت ابن الله >> (١).

المبحث الخامس

الحديث عن القبض عليه، ومحاكمته، ثم صلبه ودفنه وقيامته،

وصعوده إلى السماء كما يزعم النصارى في أناجيلهم

لابد هنا أن نجزي الحديث في هذه الفقرة على فقرات صغيرة أيضاً فنتحدث أولاً عن القبض عليه كما تروي أناجيل النصارى:

القبض عليه كما تروي الأناجيل

وتتحدث أناجيل النصارى المعتمدة عن القبض على المسيح عليه السلام من قبل جنود الرومان التابعين للدولة الرومانية الحاكمة آنذاك فتذكر أنه عليه السلام قدم مع تلاميذه إلى ضيعة جشماني وطلب منهم المكوث والسهر في انتظاره وتسجل الأناجيل أنه كان حزيناً جداً حتى الموت!!^(١). وابتدأ يصلي وأخذ يرجو الله بأن يعبر عنه هذه الكأس، أي كأس الموت !! وعندما عاد لينظر إلى تلاميذه وجدهم نياماً فأخذ يلومهم لنومهم ثم عاد إلى الصلاة ثانيةً واستجداء الرب لاعفائه من شرب كأس هذه الميته، ثم أخذ يصلي للمرة الثالثة مع تكرار ذلك الرجاء !! ثم عاد إلى تلاميذه وأخذ يتحدث معهم وفيما هو كذلك إذ جاء يهوذا الخائن أحد تلاميذه الاثني عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصي فقبله يهوذا

(١) والغريب في هذه الأناجيل أنها تسجل حزنه الشديد جداً عند معرفته بقرب موته مع أن العظماء لا يهابون الموت وخاصة الأتقياء منهم، فكيف بمن يدعون أنه ابن للإله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وهذا دليل يُضاف إلى الأدلة الكثيرة على زيف هذه الأناجيل.

وكانت تلك القبله علامة بينه وبين الجنود للقبض عليه، فقبض الجنود على يسوع، فاستل احد تلاميذ المسيح سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع اذنه، فأخذ المسيح يلومه على فعلته تلك !!

وفيما يلي نص الإنجيل:

>> حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها حبشيماني، فقال للتلاميذ اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك، ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت، امكثوا ههنا واسهروا معي.

ثم تقدم قليلاً وخرّ على وجهه وكان يصلي قائلاً: يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت، ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياماً، فقال لبطرس: أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة؟ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة، أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف، فمضى أيضاً ثانيةً وصلى قائلاً: يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك، ثم جاء فوجدهم أيضاً نياماً، إذ كانت أعينهم ثقيلة فتركهم ومضى أيضاً وصلى الثالثة قائلاً ذلك الكلام بعينه، ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم: ناموا الآن واستريحوا، هوذا الساعة قد اقتربت وابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة، قوموا ننطلق^(١) هوذا الذي سلمني قد اقترب.

(١) يتضح التناقض في هذا النص من إنجيل متى إذ كيف يأمرهم بالنوم والاستراحة ثم وفي نفس اللحظة يأمرهم بالقيام والانطلاق.

وفيما هو يتكلم إذ يهوذا، احد الاثني عشر، قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب، والذي أسلمه أعطاهم علامة قائلاً: الذي أقبه هو هو أمسكوه، فلوقت تقدم إلى يسوع وقال: السلام ياسيدي، وقبله فقال له يسوع: يا صاحب، لماذا جئت؟ حينئذ تقدموا وألقوا الأيادي على يسوع وأمسكوه، وإذا واحد من الذين مع يسوع مدّ يده واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع اذنه^(١) فقال له يسوع: ردّ سيفك إلى مكانه، لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون أتظن أني لا أستطيع الآن أن اطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة؟ فكيف تكمل الكتب أنه هكذا ينبغي أن يكون؟ <<^(٢)

محاكمته :

وبدأت محاكمته كما تروي الأناجيل بسؤال رئيس الكهنة عن تعليمه فأجابه يسوع إسأل الذين قد سمعوا عني، وفيما يلي أنقل النصوص من الأناجيل: << فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه. أجابه يسوع: أنا كلمت العالم علانية. أنا علمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع

(١) يتضح - أيضاً - أن هناك نقاطاً مهمة وكثيرة قد فاتت على كتاب الأناجيل إذ كيف يقطع أحد تلاميذ المسيح إذن عبد رئيس الكهنة بسيفه!! والذي قد اصطحب معه مجموعة كبيرة من الناس مسلحين بسيوف وعصي، وذلك العبد واقف ينظر إليه هكذا ومن معه من الناس دون أن يحرك احد منهم ساكناً.

(٢) متى ٢٦ : ٣٦ - ٥٤

اليهود دائماً، وفي الحفاء لم أتكلم بشيء، لماذا تسألني أنا؟ اسأل الذين قد سمعوا: ماذا كلمتهم، هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا، ولما قال هذا لطم يسوع واحداً من الخدام كان واقفاً قائلاً: هكذا تجاوب رئيس الكهنة؟ أجابه يسوع: إن كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردي، وإن حسناً فلماذا تضربني؟^(١) وكان حنان قد أرسله موثقاً إلى قيافا رئيس الكهنة <<^(٢)

>> وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه، فلم يجدوا مع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا، ولكن أخيراً تقدم شاهداً زور وقالوا: هذا قال إني أقدر أن انقض هيكل الله وفي ثلاثة أيام ابنيه، فقام رئيس الكهنة وقال له: أما تجيب شيء؟ ماذا يشهد به هذان عليك؟ وأما يسوع فكان ساكناً، فأجاب رئيس الكهنة وقال له: استحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟ قال له يسوع أنت قلت، وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء، فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلاً: قد جدف! ما حاجتنا بعد إلى شهود؟ ها قد سمعتم تجديفه ماذا ترون؟ فأجابوا إنه مستوجب الموت. حينئذ بصقوا في وجهه ولكموه وآخرون لطموه قائلين: تنبأ لنا أيها المسيح

(١) من الواضح أن المسيح عليه السلام في هذا النص يعترض على من لطمه بقوله: << إن كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردي، وإن حسناً فلماذا تضربني ؟ >>، وهذا يتناقض تناقضاً واضحاً مع نص آخر في إنجيل لوقا يقول: << من ضربك على خدك فاعرض له الآخر أيضاً >> ٦ : ٢٩

(٢) يوحنا ١٨ : ١٩ - ٢٤

من ضربك! >> (١)

وتواصل الأناجيل حديثها عن محاكمته عليه السلام فتقول:

>> ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب، رؤساء الكهنة والكتبة،

وأصعدوه إلى مجتمعهم قائلين: >> إن كنت أنت المسيح فقل لنا، فقال لهم: إن

قلت لكم لاتصدقون، وإن سألت لاتجيبوني ولاتطلقوني، منذ الآن يكون ابن

الإنسان جالساً عن يمين قوة الله، فقال الجميع: أفأنت ابن الله؟ فقال لهم: أنتم

تقولون أني هو، فقالوا: ما حاجتنا بعد إلى شهادة؟ لأننا نحن سمعنا من

فمه >> (٢).

>> فقام كل جمهورهم وجاءوا به إلى بيلاطس >> (٣)

من النص السابق يتضح أن سبب القبض عليه وصلبه هو ادعاؤه أنه ابن

الله، ومع أن سياق النص يوضح بأنه لم يقرّ بذلك فعندما طرحوا عليه السؤال

أفأنت ابن الله؟ أجابهم أنتم تقولون أنا هو فلم يقرّ عليه السلام بذلك ولكنهم

اعتبروا تلك الجملة إقراراً منه بأنه ابن الله !! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(١) متى ٢٦ : ٥٩ - ٦٨

وهذا دليل - أيضاً - على تناقض نصوص الأناجيل واختلافها، إذ لماذا لم

يعترض المسيح عليه السلام على كل هذه الأفعال المشينة من بصق ولكم

ولطم وسخرية، ولماذا لم يعترض على الصلب ذاته، وقد اعترض على تلك

اللطمة من احد الخدم - انظر النص السابق ليوحنا - ونحن كمسلمين إذ

ننزهه عليه السلام عن عبث العابثين من سفهاء اليهود وغيرهم نضعه في

مكانته التي قد وهبه الله إياها كني معصوم ومن أولى العزم من الرسل

ومؤيد بالمعجزات

(٢) لوقا ٢٢ : ٦٦ - ٧١

(٣) لوقا ٢٣ : ١

ثم تتحدث الأناجيل عن استجواب بيلاطس للمسيح أثناء محاكمته بما يلي:

>> ثم دخل بيلاطس أيضاً إلى دار الولاية ودعا يسوع وقال له: أنت ملك اليهود؟ أجابه يسوع: أمن ذلك تقول هذا، أم آخرون قالوا لك عني؟ أجابه بيلاطس: العلي أنا يهودي؟ أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إلى ماذا فعلت؟ أجاب يسوع: مملكتي ليست من هذا العالم، لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود، ولكن الآن ليست مملكتي من هنا، فقال بيلاطس: فأنت إذا ملك؟ أجاب يسوع: أنت تقول إني ملك، لهذا ولدت أنا، ولهذا قد أتيت إلى العالم لاشهد للحق، كل من هو من الحق يسمع صوتي، قال له بيلاطس: ما هو الحق؟ ولما قال هذا خرج أيضاً إلى اليهود وقال لهم: أنا لست أجد فيه علة واحدة >> (١).

ومع أن بيلاطس الحاكم الروماني لم يجد علة واحدة لعقاب المسيح إلا أن أعداءه من اليهود كانوا يشددون على المطالبة بعقابه واتهامه بتسليط الشعب في كل بلاد اليهودية وذلك كما تروي الأناجيل:

>> فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع: إني لأجد علة في هذا الإنسان، فكانوا يشددون قائلين: إنه يهيج الشعب، وهو يعلم في كل اليهودية مبتدئاً من الجليل إلى هنا >> (٢).

(١) يوحنا ١٨ : ٣٣ - ٣٨

(٢) لوقا ٢٣ : ٤ - ٥

ومع أن بيلاطس حاول ان ينقذ المسيح باقتراحه لهم أن يؤدبه ثم يطلقه فقد جرت العادة بأن يطلق في كل عيد واحداً وكانوا على أبواب عيد الفصح (١) إلا أن رؤساء الكهنة من اليهود شددوا عليه بصراخهم ولجاجهم بأن يصلب وأن يطلق بدلاً منه < باراباس > والذي سجن بسبب جرائمه وقتله. فحكم لهم كما أرادوا وسلم يسوع ليصلب، وحتى بعد توسط زوجة بيلاطس لانقاذه أصر كهنة اليهود على صلبه بازدياد صراخهم ليصلب ليصلب، وعندما يأس بيلاطس هو وزوجه من إنقاذ المسيح أخذ ماء وغسل يديه واعلن تراه من دمه فأجابه اليهود: دمه علينا وعلى أولادنا !!

وفيما يلي ننقل نص الأناجيل :

>> فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب وقال لهم: قد قدمتم إليّ هذا الانسان كمن يفسد الشعب، وها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد في هذا الإنسان علة مما تشتكون به عليه، ولا هيردوس أيضاً، لأني أرسلتكم إليه وها لاشئ يستحق الموت صنع منه، فأنا أؤدبه وأطلقه، وكان مضطراً أن يطلق لهم كل عيد واحداً، فصرخوا بجملتهم قائلين: خذ هذا وأطلق لنا < باراباس >، وذلك

(١) أول الاعياد السنوية الثلاثة التي كان مفروضاً فيها على جميع الرجال الظهور أمام الرب في بيت العبادة، ويعرف أيضاً بعيد الفطير، أنشئ في مصر تذكارة للحادث الذي فيه خلاص بني إسرائيل، ويبدأ العيد مساء الرابع عشر من شهر نيسان،

انظر : قاموس الكتاب المقدس، لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ط٦، ص ٦٧٨

كان قد طرح في السجن لأجل فتنة حدثت في المدينة وقتل، فناداهم أيضاً بيلاطس، وهو يريد أن يطلق يسوع، فصرخوا قائلين اصلبه اصلبه فقال له ثالثة: فأى شر عمل هذا؟ إني لم اجد فيه علة للموت، فأنا أؤدبه واطلقه، فكانوا يلجئون بأصوات عظيمة طالبين أن يصلب، فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة، فحكم بيلاطس أن تكون طلبتهم، فأطلق لهم الذي طرح في السجن لأجل فتنة وقتل، الذي طلبوه، واسلم يسوع لمشيئتهم >> (١)

>> وإذ كان جالساً على كرسي الولاية أرسلت إليه امرأته قائلة: إياك وذلك البار (٢)، لأني تأملت اليوم كثيراً في حلم من أجله، ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على أن يطلبوا < باراباس > ويهلكوا يسوع، فأجاب الوالي وقال لهم: من من الاثنين تريدون أن اطلق لكم؟ فقالوا: < باراباس > قال لهم بيلاطس: فماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح؟ قال له الجميع: ليصلب، فقال الوالي: وأي شر عمل؟ فكانوا يزدادون صراخاً قائلين: ليصلب، فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً، بل بالحرى يحدث شغب، أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً: إني برئ من دم هذا البار أبصروا أنتم، فأجاب جميع الشعب

(١) لوقا ٢٣ : ١٣ - ٢٥

(٢) تقصد المسيح عليه السلام أي ألا يصيبه بأي أذى

وقالوا: دمه عليها وعلى أولادنا، حيثُ أُطلق لهم باراباس << (١)

(١) متى ٢٧ : ١٩ - ٢٦

وهناك نسخة لأسفار العهد الجديد صدرت عن (دار النشر اليهودية)
بالقدس عام ١٩٧٠م

انظر: إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة لأحد عبدالوهاب، ط١،
ص٤١ قامت بتحريف بعض نصوص نسخة أسفار العهد الجديد المعتمدة
والمتداوله حالياً بين المسيحيين، ويهدف اليهود من ذلك تبرئة أنفسهم من
دم المسيح بانكار التهمة الموجهة إليهم من قبل المسيحيين بأنهم صالبي
المسيح عليه السلام.

ومن بين النصوص المحرفة النص السابق فقد ورد النص السابق في نسخة
اليهودية المحرفة: < قال الوالي وأي شر عمل، فكانوا يزدادون صراخاً
قائلين ليتم بدلا من < ليصلب >، < فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفذ شيئاً
بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الرعاع - بدلا من
قدام الجميع - قائلاً اني برئ من دم هذا البار ابصروا أنتم.

فأجاب الرعاع وقالوا دمه عليه < بدلا من > فأجاب جميع الشعب وقالوا:
دمه علينا وعلى أولادنا <

والعبارة في النسخة الانجليزية المعتمدة كما يلي:

Then answered all the people and said His blood be on us and
on our children

بينما العبارة في النسخة الانجليزية المحرفة كما يلي

Then answered the rabble and said his blood be upon him

انظر: إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة أحمد عبدالوهاب، ص٥٣

المبحث السادس

صلبه (١) كما يزعم النصارى في أناجيلهم

تروي الأناجيل أن المسيح عليه السلام عندما أرادوا صلبه أخذه جند الوالي الروماني وعروه وألبسوه رداءً قرمزيًا ووضعوا على رأسه إكليلًا من الشوك، وأخذوا يهينونه باللكم والبصق والضرب، وقد جرت العادة أن يحمل من أرادوا صلبه صليبه بنفسه، وعندما عجز عن حمله سخروا رجلاً قيروانيًا ليحمله عنه، ثم صلبوه بين لصين !! واقتسموا ثيابه مقترعين عليها. وفيما يلي ننقل نص الإنجيل:

>> وأما يسوع فجلده وأسلمه ليُصَلَّب، فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية، وجمعوا عليه كل الكتيبة، فعروه وألبسوه رداءً قرمزيًا، وضفروا إكليلًا من شوك ووضعوه على رأسه، وقصبة في يمينه، وكانوا يجشون قدامه ويستهنئون به قائلين: السلام ياملك اليهود، وبصقوا عليه وأخذوا القصبه وضربوه على رأسه، وبعدهما استهنزأوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب، وفيما هم خارجون وجدوا إنساناً قيروانياً اسمه سمعان، فسخروه ليحمل صليبه، ولما أتوا إلى موضع يقال له < جلجته > وهو المسمى موضع الجمجمة، أعطوه خلًا ممزوجاً بمرارة ليشرَب، ولما ذاق لم يرد ان يشرب، ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها، لكي يتم ما قيل بالنبي اقتسموا ثيابي بينهم، وعلى لباسي ألقوا قرعة، ثم جلسوا يحرسونه هناك، وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة هذا هو يسوع ملك اليهود، حينئذٍ صلب معه لصان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار >> (٢).

(١) لتعريف الصلب، انظر ص ٥٢٧ من هذا البحث.

(٢) متى ٢٧ : ٢٦ - ٢٨

وتسجل الأناجيل ان المسيح عليه السلام أوصى تلميذه المحبوب بأمه مريم عليها السلام وذلك أثناء وجوده على الصليب !! يقول النص:

>> وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا، ومريم المجدليه، فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً، قال لأمه: يا امرأة هوذا ابنك، ثم قال للتلميذ هوذا أمك، ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته << (١).

>> ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة، وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إلوي إلوي لما شبقنتي؟ الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني؟ فقال قوم من الحاضرين لما سمعوا: هو ذا ينادي إيليا، فركض واحد وملاً إسفنجه خلا وجعلها على قصبه وسقاه قائلاً: اتركوا لئلا هل يأتي إيليا لينزله (٢).

فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح، وانشق حجاب إلى اثنين من فوق إلى أسفل، ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال: حقاً كان هذا الإنسان ابن الله (٣)، وكانت أيضاً نساء ينظرن من بعيد بينهن مريم المجدليه ومريم أم يعقوب الصغير ويوسي وسالومية اللواتي أيضاً تبعنه وخدمته حين كان في الجليل، وأخر كثيرات اللواتي سعدن معه إلى أورشليم << (٤).

(١) يوحنا ١٩ : ٢٥ - ٢٧

(٢) يريدون السخرية منه. نتره أن يفعل به ذلك عليه الصلاة والسلام.

(٣) كيف يكون صراخ المصلوب على خشبة الصليب دليل على أنه ابن الله ؟ !! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٤) مرقس ١٥ : ٣٣ - ٤١

المبحث السابع

تكفينه ثم دفنه كما تروي الأناجيل

« ثم إن يوسف الذي من الرامه (١)، وهو تلميذ يسوع، ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع، فأذن بيلاطس فجاء وأخذ جسد يسوع وجاء أيضاً نيقوديموس (٢)، الذي أتى أولاً إلى يسوع ليلاً، وهو حامل مزيج مرّ وعود نحو مئة منا، فأخذوا جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الأطياب، كما لليهود عادة أن يكفنوا، وكان في الموضع الذي صلب فيه بستان، وفي البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط، فهناك وضعوا يسوع لسبب استعداد اليهود، لان القبر كان قريباً » (٣).

(١) كان رجلاً غنياً وباراً صالحاً، وعضواً في مجلس السنهدريم، وكان القانون الروماني يجيز لذوي المحكوم عليه بالإعدام أن يطالبوا بجسده ويأخذوه، وهذا مما حفز يوسف على طلب جسد المسيح من بيلاطس (كما يزعم المسيحيون) ليتمكن من دفنه قبل دخول السبت.

انظر : قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ط ٦، ص ١١١٨

(٢) اسم يوناني معناه المنتصر على الشعب، وهو فريسي وعضو في السنهدريم، وكان واحداً من رؤساء اليهود، جاء إلى المسيح في الليل حتى لا يراه أحد ليشاوره وبياحته، وقد اقتنع بكلام يسوع ودافع عنه في السنهدريم لما هاجمه الفريسيون ثم بعد أن مات يسوع عمل على تطيب جسده بالمر ودفنه.

انظر : المصدر السابق، ص ٩٨٨

(٣) يوحنا ١٩ : ٣٨ - ٤٢

المبحث الثامن قيامته من قبره

ويعتقد النصارى - كما تروي أناجيلهم - أنه عليه السلام بعدما صُلب ومات على الصليب وقبر قام من قبره، ثم مكث في الأرض يظهر لتلاميذه ومحبيه ويخاطبهم مدة أربعين يوماً.

وفيما يلي ننقل النصوص الدالة على هذا المعنى :

>> وفي أول الأسبوع جاءت مريم المجدليه^(١) إلى القبر باكراً والظلام باق، فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر، فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه، وقالت لهما: اخذوا السيد من القبر، ولسنا نعلم أين وضعوه، فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأتيا إلى القبر، وكان الاثنان يركضان معاً، فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولاً إلى القبر، وانحنى فنظر الأكفان موضوعه، ولكنه لم يدخل، ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ونظر الأكفان موضوعه والمنديل الذي كان على رأسه ليس موضوعاً مع الأكفان، بل ملفوفاً في موضع وحده، فحينئذ دخل أيضاً التلميذ الآخر الذي جاء أولاً إلى القبر ورأى فأمن، لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغي أن يقوم من الأموات، فمضى التلميذان أيضاً إلى موضعهما >>^(٢).

(١) كانت ذات ثروة وصيت حسن، وقد ابتليت بسبعة شياطين أخرجهم منها المسيح فتبعته، وثبتت إلى المنتهى فكانت معه وقت الصلب والدفن، وكانت من جملة اللواتي أتين إلى القبر ليحنظنه (هذا حسب زعم المسيحيين).

انظر : قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٥٨

(٢) يوحنا ٢٠ : ١ - ١٠

>> فأجاب الملاك وقال للمرأتين: لا تخافا أنتما فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب، ليس هو ههنا لأنه قام كما قال، هلما انظرا الموضع الذي كان الرب مضطجعا فيه، واذهبا سريعا قولاً لتلاميذه إنه قد قام من الأموات، هاهو يسبقكم إلى الجليل، هناك ترونه، ها أنا قد قلت لكما، فخرجتا سريعا من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخيرا لتلاميذه، وفيما هما منطلقتان لتخيرا لتلاميذه اذا يسوع لاقاهما وقال سلام لكما، فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له، فقال لهما يسوع لا تخافا، اذهبا قولاً لإخواني أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني << (١).

>> أما مريم (٢) فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكي، وفيما هي تبكي انحنت إلى القبر، فنظرت ملاكين بثياب بيض، جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين، حيث كان جسد يسوع موضوعاً، فقالا لها: يا امرأة لماذا تبكين؟ قالت لهما: إنهم أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه، ولما قالت هذا التفتت إلى الوراء، فنظرت يسوع واقفاً، ولم تعلم أنه يسوع قال لها يسوع يا امرأة لماذا تبكين؟ من تطلبين؟ فظنت تلك أنه البستاني، فقالت له: يا سيد إن كنت أنت قد حملته فقل لي أين وضعته وأنا آخذه، قال لها يسوع: يا مريم فالتفتت تلك وقالت له: ربوني الذي تفسيره يا معلم قال لها يسوع: لا تلمسيني لأنني لم أصعد بعد إلى أبي، ولكن اذهبي إلى أخوتي وقولي لهم إنى اصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم، فجاءت مريم المجدليه وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب وأنه قال لها هذا << (٣).

(١) متى ٢٨ : ٥ - ١٠

(٢) مريم المجدلية، انظر: هامش ص ٢٣٤ من هذا البحث.

(٣) يوحنا ٢٠ : ١١ - ١٨

وتروي الأناجيل أن المسيح كان يظهر لكثير من تلاميذه وذلك بعد قيامه
من قبره :

« ولما كانت عشية ذلك اليوم، وهو أول الأسبوع وكانت الأبواب
مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود، جاء يسوع ووقف في
الوسط وقال لهم: سلام لكم، ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه، فرح التلاميذ إذ
رأوا الرب فقال لهم يسوع أيضاً: سلام لكم كما أرسلني الآب أرسلكم أنا، ولما
قال هذا نفخ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس، من غفرتكم خطاياهم تغفر له، ومن
أمسكتم خطاياهم أمسكتكم » (١)

« أراهم أيضاً نفسه حياً براهين كثيرة، بعد ما تألم، وهو يظهر لهم
أربعين يوماً ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله » (٢).

(١) يوحنا ٢٠ : ١٩ - ٢٣

(٢) اعمال الرسل ١ : ٣

المبحث التاسع صعوده إلى السماء

تروي الأناجيل أنه عليه السلام بعد قيامه من قبره ومكوته في الأرض يظهر لتلاميذه بين الحين والآخر أنه بعد ذلك صعد إلى السماء وجلس عن يمين الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وفيما يلي النص من كتاب العهد الجديد :

« ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون، وأخذته سحابه عن أعينهم، وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق، إذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض وقالا: أيها الرجال الجليلون، ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؟ إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء حينئذ رجعوا إلى أورشليم من الجبل الذي يدعى جبل الزيتون، الذي هو بالقرب من أورشليم على سفر سبت » (١).

« ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله. وأماهم فخرجوا وكرزوا في كل مكان، والرب يعمل معهم، ويثبت الكلام بالآيات التابعة » (٢).

(١) أعمال ١ : ٩ - ١٢

(٢) مرقس ١٦ : ١٩ - ٢٠

وقد نقل أبو محمد عبدالله الترجمان^(١) عن النصارى قولهم: أن المسيح عليه السلام بعد أن صُلب ودفن ومكث في قبره ثلاثة أيام وعاش على الأرض ثم نزل لجهم وأخرج منها آدم وذريته وجميع الأنبياء !!!

يقول رحمه الله: >> اعلموا رحمكم الله أن النصارى يعتقدون أن الله تبارك وتعالى عاقب آدم وذريته بجهم من أجل خطيئة آدم^(٢) في الأكل من الشجرة، ثم إنه تعالى حنّ عليهم فمّن عليهم بخروجهم من النار بأن بعث ولده فالتحم في بطن مريم بجسد عيسى، فصار إنساناً وإلهاً، إنساناً من جوهر أمه وإلهاً من جوهر أبيه ثم ما أمكنه من خروج آدم وذريته من النار إلا بموته، وبه يفدي جميع الخلق من الشيطان، وأنه مات بالقتل بل عاش بعد ثلاثة أيام ونزل لجهم، وأخرج منها آدم وذريته وجميع الأنبياء.

فهذه عقيدة كفرهم البارد الغثيث ودينهم المرذول الخبيث كما مهد لهم أوائل شياطينهم من غير استناد إلى دليل ولانقل عن نبي ولارسول وحاشا

(١) هو عبد الله بن عبد الله الترجمان، وهو الإسم الذي اختاره بعد أن منّ الله عليه بالإسلام، في مدينة تونس بعد رحيله إليها، وقد كان يدعى قبل إسلامه (انسلم تورميذا) لقب بالترجمان لكثرة انشغاله بترجمة الرسائل التي ترد إلى السلطان أبي العباس من قبل الفرنج، وينسب إلى جزيرة (ميورقا) التي ولد فيها، وهي جزيرة جميلة تقع في الطرف الجنوبي الشرقي من إسبانيا وقد توفي سنة ٨٣٢هـ.

انظر: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب لأبي محمد عبدالله الترجمان، دراسة وتحقيق عمر وفيق الداغوق، ط ١٤٠٨هـ، ص ٢٣، ٢٤، ٢٥.

(٢) انظر ص ٥٢٨ وما بعدها من هذا البحث.

أنبياء الله ورسله من هذه الحسائس المضحكة والفضائح المهلكة والتناقض الواضح << (١).

ويذكر المهندس احمد عبد الوهاب في (كتاب المسيح في مصادر العقائد المسيحية) تحت عنوان [هل نزل المسيح إلى الجحيم؟! قوله:

>> تذكر بعض المصادر المسيحية أن تلاميذ المسيح اجتمعوا معاً بعد رحيله ووضعوا قانوناً للإيمان المسيحي يقرأ كل منهم فقرة من فقراته الإثني عشر، ويعرف هذا القانون باسم < قانون إيمان الرسل > الذي جاء في احدى صيغه المعروفة:

- ١- بطرس : أومن بالله الآب القادر.
- ٢- يوحنا : صانع السماء والأرض.
- ٣- يعقوب : ويسوع المسيح ابنه الوحيد، ربنا.
- ٤- أندراوس : الذي جبل به من الروح القدس، وولد من العذراء مريم.
- ٥- فيلبس : وتألّم في عهد بيلاطس النبطي وصلب ومات ودفن.
- ٦- توما : ونزل إلى الجحيم، وفي اليوم الثالث قام ثانية من الأموات.
- ٧- برثولماوس : وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الله الآب القادر << (٢).

(١) انظر : أبي محمد عبد الله الترجمان الميورقي (تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب) دراسة وتحقيق عمر وفيق الداعوق، ط ١٤٠٨هـ، ص ١٤٩، ١٥٠

(٢) انظر : د. ادولف هرنك (تاريخ العقيدة)، ص ٢٠٤ نقلا عن أحمد عبد الوهاب (المسيح في مصادر العقائد المسيحية)، ط ١، ص ٣٠٦

>> وقد اختلفت الآراء في حقيقة هذا القانون وقامت مطاعن كثيرة ضده، ورغم ذلك فهو يوجد بهذه الصيغة في كتاب (الصلوات للكنيسة المتحدة في إنجلترا وإيرلندا) عدا تعديل طفيف يحذف أسماء الرسل ويضم الفقرتين الأولى والثانية معاً.

فمن ذلك القانون المزعوم نجد المسيح قد نزل إلى الجحيم قبل قيامته من الأموات! >> (١)

>> وقد جاء في إنجيل نيقوديموس أن آدم وإبراهيم والأنبياء استقروا في الجحيم بعد الموت إلى أن نزل إليهم المسيح ثم صعد بهم إلى الفردوس في السماء حيث قابلوا ثلاثة من بني آدم لم يذوقوا الجحيم وهم: أخنوخ وإيليا والصلب الذي صلب مع المسيح وكان كريماً معه.

ويقول هذا الإنجيل في نزول المسيح إلى الجحيم: >> جاء ملك المجد المسيح ووطأ الموت بقدميه وأمسك بأمر الجحيم وحرمه من كل قوته وأخذ أبانا الأرضي آدم معه إلى مجده >> (٢).

(١) انظر: أحمد عبد الوهاب (المسيح في مصادر العقائد المسيحية)، ط ١، ص ٣٠٦، ٣٠٧

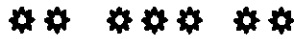
(٢) ١٧ : ١٣ أنظر:

The Lost Books of the Bible, The World Publishing Company
Cleveland and New York 1926, p.85

نقلا عن: المهندس / أحمد عبدالوهاب (المسيح في مصادر العقائد المسيحية)،
ط ١، ص ٣٠٧

وفي الحقيقة أنه لا يوجد أي نص يثبت أو يدن على نزول المسيح عليه السلام إلى الجحيم، بعد أو قبل دفنه - على زعمهم - في الكتاب المقدس والمعتمد حالياً من قبل النصارى (١).

هذا ما يعتقدُه المسيحيون في المسيح عليه السلام وهذا ما سجلته أناجيلهم عنه، ولا يخفى على القارئ الكريم، وعلى كل عاقل ذو نظر ثاقب زيف ما يزعمون فيه عليه السلام من تأليه له، وبنوته للإله، وصلبه فداءً عن الخليقة، ونزوله إلى الجحيم لانقاذ الأنبياء الذين نزلوا فيه !! أو صعوده وجلوسه عن يمين الله - تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً - وسند على شبههم هذه بتوفيق الله تعالى في الفصل الأخير من هذه الرسالة، وسنبين وجهة النظر الإسلامية المستقاه والمستمدة من الكتاب والسنة في المسيح وأمه عليهما السلام في الباب الثالث من هذه الرسالة إن شاء الله تعالى.



(١) وقد بحثت لذلك مستعينةً بكتاب قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتين، والذي يقرأ جدول الحوادث الرئيسية في حياة المسيح يلاحظ ذلك، ص ٨٧٠-٨٨٥
أيضاً بحثت في كتاب فهرس الكتاب المقدس، د. جورج بوست فلم أجد لهذا الموضوع أي أثر فيه.

الفصل الثالث

المسيح وأمه عليهما السلام في نظر الفرق المسيحية

ويشتمل على تمهيد ومبحثين :

- ✻ المبحث الأول : أهم الفرق المسيحية التي ظلت محافظة على عقيدة التوحيد.
- ✻ المبحث الثاني : أهم الفرق التي إنحرفت عقائدها عن عقيدة التوحيد.

تمهيد

قبل أن نتحدث عن الفرق المسيحية وموقفها وعقائدها في المسيح عليه السلام لا بد ان نتذكر حديث خير البرية عليه الصلاة والسلام والذي أخبرنا فيه وهو الصادق المصدوق عن افتراق النصارى إلى ما يقارب من اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة.

>> عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافتترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فأحدى وسبعين في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده! لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وثنان وسبعون في النار، قيل: يارسول الله من هم؟ قال الجماعة >> (١)

-
- (١) أخرجه ابن ماجه في سننه، واللفظ له (باب افتراق الأمم)
- (أبواب الفتن) حققه محمد الأعظمي، ج ٢، ط ٢، ص ٣٧٧
- والإمام أحمد في مسنده، وبهامشه منتخب كثر العمال، ج ٣، ص ١٢٠
- والترمذي في صحيحه، بشرح الإمام ابن العربي في أبواب الإيمان، ج ١٠، ص ١٠٩
- والإمام الدارمي في سننه، في (كتاب السير) باب افتراق هذه الأمة، ج ٢، ص ٢٤١
- والإمام أبي داود في سننه، إعداد: عزت الدعاس. عادل السيد، ط ١، ج ٥، (أول كتاب السنة)، ص ٤
- يدل هذا الحديث الشريف على أن جميع الأمم من يهود ونصارى أو مسلمين ستفترق إلى فرق كثيرة ومتعددة - وهذا هو المشاهد في كل العصور - ستعذب في النار - والعياذ بالله - عدا الفرقة المتمسكة بعري التوحيد الوثقى وبالأصول التي دعا إليها جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم ونوح إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ولانستطيع الحديث عن جميع هذه الفرق بالتفصيل، وإنما سنتحدث عنها على سبيل الحصر لأن معظمها قد باد، ولم تستوعبها المصادر والمراجع التي بين أيدينا، ولكن سنتحدث - إن شاء الله تعالى - عن أهم هذه الفرق مع بيان موقف كل منها ونظرتها وعقائدها في المسيح عليه السلام وهذا هو المحور الذي سيدور عليه حديثنا عن هذه الفرق. إذ سنعرض آراء هذه الفرق عرضاً في هذا الفصل، أما الرد والنقض فقد خصصنا له الباب الأخير من هذا البحث بمشيئة الله تعالى (١).

ويرى أحد الباحثين (٢) >> أن أول خلاف وقع بين النصارى وأحدث الفرقة بينهم، هو ما كان بين : برنابا (٣)

(١) انظر ص ٣٤٧ من هذه الرسالة.

(٢) هو الاستاذ آدم عبد الله الألوي مدير مركز التعليم العربي الإسلامي (أجيجي - نيجيريا).

(٣) اسم ارامي معناه < ابن الوعظ > وهو لاوي قبرصي الجنس، اعتنق المسيحية في زمان الرسل فترك علاقاته العالميه وابتدأ يجاهد في نشر بشرى الخلاص في العالم، ويحث الناس على اعتناق المسيحية، وكان كبير القلب كريماً فهو الذي رحب ببولس بعدما قبل المسيح، وعرف التلاميذ عليه لما رجع من دمشق إلى أورشليم،

انظر: قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ط ٦، ص ١٧٢، بتصرف

وينسب لبرنابا هذا إنجيل يوافق في جوهره العقيدة الإسلامية في المسيح، وفي نفس الوقت فهو يخالف العقيدة المسيحية الحالية في المسيح عليه السلام من تثليث والاعتقاد بنوة المسيح لله - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - بالإضافة إلى أنه يبشر بنبينا محمد صلي الله عليه وسلم وقد ترجمه د/ خليل سعاده من الانجليزية إلى العربية ونشره السيد محمد رشيد رضا، منشئ مجلة المنار، ويقع الإنجيل في ٢٢٢ فصلاً. ==

وبولس^(١) واستطاع بولس بقوة بلاغته ودعايته أن يستميل إليه أكثر أتباع المسيح، وأن يدس سموم الفلسفة اليونانية والوثنية الرومانية في الديانة المسيحية >>^(٢).

ولا يخفى على القارئ المنصف الكريم بأن العقيدة المسيحية الأصلية عقيدة توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، وهي العقيدة التي دعا إليها جميع أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام ومن بينهم السيد المسيح عليه السلام.

{ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد }^(٣).

== وقد استدل الباحث السابق ذكره بمقدمة هذا الإنجيل على ما قاله، وفيما يلي ننقل نصاً من مقدمة هذا الإنجيل:

>> أيها الأعداء ان الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين، بتعلم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان، الذي أمر به الله دائماً، مجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم أيضاً بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد، مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً >>

انظر: إنجيل برنابا، ترجمة د/ خليل سعاده، ص ٣

(١) للتعريف به، انظر: هامش ص ٣ من هذا البحث

(٢) انظر: آدم الآلوي (تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم)، ص ٢، ص ١١١

(٣) سورة المائدة: آية ١١٧

وعندما نستعرض فرق النصارى من المصادر التي بين أيدينا نجد ان بعض هذه الفرق قد حافظت على عقيدة التوحيد الأصلية في الله سبحانه وتعالى، وأن المسيح عبد الله ورسوله من أولئك فرقة أييون، وفرقة بولس الشمشاطي، وفرقة أريوس وفرقة الموحدين في عصرنا الحاضر.

وهناك فرق مسيحية كثيرة قد انخرفت عن طريق العقيدة الصحيح >> إما بسبب تسرب المعتقدات الوافدة أحياناً من فلسفات قديمة، وأحياناً من رواسب ديانات ومعتقدات كانت سائدة في البلاد التي انتشرت فيها المسيحية والتي احتك بأهلها المسيحيون.

فانقسم حينئذٍ المسيحيون إلى طائفتين : طائفة جنحت عقائدها إلى الشرك بالله - والعياذ بالله - وطائفة ظلت عقائدها محافظة على التوحيد، وضمت كل طائفة من الطائفتين تحت لوائها فرقا كثيرة >> (١).

(١) انظر: د/ علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ط ٣، ص ١٠٥-١٠٦

المبحث الأول

أهم الفرق المسيحية التي ظلت محافظة على عقيدة التوحيد

ومن أهم الفرق التي انحرفت عقائدها عن عقيدة التوحيد فرقة المرقيونيين، وفرقة البربرانية، وفرقة الاليانية، وفرقة اليعقوبيين، وفرقة الملكانية، وأتباع نسطور. وسنبداً الحديث - فيما يلي - عن فرق النصارى التي ظلت عقائدها محافظة على التوحيد وإنكار ألوهية المسيح وثبت بأنه بشر ورسول:

[١] فرقة أيبون أو الأيبونيين *Ebionites*

>> أتباع ايبون^(١) *Ebion* وكانت تقر جميع شرائع موسى، وتعتبر عيسى هو المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه أسفار العهد القديم، وتنكر ألوهية المسيح وتعتبره مجرد بشر رسول، وكان لهذه الفرقة في تفاصيل عقائدها هذه إنجيل خاص مدون باللغة الآرامية، ويحتوى هذا الإنجيل على إقرار جميع شرائع موسى، كما ينكر ألوهية المسيح ويعتبره المسيح المنتظر وأنه مجرد بشر رسول، وهو فيما يتعلق بشخصية المسيح يتفق مع العقائد الإسلامية المستمدة من نصوص القرآن الكريم، وقد انقرضت هذه الفرقة في أواخر القرن الرابع الميلادي >>^(٢)

(١) كان يهودياً سامرياً معاصراً ليوحنا الرسول، وذهب الأكترون إلى أنه لم يوجد شخص بهذا الاسم، ويقال ان اصل هذا الاسم من ايبونيم بالعبرانية ومعناه قوم فقراء.

انظر: بطرس البستاني (دائرة المعارف)، ج ٢، ص ٤٢٦

(٢) انظر: علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ص ١٠٨،

وتقول دائرة معارف البستاني : >> كانت هذه الطائفة تنكر لاهوت المسيح وتحافظ على الحتان مع استعمالها المعمودية والعشاء الرباني وتحفظ اليوم السابع الاسبوع سبتاً >> (١).

[٢] فرقة بولس الشمشاطي Paul de Somosate :

>> وكان بولس الشمشاطي أسقفاً لأنطاكية سنة ٢٦٠م وأنكر ألوهية المسيح وقرر أنه مجرد بشر رسول، وقد عقد بأنطاكية من سنة ٢٦٤ إلى سنة ٢٦٩ ثلاث مجامع للنظر في شأنه، وانتهى الأمر بحرمانه وطرده، وقد بقي لمذهبه أتباع على الرغم من ذلك حتى القرن السابع الميلادي >> (٢)

ويذكر الإمام ابن حزم (٣) في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل:

(١) ج ٢، ص ٤٢٦

(٢) انظر : د/ علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ص ١٠٨، ١٠٩

(٣) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ولد بقرطبه (٣٨٤هـ / ٩٩٤م) وكان ابوه وزيراً للحاجب المنصور، وبعد سقوط الدولة العامرية نُفي إلى (المرية) ثم إلى (بلنسية)، وكان ابن حزم في أول أمره شافعي المذهب ثم أصبح من الظاهريه الذين يرفعون لواء الإسلام، وفي النصف الثاني من حياته وضع عدداً ضخماً من المؤلفات التاريخية والفقيهه عندما وجد الأمن عند حاكم جزيرة (ميورقه) وتوفي عام ٤٥٦هـ.

انظر : مقدمة كتاب الفصل في الملل، تحقيق د/ محمد نصر، د. عبد الرحمن عميره، ط ١، ص ٣-٤

>> إن بولس هذا كان بطريكاً بأنطاكيه، وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح، وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام، خلقه الله تعالى في بطن مريم من غير ذكر، وأنه انسان لا إلهية فيه ألبته، وكان يقول لا أدري ما الكلمة ؟ ولاروح القدس ؟ >> (١).

ويذكر الإمام الشهرستاني (٢) في كتابه الملل والنحل:

>> أن بولس الشمشاطي يرى أن الإله واحد، وأن المسيح ابتداءً من مريم عليها السلام، وأنه عبد صالح مخلوق، إلا ان الله شرفه وكرمه لطاعته وسماه ابناً على التنبئ لا على الولاده والاتحاد >> (٣).

>> ويتبين من هذا أن مذهب بولس هذا كان توحيداً خالصاً، وأن عيسى ليس إلا رسولاً من رب العالمين، وأنه كان إذا عرض له البحث في كلمة الله وروح القدس أمسك عن ذلك، ولم يخض فيه، وتوقف واعتصم بذلك.

(١) المرجع السابق، ص ١٠٩ - ١١٠

(٢) اسمه محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشافعي المتكلم وصاحب التأليف المشهورة، وقد وُلد شمالي خراسان ببلدة شهرستان، وإليها نسب، وبها تعلم وتربى، وساعده على هذا ما وهبه الله من ذكاء ودقة في البحث عاش ما بين ٤٧٩-٥٤٨هـ

انظر: مقدمة كتاب الملل والنحل للشهرستاني، تقديم وإعداد د. عبداللطيف محمد العبد، ط ١، ص ٣ - ٤

(٣) المرجع السابق، ص ٢٤٠

ويظهر من هذا أن هاتين الكلمتين كانتا المشار الذي يشير منه أنصار ألوهية المسيح الشبهات حول التوحيد، ليلقوا الريب في نفوس معتنقية، فإذا استولى الريب عليهم ألقوا أمانهم، ووجدوا من الحيرة والاضطراب ما يتخذونه ذريعة إلى ما يريدون << (١).

ويقول ابن البطريق (٢) في بيان مذهبه.

<< إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، وإن ابتداء الابن من مريم أي أنه محدث وليس قديماً.. ويقولون إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد ولا يؤمنون بالكلمة (أي الإبن) ولا بروح القدس وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريرك أنطاكية وهم البولبقيونيون >> (٣)

[٣] أتباع أريوس Arius :

ومن فرق النصارى التي بقيت محافظة على عقيدة توحيد الله - تعالى -

(١) انظر: مثلاً (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)، ج ٢، ص ٣١٢

(٢) من أشهر مؤرخي المسيحية، وهو مسيحي من رجال القرن الثالث الهجري، وكان من مترجمي الكتب في بلاط الخليفة المأمون، وقد ترجم له من اليونانية كتاب المجسطي في الفلك لبطليموس الفلكي وكتاب الأصول في الهندسة لافليدس،

انظر: الأسفار المقدسة د/ علي وافي، ص ٧٦

(٣) المرجع السابق، ص ١٠٩

أيضاً: محاضرات في النصرانية للإمام أبي زهره، ط دار الفكر، ص ١٨١

بالعبادة وإثبات عبودية المسيح لله تعالى، وإنكار ألوهيته، من أولئك أريوس (١) وأتباعه >> وكان هذا الرجل في مصر داعية قوي الدعاية، جريئاً فيها، واسع الحيلة، بالغ الأدب قد أخذ على نفسه مقاومة كنيسة الاسكندرية فيما تبشه بين المسيحيين من ألوهية المسيح وتدعو إليه، فقام هو محارباً بذلك، مقراً بوحداية الله منكرأ ما جاء في الأناجيل مما يوهم تلك الألوهية >> (٢)

ويقول الإمام ابن حزم عند حديثه عن هذه الفرقة الموحدة:

>> والنصارى فرق، منهم اصحاب أريوس، وكان قسيساً بالإسكندرية: ومن قوله: التوحيد المجرد، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق، وأنه كلمة الله تعالى التي بها خلق السموات والأرض، وكان في زمن قسطنطين الأول، باني القسطنطينية، وأول

(١) هو ابن أصفانوس بن بطلينس، ويلقب برشيد قومه، وكان من علماء الروم بالعزائم، وله من الكتب: كتاب يذكر فيه أولاد إبليس، وتفرقهم في البلاد، وما يختص به كل جنس منهم في العلل والأرواح، وهو أكبر تلاميذ (ماربطرس) بطريك الاسكندرية، ومن خريج المدرسة اللاهوتية، وخالف استاذه كثيراً فسخطه وطرده وجرده من كهنوته، ولما مات بطرس رجع أريوس عن المخالفة فأدخله (اسكندروس) إلى الكنيسة وصيره قساً، ولكن جمع الأساقفة قرر نفيه فنفاه القيصر وأمر بقتله، ولكنه اختفى وظهر بعد موت القيصر،

انظر: تاريخ ابن خلدون، ج ١، ص ٣٢٠

أيضاً: خلاصة تاريخ المسيحية بمصر، ص ٨١، نقلاً عن هامش الفصل في الملل والنحل لابن حزم، ج ١، ص ١٠٩، تحقيق د/ محمد نصر، د/ عبد الرحمن عميره.

(٢) انظر: الإمام محمد أبي زهرة (محاضرات في النصرانية)، ط دار الفكر، ص ١٤٧

من تنصر من ملوك الروم، وكان على مذهب أريوس هذا << (١).

>> ويلخص ابن البطريق مذهب أريوس بقوله: كان يقول ان الآب وحده

الله والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الآب حيثما لم يكن الابن << (٢).

>> ثم أخذ هذا المذهب يضمحل ويتناقض عدد أتباعه بعد ان حكم مجمع نيقية

سنة ٣٢٥ بطرد أريوس وكفره واصدر قراره بألوهية المسيح، ومازال يضمحل

(١) الفصل في الملل والنحل، ج ١، ط ١ تحقيق د/ محمد نصر، د/ عبدالرحمن عميرة، ص ١٠٩

ويتضح خطأ النقل الذي وقع فيه الإمام ابن حزم - رحمه الله - حيث ان قسطنطين ليس أول من تنصر، ولم يكن على مذهب أريوس، بل على العكس من ذلك كان ضد مذهب أريوس - وهذا ما يراه أيضاً الإمام ابي زهرة.

انظر : محاضرات في النصرانية، ص ١٨٠ - إذ نصر مذهب مؤلهي المسيح على مذهب أريوس الموحد، وهذا ما حصل في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ فمع أن مذهب أريوس يعتنقه الأكثرية، فقد كان اسقف مقدونية، وأسقف فلسطين، وكنيسة أسيوط كلها على مذهب أريوس الموحد، وضده بطريك الأسكندرية فقط، أما قسطنطين الامبراطور الروماني فلأنه وثني جنح إلى رأي مؤلهي المسيح ونصرهم بقوة السلطان مع أنهم القلة إذ كان عددهم ٣١٨ من ٢٠٤٨ من الأساقفة، وجلس في وسطهم، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتي !! فباركوه وقلدوه سيفه، وقالوا له: أظهر دين النصرانية وذب عنه، فكان من نتائج ذلك المجمع أن أحرقت جميع الكتب التي تخالف رأي تأليه المسيح حتى لاتصل إلى الناس فيتبعون ما بها من آراء تخالف ما اتفق عليه اصحاب ذلك المجمع.

انظر : محاضرات في النصرانية، ط دار الفكر العربي، ص ١٤٦-١٥٤

(٢) نقلا عن د. علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ط دار نهضة مصر، ص ١٠٩، ولم يذكر المصدر الذي قد نقل عنه.

ويتناقض عدد أتباعه حتى انقرض كل الانقراض في أواخر القرن الخامس الميلادي << (١).

[٤] فرقة الموحدين في العصر الحاضر *Untarians* :

ومما يجدر ذكره وجود طائفة الموحدين في عصرنا الحاضر << وهذه الطائفة اسم لمجموعة دينية ترفض العقيدة المسيحية القديمة المألوفة للكنيسة المسيحية سواء كانت في عصر قديم، أو في عصر ما بعد التجديد.

تأسست في القرن ١٦م في المجر ورومانيا وبولندا، وفي القرن ١٨م و١٩م انتشرت في بريطانيا والولايات المتحدة وغيرها، وهي تؤمن بأن الاله واحد لاشريك له، وتنكر ألوهية عيسى وعقيدة التثليث << (٢).

<< وهي موجوده الآن في امريكا الشمالية وبريطانيا وأوربا الوسطى، وتوجد مجموعات صغيرة منها في انحاء أخرى، وعدد افرادها ٣٠٠,٠٠٠ (ثلاثمائة الف) ويزعم بعضهم أن عددهم يزيد على مليونين << (٣).

<< وفي القرن ١٧م ترجمت كتب عقائد هذه الطائفة من البولندية إلى الانجليزية ونشرت في إنجلترا، وقد تم احراق نسخ منها علناً في لندن عام ١٦١٥م، وعام ١٦٥٢م، ثم انتشرت موجة التوحيدية في بريطانيا، وكذا في امريكا بين ابناء الطائفة الكالفنية المتطهره، وهؤلاء يدعون إلى أن الله وحده خالق العالم ومالكة، وأنا نستطيع ان نعبده جيداً بأن نتحلى بالأخلاق الفاضله، وأن عيسى المسيح رسوله << (٤).

(١) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

(٢) (٣) (٤) ملخص ومترجم من (الموسوعة البريطانية) ج ١٨، ص ٨٥٩، ٨٦٠ مادة: *Untarians*.

>> وتأسس في عام ١٨٢٥ اتحاد التوحيديين البريطانيين والأجانب، ولا تزال هذه الطائفة موجودة في بريطانيا، وقد توحد أعضاؤها بعد أن كانوا متفرقين في منظمة سُميت الجمعية العمومية لطائفة الموحدين والكنائس الحرة في عام ١٩٢٨م << (١).

>> وفي بوسطن (أمريكا) تأسس اتحاد الموحدين الامريكيين في عام ١٨٢٥، وادعى هذا الاتحاد أن خمسة من رؤساء جمهورية امريكا (الولايات المتحدة) وكثيراً من الشخصيات البارزة في الأدب والتربية واصلاح المجتمع والحياة العامة كانوا من طائفتهم.

وحينما انتشرت التوحيديه في مناطق الغرب الاوسط المفتوحة قريباً تحولت اسس ديانتها إلى نزعة إنسانية عالمية وعقائد علمية، مفضلةً ذلك على المسيحية والكتاب المقدس.

وأسس الامريكيون في عام ١٩٠٠م الاتحاد الدولي للمسيحية الحرة والحرية الدينية.

وفي عام ١٩٦١م توحد التوحيديون والعالميون في كنيسة واحدة وهي:

(١) المرجع السابق، ص ٨٦١

الاتحاد الأمريكي التوحيدي العالمي << (١).

(١) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

وأعتقد أنه من السهولة بمكان دعوة هؤلاء الموحدين إلى الإسلام، بشرح هذا الدين القويم لهم شرحاً وافياً فهم - بلا شك - قريبين منه بتوحيدهم لله تعالى ومخالفتهم عقائد المسيحيين المنحرفة، وصبرهم على الأذى والاضطهاد من قتل وتشريد وتغريب فقد حدث في << القرن ١٦م أن أعلن شخص منهم يدعي (ميشال سيرفيتوس) انكاره للتثليث فقبضوا عليه وأحرقوه عام ١٥٥٣م في جنيف، وهناك آخرون لم يؤمنوا بعقيدة التثليث تم القبض عليهم وإحراقهم في ذلك الحين، فهاجر بعضهم إلى بولندا، وتأسست فيها كنيسة جديدة سميت الكنيسة الصغيرة المجدده (الاخوان البولنديين).

وانتشرت هذه الطائفة في ترانسيلفانيا في المجر، وأعلن زعيمها فرينيس دافيد انكاره ان تكون الصلاة موجهة إلى عيسى المسيح، فسجنوه ومات في السجن عام ١٥٧٩م <<

انظر: المرجع السابق، ص ٨٦٠

أما دعوة هؤلاء إلى الإسلام وشرحه وتوضيحه لهم فهو واجب يقع على اعناق الدعاة المسلمين المتمكنين من الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً واخلاقاً، قال تعالى:

{ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
واولئك هم المفلحون } آل عمران: آية ١٠٤

وأعتقد أيضاً أنه يجب على أفراد هذه الطائفة البحث والتحقق من الدين الصحيح الذي يوافق عقيدتهم وذلك بما منحهم الله من عقل سديد وفطرة صافية من شوائب الشرك لكي يزدادوا إيماناً على إيمانهم، ولكي يسلكوا الطريق الصحيح في اداء عبادتهم لله تعالى، وذلك لأن الدين عند الله الإسلام.

انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة (رسالة ماجستير) للباحثة، ص

المبحث الثاني

أهم الفرق التي انحرفت عقائدها عن عقيدة التوحيد

أهم الفرق التي انحرفت عقائدها عن عقيدة التوحيد، وهي كما يلي:

[١] فرقة المرقيونيين:

« تنسب إلى مرقيون أو مرسيون *Marcion*، وهو من رجال القرن الثاني الميلادي، وكان قسيساً، ثم حكم عليه بالطرد والحرمان، ويقوم مذهبه على الاعتقاد بوجود إلهين: أحدهما الإله العادل *Dieu Juste* أو الإله ديمورج *Demiurge* أي الخالق وهو الإله الذي أتخذ من بني إسرائيل شعباً مختاراً وأنزل عليهم التوراة، والآخر إله الخير *Dieu Bon* الذي ظهر متمثلاً في المسيح وخلص الإنسانية من خطاياها، وقد كان للإله الأول السلطان على العالم حتى ظهر الإله الثاني فبطلت جميع أعمال الإله الأول وزال سلطانه، ومن ثم يقوم هذا المذهب على اطراح العهد القديم^(١) (كتب اليهود المقدسة) في جملته وتفصيله، ولا يعترف كذلك بمعظم أسفار العهد الجديد، والأسفار القليلة التي يعترف بها من أسفار هذا العهد وهي إنجيل لوقا ورسائل بولس، ولا يعترف بها إلا بعد أن يدخل على نصوصها تغييرات كثيرة تخرجها عن أوضاعها ومدلولاتها الأولى، ويقال أنه كان لهذه الفرقة إنجيل خاص »^(٢).

(١) أي تركه وعدم الاعتراف به.

(٢) انظر: د/ علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ط دار نهضة

« ومنهم من كان يقول إن هناك ثلاثة آلهة: صالح، وطالح، وعدل بينهم » (١).

« ولعل هذا المذهب متأثر بالديانة الزرادشتية الفارسية في مراحلها الأخيرة، فقد انتهى الأمر بالزرادشتيين إلى الاعتقاد بوجود الهين، إله للخير وكانوا يسمونه أهورا مزدا، وإله للشر وكانوا يسمونه أهريمان » (٢).

« ويقول ابن البطريق في هذه النحلة وأصحابها: زعموا أن مرقيون هو رئيس الحواريين، وأنكروا بطرس، فالمنتحلون لهذه النحلة يزعمون أن مرقيون داعيتها والمنادي بها حوارى من حوارى عيسى عليه السلام بل كبير الحواريين ورئيسهم » (٣).

ومن أهم ما تختص به هذه الفرقة أنها حرمت الزواج تحريماً باتاً على جميع أفراد نحلتها.. وعلى الرغم من الحرب الشعواء التي شنتها الكنيسة على هذا المذهب فقد انتشر وتبعه خلق كثير في إيطاليا وأفريقيا ومصر، وظل كذلك حتى منتصف القرن الثالث، ثم أخذ يضمحل ويتناقص أتباعه تناقصاً كبيراً، ولكنه لم ينقرض إلا في حوالي القرن العاشر الميلادي » (٤).

(١) انظر: الشيخ أبي زهره (محاضرات في النصرانية)، ط دار الفكر العربي، ص ١٨٢

(٢) انظر: د/ علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ص ١٠٦

(٣) الإمام أبي زهره (محاضرات في النصرانية)، ص ١٨٢-١٨٣

(٤) انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص ١٠٧ باختصار.

إذا نستخلص مما سبق أن هذه الفرقة تعتقد بألوهية المسيح، وبأنه إله للخير، وهو الذي خلص الإنسانية من خطاياها وأوزارها، وقد سلب جميع حقوق الإله الأول الإله الخالق، واصبح هو الإله ذو السلطان والمسيطر على العالم كله - تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً.

[٢] فرقة البربرانية:

ويروي عنهم الإمام ابن حزم - رحمه الله - قولهم : «إن عيسى وأمه إلهان من دون الله عز وجل، وهذه الفرقة قد بادت» (١)

«ويقرر ابن البطريق مذهب هذه الفرقة فيقول: ومنهم من كان يقول ان المسيح وأمه الهان من دون الله وهم البربرانية، ويسمون الريمتين» (٢)

ولعل هؤلاء هم الذين يشير إليهم القرآن الكريم فيما يخاطب به الله تعالى عيسى ابن مريم اذ يقول: {واذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله؟ قال سبحانك ما يكون لي ان أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب» (٣).

(١) انظر: الفصل في الملل والنحل، ج ١، د/ محمد نصر، د/ عبد الرحمن عميره، ط ١، ص ١١٠

(٢) نقلا عن: د/ علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ط دار نهضة مصر، ص ١٠٧

(٣) سورة المائدة: آية ١١٦

وإذ يرد عليهم بقوله تعالى: { ما المسيح إبن مريم إلا رسول قد خلت من قبله
الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى
يؤفكون } (١).

>> وقد أوشكت هذه الفرقة على الانقراض في نهاية القرن الرابع الميلادي، وان
كان يبدو من ذكرها في القرآن الكريم أنه كان لا يزال لمذهبها أتباع في عهد الرسول
عليه الصلاة والسلام (القرن السابع الميلادي).

ومهما يكن من شيء فإن الاتجاه إلى تقديس مريم قد ترك آثاراً ورواسب كثيرة
في معظم الفرق المسيحية الباقية، وتتمثل هذه الآثار والرواسب في عدة معتقدات
وطقوس وأعياد خاصة بالسيدة مريم تعتنقها وتقيمها جميع فرق المسيحيين في الوقت
الحاضر باستثناء فرقة البروتستانت >> (٢).

[٣] فرقة اليان :

>> وأما فرقة اليان فيؤخذ مما ذكره في صدها إبن البطريق والشهرستاني في
الملل والنحل أنها كانت تؤله المسيح، وتقرر أنه إبن الله، وتصور حقيقته وحمل أمه
به وقصة صلبه في صورة خاصة، فتذهب إلى أن مريم لم تحمل به كما تحمل النساء
بالأجنه، وإنما مرّ في بطنها كما يمر الماء في الميزاب، لأن الكلمة (الابن) دخلت من
أذنها، وخرجت لتوها من حيث يخرج الولد، وأن ما ظهر من شخص المسيح في الأعين
إنما هو خيال شبيه بالصورة التي تظهر في المرأة، فلم يكن المسيح جسماً متجسماً كثيفاً
في الحقيقة، وكذلك القتل والصلب، فانهما وقعا على الخيال والظن لاعلى الحقيقة.

(١) سورة المائدة : آية ٧٥

(٢) انظر: د/ علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ص ١٠٧

وقد أوشكت هذه الفرقة على الانقراض في نهاية القرن الرابع الميلادي وان كان يبدو مما ذكره الشهرستاني في صدها اذ يقول: << وهؤلاء يقال لهم الاليانيه، وهم قوم بالشام واليمن وأرمينية > (١) أنه كان ولا يزال لهذه الفرقة أتباع في عصره (القرن السادس الهجري والثالث عشر الميلادي) << (٢).

[٤] فرقة اليعقوبين: (٣)

وينقل الإمام ابن حزم - رحمه الله - في كتابه (الفصل في الملل والنحل) عن هذه الفرقة قولهم:

<< إن المسيح هو الله تعالى نفسه وأن الله - تعالى عن عظيم كفرهم - مات وصلب وقتل، وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر، والفلك بلا مدبر، ثم قام ورجع

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني، تقديم وإعداد/ د. عبداللطيف محمد العبد، ط ١، ج ٢، ص ٢٤٢

(٢) انظر: د/ علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ط دار نهضة مصر، ص ١٠٧-١٠٨

(٣) هم أتباع يعقوب البراذعي، ونسبة ذلك المذهب إلى يعقوب لآلأنه مبتدعه ومنشئه فإن ذلك المذهب اسبق من يعقوب هذا، فإن أول من أعلنه بطريك الاسكندرية في منتصف القرن الخامس الميلادي، أما يعقوب فقد وجد في القرن السادس الميلادي، ويقرر صاحب كتاب سوسنة سليمان في إطلاق اسم اليعقوبيين على أصحاب هذا الرأي، يطلق عليهم اسم يعقوبيين نسبة إلى يعقوب البراذعي، الذي أعاد هذه الشيعة ورتبها في القرن السادس للتاريخ المسيحي، بعد أن كادت تتلاشى.

انظر: الإمام أبي زهره (محاضرات في النصرانية)، ط دار الفكر، ص ١٩٠-١٩١

كما كان، وأن الله تعالى عاد محدثاً، وأن المحدث عاد قديماً، وأن الله تعالى هو كان في بطن مريم محمولاً به (١).

وهم في أعمال مصر، وجميع النوبة، وجميع الحبشة، وملوك الأمتين المذكورتين >> (٢)

وذهب بعض اليعقوبية إلى قولهم: >> انقلبت الكلمة لحمًا ودمًا، فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر يجسده بل هو هو، وعنهم أخبرنا القرآن الكريم: { لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم } (٣)

ومنهم من قال: إن المسيح هو الله تعالى، ومنهم من قال: ظهر اللاهوت بالناسوت، فصار ناسوت المسيح مظهر الجوهر، لاعن طريق حلول (٤) جزء فيه ولا على سبيل الاتحاد (٥) الكلمة التي هي في حكم الصفة، بل صار هو هو وهذا كما يقال: ظهر الملك بصورة إنسان، أو ظهر الشيطان بصورة حيوان وكما أخبر التنزيل عن جبريل - عليه السلام - { فتمثل لها بشراً سوياً } (٦)

(١) ويظنه واضحاً بطلان وزيف وسفسطة أقوالهم قاتلهم الله أنى يؤفكون، وسيجد القارئ الكريم الرد عليهم في الباب الرابع.

انظر ص ٥٢٦ وما بعدها من هذه الرسالة.

(٢) ج ١، ط ١، تحقيق د/ محمد نصر، د/ عبد الرحمن عميره، ص ١١١

(٣) سورة المائدة : آية ٧٢

(٤) (٥) لتعريف الحلول والاتحاد انظر ص ٤٨١ من هذا البحث.

(٦) سورة مريم : آية ١٧

وزعم أكثر اليعقوبيه : أن المسيح جوهر واحد، أقنوم واحد، إلا أنه من جوهرين، وربما قالوا: طبيعة واحدة من طبيعتين، فجوهر الإله القديم، وجوهر الإنسان المحدث تركبا تركباً كما تركب النفس والبدن فصارا جوهرأ واحداً، أقنوماً واحداً، وهو إنسان كله وإله كله.

فيقال : الإنسان صار إلهاً، ولا ينعكس فلا يقال: الإله صار إنساناً كالفحمة تطرح في النار، فيقال: صارت الفحمة ناراً، ولا يقال: صارت النار فحمة، وهي في الحقيقة لانار مطلقه ولا فحمة مطلقه، بل هي جمرة وزعموا أن الكلمة اتحدت بالإنسان الجزبي لا الكلي، وربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج والادراع، والحلول كحلول صورة الإنسان في المرآة المجلوه >> (١).

[٥] فرقة الملكانية: (٢).

قال بعضهم : >> إن الله تعالى - عبارته عن قولهم - ثلاثة أشياء أب وابن،

(١) انظر : الإمام الشهرستاني (الملل والنحل) تقديم د/ عبداللطيف محمد العبد، ص ٢٤١

أيضا : الإمام الآمدي (أبكار الأفكار في اصول الدين)، تحقيق د/ أحمد المهدي (رسالة دكتوراه) من جامعة الأزهر، ص ٥٤٦-٥٤٧

(٢) هي من أقدم المذاهب المسيحية، وهم أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها، وكان معظم الروم ملكانيه، وهذا المذهب كان منتشراً في البلاد التي فتحها المسلمون ويبدو أنه كان المذهب الرسمي في ذلك العهد (انظر المغني ٨٤/٥). الملل ٢٧/٢-٢٩، نشأة الفكر الفلسفي ٩٧/١، ٩٨) نقلا عن هامش أبكار الأفكار للآمدي، تحقيق د/ أحمد مهدي، ص ٥٤٤

وروح القدس، كلها لم تزل، وأن عيسى عليه السلام إله تام كله، وإنسان تام كله، ليس أحدهما غير الآخر، وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك، وأن مريم ولدت الإله والإنسان وأنهما معاً شيء واحد إبن الله، تعالى الله عن كفرهم <<(١)>>.

وقال بعضهم : << إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته (٢) ويعنون بالكلمة: أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس: أقنوم الحياة، ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابناً، بل المسيح مع ما تدرع به < ابن > فقال بعضهم: إن الكلمة ما زجت جسد المسيح كما يمازج الخمر - أو الماء - اللبن وصرحوا كذلك بإثبات التثليث وأخبر عنهم القرآن الكريم: { لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة } (٣)

== <<الملكانية : طائفة مسيحية من الطقس البيزنطى منتشرة في سورية ومصر وفلسطين، ومنها جالية هامة في أمريكا وكنيستهم تسمى كنيسة الروم، ويتكلم معظمهم العربية ويرأسهم بطريرك يقيم في دمشق، سموا الملكيين لأنهم أيدوا القرار الذي اتخذته مجمع خلقدونية عام ٤٥١م ضد بدعة أو طيخا القائلة بطبيعة واحدة للمسيح، فلقبهم مخالفوهم ازدراءً لهم بالملكيين لوقوفهم في صف مرقيانوس الذي كان يعاضد المجمع، ومنهم كاثوليك يعترفون برياسة بابا روما، ويسمون الروم الكاثوليك (الموسوعة العربية الميسره، ص ١٧٤٢).

نقلا عن هامش كتاب الفصل في الملل والنحل، ج ١، تحقيق د/ محمد نصر، د/
عبد الرحمن عميره، ص ١١٠

(١) انظر: الفصل في الملل والنحل، ج ١، ص ١١١

(٢) اللاهوت تدرع الناسوت، أي أن ذات الله تعالى تدرعت بالمسيح، أي اتخذته درعاً كما يتدرع الإنسان ثوبه، وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٣) المائة : آية ٧٣

وقالت الملكانية : إن المسيح ناسوت كلي لاجزئي^(١) وهو قديم أزلي، من قديم أزلي، وقد ولدت مريم عليها السلام إلهاً أزلياً >>^(٢).

>> واتفقوا على أن اتحاد اللاهوت بالمسيح دون مريم، وقال بعضهم : إن القتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معاً، واطلقوا لفظ الابن على عيسى، والأب على الله تعالى >>^(٣) تعالى الله عما يقوله الكافرون علواً كبيراً.

[٦] أتباع نسطور: (٤)

في الحقيقة أني عندما أردت الكتابة عن هذه الفرقة ترددت في وضعها في قائمة

(١) الجزئي : هو المعنى (المفهوم) الذي يمنع نفس تصويره من وقوع الشركة فيه مثل محمد والنيل، وهذا الإنسان.

والكلي : هو المعنى (المفهوم) الذي لا يمنع نفس تصويره من وقوع الشركة فيه مثل : إنسان، ومثلث وشمس.

انظر : د/ عوض الله حجازي (المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم)، ط ٤، ص ٥٣

(٢) انظر : الإمام الشهرستاني (الملل والنحل) تقديم وإعداد، د/ عبد اللطيف العبد، ط ١، ص ٢٣٦، ٢٣٧

(٣) انظر : الإمام الآمدي (أبكار الأفكار) تحقيق د/ أحمد المهدي (رسالة دكتوراه)، ص ٥٤٤، ٥٤٥

(٤) هو مؤسس النسطورية وقد ظهر في أوائل القرن الثاني الميلادي، وجلس على كرسي البطريركية في بيزنطة (القسطنطينية) وفيها أعلن مذهبه في طبيعة المسيح، وقد أثار عليه ثورة كبرى في العالم المسيحي وقتئذٍ

انظر : هامش أبكار الأفكار للآمدي تحقيق د/ أحمد المهدي (رسالة دكتوراه)، ص ٥٤٥

الفرق المسيحية التي انحرفت عن عقيدة التوحيد الأصلية، وذلك لان بعض المراجع التي بين يدي تقرر ان نسطور هذا والتي تنسب اليه هذه الفرقة كان موحداً ويرى أن مريم العذراء لم تلد الإله بل ولدت الإنسان فقط، وأن اتحاد ذلك الإنسان بالأقنوم الثاني كان اتحاداً مجازياً، وأن المسيح، عبد صالح مخلوق، وان الله تعالى شرفه وكرمه لطاعته وسماه ابناً على سبيل التشريف، لا على سبيل البنوة الحقيقية.. إلا أن أتباع نسطور هم الذين انحرفوا عن الطريق الصحيح وعن مبادئ نسطور الحقيقية، وكان اختلافهم عن مبادئه اختلافاً جوهرياً في الحقيقة والمعنى لافي الشكل واللفظ (١).

وينقل الإمام أبو زهره عقيدة نسطور هذا فيقول:

>> وقد رأى أن مريم العذراء لم تلد الإله بل ولدت الإنسان فقط، وهو بذلك يرى أن الأقنوم الثاني وهو الابن لم يتجسد وتلده مريم كما يرى غيره، بل كان يرى ان مريم ولدت الإنسان فقط، ثم اتحد ذلك الإنسان بعد ولادته بالأقنوم الثاني، وليس ذلك الإتحاد بالمزج وجعلهما شيئاً واحداً، أو ذلك الإتحاد ليس اتحاداً حقيقياً، بل كان اتحاداً مجازياً، لأن الإله منحه المحبة، ووهبه النعمة، فصار بمنزلة الابن، وهذا التخريج لاشك يؤدي إلى أن المسيح الذي خاطبهم وكلمهم، وحوكم وعوقب في زعمهم لم يكن فيه عنصر إلهي قط، فلم يكن إلهاً ولا ابن الإله.

ولما قال نسطور ذلك القول كاتبه كيرلس بطريك الإسكندرية ويوحنا بطريك أنطاكية في ذلك الإبان ليعدل عن رأيه، فلم يصغ إليهما، ولم يجب طلبهما، فانعقد

(١) لذلك فقد عنونت لهذه الفرقة (بأتباع نسطور) ووضعتها في قائمة الفرق التي انحرفت عن عقيدة التوحيد الأصلية والصحيحة.

مجمع إفسس سنة ٤٣١، وقرر لعنه وطرده، وإثبات أن مريم العذراء قد ولدت الإنسان والإله !!

ولقد أبعد بعد ذلك نسطور عن منصبه، ونفي فصار إلى مصر وأقام في أخميم إلى أن مات << (١)

>> وقد انخرf النسطوريون عن مبادئ نسطور، لأن نسطور كما قررت صاحبة كتاب تاريخ الأمة القبطية وكما قرر ابن البطريق لا يرى أن الأقتوم الثاني مازج المسيح قط (٢) بل هو يرى أن بنوة المسيح بالموهبة والمحبة لبالحقيقة، واستنبطنا كما استنبط غيرنا أنه يرى أن المسيح خال من العنصر الإلهي خلواً تاماً، وهو يصرح بأن مريم ولدت الإنسان فقط بينما غيره يقرر أنها ولدت الإله والإنسان، وهذا اختلاف جوهري في الحقيقة والمعنى لافي الشكل واللفظ، وإذا كان النسطوريون في هذا الزمان قد قالوا بامتزاج اللاهوت في الناسوت كما يقول غيرهم، فقد انخرfوا عن مقالة نسطور << (٣)

ويقول الإمام الآمدي في كتابه (أبكار الأفكار)

>> ومنهم من قال بأن الإله واحد، وان المسيح ابتداءً من مريم، وأنه عبد صالح مخلوق، الا ان الله تعالى شرفه وكرمه لطاعته، وسماه ابناً على سبيل

(١) محاضرات في النصرانية، ط دار الفكر، ص ١٨٨

(٢) يقصد : أن اللاهوت وهو الجزء الإلهي لم يمازج الناسوت اي الجزء الإنساني.

(٣) المرجع السابق، ص ١٨٩، ١٩٠

التبني، لا أنه ولد منه >> (١)

واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام، لاعلى طريق الامتزاج كما قالت الملكانية ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة (٢) وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم >> (٣).

>> وزعموا أن الإبن لم يزل متولداً من الأب، وإنما تجسد واتحد بجسد المسيح حين ولد، والحدوث راجع إلى الجسد والناسوت، فهو إله وإنسان اتحداً، وهما جوهرا ن أقنومان طبيعتان: جوهر قديم، وجوهر محدث، إله تام وإنسان

(١) تحقيق د/ أحمد المهدي، ص ٥٤٦

(٢) صنف من الزجاج المتقن واحده بلوره، وهو جوهر شفاف تام الصفاء أصلب وأثقل وأكثر كسراً للضوء من الزجاج العادي،

انظر: محمد فريد وجدي (دائرة معارف القرن العشرين)، ج ٢، ط ٣، ص ٣٣٠

(٣) تقديم وإعداد د/ عبداللطيف محمد العبد، ط ١، ص ٢٣٩

تام، ولم يبطل الاتحاد قدم القديم، ولا حدوث المحدث لكنهما صارا مسيحا واحداً،
طبيعة واحدة» (١).

«وقالوا : إن القتل وقع على المسيح، من جهة ناسوته لامن جهة لاهوته، لأن
الإله لا تحله الآلام» (٢).

أما الإمام ابن حزم فينقل عنهم قولهم :

«إن مريم لم تلد الإله وإنما ولدت الإنسان، وأن الله تعالى لم يلد الإنسان
وإنما ولد الإله - تعالى الله عن كفرهم - وهذه الفرقة غالبه على الموصل والعراق
وفارس وخراسان، وهم منسوبون إلى نسطور وكان بطريكاً بالقسطنطينية» (٣).

تلك هي الفرق المسيحية القديمة، وقد ذاب اليوم أكثرها في الفرق أو الطوائف
الآتية:

وهي كما يلي :

(١) انظر : الإمام الشهرستاني (الملل والنحل) تقديم د/ عبد اللطيف العبد، ط١،
ص ٢٤٠

أيضا : الإمام الآمدي (أبكار الأفكار) تحقيق د/ أحمد المهدي (رسالة
دكتوراه)، ص ٥٤٥

(٢) لتعريف الحلول و الإتحاد، انظر ص ٤٨١ من هذه الرسالة.

(٣) انظر : الفصل في الملل والنحل، ج١، تحقيق د/ نصر، د/ عميره، ط١، ص ١١١

أ - >> الكاثوليك : وكنيستهم تسمى الكنيسة الكاثوليكية أو الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية، ومعنى الكاثوليكية أي العامة لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها، ولأنها وحدها التي تنشر المسيحية في العالم، وسميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتين خاصة إلى بلاد إيطاليا وبلجيكا وفرنسا والبرتغال، وإن كان لها أتباع فيما عدا ذلك من البلدان، وسميت الكنيسة البطرسية أو الرسولية لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم، والبابوات في روما خلفاؤه >> (١)

ب - >> الأرثوذكس : وتسمى كنيستهم كنيسة الروم الأرثوذكسية أو الكنيسة الشرقية أو اليونانية، لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية على العموم كروسيا والبلقان واليونان، وكان مقرها الأصلي القسطنطينية، وقد فصلت عن الكنيسة الكاثوليكية أيام ميخائيل كارولايوس بطريك القسطنطينية سنة ١٠٥٤ (٢) وهي الآن مؤلفة من عدة كنائس مستقلة >> (٣).

(١) انظر : د / أحمد شلي (المسيحية)، ط ٦، ص ٢٣٧

(٢) *Encyclopaedia of Religions and Ethics Vol.3, p.590*

نقلا عن د / أحمد شلي (المسيحية)، ط ٦، ص ٢٣٨

(٣) انظر : د / أحمد شلي (المسيحية)، ط ٦، ص ٢٣٨

أما عن عقيدة هاتين الطائفتين في المسيح عليه السلام فيتفقان على عبادة الثالوث المقدس لديهم، والذي احد عناصره المسيح عليه السلام فيعتقدون بأنه إبن لله - تعالى عما يقولون علواً كبيراً- والثالوث معروف لديهم وهو (الأب والإبن وروح القدس).

وتختلف هاتين الطائفتين في النقاط الآتية:

>> ١ - قالت الكنيسة الغربية إن روح القدس نشأ عن الله الأب، والله الابن معاً، وأصرت الكنيسة الشرقية على أن روح القدس نشأ عن الله الأب فقط.

٢ - قالت الكنيسة الشرقية بأفضلية الإله الأب عن الإله الأبن، وقالت الكنيسة الغربية بالمساوة الكاملة بين الإثنين.

٣ - قالت الكنيسة الشرقية بأن المسيح طبيعة واحدة ومشئمة واحدة (١) وقالت الكنيسة الغربية بأنه طبيعتان ومشئتان >> (٢)

ج - >> البروتستانت: (٣) وتسمى كنيستهم الكنيسة الإنجيلية وقصد بهذه

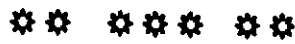
(١) أي أن اللاهوت اختلط بالناسوت اختلاطاً تاماً.

(٢) أي لاهوتي : يحيى ويميت ويشفى به، وناسوتي: يتألم ويجوع ويعطش به.

انظر : د/ أحمد شلي (المسيحية)، ط٦، ص ٢٣٧ باختصار

(٣) سُمى الذين اعتنقوا مبدأ الإصلاح الكنسي، وخرجوا على الكنيسة الكاثوليكية بروتستنت، لأنهم عندما أريد تنفيذ قرار الحرمان عليهم أعلنوا احتجاجاً يسمى بالانجليزية بروتستنت، فسمى الذين أمضوا القرار بروتستنت أي المحتجين، انظر: هامش كتاب محاضرات في النصرانية للإمام أبي زهرة،

التسمية إلى أن أتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره، ويفهمونه بأنفسهم، ولا يخضعون لفهم سواهم، ولا تختص بفهمه طائفة دون أخرى، فلكل قادر الحق في فهمه، وجميعهم متساوون ومسؤولون أمام هذا الكتاب، وبهذا الاتجاه يعارضون الكنائس الأخرى التي تعتبر فهم الإنجيل وفقاً على رجال الكنيسة، والتي لا تعتبر الإنجيل هو المصدر الوحيد للديانة المسيحية بل تضيف إليه الإلهام والتعاليم غير المكتوبة التي يتناقلها البابوات واحد عن الآخر (١).



(١) وتنتشر البروتستانتية في ألمانيا وإنجلترا والدنمارك وهولندا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية.

والصراع عنيف بين هذه المذاهب في الحاضر كما كان في الماضي، فقد اعتبر الصليبيون الكاثوليك المسيحيين المصريين كفرية وملاحدة ومنعوهم من الحج للقدس لأنهم أرثوذكس، وقد ساد هذا الاتجاه جميع المذاهب المسيحية فكتاب القسطاس البورتستنّي يهاجم الكاثوليكية بعنف وكتاب الصخرة الأرثوذكسية يفند تعاليم كل من الكاثوليكية والبورتستانتية، ولو صدقنا هذه الكتب التي دونها قادة مسيحيون لانتبهنا إلى نتيجة حاسمة هي بطلان كل هذه المذاهب والقضاء على المسيحية كلها.

انظر : ميخائيل فكس : القدس عبر التاريخ، ص ٥٧

أيضاً كتاب القسطاس البورتستنّي وكتاب الصخرة الأرثوذكسية لحبيب جرجس .

نقلا عن : د / أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ٢٤٠، ٢٤١

الباب الثالث

المسيح وأمه عليهما السلام في الكتاب والسنة

ويشتمل على تمهيد وفصلين :

✻ الفصل الأول :

مريم عليها السلام في الكتاب والسنة.

✻ الفصل الثاني :

المسيح عليه السلام في الكتاب والسنة.

تمهيد

حيث أن الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهره هما الميزانان المنصفان والعدلان اللذان يمكن للمسلمين، بل وللمحققين المنصفين أن يزنوا بهما حقيقة كل شئ لينظروا أهو من الحقيقة والصدق في شئ أم لا ؟

فكتابنا العظيم، القرآن الكريم قد حفظه الله بحفظه فلم تمسه أيدي العابثين فله الحمد والمنة { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } (١)

وما سُمي هذا الكتاب فرقانا إلا لأنه يفرق بين الحق والباطل وإن لم يكن هذا إسماءً له على التخصيص { تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً } (٢)، بل إن القرآن الكريم هو المهيمن على الكتب السابقة أي << الأمين عليها فما وافقه منها فهو حق وما خالفه منها فهو باطل، وقد جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب خاتماً وأشملها، وأعظمها وأكملها حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها >> (٣)

قال تعالى: { وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، ومهيماً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله .. } (٤).

(١) سورة الحجر : آية ٩

(٢) سورة الفرقان : آية ١

(٣) انظر : تفسير ابن كثير، ج ٢، ط دار المعرفة، ص ٦٥

(٤) سورة المائدة : آية ٤٨

أما السنة النبوية المطهره فلا يخفى شدة إهتمام المسلمين بها، فهي المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية وذلك في جمعها وتدوينها وحفظها ودراستها، وتصنيفها، حتى أن المحدث قد يسافر مسيرة شهر أو أكثر لأجل أن يحصل أو يصحح سند حديث واحد فقط إذا عُلم له مكان رواته.

لذلك كله كان لابد أن نفرّد باباً خاصاً، في هذه الرسالة للحديث عن السيد المسيح وأمه الصديقة مريم ابنة عمران في كتاب الله الكريم وسنة نبيه المطهره

الفصل الأول

مريم عليها السلام في الكتاب والسنة

ويشتمل على أربعة مباحث :

- ✽ المبحث الأول : البيئة التي نشأت فيها السيدة مريم عليها السلام.
- ✽ المبحث الثاني : البشارة بعيسى عليه السلام ثم الحمل به وولادته.
- ✽ المبحث الثالث : فضل الصديقة مريم عليها السلام من واقع الآيات الكريمة، ثم من واقع السنة النبوية المطهرة.
- ✽ المبحث الرابع : الآراء في القول بهجرتها عليها السلام.

المبحث الأول

البيئة التي نشأت فيها السيدة مريم عليها السلام

إن الله سبحانه وتعالى، وهو المتصرف في كونه كيفما يشاء يصطفى من عباده من يشاء، وقد بين لنا كتاب الله الكريم أن الله تعالى يصطفى من عباده أناساً تميزوا بالتقى والصلاح وطيب المنبت وصفاء السريره عن بقية خلقه، كأنبياؤه ورسله عليهم الصلاة والسلام ومن هؤلاء المصطفين آل عمران، وهم من تنتسب إليهم هذه الصديقة الطاهرة مريم عليها السلام.

قال تعالى : { إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم } (١).

>> والاصطفاء هو الاختيار والاجتباء، واستصطفى الشيء واصطفاه: أي اختاره.. والصفة الخالص من كل شيء { (٢) }.

يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله - >> أن المراد بعمران هذا هو والد مريم بنت عمران أم عيسى ابن مريم عليها السلام، قال محمد بن إسحاق بن يسار - رحمه الله - هو عمران بن باشم بن ميشا بن خزقيا بن إبراهيم بن غرايا بن ناوش بن أجر بن بهوا بن نازم بن مقاسط بن إيشا بن إياز بن رخييم بن سليمان بن داود عليهما السلام فعيسى من ذرية إبراهيم >> (٣)

(١) سورة آل عمران : ٣٣ ، ٣٤

(٢) انظر : لسان العرب، مادة صفو، ج ٤، ص ٤٦٣

(٣) انظر : تفسير ابن كثير، ج ١، ط دار المعرفة، ص ٣٥٨

وهناك رأي آخر مفاده : أن المقصود بعمران في هذه الآية الكريمة هو عمران ابن يصهر أبو موسى، ولا يخفى أن هذا الرأي ضعيف ومرجوح، وذلك لأن السورة تسمى (آل عمران) ولم تشرح قصة عيسى ومريم في سورة أبسط من شرحها في هذه السورة.. ذكر ذلك الإمام الألوسي في تفسيره.

يقول رحمه الله :

«والمراد بآل عمران عيسى عليه الصلاة والسلام وأمه مريم بنت عمران بن مائان من ولد سليمان بن داود عليهما السلام قاله الحسن ووهب، وقيل: المراد بهم موسى وهارون عليهما السلام فعمران حينئذ هو عمران ابن يصهر أبو موسى.. وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة والظاهر هو القول الأول، لأن السورة تسمى آل عمران ولم تشرح قصة عيسى ومريم في سورة أبسط من شرحها في هذه السورة، وأما موسى وهارون فلم يذكر من قصتهما فيها طرف فدل ذلك على أن عمران المذكور هو أبو مريم، وأيضا يرجح كون المراد به أبا مريم أن الله تعالى ذكر اصطفاها بعد ونص عليه وأنه قال سبحانه: { إذ قالت امرأة عمران }.. والمراد بالعالمين: أهل زمان كل واحد منهم أي اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه، ويدخل الملك في ذلك، والتأويل خلاف الأصل» (١).

وقد وصف والد هذه السيدة الجليلة بأنه «رجل عظيم وعالم جليل من علماء بني اسرائيل» (٢).

(١) انظر: روح المعاني (تفسير الألوسي)، ج ٣، ط دار احياء التراث العربي،

بيروت، ص ١٣١

(٢) انظر: عبد الوهاب النجار (قصص الأنبياء)، ط ٣، ص ٣٧٤
أيضاً: الأستاذ محمد الصابوني (النبوة والأنبياء)، ط ٢، ص ١٨٨

وبالإضافة إلى إصطفاء الله تعالى لآل عمران - والد الصديقة مريم عليها السلام - فقد اصطفاه الله تعالى هي بذاتها مرتين، وبين هذين الاصطفائين التطهير، وذلك لتميزها وتفضيلها على نساء عالمها.

قال تعالى: { وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين } (١).

>> والمراد بالملائكة هنا جبريل وحده وهذا كقوله تعالى: { ينزل الملائكة بالروح من أمره } (٢) يعني جبريل، وهذا وإن كان عدولاً عن الظاهر إلا أنه يجب المصير إليه، لأن سورة مريم دلت على أن المتكلم مع مريم عليها السلام هو جبريل عليه السلام وهو قوله تعالى: { فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً } (٣).

>> والمذكور في هذه الآية الكريمة أولاً هو الإصطفاء، وثانياً: التطهير، وثالثاً: الاصطفاء على نساء العالمين، ولا يجوز أن يكون الإصطفاء أولاً (٤) من الإصطفاء الثاني، لما أن التصريح بالتكرير غير لائق، فلا بد من صرف الإصطفاء الأول إلى ما اتفق لها من الأمور الحسنة أول عمرها، والإصطفاء الثاني إلى ما اتفق لها في آخر عمرها.

(١) سورة آل عمران : آية ٤٢

(٢) سورة النحل : آية ٢

(٣) سورة مريم : آية ١٧

انظر: الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٨، ط ٢، ص ٤٣

(٤) هكذا كتبت وقد يُقصد بها (الأول)

أما النوع الأول من الإصطفاء فهو أمور:
أحدهما : أنه تعالى قبل تحريرها مع أنها كانت أنثى ولم يحصل مثل هذا المعنى لغيرها من الإناث.
ثانيها : قال الحسن : إن أمها لما وضعتها ما غذتها طرفة عين بل ألقتها إلى زكريا^(١) وكان رزقها يأتيها من الجنة.
وثالثها : أنه تعالى فرغها لعبادته وخصها في هذا المعنى بأنواع اللطف والهداية والعصمة.
ورابعها : أنه كفاها أمر معيشتها، فكان يأتيها رزقها من عند الله تعالى على ما قال الله تعالى: { أنى لك هذا قالت هو من عند الله }.
خامسها : أنه تعالى أسمعها كلام الملائكة شفاهاً، ولم يتفق ذلك لآنثى غيرها، فهذا هو المراد من الاصطفاء الأول.

وأما التطهير ففيه وجوه:

أحدها : أنه تعالى طهرها عن الكفر والمعصية فهو كقوله تعالى في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم << ويطهركم تطهيرا >>^(٢).
وثانيها : أنه تعالى طهرها عن مسيس الرجال.
وثالثها : طهرها عن الحيض قالوا: كانت مريم لا تحيض.
ورابعها : طهرها من الأفعال الذميمة والعادات القبيحة.
خامسها : طهرها عن مقالة اليهود وتهمتهم وكذبهم.

(١) لم يرد لهذا الرأي أي دليل، والظاهر - والله أعلم - أن رزقها الذي كان يأتيها من ربها جلّ وعلا كان يأتيها بعد أن أخذت تتعبد في بيت المقدس كما تدل عليه الآيات التالية في هذا الفصل.

(٢) سورة الأحزاب : آية ٣٣

وأما الاصطفاء الثاني، فالمراد أنه تعالى وهب لها عيسى عليه السلام من غير أب، وأنطق عيسى حال انفصاله منها حتى شهد بما يدل على براءتها عن التهمة، وجعلها وابنها آية للعالمين فهذا هو المراد من هذه الألفاظ الثلاثة << (١)

وقد تربت وترعرعت هذه السيدة الجليلة تحت عناية الله سبحانه وتعالى حيث أُعدت لتكون أما لني من أنبياء الله تعالى ومن أولي العزم من رسله تعالى وهو عيسى عليه السلام، ولأنها خُصت بمزايا ومواهب عديدة، فقد أمرها الله تعالى بمزيد من الطاعات فأمرها بالقنوت والسجود والركوع.

قال تعالى : { يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين } (٢).

وقد قدم ذكر السجود على ذكر الركوع لعدة وجوه :

الأول : أن الواو تفيد الإشتراك.

الثاني : أن غاية قرب العبد من الله تعالى أن يكون ساجداً.

الثالث : إن الصلاة تسمى سجوداً كما في قوله تعالى : { وأدبار السجود } لأن أشرف أجزاء الصلاة السجود وفي قوله تعالى : اقنتي : أمر بالعبادة على العموم << (٣).

(١) انظر : الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٨، ط ٢، ص ٤٣

(٢) سورة آل عمران : آية ٤٣

(٣) المرجع السابق، ص ٤٤ بتصريف قليل.

وقد صرحت آيات الذكر الحكيم بأن السيدة مريم عليها السلام كانت مندورة من قبل أمها (امرأة عمران) قبل ولادتها للخدمة والعبادة في بيت المقدس تقرباً إلى الله تعالى، وقد أخبرنا القرآن الكريم بقبول الله تعالى لذلك النذر بقبول حسن وأنه تعالى قد أنبتها نباتاً حسناً كناية عن طيب نشأتها عليه السلام وقد قام بكفالتها ورعاية مصالحها بعد موت والدها عمران نبي الله زكريا زوج خالتها على إحدى الروايات (١).

فهي لها أن تُربي في بيت نبي من أنبياء الله تعالى لكي تنجب نبياً من أنبياء الله تعالى: والذي يجد عندها الرزق الموهوب لها من خالقها سبحانه وتعالى - في غير حينه وذلك دليل تميزها بكرامات الله تعالى.

قال تعالى :

{ إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم، فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب } (٢).

(١) انظر : تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٣٦٠، ط دار المعرفة.

(٢) سورة آل عمران : آية ٣٥ - ٣٧

« وأمرأة عمران هذه أم مريم عليها السلام وهي حنه بنت فاقوذ » (١).

« وفي كيفية هذا النذر روايتان :

الرواية الأولى.. إنها كانت عاقراً لاتلد، وكانت تغبط النساء بالأولاد ثم قالت: اللهم إن لك على نذراً إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس ليكون من سدنته.

والرواية الثانية.. إن أم مريم ما كان يحصل لها ولد حتى شاخت، وكانت يوماً في ظل شجرة فرأت طائراً يطعم فرخاً له فتحركت نفسها للولد، فدعت ربها أن يهب لها ولداً فحملت بمريم وهلك عمران، فلما عرفت جعلته لله محرراً، أي خادماً للمسجد، قال الحسن البصري: إنها إنما فعلت ذلك بإلهام من الله ولولاه ما فعلت كما رأى ابراهيم ذبح ابنه في المنام فعلم أن ذلك أمر من الله وإن لم يكن وحي (٢)، كما ألهم الله أم موسى فقذفته في اليم وليس بوحي (٣).

والمحرر الذي يُجعل حرّاً خالصاً يقال: حررت العبد إذا خلصته عن الرق، وحررت الكتاب إذا أصلحته، أما التفسير فقيل: مخلصاً للعبادة.. وقيل خادماً للبيعه (٤).

-
- (١) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١، ط دار المعرفة، ص ٣٥٩
(٢) يشير إلى قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام { يا بني إني أرى في المنام أني اذبحك فانظر ماذا ترى } سورة الصافات : آية ١٠٢
(٣) يشير إلى قوله تعالى : { إذ أوحينا إلى أمك ما يوحي أن اقدفيه في التابوت فاقدفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل } سورة طه : آية ٣٩
(٤) جمعها بيع والبيعه بالكسر متعبد النصارى .
انظر : القاموس المحيط، للفيروز أبادي، ج ٣، ط دار الفكر، ص ٨، (ومن الملاحظ أنه لا يوجد نصارى آنذاك).

وقيل : كان المحرر يجعل في الكنيسة يقوم بخدمتها حتى يبلغ الحلم، ثم يجير بين المقام والذهاب فان أبي المقام وأراد ان يذهب ذهب، وإن اختار المقام فليس له بعد ذلك خيار << (١).

<< فتقبل مني : أي ما نذرته والتقبل أخذ الشيء على وجه الرضا.. { قالت رب إني وضعتها أنثى } لأن ما في بطنها كان أنثى في علم الله تعالى أو لأنه مؤول بالحبل أو النفس أو النسمه.. { والله أعلم بما وضعت } تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشأنه وتجهيل لها بقدره أي والله أعلم بالشيء الذي وضعته وماعلق به من عظام الأمور وجعله وابنه آية للعالمين وهي غافلة عن ذلك << (٢).

<< ثم قال تعالى حكايةً عنها { وليس الذكر كالأنثى } وفيه قولان :

الأول: أن مرادها تفضيل الولد الذكر على الأنثى وسبب هذا التفضيل من وجوه:

احدها : أن شرعهم يجوز تحرير الذكور دون الاناث.

الثاني : إن الذكر يصح أن يستمر على خدمة موضع العبادة، ولايصح ذلك في الأنثى لمكان الحيض وسائر عوارض النسوان.

الثالث : الذكر يصلح لقوته وشدته للخدمة دون الأنثى فانها ضعيفة لاتقوى على الخدمة.

الرابع : أن الذكر لايلحقه عيب في الخدمة والإختلاط بالناس وليس كذلك الأنثى.

الخامس : أن الذكر لايلحقه من التهمة عند الاختلاط مايلحق الأنثى فهذه الوجوه

تقتضى فضل الذكر على الأنثى.

(١) انظر : الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ح ٨، ط ٢، ص ٢٥ بتصريف قليل.

(٢) انظر : تفسير أبي السعود، ح ٢، ط دار إحياء التراث، ص ٢٨.

والقول الثاني : أن المقصود من هذا الكلام ترجيح هذه الأنتى على الذكر، كأنها قالت الذكر مطلوبى وهذه الأنتى موهوبة الله تعالى، وليس الذكر الذي يكون مطلوبى كالأنتى التي هي موهوبة الله، وهذا الكلام يدل على أن تلك المرأة كانت مستغرقة في معرفة جلال الله عالمة بأن ما يفعله الرب بالعبد خير مما يريد العبد لنفسه <<(١).

ويرجح عندي الرأي الأول عن الثاني وهو أن مراد - امرأة عمران أم مريم عليها السلام تفضيل الولد الذكر على الأنتى - في قول الله تعالى حكاية عنها { وليس الذكر كالأنتى } وذلك لقوة وجوهه وكثرتها.

{ وإني سميتها مريم } ويستدل الإمام الفخر الرازي من هذا القول: << أن عمران قدمات حال حمل حنه، فلذلك تولت الأم تسميتها، لأن العادة أن ذلك يتولاه الآباء >>(٢).

أقول : بأن هذا ليس دليلاً كافياً على موت عمران حال حمل أو ولادة حنه، فقد تتولى الأمهات التسمية في حال وجود الآباء.

>> ومريم في لغتهم العابده، فأرادت بهذه التسمية أن تطلب من الله تعالى أن يعصمها من الآفات >>(٣).

(١) انظر : الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٨، ط ٢، ص ٢٦، ٢٧

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧

(٣) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

{ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبثها نباتاً حسناً }.

>> يخبر ربنا أنه تقبلها من أمها نذيرة وأنه أنبثها نباتاً حسناً أي جعلها شكلاً مليحاً ومنظراً بهيجاً ويسر لها أسباب القبول وقرنها بالصلحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين فلماذا قال تعالى: { وكفلها زكريا }.. قال ابن اسحاق: وما ذلك إلا أنها كانت يتيمه، وذكر غيره إن بني إسرائيل أصابتهم سنة جذب فكفل زكريا مريم لذلك، ولامنافاة بين القولين والله أعلم، وإنما قدر الله كون زكريا كفلها لسعادتها لتقتبس منه علماً جماً نافعاً وعملاً صالحاً، ولأنه كان زوج خالتها.. وقيل: زوج أختها >> (١).

وعلى ذكر كفالة نبي الله زكريا للسيدة مريم عليهما السلام هناك آية أخرى في هذه السورة الكريمة (سورة آل عمران) يفيد مضمونها أنه قد حصل اختصاص ثم اقتراح بشأن كفالة هذه الصديقة الطاهرة، فلأنها بنت إمامهم وكبيرهم وعالمهم، وقد توفي وتركها - على أرجح الأقوال - فقد أخذ أتباعه يتنافسون لكفالتها لذلك حصل الاختصاص والاقتراح بشأن كفالتها عليها السلام.

يقول الله تعالى:

{ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون } (٢).

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١، ط دار المعرفة، ص ٣٦٠

(٢) سورة آل عمران: آية ٤٤

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريم:

<< خرجت بها أمها - يعني مريم - فقالت لهم: دونكم هذه النذيرة فإني حررتها وهي انثى.. ولا أردّها إلى بيتي فقالوا: هذه ابنة إمامنا، وكان عمران يؤمهم في الصلاة.. فقال زكريا: ادفعوها لي فإن خالتها تحتي فقالوا: لا تطيب أنفسنا هي ابنة إمامنا فذلك حين اقترعوا عليها بأقلامهم التي يكتبون بها التوراة فقرعهم زكريا فكفلها، وقيل: أنهم ذهبوا إلى نهر الأردن واقترعوا هنالك على أن يلقوا أقلامهم فأبهم يثبت في جرية الماء فهو كافلها فألقوا أقلامهم فاحتملها الماء إلا قلم زكريا فإنه ثبت، ويقال: إنه ذهب صاعداً يشق جرية الماء، وكان مع ذلك كبيرهم وسيدهم وعالمهم وإمامهم ونبههم صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين >> (١).

<< كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا، قال يا مريم أنى لك

هذا، قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب >>.

وقد أشارت الآية الكريمة إلى أن رزقاً كان يأتي هذه السيدة الطاهرة مريم عليها السلام موهوباً من الله تعالى، بحيث أن كافلها نبي الله زكريا عليه السلام كلما دخل عليها المحراب يجد عندها رزقاً، عندما يسألها عن مصدر هذا الرزق تجيبه بأنه من عند الله، وقد تواترت الروايات بأنه كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف (٢) والمعنى المفهوم من الآية الكريمة هو أنه كان يجد عندها

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١، ط دار النشر، ص ٣٦٣

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١، ط دار المعرفة، ص ٣٦٠

أيضا: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج ٤، ص ٧١

أيضا: تفسير أبي السعود، ط دار إحياء التراث، ج ٢، ص ٣٠

أيضا: التفسير الكبير للفخر الرازي، ج ٨، ص ٣٠

أيضا: الكشف للزمخشري، ج ١، ط دار المعرفة، ص ٤٢٧

أيضا: روح المعاني للإمام الألوسي، ج ٣، ط دار إحياء التراث، ص ١٤٠

رزقاً غريباً لا يمكن أن يوجد مثله عند غيرها في ذلك الوقت، وهذه كرامة لها^(١).

والمحراب : أرفع المواضع وأشرف المجالس، وكانوا يتخذون المحارب فيما ارتفع من الأرض >>^(٢)

وانفرد الإمام الفخر الرازي - دون بقية الإئمة المفسرين - بذكر الأدلة على صحة القول بكرامة الأولياء ضد من ينفيها، يقول :

>> ووجه الاستدلال أنه تعالى أخبر أن زكريا كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم: أنى لك هذا؟ قالت هو من عند الله فحصل ذلك الرزق عندها إما أن يكون خارقاً للعادة أو لا يكون، فان قلنا: إنه غير خارق للعادة فهو باطل من خمسة أوجه :

الأول : أن على هذا التقدير لا يكون حصول ذلك الرزق عند مريم دليلاً على علو شأنها وشرف درجتها وامتيازها عن سائر الناس بتلك الخاصية ومعلوم أن المراد من الآية هذا المعنى.

الثاني : أنه تعالى قال بعد هذه الآية { هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة } والقرآن دل على أنه كان آيساً من الولد بسبب شيخوخته وشيخوخة زوجته، فلما رأى انخراق العادة في حق مريم طمع في حصول الولد فيستقيم قوله { هنالك دعا زكريا ربه } أما لو كان الذي شاهده في حق

(١) الكرامة : أمر خارق للعادة يظهره الله على يد عبد ظاهر الصلاح كرامة له.

(٢) انظر: القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ١١، ط دار إحياء التراث،

مريم لم يكن خارقاً للعادة لم تكن مشاهدة ذلك سبباً لطمعه في الخرق العادة
بمصول الولد من المرأة الشبيخة العاقر.

الثالث : أن التنكير في قوله تعالى: { وجد عندها رزقاً } يدل على تعظيم حال ذلك
الرزق كأنه قيل: رزقاً أي رزق غريب عجيب، وذلك إنما يفيد الغرض اللائق
لسياق هذه الآية لو كان خارقاً للعادة.

الرابع : هو أنه تعالى قال: { وجعلناها وابنها آية للعالمين } ولولا أنه ظهر عليهما
من الخوارق، وإلا لم يصح ذلك.

فان قيل: لم لا يجوز أن يقال: المراد من ذلك هو أن الله تعالى خلق لها ولداً
من غير ذكر؟ قلنا: ليس هذا بآية، بل يحتاج تصحيحه إلى آية، فكيف نحمل
الآية على ذلك^(١)، بل المراد من الآية ما يدل على صدقها وطهارتها، وذلك
لا يكون إلا بظهور خوارق العادات على يدها كما ظهرت على يد ولدها
عيسى عليه السلام.

الخامس : ما تواترت الروايات به أن زكريا عليه السلام كان يجد عندها فاكهة
الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء. فثبت أن الذي ظهر في حق
مريم عليها السلام كان فعلاً خارقاً للعادة فتقول: إما أن يقال: إنه كان

(١) أي : أن المقصود بالآية في قوله تعالى: { وجعلناها وابنها آية للعالمين } ظهور
خوارق العادة لديها كوجود الرزق، وليس المقصود أنه تعالى خلق لها ولداً
من غير ذكر، لأن هذا ليس بآية أي معجزة، بل يحتاج تصحيحه إلى آية لأن
قومها - قاتلهم الله - اتهموها بالفاحشة عندما أتت بعيسى فاحتاج إلى آية
أخرى وهي انطاقه في المهدي.

معجزة لبعض الانبياء أو ما كان كذلك والأول باطل لأن النبي الموجود في ذلك الزمان هو زكريا عليه السلام، ولو كان ذلك معجزة له لكان هو عالماً بحاله وشأنه، فكان يجب أن لا يشتبه أمره عليه وأن لا يقول لمريم { أنى لك هذا } وأيضاً فقوله تعالى { هنالك دعا زكريا ربه } مشعر بأنه لما سألها عن أمر تلك الأشياء ثم أنها ذكرت له أن ذلك من عند الله فهناك طمع في الخرق العادة في حصول الولد من المرأة العقيمة الشيخة العاقر وذلك يدل على أنه ما وقف على تلك الأحوال إلا باخبار مريم، ومتى كان الأمر كذلك ثبت أن تلك الخوارق ما كانت معجزة لزكريا عليه السلام فلم يبق إلا أن يقال: إنها كانت كرامة لعيسى عليه السلام أو كانت كرامة لمريم عليها السلام وعلى التقديرين فالمقصود حاصل، فهذا هو وجه الاستدلال بهذه الآية على وقوع كرامات الأولياء >> (١).

(١) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٨، ص ٣٠-٣١

الأول : >> أن كل علوق وإن كان مخلوقاً بواسطة الكلمة وهي قوله (كن) إلا أن ما هو السبب المتعارف كان مفقوداً في حق عيسى عليه السلام وهو الأب، فلا جرم كان إضافة حدوثه إلى الكلمة أكمل وأتم فجعل بهذا التأويل كأنه نفس الكلمه كما أن من غلب عليه الجود والكرم والإقبال يقال فيه على سبيل المبالغة إنه نفس الجود، ومحض الكرم، وصريح الإقبال فكذا ههنا.

الثاني : أن السلطان العادل قد يوصف بأنه ظل الله في أرضه، وبأنه نور الله، لما أنه سبب لظهور العدل، ونور الإحسان فكذلك كان عيسى عليه السلام سبباً لظهور كلام الله عز وجل بسبب كثرة بياناته وإزالة الشبهات والتحريفات عنه فلا يبعد أن يسمى بكلمة الله تعالى على هذا التأويل >> (١).

الثالث : >> إن المراد بالكلمة كلمة التكوين لا كلمة الوحي، ذلك أنه لما كان أمر الخلق والتكوين وكيفية صدوره عن الباري عز وجل مما يعلو عقول البشر عبر عنه سبحانه بقوله: { إنما امره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون } فكلمة (كن) هي كلمة التكوين، وههنا يقال أن كل شيء قد خلق بكلمة التكوين فلماذا خص المسيح باطلاق الكلمة عليه وأجيب عن ذلك بأن الأشياء تنسب في العاده والعرف العام في البشر إلى أسبابها ولما فقد في تكوين المسيح وعلوق أمه به ما جعله الله سبباً للعلوق هو تلقيح ماء الرجل

(١) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٢، ص ٤٧، ٤٨.

أيضا: الإمام الألوسي (روح المعاني)، ج ٣، ص ١٦٠.

لما في الرحم من البيوض التي يتكون منها الجنين أضيف هذا التكوين إلى كلمة الله وأطلقت الكلمة على المكون إيذاناً بذلك أو جعل كأنه نفس الكلمة مبالغة.

الرابع : أنه اطلق عليه لفظ الكلمة لمزيد إيضاحه لكلام الله الذي حرفه قومه اليهود حتى أخرجوه عن وجهه وجعلوا الدين مادياً محضاً >> (١)

الخامس : >> أنه اطلق على المسيح للإشارة إلى بشارة الأنبياء به فهو قد عرف بكلمة الله أي بوحيه لأنبيائه.

السادس : إن المراد بالكلمة كلمة البشارة لأمه فقوله بكلمة منه معناه بخبر من عنده أو بشارة وهو كقول القائل ألقى إلى فلان كلمة سرني بها بمعنى أخبرني خيراً فرحت به ، واستشهد له بقوله تعالى: { وكلمته ألقاها إلى مريم أ يعني بشرى الله مريم بعيسى ألقاها إليها >> (٢).

وهناك من يحاول تقريب موضوع جبل مريم بالمسيح عليه السلام من غير ذكر لأذهان الناس فيأخذ بآراء غريبة ومادية محضه فيبتعد بذلك عن الحقيقة والتي صرح بها الحق سبحانه وتعالى بقوله: { إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون } (٣).

(١) انظر : تفسير المنار (محمد رشيد رضا) ويقول: إنه قد أخذ هذا الرأي عن الإمام الرازي، وقد رجعت لتفسير الرازي فلم أجد ذكراً لليهود عند تفسيره للكلمة في هذه الآية الكرّيمه، ولعله قد أخذه من كتبه الأخرى.

تفسير المنار، ج ٣، ط ٢، ص ٣٠٤

(٢) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

(٣) سورة يس : آية ٨٢

لوقوع الحوادث في جميع الأحيان، بل هو مجرد رأي واهم يستند على ركيزة واهية، وحمل السيدة مريم بعيسى عليهما السلام مجرد أمر من الله تعالى، والذي باستطاعته ان يحرق السنن الكونية المتعارف عليها في أي وقت ومكان يشاؤه سبحانه وتعالى.

وقد قال تعالى:

{ إن مثل عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون } (١).

وقد عجت للأستاذ محمد رشيد رضا - وهو مفسر معاصر - يأخذ بهذا الرأي فيقول:

>> يمكن تقريب هذه الآية الإلهية من السنن المعروفة في نظام الكائنات بوجهين:

أحدهما: أن الاعتقاد القوي الذي يستولي على القلب ويستحوذ على المجموع العصبي يحدث في عالم المادة من الآثار ما يكون على خلاف المعتاد، فكم من سليم اعتقد أنه مصاب بمرض كذا وليس في بدنه شيء من جراثيم هذا المرض فولد له اعتقاده تلك الجراثيم الحية وصار مريضاً، وكم من امرئ سقي الماء القراح أو نحوه فشربه معتقداً أنه سم نافع فمات مسموماً به، والحوادث في هذا الباب كثيرة أثبتتها التجارب، وإذا اعتبرنا بها في أمر ولادة المسيح نقول: إن مريم لما بشرت بأن الله تعالى سيهب لها ولداً بمحض قدرته، وهي على ما هي عليه من صحة الإيمان وقوة اليقين انفعل مزاجها بهذا الاعتقاد إنفعلاً فعل في الرحم فعل التلقيح كما يفعل الاعتقاد القوي في مزاج السليم فيمرض أو يموت، وفي مزاج المريض فيبرأ وكان نفخ الروح الذي ورد في

(١) سورة آل عمران: آية ٥٩

سورة أخرى متمماً لهذا التأثير >> (١).

وينقل د/ حسن عز الدين الجمل النص السابق ويضيف إليه قوله: >> وإذا ترجمنا هذا الكلام إلى لغة الطب نقول: انفعل مزاجها - بإذن الله - ثم بهذا الاعتقاد، انفعلاً فعل في البويضة فعل الانقسام والتوالد >> (٢).

ونحن لاننكر أن الحالة النفسية للإنسان تؤثر في صحته لذلك يعمد الأطباء إلى الاستبشار أمام المريض بتحسين حالته الصحية حتى ولو لم تكن كذلك، والعكس صحيح، فإذا توهم الإنسان السليم الأمراض قد يُصاب بها، ولكننا لانجزم بذلك، والتخيل والتصور والتوهم لطفل لا يوجب الحمل به، وهذا - في رأيي - يختلف تماماً عن النفخ الذي ورد في سورة التحريم (٣) والذي بمثابة الخلق والإنشاء من قبل الحق سبحانه وتعالى.

أما الإمام الألوسي - يرحمه الله - فإنه ينقل ما ذكره الإمام الرازي ثم يعلق عليه بقوله:

>> وليس بشئ (٤) لأنه يعود بالنقص لخصرة البتول، وأنها لتزده ساحتها عن

(١) انظر: تفسير المنار، ط ٢، ج ٣، ص ٣٠٩

(٢) (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم)، ط ١، ص ٦٧

(٣) {ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا}، سورة التحريم: آية ١٢

(٤) يقصد الرأي القائل بأن التصورات والتخيلات الذهنية توجب حدوث الحوادث ومن هذا القبيل كان حمل مريم بعيسى عليها السلام عندما تخيلت صورته !!

مثل هذا التخيل كما لا يخفى، وفي جواب هذه الظاهرة ليوسف النجار ما يؤيد ما قلناه، فقد أخرج إسحاق بن بشر، وابن عساكر عن وهب أنه قال: لما استقر حمل مريم وبشرها جبريل وثقت بكرامة الله تعالى واطمأنت وطابت نفساً، وأول من اطلع على حملها ابن خال لها يقال له يوسف، واهتم لذلك وأحزنه وخشي البلية منه لأنه كان يخدمها فلما رأى تغير لونها وكبر بطنها عظم عليه ذلك فقال معرضاً لها: هل يكون زرع من غير بذر؟! قالت: نعم، قال: وكيف يكون ذلك، قالت: إن الله تعالى خلق البذر الأول من غير نبات وأنبت الزرع الأول من غير بذر، ولعلك تقول: لم يقدر أن يخلق الزرع الأول إلا بالبذر؟ ولعلك تقول: لولا أن استعان الله تعالى عليه بالبذر لغلبه حتى لا يقدر على أن يخلقه ولا ينبته؟ قال يوسف: أعود بالله أن أقول ذلك قد صدقت وقلت بالنور والحكم، وكما قدر أن يخلق الزرع الأول وينبته من غير بذر يقدر أن يجعل زرعاً من غير بذر فأخبريني هل ينبت الشجر من غير ماء ولا مطر؟ قالت: ألم تعلم أن للبذر والماء والمطر، والشجر خالقاً واحداً فلعلك تقول لولا الماء والمطر لم يقدر على أن ينبت الشجر؟ قال أعود بالله تعالى أن أقول ذلك قد صدقت فأخبريني خورك قالت: بشرني الله تعالى { بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم } إلى قوله تعالى { ومن الصالحين } فعلم يوسف أن ذلك أمر من الله تعالى لسبب خير أراد به مريم فسكت عنها فلم تزل على ذلك حتى ضربها الطلق فنوديت أن اخرجي من المحراب فخرجت >> (١).

>> أما قوله تعالى { بكلمة منه } فلفظة (من) ليست للتبويض ههنا إذ لو كان كذلك لكان الله تعالى متجزئاً متبعضاً متحملاً للإجماع والإفتراق وكل من كان

(١) انظر: روح المعاني، ط ٢، ج ٣، ص ١٦٥

كذلك فهو محدث وتعالى الله عنه، بل المراد من كلمة (من) ههنا ابتداء الغايه وذلك لأن في حق عيسى عليه السلام لما لم تكن واسطة الأب موجودة صار تاثير كلمة الله تعالى في تكوينه وتخليقه أكمل وأظهر فكان كونه كلمة الله مبدأ لظهوره وحدوثه أكمل فكان المعني لفظ ما ذكرناه >> (١).

والسيدة مريم - عليها السلام - إذ تتعجب من بشاره جبريل لها بالولد لم تستبعد من قدرة الله تعالى شيئاً.

{ قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسنى بشر } (قالت رب) أي يا سيدي تخاطب جبريل عليه السلام لأنه تمثل لها قال لها: { إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً } فلما سمعت ذلك استفهمت عن طريق الولد فقالت: { أنى يكون لي ولد ولم يمسنى بشر }؟ يشمل الحرام والحلال، نقول: العادة الجارية التي أجراها الله في خلقه أن الولد لا يكون إلا عن نكاح أو سفاح وقيل: وما استبعدت من قدرة الله تعالى شيئاً، ولكن أرادت كيف يكون هذا الولد: أمن قبل زوج في المستقبل أم يخلقه الله ابتداءً؟ >> (٢).

{ إذا قضى أمراً } أي أراد شيئاً فالأمر: واحد الأمور والقضاء في الأصل الإحكام، وأطلق على الإرادة الإلهية القطعية المتعلقة بإيجاد المعدوم وإعدام الموجود وسميت بذلك لا يجابها ما تعلقت به البتة ويطلق على الأمر، ومنه { وقضى ربك }، فإنما يقول له كن فيكون { أي فهو يكون أي يحدث وهذا عند الأكثرين تمثيل لتأثير

(١) انظر: الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٨، ط ٢، ص ٤٩

(٢) انظر: الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن). ج ٤، المجلد الثاني، ط دار إحياء التراث (بيروت)، ص ٩٢

قدرته في مراده بأمر المطاع للمطيع في حصول الأمور من غير امتناع وتوقف >> (١).
وفي الآيات الكريمت من السورة المسماة باسمها.. تحكي قصة هذه السيدة الطاهرة عندما قابلها سيد الملائكة جبريل عليهما السلام وتمثل لها بشراً سوياً، ففزعت منه وظنته يريد أن يمسه بسوء، فقد كانت في خلوتها منعزلة لا يوجد من يحميها سوى خالقها جلّ وعلا، ولكنه عليه السلام طمأنها - على الفور - وبشرها بسلام زكي نبي..
وقد أخذت عليها السلام تتعجب من بشارة الملك لها بالسلام من غير أن يمسه بشر، وهي نفي عام للنكاح الشرعي وغيره، وهي في تعجبها لم تنكر قدرة الله تعالى، فأجابها رسول ربها بأن ذلك عليه هين، وأنه تعالى جعل هذا الغلام آية ومعجزةً ورحمةً منه، ثم تواصل الآيات الكريمت سرد بقية القصة لهذه السيدة الجليلة حيث حملت بالسلام الزكي النبي بقدرة الله تعالى من غير أن يمسه بشر.

ومع اختلاف المفسرين في مدة الحمل إلا أن الثابت أنها حملت به والراجع أن حملها كحمل النساء المعتاد إذ لم يرد في سياق الآيات الكريمت ما يخالف ذلك.
وعندما جاءتها آلام المخاض الشديدة والتي تنتاب كل والدّة، تمت أنها قد ماتت قبل ذلك اليوم وكانت نسياً منسياً، وفي ذلك دليل على تمني الموت حين الخوف في الوقوع في الفتن، وتمنيها للموت يظهر أنه خوف من إتهام قومها لها بالفاحشة كما ثبت عنهم فيما دلت عليه الآية الكريمة، أو لخوفها من وقوع الناس في البهتان بسببها..

فطمأنها (من تحتها) فمنهم من فسره بأنه جبريل عليه السلام، ومنهم من فسره بأنه ابنها عيسى عليهما السلام.

(١) انظر: الإمام الألويسي (روح المعاني)، ج ٣، ص ١٦٤

ثم تذكر الآيات الكريمات بأنه طُلب منها بأن تهز النخلة ويقال أنها كانت نخلةً يابسة قد ماتت، وكرامة لهذه السيدة الطاهرة وإرهاصاً لابنها نبي الله عيسى عليهما السلام عادت إلى النخلة الحية ونبت البلح فيها ثم استوى وصار رطباً، ثم تساقط رطباً جنياً كل ذلك في لحظات، ثم أمرت بالأكل من الرطب والشرب من السري وهو النهر الذي أجراه الله من تحتها أو بالقرب منها، من ذلك استدلوا بعظيم فائدة الرطب للنفساء، ثم أمرت بأن تصوم صمتاً بأن تمتنع عن الكلام لأن الله تعالى سيضع لها كرامة أخرى وإرهاصاً لابنها النبي عليهما السلام حيث أنها ستشير إليه عند اتهام قومها لها، ثم ينطقه الله وهو في مهده فيتكلم ببراءتها..

وفيما يلي ننقل نص الآيات الكريمات من السورة المسماة باسمها (سورة مريم).

{ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً، قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً، قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً، قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً، قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آيةً للناس ورحمةً منا وكان أمراً مقضياً، فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً، فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً، فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سرياً، وهزي إليك الجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً، فكلي واشربي وقري عيناً فإما ترى من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً { (١).

« والنبد أصله الطرح والإلقاء، وانتبذت أي تنحت وتباعدت على سرعة إلى مكان ناحية الشرق » (١).

وبمعنى آخر : « اعتزلت وانفردت من أهلها وأنت مكاناً شرقياً من بيت المقدس أو من دارها لتتخلى هناك للعبادة » (٢).

{ فأرسلنا إليها روحنا } « قيل : هو روح عيسى عليه السلام لأن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد، فركب الروح في جسد عيسى عليه السلام الذي خلقه في بطنها، وقيل هو جبريل وأضيف الروح إلى الله تعالى تخصيصاً وكرامة، والظاهر أنه جبريل عليه السلام لقوله تعالى: { فتمثل لها بشراً سوياً } أي تمثل لها الملك بشراً مستوي الخلقه » (٣).

« ولأن جبريل عليه السلام يسمى روحاً قال تعالى: { نزل به الروح الأمين على قلبك }، وسمى روحاً لأنه روحاني وقيل خلق من الروح وقيل لأن الدين يحيا به، أو سماه الله تعالى بروحه على المجاز محبة له وتقريباً كما تقول لحبيبك روحى » (٤).

(١) انظر: الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٢، ط ٢، ص ١٩٦

(٢) الإمام الألويسي (روح المعاني)، ج ١٦، ص ٧٤

(٣) انظر: الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، المجلد ٦، ج ١١، ص ٩٠

(٤) انظر: الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٢، ص ١٩٦

{ فتمثل لها بشراً سوياً } >> سوي الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئاً، وقيل تمثل في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس، وذلك لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يُلقى إليها من كلماته تعالى إذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته، وأما ما قيل من أن ذلك لتهييج شهوتها فتتصدر نطفتها إلى رحمها فمع مخالفته لمقام بيان آثار القدرة الخارقة للعاده يكذبه قوله تعالى: { قالت إني أعوذ بالرحمن منك } فإنه شاهد عدل بأنه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما إليه فضلاً عما ذكر من الحالة المترتبة على أقصى مراتب الميل والشهوة، نعم كان تمثيله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لا ابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف مالا غاية وراءه، وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة مما دهمها وقوله تعالى: { إن كنت تقياً } أي تتقي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به { (١) }.

{ قال إنما أنا رسول ربك } >> يريد عليه الصلاة والسلام إني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وإنما أنا رسول ربك الذي استعدت به { لأهب لك غلاماً } أي لأكون سبباً في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز أن يكون ذلك حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة بالياء (ليهب) والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرها (لك) لتشريفها وتسليتها والإشعار بعلّة الحكم فإن هبة الغلام لها من أحكام تربيتها >> { (٢) } . (زكياً) أي طاهراً من الذنوب وقيل: نبياً وقيل: نامياً على الخير أي مترقياً من سن إلى سن على الخير والصلاح >> { (٣) } .

(١) ، (٢) انظر: الإمام أبي السعود (التفسير)، ج ٥، ص ٢٦٠

(٣) انظر: الإمام الألويسي (روح المعاني)، ج ١٦، ص ٧٧

{ قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغيا }

>> وقد ذكرت هذا تأكيداً لأن قولها لم يمسنى بشر يشمل الحلال والحرام،
وقيل: ما استبعدت من قدرة الله تعالى شيئاً ولكن أرادت كيف يكون هذا الولد؟ من
قبل الزوج في المستقبل أم يخلقه الله ابتداءً؟ وروي أن جبريل عليه السلام حين قال
لها هذه المقالة نفخ في جيب درعها وكمها.. وقال ابن عباس: أخذ جبريل رذن قميصها
بإصبعه فنفخ فيه فحملت من ساعتها بعيسى >> (١)

{ ولنجعله آية } >> دلالة على قدرتنا العجيبة و { رحمة } أي لمن آمن به
{ وكان أمراً مقضياً } مقدرًا في اللوح مسطوراً.

{ فانتبذت به مكاناً قصياً } أي تنحت بالحمل إلى مكان بعيد، قال ابن عباس:
إلى أقصى الوادي وهو وادي بيت لحم.. وإنما بعدت فراراً من تعبير قومها إياها
بالولادة من غير زوج >> (٢).

{ فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة } >> المخاض: بفتح الميم أو بكسرها وهو
الطلق وشدة الولادة وأوجاعها، والجذع ساق النخلة اليابسة في الصحراء الذي
لاسعف عليه >> (٣).

>> وقيل: كان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمر ولا خضرة،
وكان الوقت شتاءً والتعريف (النخلة) إما أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة
كتعريف النجم والصدق كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة مشهور عند الناس،

(١) (٢) (٣) انظر: الأمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ١١، ط دار احياء التراث العربي، ص ٩١، ٩٢ بتصريف

فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون سواه، وإما أن يكون تعريف الجنس أي إلى جذع هذه الشجرة خاصة كأن الله أرشدها إلى النخلة ليطعمها الرطب الذي هو أشد الأشياء موافقة للنفساء >> (١).

{ قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً }

>> تمت مريم عليها السلام الموت من جهة الدين لوجهين:

أحدهما : أنها خافت أن يظن بها الشر في دينها وتغير فيفتنها ذلك.

ثانيهما : لثلا يقع قوم بسببها في البهتان والنسبة إلى الزنى وذلك مهلك، وعلى هذا الحد يكون تمني الموت جائزاً.. قيل: وقد سمعت عليها السلام نداء من يقول:
أخرج يا من يُعبد من دون الله فحزنت لذلك.

{ نسياً منسياً } >> النسي في كلام العرب الشيء الحقير الذي شأنه أن ينسى ولا يتألم لفقده >> (٢).

{ فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً }

{ من تحتها } قرأت من بالفتح وبالكسر وقيل: إن المنادي هو عيسى عليه السلام قد انطقه الله تعالى، وقيل: إنه جبريل عليه السلام >> (٣) ولانستطيع ههنا

(١) الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٢١، ص ٢٠٣

(٢) انظر: الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ١١، ص ٩٢

(٣) انظر: (التفسير الكبير)، ط ٢، ص ٢٠٤

الترجيح بدون مرجح. { سريا } وهو النهر والجدول وذلك لأن الماء يسري فيه،
وقيل: هو عيسى عليه السلام والسري هو النيل الجليل << (١).

والراجع - والله أعلم - المعنى الأول يؤيده قوله تعالى: { فكلي واشربي }.

{ وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً }

<< وهز الشيء تحريكه إلى الجهات المتقابلة.. (إليك) إلى جهتك (تساقط) أي
تسقط النخلة عليك إسقاطاً متواتراً حسب تواتر الهز.. (جنياً) صفة له وهو ما قطع
قبل يبسه، أي رطباً جنياً أي صالحاً للإجتناء >> (٢).

وأخذت إرشادات من ناداها (من تحتها) تتوالي عليها بأن لا تحزن وبأن تأكل
من ثمار النخلة وتشرب من السري الذي أجراه الله من تحتها، وبأن تقرّ عينها
بالطمأنينه والرضا من الله تعالى، وبالنظر إلى وليدها والذي وصف بأنه غلام زكي.

{ قري عيناً } > أي طيبي نفساً وارفضي ما أحزنك < (٣)

{ فإما ترين من البشر أحداً } > أي آدمياً كائناً من كان < (٤).

{ فقولي } له إن استنطقك: { إني نذرت للرحمن صوماً }، قيل: المراد الصوم
عن المفطرات المعلومة وعن الكلام، وكانوا لا يتكلمون في صيامهم، وكان قرابة في
دينهم فيصح نذره، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه فهو منسوخ في شرعنا..

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٠٥

(٢) انظر: تفسير أبي السعود، ج ٥، ص ٢٦٢

(٣) (٤) انظر: الإمام الألوسي (روح المعاني)، ج ١٦، ص ٨٦

وروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه دخل على امرأة قد نذرت أن لا تتكلم فقال: إن الإسلام هدم هذا فتكلمي << (١).

{ فأنت به قومها تحمله } << روي أن مريم لما اطمأنت بما رأت وعلمت أن الله تعالى سيبيّن عذرها، أنت به تحمله من المكان القصي الذي إنتبذت فيه.. وقيل، ولدت حيث لم يشعر بها قومها ومكثت أربعين يوماً للنفاس، ثم أتت قومها تحمله، فلما رأوها ومعها الصبي حزنوا وكانوا أهل بيت صالحين، فقالوا منكرين: { لقد جئت شيئاً فريا } أي جئت بأمر عظيم كالآتي بالشئ يفتره، قال مجاهد " فريا > أي عظيماً، وقيل : أي مختلفاً مفتعلاً، وقيل: لما أتت به قومها تحمله تسامع بذلك بنو إسرائيل، فاجتمع رجالهم ونساؤهم، فمدت امرأة يدها إليها لتضربها فأجف الله شطرها فحملت كذلك، وقال آخر: ما أراها إلا زنت فأخرسه الله تعالى: فتحامى الناس من أن يضربوها، أو يقولوا لها كلمة تؤذيها، وجعلوا يفضون إليها القول ويلينون، فقالوا: { يا مريم لقد جئت شيئاً فريا } أي عظيماً.

قال تعالى: { يا أخت هارون } إختلف الناس في معنى هذه الأخوة، ومن هارون؟ فقيل: هو هارون أخو موسى، والمراد من كنا نظنها مثل هارون في العبادة تأتي بمثل هذا، قيل على هذا كانت مريم من ولد هارون أخي موسى فنسبت إليه بالأخوة لأنها من ولده كما يقال للتميمي: يا أخا تميم، وللعربي يا أخا العرب،

(١) انظر: الإمام الألويسي (روح المعاني)، ج ١٦، ص ٨٦

وقيل: كان لها أخ من أبيها اسمه هارون، لأن هذا الاسم كان كثيراً في بني إسرائيل تبركاً باسم هارون أخي موسى، وقيل: هارون هذا رجل صالح في ذلك الزمان تبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً.. وقيل: كان في ذلك الزمان في بني إسرائيل عابد منقطع إلى الله عز وجل يسمى هارون فنسبوا إلى إخوته من حيث كانت على طريقته قبل، إذ كانت موقوفة على خدمة البيع، أي ياهذه المرأة الصالحة ما كنت اهلاً لذلك << (١).

(١) انظر: الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ١١، ص ٩٩-١٠٠

المبحث الثالث

فضل الصديقة مريم عليها السلام من واقع الآيات الكريمة،

ثم من واقع السنة النبوية المطهرة

فبالإضافة إلى الآيات الكريمة السابقة والتي تحدثت عن البيئة التي عاشت فيها هذه السيدة الطاهرة، وتحدثت عن بشارة الملائكة لها بأن الله تعالى سيهب لها غلاماً زكياً هو نبي الله عيسى عليهما السلام.

بالإضافة إلى تلك الآيات الكريمة فإن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة احتوتا على نصوص عديدة تدل على فضل هذه السيدة الطاهرة.

ولأننا الآن في هذا الباب (المسيح وأمه عليهما السلام في الكتاب والسنة) في مجال العرض والتنبيه لما احتواه القرآن الكريم، واحتوته السنة النبوية المطهرة لفضل هذه السيدة الطاهرة، بل من خيرة نساء العالمين على الإطلاق.

لذا فإننا نذكر بعض تلك الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة على سبيل

الإجمال:

أولاً : الآيات الكريمة

قال تعالى: {ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين} (١)

ويقول الإمام ابن كثير في تفسيره هذه الآية الكريمة:

(١) سورة التحريم : آية ١٢

{ أحصنت فرجها } أي حفظته وصانته، والإحصان هو العفاف والحرية
{ فنفخنا فيه من روحنا } أي بواسطة الملك وهو جبريل فإن الله بعثه إليها
فتمثل لها في صورة بشر سوي وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه في جيب درعها فتزلت
النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليهما السلام، ولهذا قال تعالى:
{ فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه } أي بقدره وشرعه^(١) في أن
وهبها تعالى هذا الغلام الزكي من غير زوج.

وقوله تعالى: { مالمسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه
صديقه كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أنى يؤفكون }^(٢)
>> أي أن المسيح عليه السلام له أسوة أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه
وأنه عبد من عباد الله رسول من رسله الكرام < وأمه صديقه > أي مؤمنة به مصدقة
له وهذا أعلى مقاماتها فدل على أنها ليست بنبيه كما زعمه ابن حزم وغيره ممن ذهب
إلى نبوة ساره أم أسحاق ونبوة أم موسى ونبوة أم عيسى استدلالاً منهم بخطاب
الملائكة لسارة ومريم.. وهذا معنى النبوة عندهم، والذي عليه الجمهور أن الله لم
يبعث نبياً إلا من الرجال قال تعالى: { وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم من
أهل القرى }^(٣)،

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٤، ط دار المعرفه، ص ٣٩٤

(٢) سورة المائدة : آية ٧٥

(٣) سورة يوسف : آية ١٠٩

وقد حكى الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله الاجماع على ذلك >> (١)

ثانيا : الأحاديث الشريفة :

وبالإضافة إلى الآيات الكريمة والتي صرحت بلفظ اسم السيدة مريم عليها السلام وامتدحتها بأن رفعت ذكرها في أشرف وأصدق كتاب نزل به الروح الأمين على سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام، بالإضافة إلى ذلك فقد ورد ذكرها صريحا في السنة النبوية المطهرة في أصدق وأصح كتابين بعد القرآن الكريم (صحيح البخاري ومسلم)

وفيما يلي أذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل السيدة البتول :

١ - >> عن أبي موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم >>> كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على

(١) انظر: ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، ط دار المعرفه، ج ٢، ص ٨١

وهذا ما أرجحه لقوة أدلته وصحتها، فالنبوة مقصورة على الرجال دون النساء، فالمرأة عاجزة عن أن تحمل أعباء النبوة فهو حمل ثقيل عليها إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا سورة المزمل : آية ٥، وكل صور الخطاب من الملائكة للسيدة مريم عليها السلام أو لغيرها من النساء كأم إسحاق وأم اسماعيل لا تخرج عن حدود الإلهام أو البشارة أو التشييت وإلا فأين الأمر بالتبليغ؟ وماهى معجزاتها؟ وإلى من بعثت؟! وهذا بحث يطول، وليس له مكان في هذه الأطروحة فهو خارج عن صميم موضوعها.

سائر الطعام >> (١).

٢ - >> عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مامن مولود يولد

إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه ثم قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم { وإني اعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم } (٢)

٣ - عن علي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: >> خير نسائها

مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد" قال أبو كريب وأشار وكيع إلى السماء والأرض >> (٣)

>> وأراد وكيع بهذه الإشارة تفسير الضمير في نسائها أن المراد به جميع نساء

(١) انظر: صحيح البخاري (فتح الباري) كتاب الأنبياء، ج ٦، ص ٤٤٦، رقم الحديث ٣٤١١

أيضا: سنن ابن ماجه، كتاب الأَطعمه، ج ٢، ص ١٠٩١، رقم الحديث ٣٢٨٠ أيضا: أخرجه الامام مسلم في صحيحه (بشرح النووي) ج ١٥، ص ١٩٨-١٩٩ ك فضائل الصحابة

أيضا: مسند الامام احمد بن حنبل، ج ٤، ص ٣٩٤ أيضا: سنن الترمذي، ك الأَطعمه ب ٣١ رقم الحديث ١٨٣٤، ج ٤، ص ٢٧٥ صحيح البخاري (فتح الباري) ج ٦، ص ٤٦٩، رقم الحديث ٣٤٣١، كتاب الأنبياء

أيضا: صحيح مسلم (بشرح النووي) ج ١٥، ص ١٢٠، ك الفضائل أيضا: مسند الامام أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٢٨٨ (٢) صحيح مسلم (بشرح النووي) ج ١٥، ص ١٩٨، باب فضائل خديجة أيضا: صحيح البخاري (فتح الباري) ج ٦، ص ٤٧٠، رقم الحديث ٣٤٣٢ ك الأنبياء

أيضا: سنن الترمذي ك المناقب ب (٦٢) رقم الحديث ٣٨٧٧، ج ٥، ص ٧٠٣ أيضا: مسند الامام أحمد، ج ١، ص ٨٤

الأرض أي كل ما بين السماء والأرض من النساء والأظهر أن معناه أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها، وأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه << (١)

٤ - قال أبو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: << نساء قريش خير نساء ركن الإبل أحناء على طفل وأرعاه على زوج في ذات يده قال يقول أبو هريرة على إثر ذلك لم تركب مريم بنت عمران بعيرا قط >> (٢)

٥ - عن ابن عباس قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض أربعة خطوط قال تدرون ما هذا فقالوا الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم << أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران رضى الله عنهن أجمعين >> (٣)

٦ - عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم << الحسن والحسين سيदा شباب أهل الجنة، وفاطمة سيده نسايتهم إلا ما كان لمريم بنت عمران >> (٤)

(١) شرح النووي، ج ١٥، ص ١٩٨

(٢) صحيح مسلم (بشرح النووي) ج ١٦، ص ٨٠، باب فضائل نساء قريش أيضا: صحيح البخاري (فتح الباري) ج ٦، ص ٤٧١، رقم الحديث ٣٤٣٤ كتاب الأنبياء.

(٣) مسند الامام أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٢٩٣

(٤) مسند الامام أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ٦٤

المبحث الرابع هجرتها عليها السلام ووفاتها

قال تعالى: { وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآوينهما إلى ربوة ذات قرار ومعين } (١)
هذه الآية الكريمة تدل بدهاءة على أن السيدة مريم وابنها عليهما السلام قد انتقلا من مكان إلى مكان آخر، وهذا الانتقال أو هذه الهجرة بالطبع جزء من تاريخ حياتهما، ولم يحدد القرآن الكريم صراحة هذا المكان، وذلك لأن القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ فقد أكد وركز على لب القصة ومواضع العبرة منها. وترك مالا يفيد ذكره منها.

وقد اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة والتي وردت في هذه الآية الكريمة، فمنهم من فسرها بأنها مدينة الرملة، ومنهم من قال انها بيت المقدس، ومنهم من قال إنها دمشق لوجود نهر فيها والتي تقضي بوجود الربى.

وفي القاموس المحيط: (والراية والرباه ما أرتفع من الأرض) (٢).

>> وعن ابن عباس: الربوة المكان المرتفع من الأرض، وهو أحسن ما يكون فيه النبات وكذا قال مجاهد وعكرمه.. ثم اختلف المفسرون في مكان الربوة من أي أرض هي؟ فقال عبدالرحمن بن زيد: ليس الربى إلا بمصر والماء حين يسيل يكون

(١) المؤمنون آية ٥٠

(٢) الفيروز أبادي، ص ٣٣٢

الربى عليها القرى ولولا الربى لغرقت القرى .. وروى عن سعيد بن المسيب في قوله:
< وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين > قال هي دمشق >> (١)،

>> وروى عن أبي هريرة أنه قال: هي الرملة من فلسطين >> (٢)

>> وروى عن ابن عباس وابن سلام أنها دمشق، وقال كعب وقتادة: أنها بيت
المقدس >> (٣).

>> ذات قرار : أي مستوية يستقر عليها وقيل ذات ثمار ولأجل الثمار يستقر
فيها الساكنون، < ومعين > ماء جار ظاهر للعيون >> (٤).

وقد ذكر الامام الطبري في تاريخه: أن مريم عليها السلام قد فاجأها المخاض
وهي في طريقها إلى مصر، وقد كانت بصحبة يوسف النجار يقول:

>> فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمار له، ليس بينها حين ركبت
الحمار وبين الإكاف شيء، فانطلق يوسف بها، حتى إذا كان متاخماً لأرض مصر في
منقطع بلاد قومها أدرك مريم النفاس وألجأها إلى آري حمار - يعني مزود الحمار -
في اصل نخله، وذلك في زمان شتاء، فاشتد على مريم المخاض، فلما وجدت منه شدة
التجأت إلى النخلة، فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة، قاموا صفوفاً محدقين بها >> (٥).

(١) (٢) انظر: الامام ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ج ٣، ط دار المعرفة، ص ٢٤٦

(٣) (٤) انظر: (الجامع لأحكام القرآن)، ج ١٢، ص ١٢٦

(٥) ط ١، ج ١، ص ٣٥٠

والراجع - والله أعلم - أن المراد بالربوة في هذه الآية الكريمة هي (بلاد مصر) وذلك لوجود نهر النيل فيها وهو كما لا يخفى من أطول أنهار العالم فيقضي بوجود الربى فيها، أيضاً لوجود الكثير من الآثار والتي تدل على هجرتها مع ابنها عليهما السلام إلى مصر مثل >> وادي النظرون ويوجد بها دير ابو مقار، والانباشوي، والسيدة العذراء، منطقة عين شمس، منطقة جبل الطير، ومنطقة قوسقام >> (١).

وهناك بعض الباحثين (٢) قد أوصل هذا القول بهجرة السيدة مريم وابنها إلى مصر إلى مرتبة التواتر وهذا خطأ، لأن التواتر: هو رواية جمع عن جمع في عصر من العصور يستحيل تواطؤهم على الكذب وهذه الروايات والتي تقول بهجرتها مع ابنها عليهما السلام إلى مصر لم تصل إلى حد التواتر.

أما كتب السنة النبوية المطهرة فلم تذكر أي شيء - فيما نعلم - عن هجرتها عليها وعلى ابنها أفضل الصلاة والسلام.

وكذلك وفاتها عليها السلام فلم يذكر القرآن الكريم ولا حتى السنة النبوية المطهرة - فيما نعلم - أي شيء عن وفاتها، وكما ذكرت - سابقاً - لأن القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ فهو يسكت دائماً عما لا يفيد وهو يركز على لب القصة لاستخلاص العبر والمواعظ منها.

(١) انظر: المؤتمر الخامس للآثار في البلاد العربية، القاهرة، ١٩٦٩م صادر عن جامعة الدول العربية الأمانة العامة، الإدارة الثقافية ص ٧٠٠-٧٠٨ نقلا عن لولو جفري (مريم في الكتاب والسنة) (رسالة ماجستير) ص ٢٩٨

(٢) انظر: مريم في الكتاب والسنة (رسالة ماجستير)، للأخت لولو جفري، ص ٢٩٩

الفصل الثاني

المسيح وأمه عليهما السلام في الكتاب والسنة

ويشتمل على أربعة مباحث وهي :

- * المبحث الأول : صفاته وميزاته عليه السلام الواردة في القرآن الكريم.
- * المبحث الثاني : آيات ودلائل نبوته (معجزاته) عليه السلام
- * المبحث الثالث : فضل عيسى بن مريم عليه السلام من واقع السنة النبوية المطهرة.
- * المبحث الرابع : نزوله آخر الزمان كشرط من أشراف الساعة.

المبحث الأول

صفاته وميزاته عليه السلام الواردة في القرآن الكريم

وبما أن القرآن الكريم هو المهيمن على الكتب السابقة والأمين عليها - كما ذكرت سابقاً - فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل، لذلك فإنني سأكمل في هذا الفصل - إن شاء الله تعالى - ما بدأت في الفصل السابق عن السيدة مريم عليها السلام بالحديث عن ابنها هذا النبي الكريم والتي وردت صفاته وميزاته في القرآن الكريم.

وقد ذكرت في الفصل السابق الآيات الكريمات من سورة آل عمران عند الحديث عن السيدة مريم عليها السلام وبشارة الملائكة لها ببعيسى عليه السلام وسأكرر ذكر الآيات هنا - في هذا الموضع - لاستنباط صفاته عليه السلام منها.
قال تعالى :

{ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين * ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين * قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون * ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل * ورسولاً إلى بني إسرائيل أنى قد جئكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين } (١).

(١) سورة آل عمران : آية ٤٥ - ٤٩

ومن صفاته الواردة في هذه الآيات الكريمة :

أولاً : أنه كلمة الله، وقد سبق وأن تحدثت عن معنى الكلمة في الفصل السابق (١).

ثانياً : تلقيبه وتسميته عليه السلام من قبل الله تعالى وهذا شرف مابعده شرف، وهو شرف يليق بنبي ورسول بل ومن أولى العزم من الرسل، وذلك كما صدرت تسميات من الله تعالى لبعض أنبيائه كإسحاق ويعقوب (٢) ويحيى (٣).

قال تعالى :

{ إذ قالت الملائكة إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم }.

>> والمشهور أن المسيح لقبه عليه السلام وهو له من الألقاب المشرفة كالفاروق، وأصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك، وقيل: معناه الصديق >> (٤)،
>> وقيل: إنه اسم موضوع وقيل: إنه مشتق وهذا هو ما عليه الأكثرون ثم ذكروا فيه وجوهاً :

(١) انظر ص ٢٩١ من هذا البحث.

(٢) قال تعالى: { وامراته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب } سورة هود : آية ٧١

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: { يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً } سورة مريم: آية ٧

(٤) انظر: الإمام الألوسي (روح المعاني)، ج ٣، ص ١٦١

- ١ - قال ابن عباس: إنما سُمى عيسى عليه السلام مسيحاً لأنه ما كان يمسح بيده ذا عاهة إلا برئ من مرضه.
 - ٢ - لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها.
 - ٣ - لأنه كان يمسح رأس اليتامى لله تعالى.
 - ٤ - أنه مسح من الأوزار والآثام.
 - ٥ - لأنه ما كان في قدمه خمص.
 - ٦ - لأنه كان ممسوحاً بدهن طاهر يمسح به الأنبياء.
 - ٧ - لأن جبريل عليه السلام مسحه بجناحه وقت ولادته. ليكون ذلك صوتاً له عن مس الشيطان، وعلى هذه الأقوال يكون المسيح بمعنى المسوح فعيّل بمعنى مفعول <<(١)>>.
- أما لفظ عيسى فهو <<معرب أيسوع ومعناه السيد >>(٢).
- وقيل في عيسى: <<إنه مشتق من العيسى وأنه إنما سُمى به عليه السلام لأنه كان في لونه عيسى أي بياض تعلوه حمرة >>(٣).
- <<قيل: وإن جعل عربياً كان مشتقاً من عاسه يعوسه إذا ساسه وقام عليه >>(٤).

(١) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٣، ط ٢، ص ٤٩

(٢) انظر: الإمام الألويسي (روح المعاني)، ج ٣، ط ٢، ص ١٦١

(٣) انظر: الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ٤، ص ٩٠

(٤) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

ثالثاً : وصف الله تعالى له بأنه وجيهاً في الدنيا والآخرة.

>> ومعنى الوجيه ذو الجاه والشرف والقدر يقال: وجه الرجل، بوجه وجاهة فهو وجيه، إذا صارت له منزلة رفيعة عند الناس والسلطان، وقال بعض أهل اللغة: الوجيه: هو الكريم، لأن أشرف أعضاء الإنسان وجهه فجعل الوجه استعارة عن الكرم والكمال.. وللمفسرين في ذلك أقوال:

الأول : كان وجيهاً في الدنيا بسبب النبوه، وفي الآخرة بسبب علو المنزلة عند الله تعالى.

الثاني : أنه وجيه عند الله تعالى في الدنيا بسبب أنه يستجاب دعاؤه ويحيى الموتى ويبري الأكمه والأبرص، ووجيه في الآخرة بسبب أنه يجعله شفيع أمتة المحقين ويقبل شفاعته^(١). فيهم كما يقبل شفاعه أكابر الأنبياء عليهم السلام.

الثالث : أنه وجيه في الدنيا بسبب أنه كان مبرأ من العيوب التي وصفه اليهود بها، ووجيه في الآخرة بسبب كثرة ثوابه وعلو درجته عند الله تعالى. فان قيل: كيف كان وجيهاً في الدنيا واليهود عاملوه بما عاملوه، قلنا: وقد سمي الله تعالى موسى عليه السلام بالوجيه^(٢) مع أن اليهود طعنوا فيه،

(١) وبذلك قال الإمام ابن كثير - يرحمه الله - انظر: التفسير، ج ١، ٣٦٤

(٢) قال تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً } سورة الأحزاب : آية ٦٩

وآذوه إلى أن برأه الله تعالى مما قالوا، وذلك لم يقدر في وجاهة موسى عليه السلام فكذا هنا >> (١).

رابعا : أن الآية الكريمة من سورة آل عمران تصف نبي الله عيسى عليه السلام بأنه من المقربين:

وفي تفسير ذلك عدة وجوه:

>> أحدها : أنه تعالى جعل ذلك كالمدح العظيم للملائكة فألحقه بمثل منزلتهم ودرجتهم بواسطة هذه الصفة.

وثانيها : أن هذا الوصف كالتنبيه على أنه عليه السلام سيرفع إلى السماء وتصاحبه الملائكة (٢).

وثالثها : أنه ليس كل وجه في الآخرة يكون مقرباً لأن أهل الجنة على منازل ودرجات >> (٣).

خامساً : وصف الله تعالى لنبيه عيسى عليه السلام بأنه { يكلم الناس في المهد وكهلاً }.

(١) انظر : الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٨، ط ٢، ص ٥١، ٥٠

(٢) وبمثل هذا الرأي قول الإمام الألويسي انظر : (روح المعاني)، ج ٣، ص ١٦٢

وأيضاً : الإمام أبي السعود، انظر التفسير، ج ٢، ص ٣٧

(٣) انظر : الإمام الرازي (التفسير الكبير)، ج ٨، ط ٢، ص ٥١

وقد تكلم نبي الله عيسى عليه السلام بأمر من الله تعالى وهو في مهده
ليدراً عن أمه الطاهره البتول شبهة اليهود القذرة، باتهامهم إياها قاتلهم
الله باتيان الفاحشة عندما أتت بنبي الله عيسى وهي لم تكن ذات زوج.
قال تعالى :

{ فأنت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً، يا أخت
هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً، فأشارت إليه قالوا
كيف نكلم من كان في المهد صبياً، قال إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً،
وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً، وبراً
بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً، والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم
أبعث حياً } (١).

{ ويكلم الناس في المهد و كهلأ }
,

المهد هو إما حجر أمه أو المكان المعد لنوم الرضيع.

والكهل في اللغة: >> ما اجتمع قوته وكمل شبابه أي الكامل التام
وأكمل أحوال الإنسان إذا كان بين الثلاثين والأربعين، وقيل إنه يكون
كهلأ بعد أن يتزل من السماء في آخر الزمان ويكلم الناس (٢) ويقتل
الذجال << (٣).

-
- (١) سورة مريم : آية ٢٧ - ٣٣
(٢) وهذا ما نقله الإمام الألويسي في تفسيره (روح المعاني)، ج ٣، ص ١٦٤
وأيضاً : الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ٤، ص ٩٠
(٣) انظر : الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٨، ص ٥١-٥٢ باختصار

سادساً : وصف الله تعالى له بأنه من الصالحين.

والصلاح كما لا يخفى أهم ميزة يتصف بها المؤمن، وهي من أكبر نعم الله تعالى، فالصلاح يمتد خيره من الدنيا إلى الآخرة ليكون سبباً في دخول النعيم المقيم والنجاة من الجحيم، وكيف لا يكون صالحاً وهو النبي المصطفى المختار بل ومن أولي العزم من الرسل.

«فإن قيل: كون عيسى كلمة الله، وكونه {وجيهاً في الدنيا والآخرة} وكونه من المقربين عند الله تعالى، وكونه مكلماً للناس في المهدي، وفي الكهولة كل واحد من هذه الصفات أعظم وأشرف من كونه صالحاً فلم يختم الله تعالى أوصاف عيسى بقوله {ومن الصالحين}؟»

قلنا: إنه لارتبة أعظم من كون المرء صالحاً لأنه لا يكون كذلك إلا ويكون في جميع الأفعال والتروك مواظباً على النهج الأصلاح، والطريق الأكمل، ومعلوم أن ذلك يتناول جميع المقامات في الدنيا والدين في أفعال القلوب، وفي أفعال الجوارح، فلما ذكر الله تعالى بعض التفاصيل أردفه بهذا الكلام الذي يدل على أرفع الدرجات «(١)».

سابعاً { ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل }.

«والمراد من الكتاب تعليم الخط والكتابة» (٢). «وروى عن ابن عباس

(١) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٨، ص ٥٣

(٢) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٨، ص ٥٤

أنه قال: أعطى الله عيسى عليه السلام تسعة أجزاء من الخط وأعطى سائر الناس جزءاً واحداً، وذهب أبو علي الجبائي إلى أن المراد بعض الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه عليهم السلام سوى التوراة والإنجيل مثل الزبور وغيره، وذهب كثيرون إلى أن - أل - فيه للجنس والمراد جنس الكتب الإلهية إلا أن المأثور هو الأول >> (١).

>> والحكمة أي الفقه وعلم الحلال والحرام قاله ابن عباس، وقيل: جميع ما علمه من أمور الدين وسنن الأنبياء عليهم السلام، الصواب في القول والعمل، وإتقان العلوم العقلية >> (٢) >> وقيل: المراد بالحكمة تعليم العلوم وتهذيب الأخلاق لأن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به ومجموعهما هو المسمى بالحكمة، ثم بعد أن صار عالماً بالخط والكتابة ومحيطاً بالعلوم العقلية والشرعية، يعلمه التوراة، وإنما أخرج تعليم التوراة عن تعليم الخط والحكمة لأن التوراة كتاب إلهي وفيه أسرار عظيمه، والإنسان ما لم يتعلم العلوم الكثيرة لا يمكنه أن يخوض في البحث عن أسرار الكتب الإلهية، ثم قال في المرتبة الرابعة والإنجيل، وإنما أخرج ذكر الإنجيل عن ذكر التوراة لأن من تعلم الخط ثم تعلم علوم الحق، ثم أحاط بأسرار الكتاب الذي أنزله الله تعالى على من قبله من الأنبياء فقد عظمت درجته في العلم فإذا أنزل الله تعالى عليه بعد ذلك كتاباً آخر وأوقفه على أسراره فذلك هو الغاية القصوى، والمرتبة العليا في العلم، والفهم والإحاطة بالأسرار العقلية والشرعية >> (٣).

-
- (١) انظر: الإمام الألويسي (روح المعاني)، ج ٣، ص ١٦٦
(٢) المرجع السابق، نفس الصحيفة.
(٣) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٨، ص ٥٤

ثامناً : قوله تعالى { ورسولاً إلى بني إسرائيل }.

>> وهذه الآية تدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان رسولاً إلى كل

بني إسرائيل بخلاف قول بعض اليهود إنه كان مبعوثاً إلى قومٍ مخصوصين منهم << (١).

وفي الآيات الكريمة من سورة مريم، وصف نبي الله عيسى عليه السلام

نفسه بثمان صفات وهي كما قال تعالى:

{ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أين ما كنت

وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً، وبراً بوالدي ولم يجعلني جباراً شقياً، والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً } (٢).

الصفة الأولى: وهي قوله عليه السلام { إني عبد الله } فكانت أول صفة

وصف بها نفسه بأنه لا يعدو أن يكون عبداً لله.

والعبودية أسمى درجات العبادة، بل هي أرفع منازل الإيمان والشرف،

والإعتراف بالعبودية لله تعالى أول مقام المؤمنين وفيه رد على من يزعم بألوهيته أو

بأنه ابن للإله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وقد يخطر في ذهن القارئ الكريم هذا الاستفهام، وهو: لماذا بدأ عليه السلام

بالإقرار بعبوديته لله تعالى مع أن المقام يتطلب نفي التهمة عن أمه عليها السلام ؟

(١) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

(٢) سورة مريم : آية ٣٠ - ٣٣

ويجيب عن ذلك الإمام الفخر الرازي فيقول :

>> إن الذي اشتدت الحاجة إليه في ذلك الوقت إنما هو نفي تهمة الزنا عن مريم عليها السلام ثم إن عيسى عليه السلام لم ينص على ذلك وإنما نص على إثبات عبودية نفسه كأنه جعل إزالة التهمة عن الله تعالى^(١) أولى من إزالة التهمة عن الأم، فلهذا أول ما تكلم إنما تكلم بها.

والتكلم بإزالة هذه التهمة عن الله تعالى يفيد إزالة التهمة عن الأم لأن الله سبحانه لا يخص الفاجرة بولد في هذه الدرجة العالية والمرتبة العظيمة، وأما التكلم بإزالة التهمة عن الأم فلا يفيد إزالة التهمة عن الله تعالى فكان الاشتغال بذلك أولى <<^(٢)

الصفة الثانية : قوله تعالى { آتاني الكتاب }

>> روى عكرمه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال المراد بأن حكم وقضى بانه سيبعثني من بعد ولما تكلم بذلك سكت وعاد إلى حال الصغر ولما بلغ ثلاثين سنة بعثه الله نبيا <<^(٣).

(١) يقصد بذلك - والله أعلم - إتهام النصارى قاتلهم الله بشركة المسيح لله تعالى في ملكه وألوهيته، أو أنه أي المسيح ابن لله تعالى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٢) التفسير الكبير، ج ٢١، ط ٢، ص ٢٠٩

(٣) المرجع السابق، ص ٢١٣

أيضاً، انظر : الإمام الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)، ج ١٦، ص ٦٠

الصفة الثالثة: قوله تعالى على لسان نبيه عيسى عليه السلام { وجعلني نبياً } .
وقد كان عليه السلام نبياً رسولاً، خاصةً وأن الله تعالى قد قرن نبوته باتيانه الكتاب لأن النبوة والرسالة بينهما عموم وخصوص مطلق فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا.

الصفة الرابعة: { وجعلني مباركاً أينما كنت } .

>> مباركاً أي نفاعاً، وقيل: كانت بركته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر << (١).

>> وقيل: إنما كان مباركاً لأنه كان يعلم الناس دينهم ويدعوهم إلى طريق الحق فان ضلوا فمن قبل أنفسهم لامن قبله << (٢).

الصفة الخامسة: { وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً }

أي: >> يقول: وقضى أن يوصيني بالصلاة والزكاة يعني بالمحافظة على حدود الصلاة وإقامتها على ما فرضها عليّ وفي الزكاة معنيان أحدهما: زكاة الأموال أن يؤديها، والآخر: تطهير الجسد من دنس الذنوب فيكون معناه: وأوصاني بترك الذنوب واجتناب المعاصي، وقوله: مادمت حياً يقول: ما كنت حياً في الدنيا موجوداً وهذا يبين عن أن معنى الزكاة في هذا الموضع تطهير البدن من الذنوب لأن الذي يوصف به عيسى صلوات الله وسلامه عليه أنه كان لا يدخر شيئاً لغد فتجب عليه زكاة المال إلا أن تكون الزكاة التي كانت فرضت عليه الصدقة بكل ما فضل عن قوته فيكون ذلك وجهاً صحيحاً << (٣).

(١) انظر: الإمام الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)، ج ١٦، ص ٦١

(٢) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٢١، ط ٢، ص ٢١٤

(٣) انظر: الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)، ج ١٦، ص ٦١

الصفة السادسة: {وبراً بوالدتي}

>> إشارة إلى تزيه أمه عليها السلام عن فعل الفاحشة إذ لو كانت كذلك لما كان مأموراً بالبر بها وتعظيمها >> (١).

والأنبياء - كما لا يخفى - هم قدوة البشر جميعاً في أقوالهم وأفعالهم، كما أن برّ الوالدين من أوجب الواجبات التي فرضها الله تعالى على المؤمنين.

الصفة السابعة: {ولم يجعلني جباراً شقيماً}

>> أي لم يقض عليّ سبحانه بذلك في علمه الأزلي، وقد كان عليه السلام في غاية التواضع يأكل الشجر ويلبس الشعر ويجلس على التراب، ولم يتخذ مسكناً، وكان عليه السلام يقول: سلوني فاني لين القلب صغير النفس >> (٢).

وكما هو معلوم فإن التواضع ولين الجانب من أهم صفات أنبياء الله تعالى، وكذلك يجب أن يتصف بها الدعاة إلى الله تعالى: فالدعوة إلى سبيل الله تعالى تتطلب التواضع ولين الجانب، والصبر على الصعوبات التي تعترض طريق الداعي، وكذلك فإن التجبر والتكبر من الصفات التي تنفر من الدعوة وصاحبها..

{ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك} >> (٣).

(١) الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٢١، ص ٢١٤، اقتباساً

(٢) انظر الإمام الألويسي (روح المعاني)، ج ١٦، ص ٩٠

(٣) سورة آل عمران: آية ١٥٩

{ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين } (١).

الصفة الثامنة : قوله تعالى على لسان نبيه عيسى عليه السلام.

{ والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا }.

>> وفي هذا إثبات منه لعبوديته لله عز وجل، وأنه مخلوق من خلق الله تعالى يحيا ويموت ويبعث كسائر الخلائق، ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد صلوات الله وسلامه عليه >> (٢)

ويعرض الإمام الفخر الرازي شبهة النصارى (٣) ضد نطق المسيح عليه السلام في مهده والتي تحدث عنها القرآن الكريم ويرد عليها فيقول:

>> اعلم أن اليهود والنصارى ينكرون أن عيسى عليه السلام تكلم في زمان الطفولية (٤) واحتجوا عليه بأن هذا من الوقائع العجيبة التي تتوفر الدواعي على نقلها فلو وجدت لنقلت بالتواتر ولو كان ذلك لعرفه النصارى لاسيما وهم من أشد

(١) سورة الشعراء : آية ٢١٥

(٢) ابن كثير (التفسير)، ج ٣، ص ١٢٠

(٣) ذكرت هذه الشبهة هنا وذلك لإكمال الحديث عن نطق المسيح عليه السلام في المهدي، ولأنها شبهة فرعية وليست من الشبه الكبيرة والتي يختص بها الباب الأخير من هذا البحث.

(٤) يقصد نطق المسيح عليه السلام في مهده.

الناس بحثاً عن أحواله وأشد الناس غلواً فيه حتى زعموا كونه إلهاً، ولا شك أن الكلام في الطفولية من المناقب العظيمة والفضائل التامة فلما لم تعرفه النصارى مع شدة الحب وكمال البحث عن أحواله علمنا أنه لم يوجد ولأن اليهود أظهروا عداوته حال ما أظهر ادعاء النبوه فلو أنه عليه السلام تكلم في زمان الطفولية وادعى الرسالة لكانت عداوتهم معه أشد ولكان قصدهم قتله أعظم فحيث لم يحصل شيء من ذلك علمنا أنه ماتكلم، أما المسلمون فقد احتجوا من جهة العقل على أنه تكلم فإنه لولا كلامه الذي دلهم على براءة أمه من الزنا لما تركوا إقامة حد الزنا عليها ففي تركهم لذلك دلالة على أنه عليه السلام تكلم في المهد، وأجابوا عن الشبهه الأولى بأنه ربما كان الحاضرون عند كلامه قليلين فلذلك لم يشتهر وعن الثاني لعل اليهود ما حضروا هناك وما سمعوا كلامه فلذلك لم يشتغلوا بقصد قتله >> (١).

(١) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٢١، ص ٢١٦

المبحث الثاني

آيات ودلائل نبوته (معجزاته) عليه السلام

من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى قد أيد أنبياءه الذين اصطفاهم واختارهم ليكونوا رحمة للناس لانقاذهم من الضلال والانحلال، وقد أيدهم بدلائل ومعجزات تدل على صدقهم فيما يدعون إليه من توحيد وإيمان وسير في طريق الحق المستقيم، وذلك ضد اتهامات وشكوك خصومهم من الكفرة والملحددين، وإلا فأخلاقهم وصفاتهم وسيرتهم عليهم السلام تكفي لأن يكونوا قدوة ومثلاً أعلى لجميع من خلق من البشر في زمانهم وغير زمانهم وليس لأقوامهم فحسب.

وقد تحدث القرآن الكريم عن دلائل نبوة نبي الله عيسى عليه السلام (معجزاته) بكل بيان ووضوح، وقيد حدوث تلك الدلائل بأنها بإذن الله سبحانه وتعالى وإرادته فهو الخالق والمصور الأصلي لكل شئ، وإنما النبي يقدر ويصور فقط، وقد صدر هذا الإقرار في القرآن الكريم على لسان المسيح عليه السلام وهذا من الأمور التي يمتاز ويختلف فيها القرآن الكريم عن أناجيل النصارى الحالية والمحرفة فهي تذكر أنه عليه السلام هو الخالق والصانع الأصلي لمعجزاته تلك (١)!! ولاغرو فإنهم يزعمون ألوهيته كما يزعمون بأنه ابن للإله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً (٢).

(١) انظر ص ٢٠٣ من هذا البحث.

(٢) للرد على شبهة تأليه وبنوة المسيح لله تعالى.

انظر الباب الأخير من هذا البحث ص ٣٦٣ وما بعدها.

ودلائل نبوته عليه السلام الوارده في القرآن الكريم خمس منها وردت في سورة آل عمران والسادسة في سورة المائدة.

قال تعالى : { ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين } (١).

ويتبين من هذه الآية الكريمة خمس من دلائل نبوته (معجزاته) عليه الصلاة والسلام وهي كما يلي:

النوع الأول : أنه عليه السلام يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيصير طيراً فيطير بجناحيه في الهواء أمام قومه، وهذا بأمر الله تعالى وبإذنه فهو الخالق والصانع الحقيقي.

>> والمراد بالخلق - هنا - التصوير والإبراز على مقدار معين لا الابداع من العدم << (٢)، >> والهيئة هي الصورة المهيئة من قولهم هيأت الشيء إذ قدرته، وقوله (فأنفخ فيه) أي في ذلك الطين المصور << (٣).

>> وروي عنه عليه الصلاة والسلام لما ادعى النبوة وأظهر المعجزات طالبوه بخلق الخفاش فأخذ طيناً وصوره ونفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض، قال وهب كان يطير مادام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم

(١) سورة آل عمران : آية ٤٩

(٢) انظر : الألوسي (روح المعاني)، ج ٣، ط ٢، ص ١٦٨

(٣) انظر : الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٧، ص ٥٦

سقط ميتاً ليتميز من خلق الله تعالى (بغير واسطه) قيل: إنما طلبوا خلق الحفاش لأنه أكمل الطير خلقاً وأبلغ دلالة على القدرة لأن له ثدياً وأسناناً وهي تحيض وتطهر، وتلد كسائر الحيوان، وتضحك كما يضحك الإنسان، وتطير بغير رش، ولا تبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل، وإنما ترى في ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة بعد طلوع الفجر، وقيل: خلق أنواعاً أخرى من الطير << (١)

النوع الثاني: أنه يرى الأكمه.

<< ذهب أكثر أهل اللغة أن الأكمه الذي ولد أعمى، وقال الخليل وغيره هو الذي عمي بعد أن كان بصيراً، وعن مجاهد هو الذي لا يبصر بالليل >> (٢)

النوع الثالث: يرى الأبرص.

أي أنه عليه السلام يرى المريض المصاب بالبرص بأمر الله وبإذنه، والبرص: مرض جلدي معروف يذهب بجمال البشرة وبلونها الأصلي إلى اللون الأبيض الباهق.

وفي دائرة معارف البستاني عرف البرص بأنه:

<< بياض يظهر في ظاهر الجلد ويفور فان لم يكن غائراً سُمى عندهم بالبهق، وان كان البرص عاماً في سائر الأعضاء حتى يصير لون الجلد كله أبيض قيل له المنتشر >> (٣).

-
- (١) انظر أبو السعود (التفسير)، ج ٢، ص ٣٩
أيضاً: الإمام الألويسي (روح المعاني)، ج ٣، ط ٢، ص ١٦٨
أيضاً: الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٧، ص ٥٦
أيضاً: القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ٤، ص ٩٤
والحقيقة أن كل هذه الآراء اجتهادات للمفسرين ليس لها أي سند من الكتاب والسنة.
- (٢) انظر: الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٧، ص ٥٧
- (٣) المجلد الخامس، ط دار المعرفة، ص ٣٣٠

النوع الرابع : احيائه للموتي بإذن الله تعالى :

« قيل : كان عليه السلام يحيي الأموات بيا حي يا قيوم وأحيا عاذر وكان صديقاً له، ودعا سام بن نوح من قبره فخرج حياً، ومر على ابن ميت لعجوز فدعا الله فتزل عن سريرته حياً، ورجع إلى أهله وولد له، وقوله < بإذن الله > رفع لتوهم من اعتقد فيه الإلهية» (١).

النوع الخامس : أنه عليه السلام ينبي قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم.

يقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة:

« أنهم لما أحيا لهم الموتي طلبوا منه آية أخرى، وقالوا: أخبرنا بما نأكل في بيوتنا وما ندخر للغد، فأخبرهم فقال: يا فلان أنت أكلت كذا وكذا، وأنت أكلت كذا وكذا وادخرت كذا وكذا، فذلك قوله < وانبئكم >، وعن قتاده: أخبرهم بما أكلوه من المائدة وما ادخروه منها خفية» (٢).

النوع السادس : إنزال المائدة من السماء بطلب من الحوارين لتطمئن قلوبهم ويعلموا ان قد صدقهم ويكونوا عليها من الشاهدين.

(١) انظر : الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٧، ص ٥٧

ولا يخفى على القارئ الكريم أن القول باحيائه لهؤلاء الأفراد لم يكن يستند على أساس من الكتاب والسنة، وإنما هو اجتهاد ونقول للأئمة المفسرين فحسب.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ٩٥

قال تعالى :

{ إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين، قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين، قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين، قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين } (١).

اختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى: { هل يستطيع ربك؟ } لأنه طلب واستفهام صادر من الحواريين أتباع نبي الله عيسى عليه السلام وقد امتدحهم الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة لهذه الآيات قال تعالى: { وإذا أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون } فالبعض منهم فسرها بـ << هل تستطيع أن تسأل ربك؟، أو هل تستطيع سؤال ربك؟، وهناك من فسرها على ظاهر الآية بأنهم بالفعل كانوا شاكين متوقفين فان هذا القول لا يصدر عن من كان كاملاً في الإيمان، وقالوا: ونعلم أن قد صدقتنا وهذا يدل على مرض في القلب وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم اتقوا الله إن كنتم مؤمنين يدل على أنهم ما كانوا كاملين في الإيمان >> (٢).

(١) سورة المائدة : آية ١١٢ - ١١٥

(٢) انظر : الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ١٢، ص ١٢٩ بتصرف واختصار.

أيضاً: الألوسي (روح المعاني)، ج ٧، ص ٥٨-٥٩ بتصرف واختصار.

ونحن لانستطيع الترجيح بين هذين الرأيين بدون مرجح.

<< والمائدة : كل ما يُد وييسط >> (١).

ويقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة:

<< والمعنى كأنهم لما طلبوا ذلك، قال عيسى عليه السلام لهم: انه قد تقدمت المعجزات الكثيرة فاتقوا الله في طلب هذه المعجزة بعد تقدم تلك المعجزات القاهرة، فأجابوا وقالوا: إنا لانطلب هذه المائدة لمجرد أن تكون معجزة بل لمجموع أمور كثيرة: أحدها: انا نريد أن نأكل منها فان الجوع قد غلبنا ولا نجد طعاماً آخر، وثانيها: انا وإن علمنا قدرة الله تعالى بالدليل ولكننا اذا شاهدنا هذه المعجزة ازداد اليقين والعرفان وتأكدت الطمأنينة.

وثالثها : أن جميع تلك المعجزات التي أوردتها كانت معجزات أرضيه وهذه معجزة سماوية وهي أعجب وأعظم فاذا شاهدناها كنا عليها من الشاهدين، نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني إسرائيل، ونكون عليها من الشاهدين لله بكمال القدرة ولك بالنبوة >> (٢).

{ تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا } أي نتخذ اليوم الذي تنزل فيه المائدة عيداً نعظمه نحن ومن يأتي بعدنا، ونزلت يوم الأحد فاتخذه النصارى عيداً، والعيد في اللغة اسم لما يعود إليك في وقت معلوم >> (٣)

(١) المرجع السابق، ص ٥٩
(٢) (التفسير الكبير)، ج ١٢، ص ١٣١
(٣) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

{ فإني اعذبه عذاباً لا اعذبه أحداً من العالمين }

>> قال ابن عباس : يعني مسخهم خنازير وقيل : قرده وقيل جنساً من العذاب لا يعذب به غيرهم ، قال الزجاج : ويجوز أن يكون ذلك العذاب معجلاً لهم في الدنيا ، ويجوز أن يكون مؤخراً إلى الآخرة ، وقوله : { من العالمين } يعني عالمي زمانهم >> (١)

>> وروي أن عيسى عليه السلام لما أراد الدعاء لبس صوفاً ، ثم قال : { اللهم أنزل علينا ... } فتزلت سفرة حمراء بين غمامتين ، غمامة فوقها وأخرى تحتها ، وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عليه السلام وقال : اللهم اجعلني من الشاكرين ، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثله وعقوبة >> (٢)

ويتحدث الإمام أبي زهره - يرحمه الله - عن الحكمة في كون معجزاته عليه السلام من ذلك النوع فيقول :

>> وي الحق إن الذي نراه تعليلاً مستقيماً لكون معجزات المسيح عليه السلام جاءت على ذلك النحو هو مناسبة ذلك النوع لأهل زمانه ، لا لأنهم أطباء فناسبهم أن تكون المعجزة مما يتصل بالشفاء والأدواء ، بل لأن أهل زمانه كان قد سادهم إنكار الروح في أقوال بعضهم ، وأفعال جميعهم ، فجاء عليه السلام بمعجزة هي في ذاتها أمر خارق للعادة ، مصدق لما يأتي به الرسول وهي في الوقت ذاته إعلان صادق للروح ،

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٢

أيضا : (روح المعاني) ، ج ٧ ، ص ٦٢

(٢) انظر : الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير) ، ج ١٢ ، ص ١٣٣

وبرهان قاطع على وجودها، فهذا طين مصور على شكل طير، ثم ينفخ فيه فيكون حياً، ماذا إلا لأن شيئاً غير الجسم وليس من جنسه فاض عليه، فكانت معه الحياة، وهذا ميت قد أكله البلى وأخذت أشلاؤه في التحلل، وأوشكت أن تصير رميمًا أو صارت يناديه المسيح عليه السلام فإذا هو حي يجيب نداء من ناداه، وماذا إلا لأن روحاً غير الجسم الذي غيره البلى حلت فيها بذلك النداء، ففاضت عليه بالحياة، وهكذا، فكانت معجزة عيسى عليه السلام من جنس دعايته وتناسب أخص رسالته، وهو الدعوة إلى تربية الروح، والإيمان بالبعث والنشور، وأن هناك حياة أخرى يجازي فيها المحسن بإحسانه والمسيء بأساءته إن خيراً فخييراً، وإن شراً فشرّاً، وهل ترى أن معجزة إحياء الموتى تسمح لمنكر الآخرة بالاستمرار في إنكاره أو تسمح لجاحد البعث والنشور أن يستمر في جحوده >> (١).

(١) انظر : محاضرات في النصرانية، ط دار الفكر، ص ٢٥ - ٢٦

المبحث الثالث

فضل عيسى ابن مريم عليه السلام من واقع السنة النبوية المطهرة

ومن الأحاديث الواردة في فضله وصفاته عليه الصلاة والسلام ما يلي:

١ - >> عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: رأيت ليلة أسري بي موسى رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءه^(١)، ورأيت عيسى رجلاً مربوعاً، مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الراس <<^(٢).

أخرجه البخاري في صحيحه^(٣)

والإمام مسلم في صحيحه^(٤)

٢ - >> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم، ليلة أسرى به: لقيت موسى قال فنعتته فإذا رجل حسبته قال مضطرب رجل الرأس

(١) قبيلة معروفة ويقال إنها من اليمن، مضطرب: وهو طويل الجسم.

(٢) أي الشعر المسترسل ليس فيه تكسر، ورجلاً مربوعاً: أي متوسط الطول انظر: شرح النووي، ط دار الفكر، ج ٢، ص ٢٢٦، ٢٢٧

(٣) فتح الباري، ط دار المعارف، ج ٦، ص ٣١٤، كتاب بدء الخلق، رقم الحديث ٣٢٣٩

(٤) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٦، ط دار الفكر، ص ٢٢٧

أيضاً: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٢٤٥

كأنه من رجال شنوءه، قال ولقيت عيسى، فنعته النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس^(١) يعني الحمام... >>^(٢)

٣ - >> عن أبو هريرة رضي الله عنه >> قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم > كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه باصبعيه حين يولد، غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب >>^(٣)

٤ - >> عن ابن عباس قال: ليس من مولود إلا يستهل واستهلاه بعصر الشيطان بطنه إلا عيسى بن مريم عليه السلام >>^(٤).

٥ - >> عن عبادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته^(٥) ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل >>^(٦)

-
- (١) قوله: خرج من ديماس: يعني في نضارته وكثرة ماء وجهه كأنه خرج من كن، انظر: شرح النووي، ج ٢، ص ٢٣٢
- (٢) أخرجه الشيخان، انظر: فتح الباري، ج ٦، ص ٤٧٦، رقم الحديث ٣٤٣٧، أيضاً: صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٢، ص ٢٣٢
- (٣) أخرجه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري كتاب بدء الخلق، ج ٦، ص ٣٣٧، رقم الحديث ٣٢٨٦، ط دار المعرفة
- (٤) انظر: سنن الدارمي، ج ٢، ص ٣٩٣، ط دار الكتب العلمية.
- (٥) لتفسير الكلمة انظر ص ٢٩١ من هذا البحث.
- (٦) انظر: فتح الباري، ج ٦، ص ٤٧٤ رقم الحديث ٣٤٣٥، ط دار المعرفة أيضاً: صحيح مسلم، ج ١، ص ٥٧، رقم الحديث ٤٦ أيضاً: مسند الإمام أحمد، ج ٥، ص ٣١٤

٦ - >> عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أولى الناس
بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى
ودينهم واحد >> (١)

٧ - >> عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم > إذا أدب الرجل أمته فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم
أعتقها فتزوجها كان له أجران >، وإذا آمن بعيسى ثم آمن بي فله أجران،
والعبد إذا اتقى ربه وأطاع مواله فله أجران >> (٢)

(١) صحيح البخاري فتح الباري، ج ٦، ص ٤٧٨ رقم الحديث ٣٤٤٣

أيضاً: صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٤٥

أيضاً: سنن أبي داود، ج ٥، ص ٥٥، رقم الحديث ٤٦٧٥

أيضاً: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٤٨٢

(٢) صحيح البخاري، ج ٦، ص ٤٧٨، رقم الحديث ٣٤٤٦

أيضاً: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٣٩٥

المبحث الرابع نزوله آخر الزمان كشرط من أشراف الساعة

وقد دلّ على نزول المسيح - عليه السلام - آخر الزمان كشرط من أشراف الساعة قول الله تعالى :- << ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون * وقالوا ألهتنا خير أم هو ما ضربوه لك لإجلاداً بل هم قوم خصمون * إن هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبي إسرائيل * ولونشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون * وإنه لعلمٌ للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم >> (١)

وقد وردت أحاديث صحيحة تدل على نزول نبي الله عيسى عليه السلام آخر الزمان كعلامة أو شرط من أشراف قيام الساعة، واقترب انتهاء الحياة كلية على هذه البسيطة.

١ - << عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذاكرون قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان (٢) والدجال (٣) والدابة (٤) وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم

(١) سورة الزخرف الآية ٥٧-٦١.

(٢) دخان يأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام.. انظر: شرح النووي، ج ١٨، ص ٢٧

(٣) الدجال: يقال إنه شيطان وله فتنة عظيمة ومن صفاته أنه اعور العين اليسرى وجعد الشعر ومعه جنة و نار فناره جنة، وجنته نار.

(٤) هي دابة عظيمة تخرج من صدع في الصفا، قال تعالى: { وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون } سورة النحل: آية ٢٧، قيل: لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وتسم الناس سواء منهم المؤمن والكافر، فأما المؤمن فيرى وجهه كأنه كوكب دري ويكتب بين عينيه مؤمن، وأما الكافر - والعياذ بالله - فتنتكت بين عينيه نكتة سوداء ويكتب بين عينيه كافر، انظر: محمد السفاريني (المسيح الدجال وأسرار الساعة)، ص ١٢٥-١٣٣

ويأجوج ومأجوج^(١) وثلاثة خسوف خسف بالشرق، وخسف بالمغرب،
وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى
محشرهم <<^(٢).

وتدل الأحاديث الصحيحة بأنه عليه السلام سيحكم بشريعة الإسلام عند
نزوله، فيكون حكماً مقسطاً عدلاً - ولاعجب فهو نبي ورسول من رسل الله
تعالى - فيكسر الصليب دليل على إنكاره له، ويقتل الخنزير دليل على كراهته
وإهانته ويضع الجزية، ويكثر المال حتى يفيض فلا يقبله أحد.

٢ - << عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف أنتم إذا نزل

(١) يقال انهم أناس من بني آدم مؤذون باستطاعتهم أن يشربوا كل ماء البحار
والأنهار، وأن يأكلوا كل ما يصادفوه من وحوش وحيوانات وطيور!! وقد
أعان الله ذي القرنين على أن يجسهم بينائه السد عليهم، قال تعالى: { قالوا
ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً
على أن تجعل بيننا وبينهم سداً، قال مامكني فيه ربي فأعينوني بقوة أجعل
بينكم وبينهم ردماً، أتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا
حتى إذا جعله ناراً قال أتوني أفرغ عليه قطراً، فما استطاعوا أن يظهروه وما
استطاعوا له نقبا، قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان
وعد ربي حقاً سورة الكهف: آية ٩٤-٩٨

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٨،
ص ٢٧، ط دار الفكر.

أيضاً: سنن أبي داود، كتاب الملاحم، ج ٤، ص ٤٩١، رقم الحديث ٤٣١١

أيضاً: سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، ج ٢، رقم الحديث ٤٠٥٥

أيضاً: مسند الإمام أحمد، ج ٤، ص ٦

فيكم ابن مريم فأمكم منكم فقلت لابن أبي ذئب إن الأوزاعي حدثنا عن الزهري عن نافع عن أبي هريرة وإمامكم منكم، قال ابن أبي ذئب تدري ما أمكم منكم قلت تخبرني قال فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم >>.

أخرجه البخاري في صحيحه (١)

ومسلم في صحيحه (٢)

٣ - >> عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فيتزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول: أميرهم تعالى صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض امراء تكرمه الله هذه الأمة >> (٣).

٤ - >> عن أبي هريرة قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده ليوشكن أن يتزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب (٤)، ويقتل

(١) انظر: فتح الباري، ج ٦، ص ٤٩١، رقم الحديث ٣٤٤٩

(٢) بشرح النووي، ج ٢، ص ١٩٣، واللفظ له.

أيضاً انظر: مسند الإمام أحمد، ج ٢، ص ٣٣٦

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٢، ص ١٩٣، ١٩٤ ط دار الفكر.

أيضاً: مسند الإمام أحمد، ج ٢، ص ٣٨٤

(٤) معناه: يبطل ما يزعمه النصارى من تعظيمه.

انظر: شرح النووي، ج ٢، ص ١٩٠

الختزير (١)، ويضع الجزية (٢) ويفيض المال حتى لا يقبله أحد (٣) <<
أخرجه البخاري في صحيحه (٤)
أخرجه مسلم في صحيحه (٥).

٥ - << عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا
تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب، ويقتل
الختزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد >> (٦)

(١) أي يأمر بإعدامه مبالغة في تحريم أكله، وفيه توبيخ عظيم للنصارى الذين
يدعون أنهم على طريقة عيسى ثم يستحلون أكل الخنزير ويبالغوه في محبته.

انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٤، ص ٤١٤

(٢) أي أنه لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام أو القتل.

(٣) أي تكثير البركات والخيرات بسبب العدل وعدم النظام.

انظر: شرح النووي، ج ٢، ص ١٩٠

(٤) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٤، ص ٤١٤، رقم الحديث ٢٢٢٢، ط
دار المعرفة.

(٥) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٢، ص ١٨٩-١٩٠، ط دار الفكر

أيضاً: سنن الترمذي، ج ٤، ص ٥٠٦، رقم الحديث ٢٢٣٣

أيضاً: مسند الإمام أحمد، ج ٢، ص ٢٧٢

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري، ج ٥، ص ١٢١، رقم الحديث
٢٤٧٦، ط دار المعرفة.

أيضاً: سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١٣٦٣ رقم الحديث ٤٠٧٨

٦ - >> عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليزلن ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية
ولتتركن القلاص^(١) فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء^(٢) والتباغض
والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد >>^(٣)

أخرجه الإمام مسلم في صحيحه^(٤)

٧ - >> عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الأنبياء اخوة لعلات
دينهم واحد وأمهاتهم شتى وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني
وبينه نبي وانه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع إلى الحمرة
والبياض سبط كأنه رأسه يقطر وان لم يصبه بلل بين ممصرتين^(٥) فيكسر
الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويعطل الممل حتى يهلك الله في زمانه
الممل كلها غير الإسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب، وتقع
الامنة في الأرض حتى ترتع الابل مع الأسد جميعاً والنمور مع البقر والذئاب
مع الغنم ، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضاً فيمكت
ما شاء

(١) كالفتاة من النساء والحدث من الرجال ومعناه أن يزهد فيها ولا يرغب في
اقتنائها لكثرة الأموال وقلة الآمال.

(٢) أي العداوة والبغضاء.

(٣) لكثرة الأموال، وقصر الآمال وعدم الحاجة وقلة الرغبة للعلم بقرب الساعة.

أنظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٢، ص ١٩٢، ١٩٣، ط دار الفكر

(٤) المصدر السابق، نفس الصحيفة.

(٥) الممصر من الثياب الملون بالصفرة

الله أن يمكث ثم يتوفي فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه >> (١)

٨ - >> عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفتح الروحاء (٢) حاجاً أو معتمراً أو ليثنيهما (٣) >>.

أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤)

٩ - >> عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إني لأرجو أن طالت بي الحياة أن أدرك عيسى ابن مريم عليه السلام فان عجل بي موت فمن أدركه فليقرئه مني السلام >> (٥)

(١) انظر: مسند الإمام أحمد، ج ٢، ص ٤٣٧، ط المكتب الإسلامي

أيضاً: سنن أبي داود، ج ٤، ص ٤٩٨، ٤٩٩، رقم الحديث ٤٣٢٤، كتاب الملاحم، ط دار الحديث

(٢) بين مكة والمدينة قال كان طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام حجة الوداع.

(٣) أي يقرن بينهما وهذا يكون بعد نزوله عليه السلام من السماء في آخر الزمان.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٨، ص ٢٣٤، ط دار الفكر

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٢٩٨، ط المكتب الإسلامي

جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله

رسالة مقدمة
لنيل درجة الدكتوراة من قسم العقيدة

إعداد
ساره حامد محمد العبادي
المحاضرة بكلية التربية فرع جامعة الملك
عبد العزيز بالمدينة المنورة

إشراف
فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد المهدي

المجلد الثاني

عام ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م

الباب الرابع
إبطال شبهات اليهود والنصارى
حول المسيح وأمه عليهما السلام

ويشتمل على تمهيد وفصلين :

✻ الفصل الأول :

إبطال شبهات اليهود حول المسيح وأمه عليهما
السلام.

✻ الفصل الثاني :

إبطال شبهات النصارى حول المسيح وأمه
عليهما السلام.

تمهيد

لليهود - قاتلهم الله - شبه كثيرة ومشبهه يطلقونها ضد السيد المسيح عليه السلام وقد فصلنا الحديث عنها في الباب الأول من هذه الأطروحة، حيث كالوا له ولأمه عليهم السلام الاتهامات والسباب والشتائم حتى وصفوه بأوصاف تدل على انحطاط أخلاقهم مثل قولهم: أنه أحمق ومجنون وغشاش بني إسرائيل، وتمادوا في طغيانهم حتى زعموا بأنه ابن غير شرعي أتت به أمه عن طريق الفاحشة من العسكري بانديرا!! وكذلك زعموا بأن معجزاته كانت عن طريق السحر وبذلك هم يطعنون في نبوته ورسالته وبمعجزاته الظاهرة التي أيده الله بها، وهذا ما احتواه تلمودهم^(١) المقدس، بالإضافة إلى دوائر معارفهم ومؤلفاتهم.

أما النصارى فقد أطروه ونزهوه ثم قدسوه حتى رفعوه إلى مقام الألوهية!! وزعموا بأنه الإله ابن الإله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - بل إن فرقا منهم قد ألهمت أمه العذراء مريم عليها السلام ثم زعموا بأنه جزء من الثالوث المقدس الآب والإبن وروح القدس^(٢) كما يزعمون ويعتقدون بتزوله وتجسده وصلبه للتكفير عن خطيئة البشر التي انتقلت إليهم من أبيهم آدم عندما أكل من الشجرة المحرمة^(٣)!!

(١) لتعريف التلمود، انظر: ص ١١ من هذا البحث.

(٢) انظر: ص ٤١٨ من هذا البحث

(٣) انظر: ص ٥٢٦ من هذا البحث

«وروي عن علي رضي الله عنه قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم فيك مثل عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبتة النصارى حتى أنزلوه بالترلة التي ليس به، ثم قال يهلك في رجلان حب مفرط يقرظني بما ليس فيّ ومبغض يحمله شتائي على أن يبهتي» (١).

وفي هذا الباب سنقوم - بعون الله تعالى - بنقض شبههم تلك والرد عليها سواء أكان مصدرها اليهود أم النصارى وسواء أكانت من كتبهم المقدسة أم من دوائر معارفهم ومؤلفاتهم ومن الله المعونه والسداد وعليه الإتكال.

(١) انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ١، ص ١٦٠، ط المكتب الإسلامي.
يقصد بالطائفة التي أحبت عليا رضي الله عنه وأفرطت في حبه الشيعة، أما مبغضيه والذين يتهمونه بما ليس فيه فهم الخوارج، وكتب الفرق الإسلامية كثيرة والتي تتحدث بإسهاب عن هاتين الفرقتين.

الفصل الأول

إبطال شبهات اليهود حول المسيح وأمه عليهما السلام.

ويشتمل على مبحثان :

✻ المبحث الأول : إبطال شبهات التلمود حول المسيح عليه السلام.

✻ المبحث الثاني : إبطال شبهات اليهود من مؤلفاتهم ودوائر معارفهم.

المبحث الأول

إبطال شبهات التلمود حول المسيح وأمه عليهما السلام

وكما ذكرنا في الباب الأول من هذه الأطروحة أن التلمود كتاب جد مقدس عند اليهود فهو أقدس من التوراة المتزلة على موسى عليه السلام في اعتقادهم، والتلمود هو الروايات الشفوية لحاخاماتهم فدونت عندما خيف عليها من الضياع^(١).

وقد كال هذا التلمود أبشع السباب والشتائم والانتهاكات لسيدنا المسيح وأمه عليهما السلام زوراً وبهتاناً.

وقد ذكرت - سابقاً - أن كتاب (فضح التلمود) للآب آي بي برانيس العالم الروماني^(٢)، قد احتوى على افتراءات وادعاءات التلمود ضد المسيح وأمه عليهما السلام في ثلاث مقالات:

المقالة الأولى : ما يتعلق بأسماء يسوع المسيح في التلمود:

وعلى سبيل التحقير والإزدراء يدعى يسوع في التلمود: نجار ابن نجار أو بابن الحطاب أو الرجل الذي شق أو (جيشو) أي ليمحوا اسمه وذكره.

كل هذه ألقاب حقيرة تدل على حقارة من أطلقها على سيدنا المسيح عليه

(١) انظر : ص ١١ من هذا البحث.

(٢) انظر : هامش ص ١٤، ١٥ من هذا البحث.

السلام وعلى لؤمه وحقده ضد نبي من أنبياء الله تعالى، وسخرية الكفره وإيذاء المشركين ولذلك أمثلة كثيرة تكاد لا تحصى لصد دعوة أنبيائه ورسله - تعالى - وهم متزهون عن جميع تلك النقائص بتزييه الله تعالى إياهم لاصطفائه سبحانه وتعالى لهم من دون جميع خلقه، واختياره لهم دليل على نزاهتهم ونظافة ساحتهم من كل خبث ورذيله.

{ الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير } (١).

وهم يقصدون بابن النجار أو ابن الخطاب بأنه ابن غير شرعي كما ورد ذلك صريحاً في تلمودهم البغيض، وإلا فالنجارة والاحتطاب عملاً شريفان لا ضير فيهما، ولكن أعداء الله يقصدون معنى آخر كما ذكرنا.

أما بالنسبة لقولهم: «الرجل الذي شق» ويقصدون به المسيح عليه السلام فلم يذكر التاريخ - فيما نعلم - سواء التاريخ اليهودي أو التاريخ المسيحي بأنه شق، فاعتقاد المسيحيين بأنه صلب والصلب غير الشق كما هو معلوم.

أما في المقالة الثانية : حياة المسيح عليه السلام في التلمود فحدث ولا حرج عن كثرة الشبه والإدعاءات والتهم القذرة ضد المسيح وأمه عليهما السلام وضد المسيحيين أيضاً (٢) ولا أدري كيف يتجرأون على نبي من أنبياء الله تعالى بكل هذه الافتراءات الباطلة والمزيفة ؟ !! كيف يكون أحد أنبياء الله تعالى ابناً غير شرعي ؟ وهل يختار الله سبحانه وتعالى أنبياءه عليهم السلام من هذا الصنف ؟!

(١) سورة المؤمنون : آية ٧٥

(٢) انظر : ص ١٦ - ١٧ من هذا البحث.

ولكن المصيبة الكبرى بأن - أعداء الله - لا يعترفون بنبوته ولا برسالته ولا حتى بصلاحه أو بشرعية إنجابه؟! وإلا فكيف يدعون زوراً وبهتاناً بأنه موجود في لجج الجحيم بين القار والنار؟! وما هو دليلهم في ذلك؟! أطلعوا الغيب أم لهم عند الرحمن عهدٌ؟!!

أما ما نقله الأب براناتيس عن كتاب زوهار^(١) في كتابه (فضح التلمود)، فقد نقل أبشع الألفاظ عن كتاب التلمود اليهودي البغيض وهي أن يسوع المسيح والمسيحيين بالإضافة إلى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام كل هؤلاء ماتوا كالبهائم ودفنوا في أكوام الأقدار.

ولكن القرآن الكريم يصرح بما يفعله هؤلاء اليهود - قاتلهم الله - بالأنبياء، قال تعالى:

{ ولقد آتينا موسى الكتاب وقفيناً من بعده بالرسول وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس، أفكلما جاءكم رسولاً بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون }^(٢).

(١) انظر : ص ١٨ من هذه الرسالة.

(٢) سورة البقرة : آية ٨٧

إذا فهم لا يقتصرون على سبهم وشتهم والسخرية بهم وتكذيبهم وضربهم وإيذائهم بل إنهم لا يتورعون عن قتلهم!! (١)

والمقالة الثالثة من كتاب [فضح التلمود] هي في تعاليم المسيح عليه السلام.

يزعمون أن الناصري - ويقصدون به المسيح عليه السلام - يبتدع أعمالاً كاذبة ثم ينعته بالفاظ قبيحة قدره كما هي عاداتهم.. مثل أحرق ومجدوم، غشاش بني إسرائيل وأنه ابن الجندي بنديرا، ثم زعموا بأن المعجزات التي قام بها كانت بقوة السحر الذي تعلمه في مصر!! (٢).

وقد رددت في الأسطر السابقة على إدعاءاتهم وافتراءاتهم وقذفهم ضد سيدنا المسيح عليه السلام فلن أكرر ذلك.

أما بالنسبة لزعمهم بأنه عليه السلام كان يقوم بمعجزاته التي أيده الله بها (٣) بقوة السحر فهذا غير صحيح البتة، وذلك لأن السحر يختلف تماماً عن المعجزة، فالسحر موجود، ولكنه في الحقيقة تخيل وافتراء وليس بحقيقة في ذاته.

<< فإذا جبالهم وعصيتهم يخيل إليهم من سحرهم أنها تسعى >> (٤) فهو كالحيال أو التخيل الذي لاحقيقة له بخلاف المعجزة والتي هي: أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد مدعي النبوة تأييداً له في دعواه.

(١) انظر : ص ١٥٢ من هذه الرسالة

(٢) انظر : ص ١٦، ٢٠ من هذا البحث.

(٣) انظر ص ٣٣٠ من هذا البحث.

(٤) سورة طه : آية ٦٦

فوجود المعجزة حقيقة وخرقها للعادة حقيقة، فالطير الذي خلقه عيسى عليه السلام ونفخ فيه صار طيراً بإذن الله تعالى وليس سحراً وخيالاً، وكذلك القول في إحيائه للموتى وإبرائه للأبرص والأكمه وجميع معجزات الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام (١).

أما ما يتعلق بحديث التلمود عن الصلب، فالعقيدة الإسلامية تنفي الصلب وما يترتب عليه من أمور أخرى، وستحدث عن ذلك في المبحث الرابع من الفصل الثاني من هذا الباب بإذن الله تعالى. (٢)

ومن نسخة التلمود البابلي والتي قد أحضرتها من المكتبة العامة في مدينة نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية (٣) نقلت نصوصاً كلها تدور حول الإتهامات والافتراءات المشينة التي يلصقها اليهود - أعداء الله - بنبي الله عيسى عليه السلام وفي هذه النصوص يتهمونه بأنه عكف على طوبه !!! أو أنه صنع من حجر المغنطيس صنماً كهيئة العجل وعبده !!! أو أنه مارس السحر وقاد إسرائيل إلى الضلال، وقد ذكرت بأنها نصوص ركيكة وملفقه من التلمود، وليس لها أساس من الصحة، ولادليل يقوم عليها، إذ كيف يتجرأون فيتهمون نبياً من أنبياء الله يدعو إلى توحيد وإلى عبادة الله وحده لا شريك الله كسائر الأنبياء - عليهم أفضل الصلاة والسلام - بأنه يعبد طوبه ؟ !! أو يصنع صنماً ويعبده ؟ !! كل هذه اتهامات وافتراءات ظاهرة البطلان والتزييف ولا تستحق تصديقها بل ولا النظر إليها.

(١) وقد سبق أن رددت على زعمهم ذلك في ص ١٥١ من هذا البحث.

(٢) انظر: ص ٥٢٦ من هذه الرسالة

(٣) انظر: ص ٢١ وما بعدها من هذا البحث.

وقد نقلت في الفصل الأول من الباب الأول في هذه الأطروحة ذهاب بعض المفكرين الغربيين مثل . ول ديورانت ^(١) إلى إنكار وجود شخصية المسيح عليه السلام ويشبهها هذا المؤرخ الأمريكي بالخرافة أو الأسطورة مثل أساطير كرشنا وأوزيس .

ونحن نعترض على هذه الأقوال بل ننكرها وذلك لوجود قصة نبي الله عيسى عليه السلام وقصة أمه العذراء السيدة مريم عليها السلام في آيات كثيرة وعديدة من الذكر الحكيم ^(٢) القرآن الكريم الكتاب المحفوظ بحفظ الله تعالى:

{ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } ^(٣)

(١) للتعريف به انظر : ص ٢٨ من هذا البحث .

(٢) انظر الباب الثالث من هذه الأطروحة . ص ٢٧٢

(٣) سورة الحجر : آية ٩

المبحث الثاني

إبطال شبهات اليهود من مؤلفاتهم ودوائر معارفهم

من دائرة المعارف اليهودية مقال بعنوان (عيسى الناصري في التاريخ) ويكرر هذا المقال القول بأسطورية وخرافة وجود المسيح عليه السلام ويضيف القول: بأن شخصيته خطيرة إلا أنه له تأثير ضعيف على مجرى التاريخ^(١).

وللرد عليهم: بأنه لو كان تأثير شخصيته ضعيفا - كما يقولون - أو أن شخصيته أسطوره أو خرافه لما خُلد ذكره إلى هذه العصور الحالية، ولما تحدث عنه القرآن الكريم^(٢)، ولما تحدث عنه الكتاب والمؤلفون، ولو كان الأمر كما يدعون لما اتبع دينه ملايين الناس، ومع أن معظمهم على الباطل في اتباعهم له لتحريف الأسفار المقدسه من الأناجيل وغيرها^(٣) فهذا كله يدل على أن شخصيته عليه السلام غير خرافية وغير اسطورية وغير ضعيفة التأثير على مجرى التاريخ بل هو نبي معصوم مؤيد بالمعجزات عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

وفي دائرة المعارف اليهودية تكرار باتهامه عليه السلام بالكذب وبأنه ساحر وقد أتى بمعجزاته بقوة السحر.. وقد رددت على هذه الشبه في المبحث الأول من هذا الفصل.^(٤)

(١) انظر: ص ٣٧، ٣٨ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) انظر: الفصل الثاني من الباب الثالث من هذه الرسالة، ص ٣١٥

(٣) انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة (رسالة ماجستير للباحثة).

(٤) انظر: ص ٣٥٤ من هذه الرسالة.

وتتهم دائرة المعارف اليهودية عيسى عليه السلام بأنه اغتصب النبوة من يوحنا المعمدان عندما سجن، فاستغل تلك الفرصة وأخذ يدعو لنفسه كني!!^(١).

والنبوة لا تؤخذ من أحد بالقوة، ولا يمكن أن تفتصب بل هي هبة ربانية تقوم على الاختيار والاصطفاء من الله تعالى لعيّنة مميزة من عباده الأخيار، وإلا فكيف ستقوم المعجزات الباهرات على يديه تأكيداً له في دعوته؟!

أما دائرة معارف الديانات وعلم الأخلاق فتحدثت تحت عنوان (المسيح عيسى عليه السلام في اليهودية).

وتقول شبهتها: << إن قدوم المسيح كان خيراً وبركة على الأميين . أى غير اليهود > ولكنه كان نذير سوء ومعاناة قاسية وطويلة لليهود لم يشهدا تاريخهم الماضي !! لذلك فلا عجب أن يكتب اليهود ضد المسيح عليه السلام >>^(٢).

وللرد عليهم : لماذا تعتقدون أن المسيح نذير سوء على اليهود؟! وما هو دليلكم على ذلك؟ وهل يمكن أن يكون أحد أنبياء الله تعالى مصدر شقاء لأحد؟.. فلو أطاعوه لسعدوا سعادة الدارين، ولكنهم عصوه فهم الذين جلبوا الشقوة لأنفسهم.

وفي دائرة المعارف اليهودية شبهة نقول: إن عيسى عليه السلام كان تأثيره بين أهله وجيرانه متبايناً وقد اعتبره بعضهم بأنه مجنون مختل العقل وأنهم لم يتبعوا دينه إلا بعد موته^(٣).

(١) انظر : ص ٤٣، ٤٤ من هذا البحث.

(٢) انظر : ص ٥٤ وما بعدها من هذا البحث.

(٣) انظر : ص ٦٢ وما بعدها.

نقول : بأن الكثير من الأنبياء إن لم يكن جميعهم اتهموا من قبل أقوامهم بهذه المزاعم الباطلة إما لإيذائهم، وإما لتنفير العوام منهم وهذه مجرد مزاعم وافتراءات باطله ليس لها اساس من الصحة ولا يقوم عليها أي دليل، لأن أنبياء الله تعالى عليهم أفضل الصلاة والسلام - أرجح الناس عقلاً وأكثرهم حكمةً وأكرمهم أخلاقاً، أما قولهم: بأنه لم يتبع دينه إلا بعد موته فهذا ليس بصحيح - أيضاً - لأننا نعرف من التاريخ العام ومن الأناجيل ومن القرآن الكريم أن هناك من يسمون بالأنصار والحواريين، وهؤلاء كانوا أتباعه وغيرهم كثير، وقد زاد عدد أتباعه بعد رفعه عليه السلام وياليتهم استمروا على أصول دعوته.

وتزعم دائرة المعارف اليهودية : أن المسيح عليه السلام كان يدعو إلى < أبوة الإله > واعتقد أن المقصود بذلك أبوة الإله له أبوة نسبية بمعنى أنه ابن للإله كما يزعم النصارى^(١) أيضاً - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -.

ولماذا يدعي المسيح عليه السلام ذلك؟ أين دليلهم على ذلك؟ وهل يحتاج الله تعالى إلى أن يتخذ إبناً، وسأرد على هذه الشبهه في المبحث الأول من الفصل الثاني من هذا الباب عند الرد على شبه النصارى إن شاء الله تعالى^(٢).

وهناك شبهة أخرى لدائرة المعارف اليهودية فقد زعمت هذه الدائرة زوراً وبهتاناً عندما أخذت تروي قصة القبض على السيد المسيح عليه السلام وصلبه - كما زعموا - قالت: إن الجثة قد أخذت بعد الصلب ودفنت، ثم جاء شخص يدعى < يهوذا البستاني > وسرق الجثة من القبر واستعملها كسد لمنع الماء من دخول

(١) انظر : ص ٦٤ من هذا البحث

(٢) انظر ص ٣٦٣ من هذه الرسالة

حديثه !! ولس ذلك فحسب بل إن القرآن الكريم نوه عن الإهانة التي قوبلت بها جثة يسوع في شوارع القدس عندما سحبت الجثة - بعد ذلك - إلى الملكة < هلينا > لتراها وليشعر المسيحيون بالحجل !!! (١).

ونقول لهم : ما هذا الهراء؟! وما هذا الكذب والافتراء؟! وما هذا الإفك المبين؟! فالقرآن الكريم أمامكم وبين أيديكم فتصفحوه بل تمنعوه، وابعثوا فيما بين دفتيه وأمعنوا النظر في محتواه فأتوا بآية واحدة دلت على إهانة للمسيح عليه السلام إن استطعتم، ولن تستطيعوا أبداً لأن القرآن الكريم لا يهين أنبياء الله، كما هو حاصل عندكم - أيها اليهود - بل هو يثني عليهم ويمجدهم ويعرض قصصهم للاقتداء بهم وأخذ العبرة والموعظة منها.

ونحن لا ندري كيف يتجرأون على الكذب على كتاب إلهي رباني - محفوظ ما بين دفتيه - بكل هذه الوقاحة؟!.

وإذا اتهم اليهود - قاتلهم الله - بأن عيسى عليه السلام ابن سفاح أو ابن غير شرعي فهم في الوقت ذاته يتهمون والدته العذراء السيدة مريم عليها السلام بالفاحشة وقد كان هذا موقفهم منها بالفعل وهذا ما احتواه كتاب (ولادة يسوع) والذي ألف بالعبرانية ثم ترجم إلى الفرنسية (٢) فقد اتهمت عليها السلام بأنها قد استسلمت لرجل يدعى < يوسف بانديرا > وقد كانت معجبة به وهي في حالة حيض ظناً منها بأنه خطيبها يوحنا من بيت داود!! وفي اليوم التالي أخذت تلوم خطيبها والذي من كلامها علم ما حدث لها والذي هرب منها إلى بابل بعد أن علم بحملها!!

(١) انظر : ص ١٠٠، ١٠١ من هذا البحث.

(٢) انظر : ص ١٠٦، ١٠٧ من هذا البحث.

وهذه هي التهمة الكاذبة التي اتهمت بها في تلمود اليهود المقدس.
وللرد على هذه الشبهة الدنيئة نحيل القارئ الكريم إلى الفصل الأول من
الباب الثالث من هذه الرسالة^(١) ليطلع على مذكره الإسلام في القرآن الكريم، وفي
السنة النبوية المطهرة عن هذه العذراء الطاهرة والتي وصفها الله سبحانه وتعالى بأنها
صديقة، ووصفتها السنة النبوية المطهرة بأنها من خيرة نساء العالمين.

وإذا اتهم كهنة اليهود عيسى عليه السلام بأنه عندما كبر وشب شذَّ عن تعاليم
التوراة.. فذلك لأنه وجدها تخالف الدين الصحيح والذي تلقاه عن ربه عندما حرفت
فهو عليه السلام أعلم منهم بالإله الواحد الأحد وبتعاليم الدين الصحيح.



(١) انظر ص ٢٧٥ من هذه الرسالة.

الفصل الثاني

إبطال شبهات وعقائد النصارى حول المسيح وأمه عليهما السلام

ويشتمل على أربعة مباحث :

- ✻ المبحث الأول : إبطال عقيدة بنوة المسيح وألوهيته.
- ✻ المبحث الثاني : إبطال عقيدة التثليث.
- ✻ المبحث الثالث : إبطال عقيدة الحلول والاتحاد والتجسد.
- ✻ المبحث الرابع : إبطال عقيدة الصلب والفداء.

المبحث الأول

إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته

ويندرج تحت هذا المبحث المسائل التالية:

المسألة الأولى: بولس ودوره في تحريف العقيدة المسيحية الأصلية.

المسألة الثانية: مجمع نيقية وفرضه لعقيدة تأليه المسيح بقوة السلطان.

المسألة الثالثة: إبطال دعوى اتخاذ كيفية وجود المسيح عليه السلام ومعجزاته دليلاً على ألوهيته وبنوته لله تعالى.

المسألة الرابعة: ردود ومناقشات علماء مقارنات الأديان على زعم النصارى بألوهية المسيح عليه السلام.

المسألة الخامسة: إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته عقلاً.

المسألة السادسة: إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته نقلاً:

أ - من نصوص القرآن الكريم.

ب - من السنة النبوية المطهرة.

ج - من إنجيل برنايا.

د - من العهد الجديد.

المسألة السابعة: بطلان تأليه السيدة مريم والدة المسيح عليهما السلام.

المبحث الأول

إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته

المسألة الأولى : بولس ودوره في تحريف العقيدة المسيحية الأصلية.

وقد كان لبولس^(١) شأؤول اليهودي دور كبير في تحريف العقيدة المسيحية ونقلها من التوحيد إلى تأليه المسيح، وقد كان لبولس هذا أربعة عشر رسالة وهي تشكل جزءاً كبيراً من العهد الجديد ومن يكتب هذه المجموعة من الرسائل والتي تبلغ مجموع اصحاحاتها (فصولها) مائة (١٠٠) اصحاح مع ثبوت تحريفه للعقيدة والشريعة^(٢)، فانه لا بد وأن يكون له هدف.

أما هدفه فهو واضح كوضوح الشمس في رابعة النهار، إن هدفه هو هدم المسيحية وتقويضها من الداخل بتحريفها والابتداع في عقيدتها وشريعتها، بعد أن فشل في هدمها ومحوها تماماً من الخارج كعدو ومعذب مضطهد، لأن الاعتداء بالمواجهة يضع عادة. < رد فعل > والاعتداء بالحيلة والخداع واختلاق القصص المثيرة قد يكون أسهل بكثير من المواجهة من الخارج، ومما ساعد على ذلك عدم وجود كتاب محفوظ بحفظ الله تعالى وقد حفظت العقيدة الصحيحة بداخله كما هو حاصل للقرآن الكريم.

(١) لترجمته انظر هامش ص ٣ من هذه الأطروحة.

(٢) من تحريفاته للعقيدة ما نحن بصدد إثباته، ومن تحريفاته للشريعة الغاؤه فريضة الختان، وإختلاقه لشعيرة العشاء الرباني، انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربع (رسالة ماجستير) للباحثة، ص ٩٧-١٠٠

وقد جاء في رسالة أعمال الرسل ما يلي:

>> وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أياماً، وللوقت جعل يكرز في
المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله >> (١).

وقد جاء في رسالته إلى العبرانيين:

>> فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات يسوع ابن الله فلنتمسك
بالإقرار >> (٢).

(١) أعمال الرسل ٩ : ١٩ - ٢٠

(٢) ١٤ : ٤

المسألة الثانية : مجمع نيقية وفرضه عقيدة تأليه المسيح بقوة السلطان

ولابد من أن نشير هنا إلى أمر هام وهو المجمع الذي قررت فيه عقيدة تأليه المسيح وفرضت على جميع المسيحيين آنذاك بطريقة رسمية، وهو مجمع نيقية^(١) >> والذي عقد سنة ٣٢٥م أي في القرن الرابع الميلادي، وفيه رفضت عقيدة آريوس الموحد والذي كان ينادي ويدعو إلى عقيدة توحيد الله وأن المسيح لا يعدو أن يكون بشراً رسولاً بل إنه طرد وأخرج من حظيرة المسيحيين، وأحرقت في هذا المجمع جميع الأناجيل والأسفار التي تقول بالتوحيد، وأن المسيح عبدالله ورسوله، وقررت الكتب الأخرى والتي تقول بتأليه المسيح !!، وكان هذا كله يتدخل من قسطنطين الأمبراطور الروماني، والذي كان يرأس هذا المجمع - ومع أنه كان وثنياً - أقر ما أراده ونفى وأبعد ما لم يوافق هواه، ومع أن عدد الموحدين في ذلك المجمع أضعاف عدد مؤلهي المسيح، فقد كان عدد الموحدين (١٧٠٠) أسقف، وكان عدد مؤلهي المسيح (٣١٨) <<^(٢) فيا عجباً من أمة تقرر عقائدها عن طريق المجامع وبقوة السلطان الجائر !!!

ويقول المؤرخ المسيحي < ول ديورانت >^(٣).

(١) اقتضى الأمر أن نشير إليه في هامش ص ٢٥٢ من هذه الرسالة.

(٢) انظر مثلاً : محاضرات في النصرانية للإمام أبي زهرة، ط دار الفكر، ص ١٤٦ -

١٥٤

أيضا د/ رؤوف شلي (يا أهل الكتاب)، ج ١، ط ١، ص ٢١٨

وكذلك : حبيب سعيد (فجر المسيحية)، ص ١٥٠

(٣) لترجمته، انظر هامش ص ٢٨ من هذا البحث.

>> و صدر مرسوم امبراطوري يأمر باحراق كتب آريوس جميعها، ويجعل اخفاء أي كتاب منها جريمة يعاقب عليها بالاعدام >> (١).

>> ويتضح من رسائل قسطنطين التي بعث بها إلى الأساقفة المسيحيين أنه لم يكن يتردد في القضاء على الانشقاق محافظة على وحدة الامبراطورية، وقد كان في أثناء حكمه كله يعامل الأساقفة على أنهم أعوانه السياسيون، فكان يستدعيهم إليه، ويرأس مجالسهم ويتعهد بتنفيذ ما تقره أغليبتهم من آراء، ولو أنه كان مسيحياً حقاً لكان مسيحياً أولاً وحاكماً سياسياً بعدئذٍ، ولكن الآية انعكست في حال قسطنطين، فكانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية >> (٢).

(١) قصة الحضارة، المجلد الثالث، ١١، ط ٣، ص ٣٩٦

(٢) المرجع السابق، ص ٣٨٧

المسألة الثالثة: إبطال دعوى اتخاذ كيفية وجود المسيح عليه السلام ومعجزاته دليلاً على ألوهيته وبنوته لله تعالى.

ولا يخفى بطلان هذه الدعوى إذ أن خلق المسيح عليه السلام من أم دون أب لا توصله إلى درجة الألوهية ولا إلى البنوة لله تعالى، وإلا لكان آدم عليه السلام أحق بهذه الدعوى وهو أبو البشر جميعاً وقد خلق من غير أب ولا أم، وقد سجد الملائكة لآدم ولم يسجدوا لعيسى عليهما السلام - قال تعالى: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون. إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين﴾ (١)

وكذلك لكانت أمنا حواء عليها السلام وهي المرأة الأولى في الخليقة، وأم البشر جميعاً، أحق من المسيح ومن أمه عليهما السلام بالألوهية، فقد خلقت قبلهما من الأب دون الأم لما روي عن ابن عباس «أنها خلقت من ضلعه الأقصر الأيسر وهو نائم ولأم مكانه لحماً» (٢) ومصدق ذلك في قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾ (٣)

ولم يثبت كما نعلم أن أحداً ادعى أن آدم أو حواء عليهما السلام إلهين من دون الله ولم ولن يكونا كذلك، فما بالهم يدعون أن المسيح إله وابن إله؟! تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً.

(١) سورة ص، الآية : ٧٣، ٧٤

(٢) انظر: الإمام ابن كثير (البداية والنهاية) ج ١، ص ٧٤، ط ٢

(٣) سورة النساء : آية ١

قال تعالى: { إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون } (١)

>> أجمع المفسرون على أن هذه الآية الكريمة نزلت عند حضور وفد نجران على الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان من جملة شبههم أن قالوا: يا محمد، لما سلمت أنه لا أب له من البشر، وجب أن يكون أبوه هو الله تعالى، فقال: إن آدم ما كان له أب ولا أم ولم يلزم أن يكون إبناً لله تعالى، فكذا القول في عيس عليه السلام وأيضا إذا جاز أن يخلق الله تعالى آدم من التراب فلم لا يجوز أن يخلق عيسى من دم مريم؟ بل هذا أقرب إلى العقل، فان تولد الحيوان من الدم الذي يجتمع في رحم الأم أقرب من تولده من التراب اليابس << (٢)

أما من يدعي ألوهية المسيح عليه السلام أو بنوته لله تعالى باتخاذ معجزاته دليلاً على هذه المزاعم، فجوابه: بأن لجميع رسل الله تعالى وأنبيائه معجزات اختصوا بها منها ماهي أعظم وأشهر من معجزات المسيح عليه السلام ومع ذلك لم يزعم أحد حسب علمنا بألوهيتهم ومن أولئك نبي الله موسى عليه السلام { فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين } (٣) فإن تحويل العصا الجامدة إلى حية تسعى وتسير أمام أعين الناس لهو أعظم من إحياء الميت الذي خلق سابقاً ولكنه قد فقد الروح فتعاد له بإذن الله تعالى، وكذلك فإن تحويل العصا إلى حية تسعى أعظم من إبراء الأكمه والأبرص، فما بالهم إذا يؤلهون المسيح عليه السلام؟!>>

(١) سورة آل عمران : آية ٥٩

(٢) الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير) ج ٨، ط ٢، ص ٧٤

(٣) سورة الأعراف: آية ١٠٧

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض ردوده على النصارى : « فلو قال القائل: إن موسى بن عمران كان هو الله، لم يكن هذا أبعد من قول النصارى، فإن معجزات موسى كانت أعظم، وانتصاره على عدوه أظهر »^(١)

« والمعجزات التي احتجتم بها للمسيح قد وجدت لغير المسيح ولو قدر أن المسيح أفضل من بعض أولئك، فلا ريب أن المسيح عليه السلام أفضل من جمهور الأنبياء، أفضل من داود وسليمان وأصحاب النبوات الموجوده عندكم وأفضل من الحواريين ولكن مزيد الفضل يقتضي الفضيلة في النبوة والرسالة، كفضيلة إبراهيم وموسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه، وذلك لا يقتضي خروجه عن جنس الرسل »^(٢) كما قال تعالى:

{ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام، انظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أنى يؤفكون }^(٣)

« فليس للمسيح اختصاص بشئ من هذه الألفاظ^(٤)، وإنما يوجد اختصاصه بلفظ (الكلمة) وكونه تجسد من روح القدس وهذا هو الذي خصه به القرآن الكريم »^(٥)

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج ٣، ص ١٧٤

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٧

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٥

(٤) يقصد: ألوهيته أو بنوته لله تعالى كما يزعمون

(٥) انظر: الجواب الصحيح، ج ٣، ص ١٩٨

فإن الله تعالى قال: ﴿إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ (١)

وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: << من شهد أن لا إله إلا الله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل >> (٢)

<< فهذا الذي خصه به القرآن الكريم، هو الذي خصته به الكتب المتقدمة، إذ كان القرآن الكريم مصدقا لما بين يديه ومهيئنا عليه >> (٣)

ويعلل شيخ الإسلام ابن تيمية اختصاص المسيح وتسميته (كلمة الله) دون سائر البشر بما يلي:

<< إنما خص المسيح بتسمية كلمة الله دون سائر البشر لأن سائر البشر خلقوا على الوجه المعتاد في المخلوقات بخلق واحد من ذرية آدم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم ينفخ فيه الروح، وخلقوا من ماء الأبوين: الأب والأم

(١) سورة النساء، الآية: ١٧١

(٢) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٦، ط دار المعرفة، ص ٤٧٤، باب قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾، رقم الحديث ٣٤٣٥

أيضا: صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١، ط دار الفكر، ص ٢٢٧، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً

(٣) الجواب الصحيح، ج ٣، ص ١٩٨

والمسيح عليه السلام لم يخلق من ماء الرجل، بل لما نفخ روح القدس في أمه حبلت به، وقال الله له، كن فكان، ولهذا شبهه الله تعالى بآدم في قوله تعالى: {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب. ثم قال له كن فيكون} (١) فإن آدم عليه السلام خلق من تراب وماء، فصار طيناً ثم أيسس الطين، ثم قال له: كن فكان، وهو حين نفخ الروح فيه صار بشراً تاماً، لم يحتج بعد ذلك إلى ما احتاج إليه أولاده بعد نفخ الروح، فإن الجنين بعد نفخ الروح يكمل خلق جسده في بطن أمه، فيبقى في بطنها نحو خمسة أشهر ثم يخرج طفلاً يرتضع، ثم يكبر شيئاً بعد شيء، وآدم عليه السلام حين خلق جسده قيل له كن فكان بشراً تاماً بنفخ الروح فيه، ولكن لم يسم كلمة الله لأن جسده خلق من التراب والماء، وبقي مدة طويلة يقال: أربعين سنة، فلم يكن خلق جسده إبداعياً في وقت واحد، بل خلق شيئاً فشيئاً، وخلق الحيوان من الطين معتاد في الجملة.

وأما المسيح عليه السلام فخلق جسده خلقاً إبداعياً بنفس نفخ روح القدس في أمه، قيل له: كن فكان، فكان له من الاختصاص بكونه خلق بكلمة الله، ما لم يكن لغيره من البشر، ومن الأمر المعتاد في لغة العرب وغيرهم أن الاسم العام إذا كان نوعان خصت أحد النوعين باسم وأبقيت الاسم العام مختصاً بالنوع كلفظ الدابة والحيوان، فإنه عام في كل ما يدب، وكل حيوان، ثم لما كان للآدمي اسم يخصه بقي كلفظ الحيوان يختص به البهيم.

ولفظ الدابة يختص به الخيل والحمير ونحو ذلك.. فلما كان لغير المسيح ما يختص به، أبقى اسم الكلمة العامة مختصاً بالمسيح << (٢).

(١) سورة آل عمران: آية ٥٩

(٢) انظر: الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٦٥-١٦٦

المسألة الرابعة :

ردود ومناقشات علماء مقارنات الأديان على زعم النصارى بألوهية المسيح

عليه السلام

وقد ناقش الدكتور أحمد شلبي ادعاء النصارى بألوهية المسيح عليه السلام وبنوته لله تعالى بنقله لأقوال وتقارير كبار كتاب وعلماء مقارنات الأديان، وقد رتبها على النقاط الآتية:

>>أولاً : أبان الكاتب الكبير *Kaltheff* أن الاعتقاد بألوهية المسيح سبق كتابة الأناجيل، فالاعتماد على الأناجيل لاثبات ألوهية المسيح عمل بعيد عن الصواب، يقول *Kaltheff* : إن صورة المسيح كل معالمها وملاحظها أعدت قبل أن يكتب سطر واحد من الأناجيل، وإن هذه الصورة هي من إنتاج الفلسفة العقلية (الميتافيزيقية) التي كانت ذات سيطرة وكانت آراؤها شائعة وتكاد تكون عامة أو عالمية >> (١)

ثانياً : يثبت *Pllicederer* المصادر الحقيقية للاعتقاد بألوهية المسيح فيقول: إن معالم التنبؤ عند اليهود، وعظات الأجرار، والخيال الشرقي، والفلسفة الإغريقية قد اختلطت كل ألوانها، ومن هذه الأصباغ جاءت صورة المسيح التي ظهرت في العهد الجديد، وكل ما يمكن تقريره دون تردد هو أن تصور المسيح ورسمه

(١) *Der Brewer Radikalismus p.101* نقلا عن د. أحمد شلبي (المسيحية)، ط٦،

كان الهدف الوحيد للمسيحية في عهدهما الأول كما كان هدف دعائها» (١).

ثالثاً : إن ما يرويه متى أو يوحنا لا يمكن أن يعتبر دليلاً على مثل هذا الأمر الخطير، وخاصة إذا اتضح لنا أن هذه الأناجيل من صنع هؤلاء أو قل إنها على الأقل من صنع الأجيال المتعاقبة ونسبت لهم، لأن الصلة بين إنجيل عيسى وهذه الأناجيل مقطوعة، والصلة بين هذه الأناجيل والذين نسبت إليهم تكاد تكون مقطوعة أيضاً (٢).

رابعاً : «إن كلمة ابن الله أو قول الله تعالى: هذا ابني الحبيب لو صح هذا أو ذلك لما كان دليلاً على ألوهية المسيح فإنه استعمال مجازي معناه التكريم. ويقول *H. D. A. Maior* ينبغي أن يلاحظ أن عيسى لم يدع أنه ابن الله من الناحية الحسية الجسمية، ولا من الناحية الفكرية العقلية، وإنما من الناحية العامة التي تضع كل الناس من الله بمنزلة الأبناء من الأب في التعلق به والإعتماد عليه والحاجة إليه» (٣).

خامساً : وردت في هذه الأناجيل عبارات كثيرة تقرر توحيد الله وتفيد بوضوح أن المسيح بشر رسول وإليك بعض هذه العبارات.

(١) *Der Brewer Radikalismus p.101* نقلاً عن: المصدر السابق نفس الصحيفة.

(٢) لمزيد من الإيضاح انظر مثلاً: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة (رسالة ماجستير) للباحثة، ص ٥٣ وما بعدها.

(٣) *Islamic Review Vol, IX, No. S, p.p.276-277* نقلاً عن: د/ أحمد شلي (المسيحية)، ص ١٤٨

يروى متى عن المسيح قوله: << ولاتدعوا لكم أباً على الأرض أن أباكم واحد الذي في السموات >> (١)

<< فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله أية وصية هي أول الكل، فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد >> (٢)

وقد ورد في إنجيل متى قوله:

<< ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة من هذا، فقالت الجموع هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل >> (٣)

وقد ورد في إنجيل لوقا قوله:

<< فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم >> (٤)

<< فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم >> (٥)

(١) ٩ : ٢٣

(٢) ٢٩ - ٢٨ : ١٢

(٣) متى ٢١ : ١٠ - ١١

(٤) لوقا ٧ : ١٦

(٥) يوحنا ٦ : ١٤

>> ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله <<(١)

ويروي يوحنا في إنجيله كذلك عن عيسى عليه السلام:

>> إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم <<(٢)

سادساً : إن بولس (٣) استعمل هذا التركيب استعمالاً مجازياً فقد ورد في رسالة كورنثوس الأولى قول بولس عن تيموثاوس >> أرسلت إليكم تيموثاوس الذي هو ابني الحبيب <<(٤)

سابعاً : يقول Harnack مايلي عن شخصية المسيح عليه السلام >> ووصف المسيح إله السماء والأرض بأنه إلهه وأبوه وبأنه الأعظم والإله الواحد، وأن المسيح يعتمد عليه في كل شيء، وأن خضوعه له تام ويدخل عيسى نفسه ضمن الناس معلناً أنه من طبيعة البشر التي تختلف عن طبيعة الله <<(٥)

ثامناً : ورد في دائرة المعارف البريطانية ما نصه: >> ولم يدع عيسى قط أنه من

(١) يوحنا ٨ : ٤٠

(٢) يوحنا ٢٠ : ١٧

(٣) للتعريف به، انظر: هامش ص ٣ من هذا البحث

(٤) كورنثوس الأولى ٤ : ١٧

(٥) *What is Christianity* p.126 نقلا عن د/ أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ١٤٩

عنصر فوق الطبيعة، ولا أن له طبيعة أسمى من طبيعة البشر، وكان قانعاً بنسبه العادي ابناً لمريم منسوباً من جهة الأب إلى يوسف النجار» (١).

تاسعاً : نشرت جريدة التايمز بتاريخ ١٥ يوليو ١٩٦٦م وثيقة دينية اكتشفت حديثاً، وقد جاء فيها ما ترجمته: تعتقد المسيحية أن عيسى ابن الله المقدس ولكن مؤرخي الكنيسة مسلمون بأن أكثر أتباع المسيح في السنوات التالية لوفاته اعتبروه مجرد نبي آخر لبني إسرائيل» (٢).

(١) *Encyclopaedia Britannica Vol.5, p.636*

نقلا عن د / أحمد شلبي (المسيحية)، ط٦، ص ١٥٠

(٢) نقلا عن د / أحمد شلبي (المسيحية)، ط٦، ص ١٥٠

المسألة الخامسة :

إبطال شبهة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته عقلاً.

ونعتقد أن هذه الشبهة لا تحتاج إلى مجهود عقلي كبير للرد عليها وذلك لأن العقل والفطرة السليمين ينفيان تماماً البنوة لله تعالى، إذ أن الخالق غير المخلوق، والفارق جد كبير بينهما، فإذا كان من المخلوقات من هو محتاج إلى الإبن لأنه قد يمتد به السن إلى أن يكبر ويهرم ويحتاج إلى من يشد عضده ويساعده في كبره (١) فإن الإله الخالق غير ذلك، فهناك فارق كبير بين الخالق والمخلوق، فالحق سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى الإبن لكي يتخذ إبناً، ولا إلى الصاحبه لكي يتخذ صاحبه، فهو القوي القدير العليم الحكيم السميع البصير العزيز الجبار المتكبر سبحانه الله عما يصفون.

يقول الله تعالى على لسان الجن :

{ وأنه تعالى جدّ ربنا ما اتخذ صاحبةً ولاولداً } (٢).

كما أن القول بوجود ألّهين أو أكثر يؤدي إلى متاهات عقلية حالكة الظلام والإنسان العاقل بغني عنها، فأيهما أقدم وأيهما أقوى إذاً أيهما أحق بالألوهية ومن ثم بالعبادة إلى آخر ما هنالك من المتاهات العقلية المظلمة.. وهذا ما تتضمنه عقيدة النصراني الحالية فكيف يكون للعالم إلهين أو أكثر إذا كان لا يمكن لقبيلة من القبائل أو دولة من الدول حاكمين اثنين وإنما ينفرد بذلك شخص واحد؟ فكيف يكون لهذا الكون الكبير الهائل الدقيق في أنظمتة وقوانينه إلهان اثنان؟!

(١) كما لا يخفى على القارئ الكريم أن الأبناء يحققون إرضاء غريزة الأمومة والأبوة في الإنسان وفي بعض المخلوقات، كما أنهم زينة الحياة الدنيا.
(٢) سورة الجن : آية ٣

ألا يمكن أن يتخاصم هذان الإلهان فأحدهما يريد إحياء هذا والآخر يريد إِماتته، أحدهما يريد إغائة هذا والآخر لا يريد ذلك !! وقد قال تعالى:

{ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون } (١)

{ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم } (٢).

ويقول صاحب كتاب (الفارق بين المخلوق والخالق) في الرد على النصارى لادعائهم بنوة المسيح لله تعالى.

>> فأما جعل المسيح ابن الله أي مولوداً منه كما أطلقتم ذلك فانه مردود عقلاً

ونقلًا:

أما من جهة العقل فإن الإله يجب ان يكون واجب الوجود لذاته فولده إما أن يكون أيضاً واجب الوجود أو لا يكون، فإن كان واجب الوجود لذاته كان مستقلاً بنفسه قائماً بذاته لاتعلق له في وجوده بالآخر، ومن كان كذلك لم يكن مولوداً البتة لأن المولودية تشعر بالفرعيه والحاجة، وإن كان ذلك المولود ممكن الوجود لذاته فحينئذ يكون وجوده بايجاد واجب الوجود لذاته، ومن كان كذلك فيكون مخلوقاً لا ولداً فثبت أن من عرف أن الإله ماهو امتنع ان يُثبت له الولد.

ثم إن الولد يحتاج أن يقوم مقام والده بعد فنائه وهذا انما يعقل في حق من يفنى، أما من تقدس عن ذلك فلا يعقل الولد في حقه.

(١) سورة الأنبياء : آية ٢٢

(٢) سورة لقمان : آية ١٣

ثم إن الولد لابد وأن يكون متولداً من جزء من أجزاء الوالد وهذا لا يعقل إلا في حق من يكون مركباً، ويمكن انفصال بعض أجزائه عنه، وهذا في حق الواحد الأحد الفرد الواجب لذاته محال.

ثم إن هذا في حق امتناع الولد على الله مطلقاً مع عموم من يقول بذلك، وأما النصرانية التي تقول أن عيسى حدث من غير أب ولانطفة فنقول مسلم لكم ذلك إلا ان الله تعالى اخرجه إلى الوجود من غير سبق الأب فقد حدث ودخل في الوجود. ويقال لهم: إما ان تريدوا بكونه ولداً لله تعالى انه أحدثه على سبيل الابداع من غير نطفة والد.

وإما ان تريدوا بكونه ولد الله تعالى كما يكون الانسان ولداً لأبيه.

وإما أن تريدوا بكونه ولد الله تعالى أمراً ثالثاً مغايراً لهذين المفهومين.

أما الأول فباطل لأنه تعالى يحدث الحوادث في مثل هذا العالم الأسفل بناءً على اسباب معلومة، والنصارى يسلمون إن العالم جميعه محدث فيلزم الاعتراف بانه تعالى خلق السموات والأرض من غير سابقة مادة، فإذا كان كذلك وجب ان يكون احداثه للسموات والأرض ابداعاً، فابداعه لعيسى عليه السلام مثله، ولو وجب ان يكون والداً له بهذا الابداع لزم أن يكون والداً للسموات والأرض لكونه أبداعهما كابداع عيسى.

واما الثاني: وهو ان يكون مرادهم من الولادة الأمر المعتاد في الحيوانات فهذا أيضاً باطل لان تلك الولادة لاتصح الا ممن كانت له صاحبة وشهوه، وينفصل عنه

جزء ويحتبس في الرحم، وهذا لا يثبت الا في حق الجسم الذي يصح عليه الاجتماع والافتراق وغيرهما من الاعراض وذلك على خالق العالم محال.

واما اثبات الولد لله تعالى بناء على أمر ثالث مغاير لهذين المفهومين فذلك باطل لانه غير متصور ولا مفهوم عند العقل فثبت بالبدهة بطلان ما ذهب اليه النصارى << (١)

والنصارى إن اعتقدوا بالوهية المسيح فإنهم بذلك يوجبون القول بماثله لله تعالى، كما يوجبون القول بوجوب وجوده وقدمه فهما إذاً على اعتقاد النصارى متماثلين يجب لأحدهما ما يجب للآخر ويمتنع عن أحدهما ما يمتنع عن الآخر، ولكن المسيح عليه السلام ممكن الوجود لأنه قد كان زمان لم يكن فيه موجوداً فيلزم من قولهم بالوهيته القول بأنه قديم وحادث وأنه واجب الوجود وممكن الوجود في نفس الوقت وهذا جمع بين النقيضين وهو محال..

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

>> ويدل العقل على أن المثليين اللذين يسد أحدهما مسد الآخر يجب لأحدهما ما يجب للآخر، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه، ويجوز عليه ما يجوز عليه، فلو كان للخالق مثل للزم أن يشتركا فيما يجب، ويجوز ويمتنع.

والخالق يجب له الوجود والقدم ويمتنع عليه العدم فيلزم أن يكون المخلوق

(١) العلامة عبد الرحمن الباجه جي زاده، تصحيح: عبد المنعم درويش، ط

واجب الوجود قديماً أزلياً لم يعدم قط، وكونه محدثاً مخلوقاً يستلزم أن يكون معدوماً، فيلزم ان يكون موجوداً معدوماً قديماً محدثاً، وهو جمع بين النقيضين يمتنع في بداهة العقول وأيضاً فالمخلوق يمتنع عليه القدم، ويجب له سابقة العدم، فلو وجب للخالق القديم مايجب له لوجب كون الواجب القدم واجب الحدوث بعد العدم، وهذا جمع بين النقيضين، فالعقل الصريح يجزم بأن الله ليس كمثله شيء» (١).

«وأنتم أيضاً تلعنون من قال: إن المسيح ليس هو إله حق من إله حق، ولا هو مساوي الأب في الجوهر، ومن قال: إنه ليس بخالق ومن قال إنه ليس يجالس عن يمين أبيه» (٢).

«وتلعنون أيضاً مع قولكم إنه الخالق من قال: إنه الأب، والأب هو الخالق، فتلعنون من قال هو الأب الخالق ومن قال: ليس هو الخالق، فتجمعون بين النقيضين» (٣).

والنصارى يفرقون بين الكلمة والتي يفسرونها بالعلم والحكمة ويقصدون بها المسيح عليه السلام!! وبين صفة الحياة فيعتقدون بأن (صفة العلم والحكمة) مولودة منه غير مخلوقه من قبل كل الدهور.

أما الأخرى وهي صفة الحياة فيرون بأنها ليست مولودة من الأزل، وإنما هي منبثقة منه، ولا يخفى على القارئ الكريم بأن ذلك تفريق بين صفتين متماثلتين وفي هذا

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج ٢، ص ١٠٣، مطابع المجد
(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج ٣، ص ١٧٧
(٣) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

التعبير ما لا يخفى من التناقض الظاهر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

>> فيقال: مَنْ مِنَ الأنبياء سُمى شيئاً من صفات الله مولوداً قديماً أزلياً؟

فكيف يكون مولود قديم أزلي؟ وهل يعقل مولود إلا محدثاً؟!.

وايضاً فإذا جاز أن تكون الكلمة التي يفسرونها بالعلم أو الحكمة

مولودة منه، فكذلك الحياة تكون مولودة منه، وإن كانت حياته منبثقة منه فكلمته

منبثقة منه.

فجعل إحدى الصفتين الأزليتين مولودة من الأزل غير منبثقة، والأخرى

ليست مولودة من الأزل، بل منبثقة، مع كونه باطلاً، فهو متناقض وتفريق بين

المتماثلين.

فإنه إن جاز أن يقال للصفة القديمة الأزلية: إنها مولودة منه فالحياة مولودة،

وإن جاز أن يقال: إنها منبثقة، فالكلمة منبثقة.

وأيضاً فكون الصفة إلهاً خالقاً، وإثبات ثلاثة آلهة خالقين مع قولهم: إن

الخالق واحد تناقض آخر >> (١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على النصارى لزعمهم أن

(١) الجواب الصحيح، ج ٣، ص ٥٨

كلمة الله تعالى والتي يقصدون بها المسيح عليه السلام هي الخالق، ويثبت رحمه الله فساد قولهم وأنهم يتكلمون بما لا يفهمونه، ويقولون بالكذب والكفر المتناقض، يقول ما نصه:

<< قولكم : > بعث كلمته الخالق التي بها خلق كل شيء > وقد نظقت الكتب بأن الله يخلق الأشياء بكلامه فيقول لها: { كن فيكون } هكذا في القرآن والتوراة وغيرها.

لكن الخالق هو الله تعالى يخلق بكلامه، ليس كلامه خالقاً.

ولا يقول أحد قط : إن كلام الله خلق السموات والأرض.

والتوراة كلام الله، والإنجيل كلام الله، ولا يقول أحد: إن شيئاً من ذلك خلق السموات والأرض، ولا يقول أحد: يا كلام الله اغفر لي وارحمني.

فقول هؤلاء : إن كلمته هي الخالق وإنه خلق بها، كلام متناقض.

فإنها إن كانت هي الخالق، لم تكن هي المخلوق به، فالمخلوق به ليس هو الخالق.

وقولكم < كلمة الله الخالق > أهي كلام الله كله، أم هي بعض كلام الله، أم هي المعنى القائم بالذات الأزلي.. أم حروف وأصوات قديمة أزلية كما يقول بعض الناس، أم هي الذات المتكلمة؟

فإن كانت هي الذات المتكلمة فهي الأب والرب، وتكون هي الموصوفه بالحياة، فلا يكون هناك كلام مولود، ولا كلمة أرسلت ولا غير ذلك مما ذكره، وهذا

خلاف قولهم كلهم، فإن الكلمة المتحدة بالمسيح ليست هي الأب عندهم وإن قالوا:
بل هي كلام الله كله.

قيل لهم : فيكون المسيح هو التوراة، والانجيل، والقرآن، وسائر كلام الله
وهذا لا يقولونه، ولم يقله أحد ولا يقوله عاقل.

وإن قالوا: إنها هي المعنى الواحد القديم الأزلي، أو الحروف والأصوات
القديمة الأزلية.

قيل لهم : هذان القولان وإن كانا باطلين، فإن قلتَ بهما لزمكم أن يكون
المسيح هو كلام الله كله، فإن هذين عند من يقول بهما - هما جميع كلام الله.

والتوراة، والإنجيل، وسائر كلام الله، عبارة عن ذلك المعنى القائم بذات الله،
وهو الحروف، والأصوات القديمة القائمة بالذات عند من يقول بهذين.

وإن قلتَ : إن المسيح بعض كلمات الله، فحينئذٍ لله كلمات أخر غير المسيح،
فاجعلوا كل كلمة خالقاً، كما جعلتم الكلمة المتحدة بالمسيح خالقاً، إذ كنتم تقولسون:
<الكلمة هي الخالق بها > فقولوا سائر كلمات الله: إنها خالقه مخلوق بها، وحينئذٍ
فيتعدد الخالق بتعدد كلمات الله.

وإذا كانت كلمات الله لانهاية لها، كان للخلق خالقون لانهاية لهم، وهذا
غاية الباطل والكفر.

وبالجملة أي شيء فسروا به الكلمة تبين فساد قولهم، ولكنهم يتكلمون بما
لا يفهمونه، ويقولون الكذب والكفر المتناقض، وإنما عندهم تقليد من أضلهم. كما
قال تعالى:

{ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قومٍ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل } (١).

وينقض شيخ الإسلام ابن تيمية ادعاءات ومزاعم النصارى، بأن الصفة القديمة الأزلية (صفة العلم) لله تعالى ولدت مرتين! ولادة قديمة أزلية، وولادة حادثة من مريم!! ويثبت - يرحمه الله - بأن هذا كذب وافتراء، ولم ينقل أحد عن أنبياء الله تعالى أنهم قالوا ذلك.

وفيما يلي نص حديثه :

>> ويقال لهم : ما لم يعلم بالمعقول، فليس في المنقول ما يدل عليه، وأنتم لاتدعون أنكم عرفتموه بالعقل، ولكن بما نقل عن الأنبياء وأنتم قد فسرتم كلمته بعلمه وحكمته، وروح القدس بحياته فعن أي نبي تنقلون أن علم الله وحكمته مولودة منه وأنه يسمى ابناً >> (٢)

>> وليس في الأنبياء من سمى شيئاً من صفات الرب ولداً له ولا ابناً، ولا ذكر أن الله ولد شيئاً من صفاته، فدعواكم أن صفته القديمة الأزلية ولدت مرتين، مرة ولادة قديمة أزلية، وولادة حادثة من فرج مريم، كذب معلوم على الأنبياء لم يقل أحد منهم: إن الله ولد، ولا إن شيئاً من صفاته ولده، لا ولادة روحانيه، ولا ولادة جسمانيه >> (٣).

(١) سورة المائدة : آية ٧٧

انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج ٣، ص ٥٤-٥٦

(٢) ، (٣) المرجع السابق، نفس الصحيفة

>> ويزعم النصارى أن الله سبحانه وتعالى بعث كلمته الخالقه - والتي يقصدون بها المسيح عليه السلام فاحتجبت بانسان مخلوق، ويقصدون به ناسوت المسيح لرعمهم أنه يتكون من جزئين لاهوتي وناسوتي.

ويزعم النصارى أن الله تعالى جعل الكلمة الخالقه احتجبت بإنسان مخلوق لنفسها بمسرة الأب وموازرة روح القدس خلقاً جديداً.

وإذا كانت هي الخالقة بمسرة الأب الخالق على الخلق، فالأب لم يخلقه بل سر بذلك، وروح القدس وازرت ذلك، والخالق خلق الخلق.

ومعلوم أنه إذا كان للخالق من يوازره على الخلق، لم يكن مستقلاً بالخلق بل يكون له فيه شريك.

فهذه الكلمة، تارة يقولون: هي الخالقه، وتارة يقولون: خلق بها الخلق فخلقت، وتارة يقولون: إن روح القدس وازرها في الخلق، فهذه أربعة أقوال ينقض بعضها بعضاً.

فإن كان الله هو الخالق لكل شئ فالخالق واحد، فليس هناك خالق آخر ولاشريك له في الخلق.

والخالق إذا خلق الأشياء بقوله { كن } لم يكن كلامه خالقاً، ولو كانت كل كلمة إلهاً خالقاً، لكان الآلهة الخالقون كثيرين لانهاية لهم >> (١)

(١) المرجع السابق، ص ٥٧ - ٥٨

>> وأنكم اذا جعلتم الله نفساً ساكناً في المسيح، فوز انه أن تكون الشمس نفسها ساكنة في موضع صغير من الأرض.

وهذا التمثيل يبطل قولكم: إن الله أعلا وأعظم وأجل وأكبر، والله أجل وأكبر وأعظم من كل شيء، والشمس آية من آياته، ومخلوق من مخلوقاته، ومع هذا فلو قال قائل: إن الشمس سكنت في جوف امرأة وخرجت من فرج تلك المرأة، لكان كل عاقل يعلم فساد قوله، وينسبه إلى الجهل العظيم أو الجنون، وسواء قال: إن الشمس نفسها نزلت، أو لم تنزل.

وأنتم تقولون: إن رب العالمين سكن في بطن مريم، ويقول أكثركم - كالملكية واليعقوبية^(١): إنه خرج من فرج مريم.

ولو قال قائل عما هو من أصغر مخلوقات الله كوكب من الكواكب، أو جبل من الجبال، أو صخرة عظيمة: إن ذلك كان في بطن امرأة وخرج من فرجها، لضحك الناس من قوله، فكيف بمن يدعي مثل ذلك في رب العالمين؟! >>^(٢)

>> ومن جوز عقله أن يكون رب العالمين خرج من فرج مريم وهي بكر فقد جعل رب العالمين يخرج من ثقب صغير، وهذا أعظم ما يكون من الامتناع. ومن جوز عليه هذا، جوز عليه أن يخرج من كل ثقب مثل ذلك الثقب وأكبر منه، وجوز أن يخرج رب العالمين من فم كل حيوان وفرجه، ومن شقوق الأبواب وغير ذلك من الثقوب.

(١) انظر: ص ٢٦٠، ٢٦٢ من هذه الرسالة ومابعدهما.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٧

وإن قالوا : ذاك مكان طاهر، قيل : أفواه الأنبياء والصالحين أطهر من كل فرج في العالم، فيجوز أن يخرج من فم كل نبي وولي لله، ومن اذنه، ومن أنفه، فإن هذه الحروق والثقوب أفضل من فروج النساء، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فهؤلاء النصارى يقولون إن كون الله مولوداً من فرج مريم، غير كونه مولوداً في الأزل من الأب، بل هما ولادتان، روحانيه وجسمانية.

وهم إذا طولبوا بتفهم ما يقولونه وقيل لهم: هذا لا يتصور أن يكون رب العالمين يخرج من ثقب ضيق، لافرج، ولا فم، ولا أذن، ولا غير ذلك من الأثقاب، قالوا: هذا فوق العقل، واعترفوا بأن هذا لا يتصوره العقل.

فيقال لهم: هذا الكلام لم يقله نبي من الأنبياء، ولم ينطق نبي من الأنبياء بأن مريم حملت برب العالمين وولده، بل ولا نطق نبي من الأنبياء بأن الله مولود ولا شيء من صفاته مولود، لاعلمه، ولا حياته، ولا غير ذلك << (١)

ويلزم النصارى بمقتضى اعتقادهم (بينوة المسيح لله تعالى) يلزمهم بأن عقيدتهم هذه توجب القول بوجود صاحبه لله تعالى - تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً - وذلك لأن القول بوجود الإبن يلزم القول بوجود صاحبه على أي معنى فسرت هذه الولاده، ولذلك فكيف إذاً يثبت الفرع الملزوم بدون ثبوت الأصل اللازم؟

(١) انظر: الجواب الصحيح، ج ٣، ص ٤٩

>> يوجد كثير من عوام النصارى يعتقدون أن المسيح ابن الله البنوة المعروفة في المخلوقات، ويقولون: إن مريم زوجة الله، وهذا لازم لعامة النصارى وإن لم يقولوه فإن الذي يلد لابد له من زوجه.

ولهذا قال تعالى: { أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبه وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم } (١).

>> وجعل الرب والد المولود أنكر في العقول من إثبات صاحبة له سواء فسرت الولادة بالولادة المعروفة أو بالولادة العقلية التي يقولها علماء النصارى، فإن من أثبت صاحبة له يمكنه تأويل ذلك كما تأولوا هم الولد، ويقولون: إن الأب ولدت منه الكلمة، ومريم ولد منها الناسوت، واتحد الناسوت باللاهوت، فكما أن الأب أب باللاهوت لبالناسوت، ومريم أم للناسوت لاللاهوت، فكذلك هي صاحبة للأب بالناسوت، واللاهوت زوج مريم بلاهوته، كما أنه أب للمسيح بلاهوته، وإذا اتحد اللاهوت بناسوت المسيح مدة طويلة فلماذا يمتنع أن يجتمع اللاهوت بناسوت مريم مدة قصيرة، وإذا جعل الناسوت الذي ولدته ابناً للاهوت فلا شيء لا تجعل هي صاحبة وزوجة للاهوت فإن المسيح عندهم اسم لمجموع اللاهوت والناسوت، وهو عندهم إله تام وإنسان تام، فلاهوته من الله وناسوته من مريم، فهو من أصلين: لاهوت وناسوت، فإذا كان أحد الأصلين أباه والآخر أمه فلماذا لا تكون أمه زوجة أبيه بهذا الاعتبار، مع أن المصاحبة قبل البنوه؟ فكيف يثبت الفرع الملزوم بدون ثبوت الأصل اللازم؟ << (٢)

(١) سورة الأنعام: آية ١٠١

(٢) الجواب الصحيح، ج ٢، ص ٩٦

« فأما ما يقوم بالموصوف من صفاته اللازمة له، فهذا أبعد شيء عن أن يسمى هذا الملزوم ولادة، بل لا تكون الولادة إلا عن أصلين.

وكل من قال : إن لله ولدا، لزمه أن تكون له صاحبة بأي وجه فسر الولادة، وأن يكون له ولد حادث، ولهذا قال تعالى :

{ وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه
وتعالى عما يصفون بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبه
وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم } (١)

(١) سورة الأنعام : آية ٩٩ ، ١٠٠

(وخلقهم) في معنى الكناية وفيها قولان: أحدهما انها تعود إلى الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف يكون شريك الله من هو محدث مخلوق والقول الثاني: أن الكناية تعود إلى الجاعلين لله شركاء فيكون المعنى: وجعلوا لله الذي خلقهم شركاء لا يخلقون شيئاً وهذا كالدليل القاطع بأن المخلوق لا يكون شريكاً لله، وكل ما في الكون محدث مخلوق، والله تعالى هو الخالق لجميع ما في الكون فامتنع أن يكون لله شريك في ملكه،

(وخرقوا له) أي اختلقوا وكذبوا، يقال اختلق واخترق على فلان إذا كذب عليه، وذلك ان النصارى وطائفة من اليهود ادّعوا أن لله ابناً، وكفار العرب ادّعوا أن الملائكة بنات الله، وكذبوا على الله جميعاً فيما ادعوه.

وقوله (بغير علم) كالتنبيه على ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول لأن الولد جزء من الأب، والله سبحانه وتعالى لا يتجزأ، فثبت بهذا فساد قول من يدعي أن لله ولداً ثم نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد، وعن هذه الأقاويل الفاسده <<

انظر : تفسير الخازن، ج ٢، ص ٤٠، ط دار المعرفة بيروت.

فاستفهم - تعالى - استفهام إنكار، يبين امتناع أن يكون له ولد، إذا لم تكن له صاحبه فإن الولد لا يكون إلا من أصلين، وهذا مما ينبغي أن يتفطن له، فإن جعل ما يلزم الشيء الواحد متوالداً عنه، لا يعرف، لاسيما صفاته القائمة به اللازمة له كعلمه، وحياته، لاسيما الصفات القديمة الأزلية لذات رب العالمين، الذي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها، فإن صفات العبد اللازمة له، كحياته، وقدرته ونحو ذلك، ليست متولدة عنه عند جميع العقلاء >> (١).

>> وسائر الطوائف الذين أثبتوا لله ولداً، جعلوه حادثاً منفصلاً عنه.

فأما جعل صفته القائمة به ولداً له ومولوداً، فهذا لا يعرف عن غير النصارى فإذا أثبتوا له ولداً وابناً غير مخلوق، والصفة القائمة به اللازمة له، لم تتولد عنه، ولا تسمى ابناً ولا ولداً عند أحد من الأنبياء وغيرهم، تعين أن يكون الولد، إما جزءاً منفصلاً عنه، وإما معلولاً له صادراً عنه بغير قدرته ومشيتته، وأي من القولين قالوه، فهم فيه كفار مضاهئون لقول الذين كفروا من قبل >> (٢)

وينقل صاحب كتاب (منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب) مناظرة وقعت بين أحد العلماء وبين بعض النصارى، وفيها يزعم النصراني المناظر بأن عيسى عليه السلام ليس نبياً وإنما هو إلهاً - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - . >> قال النصراني : إني لأقول في عيسى أنه كان نبياً، بل أقول كان إلهاً،

(١) انظر : الجواب الصحيح، ج ٣، ص ١٨٠ ، ١٨١

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٦

فقلت له: هذا الذي تقوله باطل، لأن الإله هو واجب الوجود لذاته، وعيسى هو هذا الشخص البشري الذي وجد بعد أن كان معدوماً، وقتل - علي قولك - بعد أن كان حياً، فكان أولاً طفلاً، ثم صار مترعراً، ثم صار شاباً، وكان يأكل ويشرب ويحدث، وينام، ويستيقظ، وقد تقرر في بداية العقول أن المحدث لا يكون قديماً، والمحتاج لا يكون غنياً، والممكن لا يكون واجباً، والمتغير لا يكون دائماً >> (١).

ويقول الإمام أبي عبيده الخزرجي في كتابه الذي أجاب فيه على قسيس من القوط (٢) كتب إليه يدعوه إلى الدخول في النصرانية المحرفة ويؤمن بأن المسيح ابن الله !! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً:

>> أخبرني أيها المخدوع عن هذين الربين :

من خلق منهما صاحبه؟ فالمخلوق منهما ضعيف عاجز، ليس باله، وإذا أراد أمراً، لمن الحكم منهما؟ فان كان أحدهما مضطراً إلى مشاورة الآخر، ومساعدته، كان المضطر عاجزاً مقهوراً ولم يكن الهاً قادراً، وان كان قادراً على مخالفته، ومدافعته فهو اذن اله مداهن، ويكون الآخر ضعيفاً عاجزاً مقدوراً عليه.

أما تعلم أيها المغرور أنه: { لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا } (٣).

(١) نقلا عن الشيخ عبد العزيز بن حمد آل معمر، ط ٢، ص ١٦٤

(٢) من القبائل الأوربية وحدث ذلك في مدينة قرطبه الأسبانية.

انظر: أبي عبيده الخزرجي (بين الإسلام والمسيحية)، تحقيق: د. محمد شامه، ص ٥٣

(٣) سورة الأنبياء: آية ٢٢

>> ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله، إذن لذهب كل إله بما خلق
ولعلا بعضهم على بعض، سبحان الله عما يصفون <<(١).

وتذكر مجلة *The Jerusalem Quarterly* والتي تصدر في القدس باللغة الإنجليزية:
أن الذي قاد إلى تأليه المسيح تقديسه في العهد الجديد، وأن عوام المسيحيين كان
لديهم اعتقادات قديمة بآلهة من أصل بشري.
وفيما يلي ترجمة النص من اللغة الانجليزية :

>> وفي العهد الجديد نجد أن تقديس المسيح قد قاد المسيحية الى الاعتقاد
بالوهية المسيح، ومؤلفوا العهد الجديد كان لا يزال لديهم الرادع الذاتي اليهودي
الذي منعهم من الاعتقاد بالألوهية الكاملة للمسيح (٢) ولكن بالنسبة للمسيحيين من
الأميين لم يكن لديهم هذا الرادع لان اعتقادهم بالإله مرن (٣) وذلك لاعتقادهم بعدة
آلهه كان بعض تلك الآلهه من أصل بشري، وفي الواقع حتى في اوائل القرن الثاني
كانت ألوهية عيسى غير متبلورة، فكما جاء عن (اجناشيس) اسقف انطاكية بأن
عيسى كان الهاً وقد تجسد (٤) وظهر على هيئة انسان بينما (بولي كارب) اسقف
سيميرنا، والزمل الاصغر (لاجناشيس) لم يقل بأن عيسى إله، ولكنه سماه ابن
الله <<(٥).

-
- (١) سورة المؤمنون : آية ٩١
انظر : المرجع السابق، ص ١٧٨ ، ١٧٩
(٢) ماعدا كاتب إنجيل يوحنا فقد صرح ببنوة المسيح وألوهيته، تعالى الله عما
يقولون علواً كبيراً. انظر مثلاً يوحنا ١٤ : ١٠-١٢
(٣) الأحرى به أن يقول منحرف.
(٤) للحديث عن التجسد انظر ص ٤٨١ من هذه الرسالة.
(٥) انظر: *Summer, Vol.24, 1982, p.78*

ويواصل كاتب المقال حديثه: >> والمؤكد أن الأفكار والإعتقادات المسيحية التي اتجهت نحو تأليه عيسى إنما كانت لأن وضع عيسى كإله هو الذي يكسب تبجيل واحترام الأميين >> (١)

ويلاحظ القارئ الكريم في هذا المقال شهادة من كتاب اليهود على النصارى بأنهم قد اقتبسوا عقيدة تأليه المسيح من أقوام قد سبقوهم إليها كانوا يعتقدون بآلهة من أصل بشري.

كما أن تقديس المسيح في الأناجيل الحالية قد قاد المسيحيين إلى تأليهه - كما يقول المقال السابق - إذاً فلم تكن عقيدة بنوة المسيح أو ألوهيته عقيدة أصلية في المسيحية، وإنما هي عقيدة مقتبسه ومأخوذه من أقوام قد سبقوهم إليها (٢).

وقد أوردنا المقال السابق لإثبات شهادة كتاب اليهود ضد عقيدة النصارى في ألوهية المسيح ليس إلا، وإنما العقيدة الأصلية للمسيحية وهي عقيدة التوحيد الخالصة لله تعالى قد أثبتها القرآن الكريم وأكد عليها في كثير من آياته كما سيتضح ذلك فيما يلي.

(١) المرجع السابق، نفس الصحيفة

(٢) انظر : ص ٣٦٣ من هذه الرسالة.

المسألة السادسة

إبطال (عقيدة) بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته نقلاً

أولاً: من القرآن الكريم:

فبالإضافة إلى الآيات السابقة والتي ذكرناها في معرض إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته عقلاً، فهناك الكثير من آيات الذكر الحكيم، والتي تبطل هذه الشبهة.

من هذه الآيات قوله تعالى في سورة التوبة:

{ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون، اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا الله إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون } (١)

>> والقائلون بهذا المذهب بعض اليهود إلا أن الله نسب ذلك القول إلى اليهود بناء على عادة العرب في إيقاع اسم الجماعة على الواحد >> (٢)

ويقول الإمام الفخر الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة:

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٠-٣٢

(٢) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير) ج ١٦، ط ٢، ص ٣٣

>> وأما حكاية الله عن النصارى أنهم يقولون: المسيح ابن الله، فهي ظاهرة لكن فيها إشكال قوي، وهي أنا تقطع أن المسيح صلوات الله عليه وأصحابه كانوا ميرئين من دعوة الناس إلى الأبوة والبنوة، فان هذا أفحش أنواع الكفر، فكيف يليق بأكابرة الأنبياء عليهم السلام؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف يعقل إطباق جملة محبي عيسى من النصارى على هذا الكفر؟ ومن الذي وضع هذا المذهب الفاسد؟ وكيف قدر على نسبته إلى المسيح عليه السلام؟

فقال المفسرون في الجواب على هذا السؤال: إن أتباع عيسى عليه السلام كانوا على الحق بعد رفع عيسى حتى وقع حرب بينهم وبين اليهود، وكان في اليهود رجل يقال له بولس قتل جمعاً من أصحاب عيسى، ثم قال لليهود إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا، ونحن مغبونون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار، وإني احتال فأضلهم وأظهر الندامة مما كان يصنع ووضع على رأسه التراب، وقال نوديت من السماء ليس لك توبة إلا أن تنتصر، وقد تبت فأدخله النصارى الكنيسة، ومكث سنة لا يخرج وتعلم الإنجيل فصدقوه وأحبوه، ثم مضى إلى بيت المقدس واستخلف عليهم رجلاً اسمه نسطور، وعلمه أن عيسى ابن مريم والإله كانوا ثلاثة، وتوجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت، وقال ما كان عيسى إنساناً ولا جسماً ولكنه الله، وعلم رجلاً آخر يقال له يعقوب ذلك، ثم دعا رجلاً يقال له ملكاً فقال له: إن الإله لم يزل ولا يزال عيسى، ثم دعا لهؤلاء الثلاثة وقال لكل واحد منهم أنت خليلي فادع الناس إلى إنجيلك، ولقد رأيت عيسى في المنام ورضى عني، واني غدا أذبح نفسي لمرضاة عيسى، ثم دخل المذبح فذبح نفسه، ثم دعا كل واحد من هؤلاء الثلاثة الناس إلى قوله

ومذهبه، فهذا هو السبب في وقوع الكفر في طوائف النصارى >> (١)

ويضيف الإمام الفخر الرازي:

>> والأقرب عندي أن يقال لعله ورد لفظ الابن في الانجيل على سبيل التشریف، كما ورد لفظ الخليل في حق ابراهيم على سبيل التشریف، ثم إن القوم (٢) لأجل عداوة اليهود ولأجل أن يقابلوا غلوهم الفاسد في أحد الطرفين (٣) بغلو فاسد في الطرف الثاني، بالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية، والجهال قبلوا ذلك، وفشا هذا المذهب الفاسد في أتباع عيسى عليه السلام والله أعلم بحقيقة الحال >> (٤).

وحين يستجوب الله سبحانه وتعالى المسيح عليه السلام وهو علام الغيوب فيما إذا كان قد دعا إلى أن يتخذة الناس وأمه إلهين من دون الله فيجيب من فوره بعد تزييه لله تعالى بأنه ما يكون له أن يقول ذلك ويجيب وهو في مقام الخضوع والذل من الله تعالى، وأكد عليه السلام بأنه قد أمرهم بعبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد:

(١) المرجع السابق، ص ٣٤

(٢) يقصد: النصارى

(٣) أي أن النصارى أرادوا أن يقابلوا غلو اليهود في ادعاء عزير ابن الله بغلو آخر من طرفهم في ادعاء المسيح ابن الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً

(٤) المرجع السابق، نفس الصحيفة

يقول الله تعالى:

{ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب. ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد. إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم. قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم } (١)

ويقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية:

>> وأعلم أن الله تعالى لما سأل عيسى هل قلت كذا لم يقل عيسى بأني قلت أو ما قلت بل قال ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، وهذا ليس بحق ينتج ما يكون لي أن أقول هذا الكلام، ولما بين أنه ليس له أن يقول هذا الكلام شرع في بيان أنه هل وقع هذا القول منه أم لا فلم يقل بأني ما قلت هذا الكلام، لأن هذا يجري مجرى دعوى الطهارة والتزاهة، والمقام مقام الخضوع والتواضع، ولم يقل بأني قلته بل فوض ذلك إلى علمه المحيط بالكل.

فقال: {إن كنت قلته فقد علمته} وهذا مبالغة في الأدب وفي إظهار الذل

والمسكنة في حضرة الجلال وتفويض الأمور بالكلية الى الحق سبحانه >> (١)

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٦-١١٩

(٢) التفسير الكبير، ج ١٢، ط ٢، ص ١٣٤

وفي الآية الكريمة التالية يبين الله سبحانه وتعالى بأن المسيح ليس إلا رسول كبقية رسل الله تعالى، وأمه الصديقة الطاهرة، وقد كانا يأكلان الطعام، وفي هذا كناية عن الحدث، لأن كل من أكل الطعام أحتاج إلى التخلص من بعض عناصره الضارة فلا بد أن يحدث ، إذا فهما متساويان مع بقية البشر في هذه الصفات، وفي ذلك دليل على بشريتهما.

يقول الله تعالى:

{ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون. قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم }^(١)

ويقول الإمام الألوسي في تفسيره لهذه الآية الكريمة:

>> وهو كناية عن قضاء الحاجة لأن من أكل الطعام احتاج إلى النفض، وهذا أمرٌ ذوقاً في أفواه مدعي ألوهيتهما لما في ذلك من الدلالة على الاحتياج المنافي للألوهية بشاعة عرفية، وليس المقصود سوى الرد على النصارى في زعمهم المنتن واعتقادهم الكريه، قيل: والآية في تقديم مالهما من صفات الكمال وتأخير ما لأفراد جنسهما من نقائص البشرية <<^(٢)

وفي الآية الكريمة التالية تأكيد على أن المسيح عبد من عبيد الله تعالى،

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٥-٧٦

(٢) روح المعاني، ج ٦، ص ٢٠٩

وقد أنعم الله عليه وشرفه بالنبوة والرسالة، كما أكد الله تعالى بأنه علم للساعة أي أن نزوله في آخر الزمان علامة من علامات قيام الساعة وشرط من أشراتها^(١)

قال تعالى:

{ ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون. وقالوا ءألهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون * إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبي إسرائيل * ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون * وإنه لعلم للساعة فلا تترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم }^(٢)

ويقرر الله تعالى بأن المسيح عليه السلام نفسه لن يستكبر ولن يأنف ان يكون عبداً من عبيد الله تعالى يعبده ولا يشرك به شيئاً كما كان يدعو عليه السلام إلى ذلك

قال تعالى:

{ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً }^(٣)

<< والاستنكاف استفعال من النكف وأصله نكفت الشيء نخيته >>^(٤)

والاستنكاف تكبر في تركه أنفه.

(١) انظر: ص ٣٤١ وما بعدها من هذه الرسالة

(٢) سورة الشورى : الآيات : ٥٧-٦١

(٣) سورة النساء : الآية : ١٧٢

(٤) أنظر: الإمام الألويسي (روح المعاني) ج ٦، ص ٣٧

(٥) سورة الإخلاص

(٦) سورة مريم : آية ٣٠

وهذا تأكيد منه عليه السلام بأنه لا يعدو أن يكون عبداً من عبيد الله الصالحين وممن أنعم الله عليهم وشرفهم بالنبوة والرسالة >> فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله تعالى وبربوبيته، رداً على من غلاماً من بعده في شأنه >> (١).

ثانياً : ابطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته من السنة النبوية المطهرة

وقد وردت عدة نصوص من السنة النبوية المطهرة تنفي شبهة النصارى في اتخاذ الله الولد - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً-، والنص عام في نفي الولد عن الحق عز وجل سواء قصد بالإبن المسيح عليه السلام أو غيره.

>> عن سعيد بن جبير عن أبي عبد الرحمن السلمى عن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليس أحد - أو ليس شئ - اصبر على أذى سمعه من الله إنهم ليدعون له ولداً، وإنه ليعافهم ويرزقهم >> (٢).

>> عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقله لي ولد فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولداً >> (٣).

(١) انظر : الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ط دار احياء التراث، ج ١١

(٢) انظر : فتح الباري (شرح صحيح البخاري)، ط دار المعرفة، ج ١٠، كتاب الأدب، باب الصبر على الأذى، ص ٥١١

(٣) انظر : فتح الباري (شرح صحيح البخاري)، ط دار المعرفة، ج ٨، كتاب تفسير القرآن، باب (وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه)، ص ١٦٨

ثالثاً : إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته من إنجيل برنابا (١).

ونحن إذ ننقل بعض النصوص من إنجيل برنابا ليس لأننا في حاجة إليه أو إلى ما يماثله لكي ندعم حقيقة عقيدتنا الإسلامية، لأن في كتابنا الكريم ودستورنا العظيم ما يغنيننا وما يثلج صدورنا لكي لانلجأ إلى غيره، ولأننا نستدل بالقرآن لإنجيل برنابا، والعكس غير صحيح، وإنما غرضنا هو الدفاع عن عقيدة المسيح عليه السلام الحقيقيه وهو أنه عبدالله ورسوله.

ويؤكد النص التالي من إنجيل برنابا على أن المسيح عليه السلام لا يعدو إلا أن يكون نبياً لله تعالى، كما يؤكد على أن بولس اليهودي (٢) هو السبب في نشر تعاليم الكفر والتي تتضمن دعوى أن المسيح ابن لله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وقد وصف برنابا ذلك بأنه «تعليم شديد الكفر» وهو يحذرهم أن يستمعوا إلى تعاليم تخالف وتضاد ما كتبه في إنجيله هذا.

يقول ما نصه:

«أيها الأعداء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان، الذي أمر به الله دائماً، مجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في

(١) للتعريف بـ (برنابا) وإنجيله، انظر هامش ص ٢٤٤ من هذه الرسالة.

(٢) للتعريف ببولس، انظر هامش ص ٣ من هذا البحث

عدادهم أيضا بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلکم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله، وعليه فأحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد، مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً» (١)

وفي نص آخر في إنجيل برنابا وردت محاوره بينه عليه السلام وبين بعض جنود الرومان الوثنيين - كما يظهر ذلك من سياق النص - وفي نهاية الحوار أخذ المسيح عليه السلام يتحداهم بأن تخلق آلهتهم ذبابة واحدة، فإذا لم تقدر تلك الآلهة على ذلك فإنه لن يترك عبادة الإله الواحد الذي مجرد ذكر اسمه يروع جيوشاً.

والنص من إنجيل برنابا كما يلي :

« فلما جاء يسوع إلى أورشليم ودخل الهيكل يوم سبت اقترب الجنود ليجربوه ويأخذوه وقالوا: « يامعلم أيجوز اصلاء الحرب ؟ ».

أجاب يسوع : « إن ديننا يخبرنا أن حياتنا حرب عوان على الأرض »، قال الجنود: أفتريد إذا أن تحولنا إلى دينك أو تريد أن تترك جم الآلهة (فان لرومية وحدها ثمانية وعشرين ألف إله منظور) وأن تتبع إلهك الأحد» (٢)
«أجاب يسوع لو كنت خلقتكم كما خلقتكم إلهنا لحاولت تغييركم.
أجابوا: « إذا كان لا يعلم أين إلهك فكيف خلقنا ؟، أرنا إلهك تكن يهوداً ».

(١) اصحاح ١ : ٢ - ٩

(٢) ١٥٢ : ١ - ٤

فقال حينئذ يسوع لو كان لكم عيون لأريتكم إياه ولكن لما كنتم عمياناً
فلست بقادر على أن أريككم إياه.

أجاب الجنود : حقاً لا بد أن يكون الاكرام الذي يقدمه لك الشعب قد
سلبك عقلك لأن لكل منا عينين في رأسه وأنت تقول إننا عميان.

أجاب يسوع : ان العيون الجسديه لاتبصر إلا الكثيف والخارجي
فلاتقدرون من ثم إلا على رؤية آلهتكم الحشيبه والفضية والذهبية التي لاتقدر أن
تفعل شيئاً، أما نحن أهل يهوذا فلنا عيون روحية هي خوف إلهنا؟ ودينه،
ولذلك يمكن لنا رؤية إلهنا في كل مكان.

أجاب الجنود: احذر كيف تتكلم لأنك إذا صبيت احتقاراً على آلهتنا
سلمناك إلى يد هيرودس الذي ينتقم لآلهتنا القادرة على كل شيء.

أجاب يسوع: إن كانت قادرة على كل شيء كما تقولون فعفواً لأني
سأعيدها.

ففرح الجنود لما سمعوا هذا وأخذوا يجدون أصنامهم. فقال حينئذ يسوع:
لا حاجة بنا هنا إلى الكلام بل إلى الأعمال، فاطلبوا لذلك من آلهتكم أن تخلق
ذبابة واحدة فأعبدوها.

فراع الجنود سماع هذا ولم يدروا ما يقولون، فقال من ثم يسوع: إذا
كانت لاتقدر أن تضع ذبابة واحدة جديدة فإني لا أترك لأجلها ذلك الإله الذي
خلق كل شيء بكلمة واحدة الذي مجرد اسمه يروع جيوشاً» (١).

رابعاً : إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته من العهد الجديد.

هناك عدة شواهد ونصوص تدل على عبودية المسيح عليه السلام لله تعالى ونحن إذ نورد بعضاً من هذه النصوص ليس لأننا معترفون بصحتها وحجيتها، بل إن الهدف أن نسوق نصوصاً من الكتاب الذي يؤمن به النصارى ويقدمونه دعماً للأدلة السابقة (١).

وفيما يلي ننقل بعض هذه النصوص وعلى سبيل المثال هناك نص من الإنجيل متى:

« ثم أوصد يسوع إلى البرية من الروح ليحرب من إبليس، فبعدها صام أربعين يوماً وأربعين ليلة جاع أخيراً، فتقدم إليه المجرب وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً، فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله، ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل، وقال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك، فعلى أيادهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك، قال له يسوع مكتوب أيضاً لا تجرب إلهك، ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي، حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » (٢).

(١) لن ينسى القارئ الكريم أننا قد ذكرنا في الفصل الأول من هذا البحث بأننا قد بحثنا لنجد أي ذكر للمسيح عليه السلام في العهد القديم فلم نجد له أي ذكر فيه. انظر ص ٣ من هذا البحث.

(٢) ٤ : ١ - ١٠

>> وهذه القصة شاهدة على عبودية المسيح لله سبحانه وتعالى من عدة

وجوه:

الأول : ارسال الروح إياه الى البرية ليختبر من ابليس هل يثبت على التوحيد أم لا.

الثاني : صومه تلك المدة، فانه من جملة القرب التي يتقرب بها الصالحون خصوصاً الأنبياء.

الثالث : جوعه عليه السلام فانه ينافي الربوبية.

الرابع : قول ابليس له: < ان كنت ابن الله > فان هذا يدل على أنه غير الله، لأن الابن غير الآب، والنصارى يقولون: ان الله عبارة عن الآب والابن والروح القدس إله واحد، ولو كان الإله كما يقولون لقال: ان كنت ابن الآب الذي هو احد أقانيم الإله، أو ان كنت أقنوماً في الله أو نحو ذلك.

الخامس : قول المسيح جواباً عما طلب إبليس من تصيير الحجارة خبزاً مكتوب ليس بالخبز وحده يجيا الإنسان، بل بكلمة تخرج من فم الله، يعني انه انسان لا يجيا بالخبز وحده بل به وبالوحي الإلهي المنزل عليه من عند الله تعالى فالأول غذاء بدنه والثاني غذاء روحه.

السادس : إقراره بأن الله واحد، وبأنه لا يعبد أحد سواه، وذلك في قوله < لأنه مكتوب للرب الهك تسجد، وإياه وحده تعبد >.

هذا ومن سفه الرأي وشطط القول أن يقال: إن إله العالمين أضعده الروح القدس إلى البريه ليحرب من إبليس أبغض خلقه إليه، فجعل ينقله من مكان إلى مكان حتى صعد به إلى جبل شاهق، وأراه ممالك العالم، ومناه باعطائها له إن سجد له فياعجباً كيف ينحصر الإله في يد بعض خلقه يصرفه كيف يشاء، وهو خاضع له ممتثل لأوامره، وكيف يصير إنساناً ينقله إبليس من مكان إلى مكان، وكيف يعرض عليه ممالك العالم، وهو يعلم أن بيده ملكوت كل شيء؟!..

فليس في الدنيا مهزأه أعظم من هذه الحرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان << (١).

وهناك نص آخر يقول على لسان المسيح عليه السلام:

<< وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد، ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن - يعني نفسه - إلا الآب >> (٢).

<< فهذا القول شهادة بينة على أنه عبد مربوب إذ لو كان إلهاً بمقتضى الاتحاد والحلول (٣) لما خفي عليه علم الساعة، وليس للنصارى أن يقولوا: إنه نفى عن نفسه باعتبار الناسوت لا اللاهوت لأننا نقول لهم: إنه قصر علمها على الآب، ونفاه عن نفسه وعن غيره من الخلق، فدل ذلك على أن لفظ الابن إنما يقع

(١) انظر: موقف القرآن من عقيدة التثليث ص ١١٩، ١٢٠ نقلاً عن د/ محمود

كريت (إنجيل برنابا بين الإسلام والنصرانية)، رسالة دكتوراه، ص

١٢٨-١٣٠

(٢) مرقس ١٣ : ٣٢

(٣) انظر: ص ٤٨١ من هذا البحث

على الناسوت فقط اذ لا يجوز نفي العلم عن اللاهوت لأن اللاهوت يعلم كل شيء» (١).

وقد جاء بالنص على لسان المسيح عليه السلام قوله:

«أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله» (٢).

«والأركان في هذا النص ثلاثة: كلام مسموع وهو الحق» الله الذي أسمع هذا الحق للمتكلم به، والإنسان الذي تكلم بالحق الذي سمعه من الله. وكل من الثلاثة غير الآخر، وانظر إلى تعريفه إياهم بنفسه في قوله: «أنا إنسان» وهذا بيان مابعد بيان، فلو كان غير ذلك لوضح وقال، ولكنه لم يقل، ولو كان غير ذلك ولم يوضح لكان كاذباً. ومخادعاً لأنه تكلم بغير الحق الذي أخفاه.

ونحن نعتقد أنه صادق في التعريف بنفسه «أنا إنسان» مادام ذلك يتفق مع حقيقة ماهيته كإنسان، وهكذا كان في نظر غيره من معاصريه» (٣) «فخرج بيلاطس إليهم وقال أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان» (٤) «هو ذا إنسان» (٥).

(١) انظر: موقف القرآن والكتب المقدسة من عقيدة التثليث، ص ١٢١، ١٢٢ نقلًا عن د/ محمود كريت (إنجيل برنابا بين الإسلام والنصرانية)، رسالة دكتوراه، ص ١٣١

(٢) يوحنا ٨ : ٤٠

(٣) انظر: د/ محمد زهران (إنجيل يوحنا تاريخاً وموضوعاً)، رسالة دكتوراه من كلية أصول الدين بالقاهرة، ص ٤٤٤

(٤) يوحنا ١٨ : ٢٩

(٥) يوحنا ١٩ : ٥

وقد أجاب الأعمى الذي أبصر على يدي المسيح سائليه عن شفاه بقوله:
< إنسان يقال له يسوع > (١).

كما جاء بالنص على لسان المسيح عليه السلام اعترافه بأنه ابن الإنسان
يقول:

>> من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون ويتزلون على
ابن الإنسان >> (٢)

وإذا كانت هذه النصوص من الأناجيل تؤكد أنه عليه السلام إنسان وابن
إنسان فهذا بلاشك ينافي دعواهم ببنوته لله تعالى وألوهيته فهو عبد مربوب
ورسول كريم.

وقد ورد نص في إنجيل يوحنا بأن المسيح عليه السلام يتعب ثم يجلس
ليستريح من عناء السفر.

>> فإذا كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر >> (٣).

>> وهذا يؤيد عجزه وضعفه، وأنه عرضة كغيره للإرهاق والتعب وينفي
ألوهيته المزعومة، لأن الله القوي لا يتعب ولا يضعف.. وإنما تعب المسيح عليه
السلام وجلس بعد التعب ليستريح لأنه إنسان جسد من جسد >> (٤).

(١) يوحنا ٩ : ١١

(٢) يوحنا ١ : ٥١

(٣) يوحنا ٤ : ٦

(٤) انظر : د / محمد زهران (إنجيل يوحنا تاريخاً وموضوعاً)، رسالة دكتوراه،

وهناك نصوص إنجيلية أخرى تدل على أنه عليه السلام لا يستطيع فعل شيء

من ذاته:

<< أنا لا أقدر أن افعل من نفسي شيئاً >> (١).

<< لست أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي >> (٢).

<< فهاهو هنا يقول: > أنا لا أقدر أن أفعل.. < وأنا بمفهومها الذي يعنيه

ويميزه عن سواه، دليل قاطع على بشريته فإن نفي القدرة يستلزم العجز والضعف

وذلك من صفات البشر، وهو بذلك يعرب عن ذاته ويعرفنا بقدرته المحدوده

بمشيئة الله، كبشر لا يملك فعل شيء، إلا إذا شاء الله القوي القادر على كل شيء

وكذلك قوله في النص الثاني: < لست أفعل شيئاً من نفسي > ولو كان الله -

سبحانه وتعالى هو المسيح لما جاز أن يقول ذلك بحال، لأن الله تعالى قوي يفعل

كل شيء باختياره ومن نفسه وهو على كل شيء قدير، ومع ذلك فلو كان هو الله

تعالى وقال ذلك لكان كاذباً ومخدعاً، لأنه يقول بخلاف حقيقته وعكس

صفاته ويستلزم ذلك كذب المسيح لو كان الله سبحانه وتعالى فيه كله أو بعضه.

ولكن القائل بذلك لا يكون صادقاً إلا إذا كان قوله مطابقاً للواقع عن

بينة وبرهان، وهو صادق عندنا لأن هذا القول الصادر منه مطابق للواقع عن بينة

وبرهان وهو أنه إنسان وابن إنسان >> (٣).

(١) يوحنا ٥ : ٣٠

(٢) يوحنا ٨ : ٢٨

(٣) انظر: د/ محمد زهران (إنجيل يوحنا تاريخاً وموضوعاً)، رسالة دكتوراه،

وهنا قد يرتسم في ذهن القارئ الكريم هذا الاستفهام إذ كيف نوفق بين هذه الأدلة وغيرها فهي غيضة من فيض تدل على بشرية المسيح وعدم بنوته لله تعالى والوهيته، وبين النصوص الكثيرة والتي تفيض بها الأناجيل والتي تشعر نصوصها بألوهيته وبنوته لله تعالى^(١)، تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً؟؟

ونستطيع القول بأنه لا يخفى أن نصوص الأناجيل قد ثبت تحريفها وتناقضها^(٢) واختلافها فيما بينها، إذاً فمن الطبيعي أن يظهر هذا التناقض في العقيدة، فبعض النصوص تشعر بألوهيته وبنوته لله تعالى، وبعض النصوص - كما ذكرنا آنفاً - تثبت إنسانيته وبشريته.

>> إن كل ما ورد في الأناجيل والرسائل مما يشعر بألوهية عيسى عليه السلام أو بنوته لله تعالى لا يصلح دليلاً إلا على عدم صحتها، ولا يحتج به إلا عليها، لأن الأصل فيها أنها من وضع من نسبت إليهم، وأنه لم يوجد ولن يوجد من يستطيع اثبات تزويلها من الله أو أنها من وحيه وإلهامه، لذلك فإن كل احتجاج بها مرفوض إلا لمن أراد أن يثبت تناقضها وتحريفها >>^(٣).

(١) هناك بعض النصوص نشير إليها على سبيل المثال لالحصر: يوحنا ١: ١٤، يوحنا ٥: ٢٥، لوقا ١: ٣٥، لوقا ٤: ٤١، مرقس ٥: ٧، رسالة بولس إلى العبرانيين ٤: ١٤

(٢) ولأن ما يثبت على الجزء يثبت على الكل وما جاز لأحد المثليين جاز للآخر وقد ثبت التحريف والتناقض للأناجيل الأربعة في بحثنا السابق (رسالة ماجستير) فيثبت بذلك تحريف الكتاب المقدس كله.

(٣) انظر: إبراهيم الجبهان (معاول الهدم والتدمير والنصرانية والتبشير)، ط ٢،

المسألة السابعة :

بطلان تأليه السيدة مريم والدة المسيح عليها السلام.

ومن الفرق النصرانية المؤلهه لأم المسيح عليهما السلام فرقة البربرانية ويسمون الريميتيين^(١).

وقد يكونون هم المقصودين في قوله تعالى من سورة المائدة:

{ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد }^(٢).

>> ومنهم من يجعل مريم إلهاً مع الله كما جعل المسيح إلهاً فإن قالوا بذلك، جعلوا لله صاحبة وولداً، وجعلوا المسيح بن مريم وأمه إلهين من دون الله، كما فعل ذلك من فعله منهم.

فإنهم يعبدون مريم، ويدعونها بما يدعون به الله سبحانه والمسيح، ويجعلونها إلهاً كما يجعلون المسيح إلهاً.

(١) للتعريف بها، انظر: ص ٢٥٨ من هذا البحث.

(٢) سورة المائدة : ١١٦ ، ١١٧

فيقولون : يا والدة الإله، اغفري لنا وارحمينا ونحو ذلك فيطلبون منها ما يطلبون من الله عز وجل !!.

ومنهم من يقول عن مريم: إنها صاحبة الله سبحانه وتعالى << (١).

وقد أثبتنا - فيما سبق - بطلان ألوهية المسيح عليه السلام عقلاً ونقلًا فيثبت بذلك بطلان ألوهية أمه السيدة مريم عليها السلام فمن باب أولى أن تبطل ألوهيتها ببطلان ألوهيته فهو أشهر منها، وقد اشتهرت معجزاته عليه السلام وتعددت من إحيائه للموتى وإبرائه للأكمه والأبرص وشفائه للمرضى، وجميع الأدلة العقلية والنقلية التي أوردناها على بطلان ألوهيته تصلح أن تكون دليلاً على بطلان ألوهيتها، فينتفي القول بألوهيتها حسب زعم بعض الفرق المسيحية القائلة بذلك.

ولا يخفى على القارئ الكريم بأن العقيدة الإسلامية تؤكد بأن لا إله إلا الله دائماً وأبداً { وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم } (٢).

{ إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً } (٣).

وإن من أله غير الله سبحانه وتعالى فيضيع في متاهات عقلية ونفسية مظلمة لاسيما إلى الخروج منها إلا بتوحيد الله عز وجل بالعبادة توحيد ألوهية

(١) انظر : شيخ الإسلام ابن تيميه (الجواب الصحيح)، ج ٣، ص ١٩٣

(٢) سورة البقرة : آية ١٦٣

(٣) سورة طه : آية ٩٨

وربوية فهو سبحانه الخالق الرازق الباري، وهو سبحانه وحدة المستحق للعبادة
للمسيح ولا أمه ولاسواهما فالكل مخلوق مربوب له سبحانه والكل خاضع ذليل
عابد تحت سلطانه سبحانه وتعالى عما يصفون.

ويظهر واضحاً أن النصارى اقتبسوا عقيدة تأليه العذراء أم المسيح عليهما
السلام من الوثنيات والفلسفات القديمة، وقد أثبت ذلك الاستاذ/ محمد طاهر
التنير في كتابه (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) يقول:

>> وأما قول النصارى عن مريم العذراء أنها والدة الإله مثل والدات
الآله عند الوثنيين فهو أشهر من نارٍ على علم حتى أنهم ينشدون الأناشيد تعظيماً
لها ويتضرعون إليها في أيامٍ مخصوصة يسمونها < الأيام المريمية > ويلقبونها ملكة
السماء ووالدة الإله الممتلئة نعمة >> (١).

>> كما نجد عند الوثنيين والدات للآله يعظمنهن ويلقبونهن بألقاب
التمجيد والتفخيم كذلك نجد عند النصارى والدة للإله يعظمنها ويلقبونها
بالألقاب التي يلقب الوثنيون بها والدات آلهتهم، يؤكد ذلك الرسوم التي يصور
الوثنيون بها والدات آلهتهم تماماً >> (٢).

ويمكن مقابلة الرسوم التي يقدسها النصارى للمسيح وأمه بتلك الصور
والتماثيل عند الوثنيين القدماء مع ملاحظة تلك القرون الطويلة التي كانت بين
آلهة الوثنيين كبوذا وكرشنا وغيرهما، وبين عيسى إله النصارى، وأيضاً

(١) (٢) ط ١، ص ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣

فإن الصينيين يضعون صورة الإله < شينمو > إلههم في أحسن محل من البيت ويجللونها بغطاء من الحرير كما يفعل أكثر النصارى بصورة العذراء مريم.

وكان المصريون القدماء يلقبون والدة الإله إيسيس أو والدة المخلص هورس بأسماء عديدة منها < السيدة > < ملكة السماء > < نجمة البحر > < والدة الإله > < الشفيعة > < العذراء > الخ ويصوروها واقفة على الهلال يحيط بها عشرة نجوم كما يصور النصارى مريم العذراء واقفة على الهلال يحيط بها اثنتا عشرة نجمة، غير أن تصوير الوثنيين لوالدات آلهتهم بهذا الشكل سابق لتصوير النصارى لمريم العذراء بقرون عديدة فتدبر! << (١).

<< وأهالي بابل وآشور عبدوا عذراء زعموا أنها والدة إله وصوروها وعلى يدها ولدها الإله كما هي الحال عند النصارى تماماً >> (٢).

(١) (٢) ط ١، ٧١، ٧٢، ٧٣

المسألة الأولى : معنى التثليث

يقول قاموس الكتاب المقدس :

>> التالوث الأقدس (التثليث): عرف قانون الإيمان لهذه العقيدة بالقول:
> نؤمن بإله واحد الآب والإبن والروح القدس إله واحد جوهر واحد متساويين
في القدرة والمجد <.

وفي طبيعة هذا الإله الواحد تظهر ثلاثة خواص أذليه، يعلنها الكتاب في
صورة شخصيات (أقانيم) متساوية، ومعرفتنا بهذه الشخصية المثلثة الأقانيم ليست
إلا حقاً سماوياً أعلنه لنا الكتاب في العهد القديم بصورة غير واضحة المعالم،
لكنه قدمه في العهد الجديد واضحاً ويمكن أن نلخص العقيدة في هذه النقاط
التالية:

- ١ - الكتاب المقدس يقدم لنا ثلاث شخصيات يعتبرهم شخص الله (تعالى الله
عن قولهم علواً كبيراً).
- ٢ - هؤلاء الثلاثة يصفهم الكتاب المقدس بطريقة تجعلهم شخصيات متميزه
الواحدة عن الأخرى.
- ٣ - هذا التثليث في طبيعة الله ليس مؤقتاً أو ظاهرياً بل أبدي وحقيقي.
- ٤ - هذا التثليث لايعني ثلاثة آلهة بل إن هذه الشخصيات الثلاثة جوهر
واحد.
- ٥ - الشخصيات الثلاث الآب والإبن والروح القدس متساوون.

٦ - ولا يوجد تناقض في هذه العقيدة، بل بالأحرى أنها تقدم لنا المفتاح لفهم باقي العقائد المسيحية»^(١)

وما نلاحظه جلياً أن الغموض والتناقض يكتنفان هذا النص والذي لُحِصت فيه العقيدة المسيحية الحالية، وكاتب هذه الأسطر يناقض نفسه بنفسه، فيقول في الفقرة الأولى أن الكتاب المقدس يقدم لنا ثلاث شخصيات يعتبرهم شخص الله (تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً) ثم يقول في الفقرة الثانية إن هذه الشخصيات متميزة الواحدة عن الأخرى، وفي الفقرة الرابعة يقول أن هذا التثليث لا يعني ثلاثة آلهة بل إن هذه الشخصيات جوهر واحد، إذ كيف يصفهم في الفقرة الثانية بأنهم شخصيات متميزة الواحدة عن الأخرى أي يمتاز ويختلف أحدهما عن الأخرى. ثم يقول في الفقرة الرابعة إن هذه الشخصيات جوهر واحد؟! ثم يعود فيقول إن هذه الشخصيات الآب والإبن والروح القدس متساوون!!! ثم يعود لينفي التناقض عن هذه العقيدة في الفقرة السادسة!! كأن نفيه للتناقض والغموض في هذه العقيدة سيلغيه.

>> ويرى فلاسفة المسيحية أن الله سبحانه وتعالى يتكون من ثلاثة أقانيم^(٢) أي ثلاثة عناصر أو أجزاء، وهذه الأقانيم أو العناصر الثلاثة هي الذات والنطق والحياة.

(١) لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ط٦، حرف ث، ص ٢٣٢

(٢) الأقانيم كلمة سريانية الأصل مفردتها أقنوم وهي تعني شخص أو كائن مستقل بذاته انظر: محمد مجدي مرجان (الله واحد أم ثلوث) ص ٩

فالله موجود بذاته.

ناطق بكلمته.

حي بروحه.

وكل خاصية من هذه الخواص أو العناصر التي يتكون منها الله تعطيه وصفاً معيناً أو مظهراً خاصاً.

فإذا تجلى الله بصفته ذاتاً سمي الآب.

وإذا نطق فهو الإبن.

وإذا ظهر كحياة فهو الروح القدس.

ويرى فلاسفة المسيحية أن الإنسان خلق على صورة الله ومثاله، فكما أن الله مثلث الأقانيم كذلك فالإنسان مكون من ثلاثة عناصر.

فكما أن الله ذات كونه كذلك فالإنسان بذاته كائن على صورة الله ومثاله.

وكما أن الله ناطق كذلك فالإنسان ناطق على صورة الله ومثاله.

وكما أن الله حي كذلك فالإنسان حي على صورة الله ومثاله» (١)

» وهكذا ينظر دعاة الثالوث الى الله العظيم الذي ليس كمثل شئ والتمتزه عن مشابهة الكائنات فيمثلونه بأحد مخلوقاته الضعيفة وهو الإنسان، وأن الله في نظر فلاسفة المسيحية له كيان قائم بذاته كالإنسان تماماً، والله ناطق بكلمته

(١) انظر: محمد مجدي مرجان (الله واحد أم ثالوث) ص ١٠،٩

كالإنسان كذلك وهو حي كالإنسان أيضاً، ومن هذه الأقسام أو العناصر الثلاثة يتكون الله كما يتكون الإنسان تماماً، الذات والنطق والروح، ومع ذلك فإن الباحث المتأمل يلاحظ أن فلاسفة المسيحية قد أعطوا للإنسان صفات ضنوا بها على الله، فالإنسان به عناصر وأجزاء أخرى كثيرة لا تقل أهمية عن العناصر الثلاثة السابقة، هذا إذا لم تكن تفوقها أهمية، ومنها مثلاً أن الإنسان مبصر بعينه سميع بإذنيه رحيم بقلبه، مفكر بعقله، مشير بيده، وهكذا نستطرد في ذكر العناصر والأجزاء التي يتكون منها الإنسان المخلوق فنجد أنه قد يفوق فيها على خالقه (تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً).

بل أكثر من ذلك أن هذه العناصر الثلاثة التي تفضل دعاة الثالوث بمنحها لله تعالى وهي الكيان والنطق والروح قد منحوها له بشروط وأوضاع خاصة، فهم قد قسموا الله ثلاثة أقسام منحوا كل قسم صفة من الصفات منحوها عن القسم الآخر، في حين أن تلك العناصر والصفات تجتمع كلها في الإنسان الواحد ولا تجتمع في الله (تعالى الله عن قولهم)

فبينما نجد الإنسان كائناً بذاته دائماً، وناطقاً بكلمته دائماً وحيّاً بروحه دائماً، نجد أن الله تعالى لا يكون كائناً بذاته إلا حين يسمى الآب، فبصفته كائن بذاته فهو الله الآب، فإذا تخلت عنه صفة الأبوة وتحول فأصبح ابناً تتخلى عنه صفة الكينونة والذات ويصبح فقط ناطقاً بكلمته، كذلك إذا تحول الله (تعالى) إلى روح قدس تخلت عنه الصفتان السابقتان وصار فقط حياً بروحه، وهكذا يتحول الله ويتغير طبقاً للدور الذي يظهر به وتبعاً للإسم الذي يلج عليه << (١)

(١) المرجع السابق، ص ١٤، ١٥

المسألة الثانية :

أهم النصوص التي يستدل بها النصارى على عقيدة التثليث وإبطال

الإستدلال بها

يحاول المسيحيون أن يستدلوا بالتوراة على عقيدتهم المحرفة (عقيدة التثليث) مع أن التوراة تصرح في كثير من المواضع منها بنصوص التوحيد المطلق لله تعالى.

أما النصوص التي يستدل بها النصارى على التثليث فلا تدل مطلقاً على هذه العقيدة لذلك يلجأ المسيحيون إلى القول بأن التثليث ظهر ضمناً في التوراة ثم صُرح به في الإنجيل!! ويعترف أحد قساوستهم بذلك حيث يقول:

>> بعد ما خلق الله العالم وتوج خليقته بالإنسان لبث حيناً من الدهر لا يعلن سوى ما يختص بوحديته كما يتبين ذلك من التوراة، على أن المدقق لا يزال يرى بين سطورها إشارات وراء الوحدانية، لأنك إذا قرأت فيها بامعان تجد هذه العبارة: (كلمة الله، أو حكمة الله، أو روح القدس ولم يعلم من نزلت إليهم التوراة ماتكنه هذه الكلمات من المعاني لأنه لم يكن قد آن الوقت المعين الذي قصد الله فيه إيضاها على وجه الكمال والتفضيل، ومع ذلك فمن يقرأ التوراة في ضوء الإنجيل يقف على المعنى المراد، إذ يجدها تشير إلى أقانيم في اللاهوت >> (١)

وللرد عليه نقول : بأن هذا زعم ليس له أساس من الصحة فالتوراة نزلت

(١) القس بوطر (رسالة الأصول والفروع) ص ٤٣-٤٥، نقلا عن د/أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ١٣٧

على نبي الله موسى عليه السلام فهل يدعي هذا القس بأنه فهم التوراة بطريقة أصح وأفضل من النبي الموحى إليه بها؟! وإلا فإنه لم يرد عن موسى عليه السلام ولا عن أحد من أحبار اليهود أن المقصود بهذه الألفاظ ما يدعيه هذا النصراني، ولا يخفى على القارئ الكريم بأن هذا محض إفتراء والله المستعان على ما يصفون.

ومن الأدلة التي يستدل بها النصارى من العهد القديم ماورد في سفر الخروج في خطاب الله تعالى لموسى عليه السلام.

« ثم قال أنا إله أبيك إله ابراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب » (١)

وينقل شيخ الإسلام ابن تيمية عنهم شبههم هذه يقول: «فقد كرر اسم الإله ثلاث دفعات قائلاً:

« أنا إله وإله وإله لتحقق مسألة الثلاث أقانيم في لاهوته » (٢).

« والجواب : أن الاحتجاج بهذا على الأقانيم الثلاثة من أفسد الأشياء وذلك يظهر من وجوه:

أحدها : أنه لو أُريد بلفظ الإله أقنوم الوجود، ولفظ الإله مرة ثانية أقنوم الكلمه، وبالثالث أقنوم الحياة لكان الأقنوم الواحد إله إبراهيم، والأقنوم الثاني إله اسحاق، والأقنوم الثالث إله يعقوب فيكون كل من الأقانيم الثلاثة إله

(١) ٦ : ٣

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ط مطابع المجد، ج ٢، ص ٢٣٩

أحد الأنبياء الثلاثة، والأقنومين ليسا بإلهين له.

وهذا كفر عندهم، وعند جميع أهل الملل، وايضاً فيلزم من ذلك أن يكون الآلهة الثلاثة ثلاثة، وهم يقولون: إله واحد، ثم هم إذا قالوا: كل من الأقانيم إله واحد، فيجعلون الجميع إله كل نبي، فإذا احتجوا بهذا النص على قولهم لزم أن يكون إله كل نبي، ليس هو إله النبي الآخر، مع كون الآلهة ثلاثة.

الوجه الثاني: أنه يقال: إن الله رب العالمين، ورب السموات ورب الأرض ورب العرش ورب كل شيء، فيلزم أن يكون رب كل شيء، ويقال: إله موسى وإله محمد، مع قولنا: إله إبراهيم وإسحاق.

أفتراه أثبت إلهين: أحدهما إلهه، والآخر إله الثلاثة؟! << (١)

ومن الأدلة التي يستدل بها المسيحيون على عقيدة التثليث من العهد القديم ما يروى عن النبي أشعيا قوله:

<< وهذا نادى ذلك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض >> (٢).

<< وكذلك شهد < أشعيا > بتحقيق الثالوث بوحدانية جوهره وذلك بقوله: < رب القوات > وبقوله: < رب السموات والأرض > ومثل هذا القول في التوراة والمزامير شيء كثير حتى اليهود يقرأون هذه النبوات، ولا يعرفون

(١) المرجع السابق، ص ٢٤٠

(٢) أشعيا ٦ : ٣

لها تأويلاً، وهم مقرون بذلك، ولا ينكرون منه كلمة واحدة، وإنما قلوبهم مغلقة عن فهمه لقساوتها على ما ذكرنا من قبل، وأنهم إذا اجتمعوا في كنيستهم كل سبت يقف الحران أمامهم ويقول كلاماً عبرانياً هذا تفسيره ولا يجحدونه:

« تقدسك ونعظملك، وثالث لك تقديساً مثلثاً كالمكتوب على لسان

نبيك »

فيصرخ الجميع مجاوبين « قدوس قدوس قدوس، رب القوات ورب السموات والأرض »^(١).

وللرد على شبهتهم هذه نقول: إن النص السابق من سفر أشعياء لا يدل مطلقاً على عقيدة التثليث المسيحية، لأن تكرار لفظ التقديس لا يدل على تعدد الآلهة أو تعدد الأرباب بل هو مجرد تكرار للفظ التقديس، كما يقول المسلم سببحان الله، سببحان الله، سببحان الله، أو الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله، هل هذا يدل على تعدد الآلهة، أو تعدد الأرباب؟! أبدأً إنما يدل على تكرار التسيبج والتتزيه والتحميد لله تعالى.

« أما ما في كتب الأنبياء - عليهم السلام - من تسمية اسم الرب عند إضافته إلى مخلوق آخر فهو من نمط تسميته اسم الإله، وهذا لا يقتضي تعدد الأرباب والآلهة، ولهذا لا يقتضي جعلهم اثنين وأربعة إذا ذكر اللفظ مرتين وأربعة.

(١) نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيميه (الجواب الصحيح)، ج ٢، ص ٢٤١، ٢٤٢

فكذلك إذا كان ثلاث مرات لا يقتضي أن الأرباب ثلاثة، وهم أيضاً لا يقولون بثلاثة أرباب وثلاثة آله تدل على تقيض قولهم، بل هم يزعمون أنهم إنما يشبتون إلهاً واحداً، ولكنهم يتناقضون فيصرحون بثلاثة آله، ويقولون إله واحد.

والكتب لا تدل على قولهم المتناقض بوجه من الوجوه، وأما ما ذكره من اعتراف اليهود بألفاظ هذه النبوات، ودعواهم أنهم لا يعرفون لها تأويلاً، فإن أراد بالتأويل تفسيرها وما يدل عليه لفظها، فهذا ظاهر لا يخفى على الصبيان من اليهود وغيرهم.

ولكن النصارى ادعوا ما يدل عليه اللفظ، فهذا إنما يحتاج إليه إن أرادوا بالتأويل معنى يخالف ظاهر اللفظ، فهذا إنما يحتاج إليه - إن كان يحتاج إليه - إذا كان ظاهره معنى باطلاً، لا يجوز إرادته وليس ما ذكر هنا من هذا الباب، بل الكتب الإلهية يكثر فيها مثل هذا الكلام عند أهل الكتاب وعند المسلمين، ولا يفهم منها ثلاثة أرباب أو ثلاثة آله إلا من اتبع هواه بغير هدى من الله، وقال قولاً مختلفاً يؤفك عنه من أفك، ومثل هذا موجود في سائر الكلام، فقال: هذا أمير البلد الفلاني، وأمير البلد الفلاني، وأمير البلد الفلاني، وهو أمير واحد.

ويقال: هذا رسول إلى الأमीين، ورسول إلى أهل الكتاب، ورسول إلى الجن والإنس، وهو رسول واحد << (١).

(١) المرجع السابق: ص ٢٤٢، ٢٤٣

ومن النصوص التي يستدل بها النصارى على شبهة التشليث من الأناجيل
هذا النص من إنجيل متى:

>> فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح
القدس <<(١).

وللرد عليهم : وإذا كان هذا النص عمدتكم التي اعتمدتم عليه فهو ضمن
الأناجيل الحالية والتي ثبت - بما لا شك فيه - تحريفها وتناقض نصوصها فيما
بينها، وبذلك يثبت عدم حجيتها على صحة العقائد المسيحية، وقد أثبتنا ذلك في
دراستنا السابقة(٢).

وننقل هنا ردود شيخ الإسلام ابن تيميه بعد أن أورد النص السابق من
الإنجيل وأخذ يرد عليه بقوله:

>> فيقال لهم: هذا عمدتكم على ما تدعونه من الأقانيم الثلاثة وليس فيه
شئ يدل على ذلك لانصاً ولاظاهراً، فإن لفظ الإبن لم يستعمل قط في الكتب
الإلهية في معنى صفة من صفات الله، ولم يسم أحد من الأنبياء علم الله ابنه،
ولاسموا كلامه ابنه، ولكن عندكم أنهم سموا عبده أو عباده إبنه، أو بنيه، وإذا
كان كذلك فدعواكم أن المسيح أراد بالعلم ابن الله وكلامه دعوى في غاية
الكذب على المسيح، وهو حمل للفظ على ما لم يستعمله هو ولاغيره فيه لاحقيقة
ولاجاز فأى كذب وتحريف لكلام الأنبياء أعظم من هذا، ولو كان لفظ الإبن

(١) ٢٨ : ١٩

(٢) التحريف والتناقض في الأناجيل (رسالة ماجستير) للباحث.

يستعمل في صفة الله لسميت حياته إبناً، وقدرته إبناً فتخصيص العلم بلفظ الإبن دون الحياة خطأ ثاني لو كان لفظ الإبن يستعمل في صفة الله، فكيف إذا لم يكن كذلك، وكذلك روح القدس لم يستعملوها في حياة الله، ولا أرادوا بهذا اللفظ حياة الله هي صفته، وإنما أرادوا بذلك ما يتره على الصديقين والأنبياء.. وروح القدس يراد به الملك، ويراد به ما يجعله في القلوب من الهدى والقوة >> (١).

>> وتبين أن ما ثبت عن الأنبياء فهو حق موافق لما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء لا يتناقض مع شيء من كلام الأنبياء، كما أنه لا يناقض شيء من كلامهم صريح المعقول، وتبين أنهم حملوا كلام الأنبياء في لفظ الإبن وروح القدس وغيره ما لم يوجد استعمال هذا اللفظ فيه، وتركوا حمله على المعنى الموجود في كلامهم، فكيف يجوز أن يحمل لفظ روح القدس على معنى لم يستعمله فيه الأنبياء ولا أرادوه به، ويترك حمله على المعنى المعروف الذي يستعملونه فيه دائماً.

وهل هذا إلا من فعل من يحرف كلام الأنبياء، ويفتري عليهم؟ بل ظاهر هذا الكلام أن يعمد وهم باسم الأب الذي يريدون به في لغتهم الرب، والإبن الذين يريدون به في لغتهم المري، وهو هنا المسيح وهو الروح القدس الذي أيد الله به المسيح من الملك والوحي وغير ذلك، وبهذا فسر هذا الكلام من فسر من أكابر علمائهم >> (٢).

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج ٢، ص ١٣١، ١٣٢، ط مطابع المجد

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٣، ١٣٤

>> فهذا ما ذكروه في كتابهم يحتجون بها على ما يعتقدونه من الأقاليم الثلاثة قائلين: إن تسمية الله أنه أب وابن وروح القدس أسماء لم نسمه نحن النصارى بها من ذات أنفسنا بل الله سمي لاهوته بها.

وقد تبين أنه ليس فيما ذكروه عن الأنبياء ما يدل لانصافاً ولا ظاهراً على أن أحداً من الأنبياء سمي الله، ولا شيئاً من صفاته ابناً ولاروح قدس. وتبين أن تسميتهم لعلم الله وكلامه ابناً، وتسميتهم لحياته روح القدس أسماء ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان، وأنه ليس معهم على ما ادعوه من الأقاليم حجة أصلاً لاسمعية ولا عقلية، وأنه ليس قولهم بالتثليث وحصرهم لصفات الله في ثلاثة مستند شرعي.

كما تبين أنه ليس له مستند عقلي وأن القوم ممن قيل فيهم: >> لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير >> (١)، وممن قيل فيهم: >> أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً >> (٢).

ولو فرضنا صحة هذا النص وغيره من النصوص في هذا المعنى، فإنها تؤول بما يتناسب مع النصوص الأخرى والتي تدل على وحدانية الله سبحانه وتعالى والتي امتلأت بها الأناجيل - كما ذكرنا في المبحث الأول من هذا الفصل (٣) - ولأمر جد مهم وهو ان توحيد الله بالعبادة قد دعا إليه جميع الأنبياء من لدن آدم ونوح - عليهما السلام - إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

(١) سورة الملك : آية ١٠

(٢) سورة الفرقان : آية ٤٤

انظر : الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٣٤

(٣) انظر: ص ٤٠٧ من هذه الرسالة وما بعدها.

ويناقش الإمام القرطبي - يرحمه الله تعالى - النصارى في شبهتهم هذه

فيقول:

>> وأما استدلاله على اعتقاد وجود الآب والإبن والروح القدس، وإطلاق القول بذلك بما قاله عيسى للحواريين فلاحجة لك فيه، إذ ليس بنص قاطع، بل هو مما تقولون أنتم فيه متشابه فإنه يحتمل أن يكون مراده به: عمدوهم على تركهم هذا القول، كما يقول القائل: كل على اسم الله، وامش على اسم الله، أي على بركة اسم الله، ولم يعين الآب والإبن معاً من هما؟ ولأما المعنى المراد بهما؟ فلعله أراد بالآب هنا: الملك الذي نفخ في مريم أمه الروح، إذ نفخه سبب علوق أمه وحبلها به، وأراد بالابن: نفسه، إذ خلقه الله تعالى من نفخة الملك، فالنفخة له بمثابة النطفة في حق غيره.

ثم لايبعد أيضاً في التأويل - إن صح عن عيسى عليه السلام - أنه كان يطلق على الله لفظ الأب - أن يكون مراده به: أنه ذو حفظ له، وذو رحمة وحنان عليه، وعلى عباده الصالحين، فهو لهم بمنزلة الأب الشفيق الرحيم، وهم له في القيام بحقوقه وعبادته بمنزلة الولد البار، ويحتمل أن يكون تجوز باطلاق هذا اللفظ على الله تعالى، لأنه معلمه وهاديه ومرشده، كما يقال: < المعلم أبو المتعلم > ومن هذا قوله تعالى: { ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس } < (١) >.

(١) سورة الحج : آية ٧٨

ومن هذين التأويلين: يصح حل ما وقع في أناجيلهم، من هذا اللفظ، بل هذان التأويلان ظاهران، وسائغان فيها، ويشهد لهذين التأويلين: قول عيسى للحواريين، على ما جاء في (سورة الوصية) حيث قال لهم:

« إذا صليتم، فقولوا: يا أبانا السماوي، تقديس إسمك، وقرب ملكك »^(١) ثم قال بعد كلام ووصايا: « فاذا كنتم أنتم على شرتكم تعرفون اعطاء الخيرات أولادكم، فكيف أبوكم السماوي »^(٢).

من الأدلة التي يستدل بها النصارى على شبهة عقيدة التثليث ماورد في رسالة يوحنا الأولى من العهد الجديد:

« فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الأب، والكلمة، والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد »^(٣).

ويثبت الإمام رحمة الله العثماني في كتابه « إظهار الحق » إلحاقية

(١) النص: (فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات، ليتقدس إسمك ليأت ملكوتك) متى ٦: ٩-١٠، ولوقا ١١: ٢

(٢) النص: (فان كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحري أبوكم الذي في السموات يهب خيرات للذين يسألونه) متى ١١: ٧

انظر: الإمام القرطبي (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام)، تحقيق: د/ السقا، ص ٦٤، ٦٥

(٣) ٥ : ٧

هذا النص بمعنى أنه لم يكن ضمن العهد الجديد وأضيف إليه فيما بعد ذلك بزمن لم يحدد، ويعضد رأيه هذا يرحمه الله بشهادة عدد من كتاب وعلماء النصارى المشهورين يقول ما نصه:

>> وهي أي هذه العبارة ملحقة يقيناً.. وهورن مع تعصبه قال إنها إلحاقية واجبة الترك، وجامعوا تفسير هنري واسكات اختاروا أقوال هورن، وآدم كلارك أيضاً مال إلى إلحاقيتها وأكستين الذي كان أعلم العلماء المسيحيين التلثيين في القرن الرابع من القرون المسيحية، وهو إلى الآن مستند أهل التلثيث أيضاً كتب على هذه الرسالة عشر رسائل، وما نقل في رسالة من هذه الرسائل هذه العبارة وهو كان من معتقدي التلثيث، وكان مناظراً مع فرقة أيرين التي تنكر التلثيث، فلو كانت هذه العبارة في عهده لتمسك بها ونقلها في إثباته >> (١)

(١) ج ١، ص ٣٩٥، ط قطر

المسألة الثالثة:

المجمع القسطنطيني الأول وأثره في إقرار عقيدة التثليث.

علمنا من دراستنا لمجمع نيقية والذي عقد عام ٣٢٥م^(١) والذي فرضت فيه عقيدة تأليه المسيح بقوة السلطان !! ومن ثم أحرقت جميع الأسفار والأنجيل التي تقول بتوحيد الله تعالى، وأن المسيح عليه السلام لا يعدو أن يكون بشراً رسولاً!!

علمنا من تلك الدراسة أن المسيحين يأخذون أهم عقائدهم وأخطرها من مجامعهم والتي يتأسسها أساقفتهم، وهم بشر معرضون للخطأ والنسيان وللإكراه. وهذه المجامع تقرر العقيدة التي يجب أن يعتنقها المسيحيون وتفرضها عليهم بقوة السلطان.

ونحن الآن بصدد الحديث عن المجمع القسطنطيني الأول والذي عقد عام ٣٨١م، وعندما فرضت فيه عقيدة تأليه روح القدس اكتملت في هذا المجمع عقيدة التثليث!! وأصبح النصارى مثلثون رسمياً!! وزيدت في أمانتهم التي قرروها من قبل والتي يتلونها في صلواتهم هذه العبارة:

>> نؤمن بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والإبن مسجود له، وممجد، وأثبتوا أن الآب والإبن وروح القدس ثلاثة أقانيم،

(١) أنظر: ص ٣٦٦ وهامش ص ٢٥٢ من هذه الرسالة

وثلاثة وجوه، وثلاث خواص، وحدية في تثليث، وتثليث في وحديه، كيان واحد في ثلاثة أقانيم إله واحد، جوهر واحد، طبيعة واحدة»^(١)

ويتحدث الإمام أبو زهرة عن هذا المجمع فيقول:

«أخذ يجاهر رجل أسمه مقدنيوس بأن الروح القدس ليس بإله ولكنه مخلوق مصنوع، وشاعت مقالته بين الناس، ولم يجدوا فيها نكراً، ولا أمراً لا يقره العقل أو تأباه المسيحية: فاجتمع إلى الملك ذوو الأمر من وزرائه وقواده وبلغوه أن العامة قد فسدوا، فهم مزالوا متأثرين بوحدانية أريوس^(٢)، واعتنقوا مذهب مقدنيوس في أن الروح القدس ليس بإله قديم، بل هو مخلوق مصنوع، وحرصوه على أن يجمع جمعاً من الأساقفة يشبثون عقيدة المجمع النيقوي، ويدحضون قول مقدنيوس، فاجتمع في القسطنطينية خمسون ومائة أسقف، وكان المقدم فيها بطريرك الإسكندرية ويظهر أن ذلك العدد لم يكن ممثلاً لكل الكنائس.

واجتمع هذا المجمع في القسطنطينية، وتذاكر المجتمعون فيمن هو أولى بالرياسة فقرر رأيهم على أن تكون الرياسة لأسقف القسطنطينية، وبذلك نُحِيَ عنها رئيس كنيسة الإسكندرية، ولكن مع إبعاده عن مكان الرياسة إلا أنه كان المقدم في المناقشة، وتقرير الرأي الذي أجمع عليه المؤتمر بعد ذلك.

قال ثيموتاوس بطريق الإسكندرية:

(١) أنظر: الإمام أبي زهرة (محاضرات في النصرانية) ط دار الفكر، ص ١٦١
أيضاً: د/أحمد شليبي (المسيحية) ط ٦، ص ١٥٣

(٢) تحدثنا عنه عند الحديث عن مجمع نيقية انظر: ص ٣٦٦ من هذا البحث

>> ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته، فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق، فقد قلنا إن حياته مخلوقه، وإذا قلنا إن حياته مخلوقه، فقد زعمنا أنه غير حي، وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به، ومن كفر به وجب عليه اللعن <<

ثم اتفقوا على لعن مقدنيوس، فلعنوه هو وأشياعه، ولعنوا البطاركة الذين يقولون بمقالته.

ونريد أن نستطرد استطرادة صغيرة عاجلة، وهي أن ننظر في تلك السلسلة الفكرية التي ساقها في شكل دليل شرطي كثرت مقدماته، وكثرت تالياته، وإن نظرة سريعة فاحصة إلى الأساس الذي قامت عليه السلسلة ترينا أنه جعل روح القدس هي روح الله، وهذا لا يسلمه له مخالفة، ولا يستطيع هو أن يقيم عليه دليلاً.

إن روح القدس خلقه الله، واتخذته ليكون رسولاً بينه وبين من يريد أن يلقي عليه وحيّاً من خلقه أو أمراً كونياً، فهي ليست روح الله المتعلقة بذاته، وليس عنده من دليل على ما قال، ولكن هكذا ساق السلسلة وهكذا اقتنع سامعوه، وبذلك تم له الثالث الذي يتشابه تماماً مع فلسفة الإسكندرية وقد أعلنها بطريرك الإسكندرية، وزادوا بذلك على مجمع نيقية هذا الأقوم << (١)

(١) أنظر: محاضرات في النصرانية، ط دار الفكر العربي، ص ١٥٩-١٦١

المسألة الرابعة:

إقتباس النصارى عقيدة التثليث من أقوام قد سبقوهم إليها

عند الإطلاع على المصادر والمراجع في موضوعات مقارنات الأديان وجدت حقيقة واضحة وهى أن عقيدة التثليث ليست بدعاً في المسيحية، ولم يكن المسيحيون هم أول من قال بالتثليث، بل إن التثليث أو عبادة ثلاثة آلهة قد اعتقد به أو أعتنقه الكثير من الوثنيين في عصور ومن شعوب وبيئات مختلفة، كالهنود والصينيين والفراعنة وغيرهم.

وقد سبق هؤلاء الوثنيون المسيحيين بالقول "بعقيدة التثليث" قد سبقوهم قرابة آلاف السنين، لذلك فإن أول ما يحظر بذهن الباحث المنصف في هذا المجال، بل وفي ذهن القارئ الكريم هو أن المسيحيين قد أخذوا أو اقتبسوا هذه العقيدة "عقيدة التثليث" من أولئك الوثنيين والعكس غير صحيح.

وقد يكون التثليث تحديداً أو تطويراً لعبادة الآلهة الكثيرة والتي كانت تخضع لها وتعبد لها تلك الشعوب الوثنية.

ومما لاشك فيه أن الشعوب والأمم عندما تتجاور وتختلط بعضها ببعض الآخر فإن الأفكار والمعتقدات تنتقل فيما بينها بسهولة ويسر، وكما هو معلوم فإن المسيحيين لم يكن لديهم الكتاب المحفوظ بحفظ الله تعالى وقد حفظت العقيدة الصحيحة بداخله كما هو حاصل للقرآن الكريم {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} (١) بل إن الله تعالى وكلهم بحفظ كتابهم فلم يحفظوه بل ضيعوه

(١) سورة الحجر، الآية : ٩

و حرفوه (١)

ويعتقد الدكتور أحمد شلي أن التثليث ظهر كجملة عند المسيحيين قبل القول بألوهية المسيح وألوهية روح القدس، ويذكر أنهم أخذوه من الثقافات المحيطة بهم، وفيما يلي نص حديثه:

>> والإعتقاد بالتثليث ظهر قبل القول بألوهية المسيح وقبل القول بألوهية الروح القدس.

قد يكون العكس هو الطبيعي أي أن تثبت لدى المسيحيين ألوهية المسيح، فينتقلوا من الوجدانية إلى الثنوية، ثم تثبت لهم ألوهية الروح القدس فينتقلوا من الثنوية، إلى التثليث، أو تثبت لهم ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس دفعة واحدة فينتقلوا من الوجدانية للتثليث دفعة واحدة، قد يكون ذلك هو الطبيعي، ولكن الواقع غير ذلك^(٢) الواقع أن التثليث كجملة ظهر أولاً عند المسيحيين، أخذوه من الثقافات المحيطة بهم، تلك الثقافات التي أثرت على مسيحية بولس^(٣) ونقلتها إلى عبادة ثلاث مقدس، فأصبحت هذه الحقيقة مسلماً بها، وأصبح الاتجاه العام وبخاصة بين الجماهير هو الإيمان بثالوث مقدس قريب الشبه بالثالوث الذي كانوا يؤمنون به قبل أن يدخلوا المسيحية.

(١) انظر مثلاً: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة (رسالة ماجستير) للباحثة، ص ٦٦

(٢) هذا رأي خاص ب د/أحمد شلي ولم يأت بدليل منطقي أو تاريخي عليه، لأن قصة المجامع المسيحية المسكونية (مجمع نيقية، والمجمع القسطنطيني الأول) تؤيد الرأي الآخر وهو التدرج حين الأخذ بعقيدة الثالوث، والله أعلم.

(٣) عرفناه في هامش ص (٢) من هذا البحث

ولكن الإيمان بهذا الثالوث خلق لهم مشكلة، تلك هى محاولة التوفيق بين
الوحدانية التي هى سمة الأديان السماوية، والتي قالت بها التوراة بصراحة وبين
القول بعبادة الثالوث، وحينئذ جد جدهم، وجندوا جنودهم، وأعملوا عقولهم
وقالوا كلاما يوفقون به بين الوحدانية والتثليث، ولكنهم عندما قالوا ذلك لم
يكونوا يقنعون به، وصرحوا بعدم اقتناعهم أحيانا^(١) ولكن على كل حال لم يكن
بد من الاستمرار في القول بالتثليث وافق العقل أو لم يوافق، وعندما ثبت
القول بالتثليث بدأت المرحلة الثانية، مرحلة البحث عن أفراد هذا
الثالوث <<(٢)

>> أما موضوع تعدد الآلهة فموضوع يكاد يكون عاماً في جميع الثقافات
القديمة، قال به المصريون القدماء، وقال به الأشوريون والبابليون والفرس
والهنود والصينيون واليونان على اختلاف في عدد الآلهة ومكانتهم واختلاف في
تصور صلة الآلهة بعضهم ببعض أو صلتهم بالبشر <<(٣)

>> أما التثليث فلعله كان تحديدا لهذا التعدد الذي بولغ فيه أحيانا،
ويمكن القول بأن تحديد الآلهة بثلاثة، عمل له صلة بعبادة الأبطال، تلك العبادة
التي بدأت منذ فجر التاريخ والتي لا يزال لها بقايا في عالمنا الحاضر <<(٤)

-
- (١) وقد نقل الدكتور أحمد شلبي الكثير من الأمثلة على تصريحاتهم تلك انظر:
المسيحية ط ٦، ص ١٣٥-١٣٩
- (٢) المرجع السابق، ص ١٢٨، ١٢٩
- (٣) انظر: تاريخ الفلسفة، د/ ابراهيم مدكور، ص ٦-١٩، نقلا عن: د/ أحمد
شلبي (المسيحية) ط ٦، ص ١٣٠
- (٤) انظر: الأبطال وعبادة البطولة لكارليل نقلا عن د/ أحمد شلبي (المسيحية)
ص ١٣٠

>> ولعل البابليين هم أول من قال بالثالوث وذلك في الألف الرابع قبل الميلاد، فقد كان البابليون يدينون بتعدد الآلهة، ولكنهم نظموا هؤلاء الآلهة أثلاثاً أي جعلوها مجموعات متميزة المكانة والقدر، كل مجموعة ثلاثة، فكانت المجموعة الأولى على رأس الآلهة، وتتكون هذه المجموعة من إله السماء، إله الأرض، وإله البحر، أما المجموعة الثانية فإله القمر وإله الشمس وإله العدالة والتشريع...>> (١)

>> تدل الرموز التي اكتشفت عن الثالوث المقدس عند قدماء المصريين على مشابهته تماماً للثالوث المسيحي سواء في عدد الأقانيم أو في خاصية كل أقنوم منها.

ويتكون الثالوث الفرعوني من ثلاثة آلهة أو ثلاثة أقانيم الهية وهي:

١ - الإله أوسيري ويسمى الآب

٢ - الإله هور ويسمى الإبن أو النطق أو الكلمة.

٣ - الإله إيس وتسمى الأم أو الوالده >> (٢)

(١) د/ ابراهيم مذكور (تاريخ الفلسفة)، ص ٦، نقل عن: د/ أحمد شليبي (المسيحية) ص ١٣١

(٢) أنظر: محمد مجدي مرجان (الله واحد أم ثالوث)، ط دار النهضة العربية، ص ٧٩، ٧٨

« ويقرر أحد الباحثين^(١) وجود تشابه كبير بين الثالوث الهندي والثالوث المسيحي، ويضيف أنه ذكر في الكتب الهندية القديمة التي ترجمت إلى الإنجليزية شارحة عقيدة الهنود القدماء مانصه: (نؤمن بسافتري أي الشمس، اله واحد، ضابط الكل، خالق السموات والأرض وبابنه الوحيد آني أي النار، نور من نور مولود غير مخلوق، تجسد من فايو أي الروح في بطن مايا العذراء، ونؤمن بفايو الروح المحيي المنبثق من الآب والإبن الذي هو مع الآب والإبن يسجد له ويمجد »

ويلاحظ هنا التشابه التام بين هذا القانون الإيماني وبين قانون الإيمان المسيحي، والثالوث الهندي وهو بسافتري (الشمس) أي الآب السماوي وآني (النار) أي الإبن وهو النار المنبثقة من الشمس وفايو (نفحة الهواء) أي الروح، هذا الثالوث هو أساس المذاهب عند الشعوب الهندية القديمة»^(٢)

« وهناك ثالوث هندي آخر > فهم يقولون بأن هناك إله ذو ثلاثة أقانيم وهي:

براهمة الخالق ، وفشنو الحافظ ، وسيفا المهلك

ويعتبرونها ثلاثة أقانيم غير منفكين عن الوحدة ويرمزون عن هذه الأقانيم الثلاثة بثلاثة أحرف وهي الألف والواو والميم ويلفظونها (أوم) ولا ينطقون بها

(١) الأستاذ مالفير أنظر: المرجع السابق، ص ٨١

(٢) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

المسألة الخامسة

بطلان عقيدة التثليث عقلاً

وببداهة العقول السليمة الخالية من التعصب والميل إلى الهوى تبطل عقيدة التثليث هذه، فقد أثبتنا - في المبحث السابق - بطلان دعوى تأليه المسيح عليه السلام وهو أحد اقطاب أو أقانيم التثليث فينتفي بذلك التثليث (١) وتثبت وحدانية الله تعالى، مع أن وحدانية الله تعالى لا تحتاج إلى إثبات لأن كل ما في الكون يدل على وجوده ووحدانيته وربوبيته ومن ثم استحقاقه للعبادة وحده دون سواه سبحانه وتعالى عما يشركون.

وبلاشك فإن التثليث يؤدي إلى التعدد أو هو التعدد بذاته وتعدد الآلهة هو الشرك بعينه، وقد وصف الله تعالى الشرك بأنه ظلم عظيم: { وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم } (٢).

{ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار } (٣).

{ إن الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً } (٤).

(١) انظر : ص ٣٦٣ من هذه الرسالة.

(٢) سورة لقمان : آية ١٣

(٣) سورة المائدة : آية ٧٢

(٤) سورة النساء : آية ٤٨

(١) القس بوطر، انظر د. احمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ١٣٧

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٩

فالذات عندنا : الأب الذي هو ابتداء الإثنين.

والنطق : الإبن الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل.

والحياة : هي الروح القدس >> (١).

ويظهر تناقض أقوال النصارى الواضحاً جلياً وللرد عليهم:

هم يقولون إن الأب هو ابتداء الإثنين، ومادام كذلك فهو متقدم على الإبن، فهو أقدم منه فهو الأول، إذاً فهو المستحق للعبادة لأنه مصدر كل شيء.

ومادام النطق وهو الإبن مولود منه أي من الآب أي منبثق عنه، فالآب هو المصدر له، فهو أقدم منه، إذاً فهو المستحق للعبادة، فبذلك تبطل شبهة النصارى هذه.

وقد انبرى كثير من أئمة وعلماء المسلمين إلى دحض عقيدة التثليث خاصة وعقائد النصارى عامةً في مختلف العصور من أولئك شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام ابن حزم، والشيخ رحمة الله الهندي وغيرهم كثير.

ويفند شيخ الإسلام ابن تيمية شبهة النصارى هذه بردودٍ فلسفية فريده، قال يرحمه الله:

>> الأول : أن أسماء الله تعالى متعددة كثيرة، فإنه:

{ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم،

(١) نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية (الجواب الصحيح)، ج ٢، ص ١١٢

فإذا قالوا: إن الأب الذي هو الذات، هو ابتداء الحياة والنطق، اقتضى ذلك أن يكون الأب قبل الحياة والنطق، فإن ما كان ابتداء لغيره يكون متقدماً عليه أو فاعلاً له (١).

وكذلك قولهم: إن النطق مولود منه كولادة النطق من العقل، فإن المولود من غيره متولد منه، فيحدث بعد أن لم يكن، كما يحدث النطق شيئاً فشيئاً، سواء أريد بالنطق العلم أو البيان فكلاهما لم يكن لازماً للنفس الناطقة، بل حدث فيها واتصفت به بعد أن لم يكن، وإن كانت قابلة له ناطقة له بالقوة فإذا مثلوا النطق من الرب كتولده عن العقل لزم أن يكون الرب كان ناطقاً بالقوة، ثم صار ناطقاً بالفعل فيلزم أنه صار عالماً بعد أن لم يكن عالماً، وهذا من أعظم الكفر واشده استحالة فإنه لاشئ غيره (٢) لجعله متصفاً بصفات الكمال بعد أن لم يكن متصفاً بها، إذ كل ما سواه فهو مخلوق له وكماله منه، فيمتنع أن يكون هو (٣) جاعل الرب سبحانه وتعالى كاملاً.

وذلك دور (٤) ممتنع في صريح العقل، إذ كان الشئ لا يجعل غيره متصفاً

-
- (١) أي هذا بإعتراف منكم بأن الأب ابتداء للنطق - ويقصدون به الإبن أي المسيح عليه السلام والحياة ويقصدون بها روح القدس فالآب ابتداء لهما فهو إذا متقدم عليهما وبذلك يكون فاعلاً لهما أي خالقاً لهما.
- (٢) أي الآب والمقصود به الحق سبحانه وتعالى.
- (٣) هو أي النطق ويقصدون به المسيح عليه السلام كما أسلفنا.
- (٤) الدور: هو توقف الشئ على نفسه أي يكون هو نفسه علة لنفسه، بواسطة أو بدون واسطة، والدور مستحيل بالبداهة العقلية.
- انظر: ضوابط المعرفة للشيخ عبد الرحمن الميداني، ط ١، ص ٣٣٣

بصفات الكمال، حتى يكون هو متصفاً بها، فإذا لم يتصف بها حتى جعله غيره متصفاً بها لزم الدور الممتنع مثل كون كل من الشيئين فاعلاً للآخر وعلة له، أو لبعض صفاته المشروطة في الفعل فتبين بطلان كون نطقه متولداً عنه، كتولد النطق من العقل، كما بطل ان يكون لصفاته اللازمة له ما هو مبدأ لها متقدم عليها أو فاعل لها.

الوجه الثالث : أن قولهم في الإبن أنه مولود من الله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - إن أرادوا به أنه صفة لازمة له، فكذلك الحياة صفة لازمة لله، فيكون روح القدس أيضاً ابناً ثانياً، وإن أرادوا به أنه حصل منه بعد أن لم يكن، لزم أن يكون عالماً بعد أن لم يكن عالماً، وهذا مع كونه باطلاً وكفراً فيلزم مثله في الحياة وهو أنه صار حياً بعد ان لم يكن حياً.

الوجه الرابع : أن تسمية حياة الله روح القدس أمر لم ينطق به شيء من كتب الله المنزل، فإطلاق روح القدس على حياة الله من تبديلهم وتحريفهم << (١) .

الوجه الخامس : << أن العلم أيضاً صفة والصفة لا تخلق ولا ترزق، والمسيح نفسه ليس هو صفة قائمة بغيرها باتفاق العقلاء >> (٢).

وينكر شيخ الإسلام ابن تيمية على النصارى تأليه المسيح واعتباره أحد أقطاب الثالوث المؤله باعتباره كلمة الله تعالى فيقول:

(١) انظر : الجواب الصحيح، ج ٢، ط مطابع المجد، ص ١١٢-١١٥ بتصرف قليل.
(٢) المرجع السابق، ص ١١٥

وأن قولهم بالأقنيم مع بطلانه في العقل والشرع لم ينطق به عندهم كتاب، ولم يوجد هذا اللفظ في شيء من كتب الأنبياء التي بأيديهم ولا في كلام الحواريين، بل هي لفظة ابتدعوها، ويقال: إنها رومية، وقد قيل: الأقتوم في لغتهم معناه الأصل، ولهذا يضطربون في تفسير الأقنيم تارة يقولون أشخاص، وتارة خواص، وتارة صفات، وتارة جواهر، وتارة يجعلون الأقتوم اسماً للذات والصفه معاً، وهذا تفسير حذاقهم >> (١).

>> فليس في كلام الأنبياء - لا المسيح ولا غيره - ذكر أقنيم لله، لا ثلاثة ولا أكثر، ولا إثبات ثلاثة صفات، ولا تسمية شيء من صفات الله ابناً لله، ولا رباً، ولا تسمية حياته روحاً، ولا أن لله ابناً هو إله حق من إله حق من جوهر أبيه، وأنه خالق كما أن الله خالق، إلى غير ذلك من الأقوال المتضمنه لأنواع من الكفر، لم تنقل عن نبي من الأنبياء >> (٢)

ويحتج النصارى على عقيدة التثليث بقولهم: إن الإنجيل قد نطق بها، وقد نقلنا - فيما سبق - من هذا المبحث بعض النصوص التي يستدل بها النصارى على عقيدة التثليث وبيناً مدى بطلانها.

وإذا كان الإنجيل قد نطق بها. فأين هو الإنجيل الأصلي للسيد المسيح عليه السلام؟ إنه مفقود وحتى إن عثروا عليه فسيكون حجة عليهم لالهم فلن يتعارض مع القرآن الكريم فمصدرهما واحد وهو الحق سبحانه وتعالى.

(١) انظر الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٠٠

(٢) انظر: الجواب الصحيح، ج ٣، ص ١٤١

أما أناجيل النصارى الحالية فقد ثبت بالتأكيد تحريف نصوصها وتناقضها، وقد فصلنا الكلام عن ذلك في الدراسة السابقة^(١) لذلك فالأناجيل ليست موحى بها من الله تعالى لانقطاع سندها، وعدم صحتها فيثبت بذلك عدم حجيتها على صحة العقائد المسيحية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

>> قولكم : وكذلك نحن النصارى العلة في قولنا: > إن الله ثلاثة أقانيم أب، وابن، وروح قدس، أن الإنجيل نطق به.

فيقال لكم : هذا باطل، فإنه لم ينطق، لا الإنجيل ولا شيء من النبوات بأن الله ثلاثة أقانيم ولاخص أحد من الأنبياء الرب بثلاث صفات دون غيرها ولاقال المسيح ولاغيره: إن الله هو الأب، والابن، وروح القدس ولا إن له أقنوما هو الابن، وأقنوما هو روح القدس >>^(٢)

>> فأين في كلام الأنبياء أن شيئاً من صفات الله أو من مخلوقاته يقال فيه: إنه أقنوم، وإنه إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، وإنه مساو لله في الجوهر، وإنه خالق كل شيء، وإنه قعد عن يمين الله فوق العرش، وإنه الذي يقضي بين الناس يوم القيامة؟!>>

وأين في كلام الأنبياء أن لله ولداً قديماً أزلياً؟!>>

(١) التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة (رسالة ماجستير) للباحثة

(٢) انظر الجواب الصحيح، ج ٣، ص ١٦١

ومن الذي سمى كلام الله أو علمه أو حكمته، مولوداً أو ابناً له أو شيئاً
من صفاته مولوداً له أو ابناً له؟!!

ومن الذي قال من الأنبياء: إنه مولود وهو - مع ذلك - قديم إزلي؟!
وأين في كلامهم أن لله أقنوماً ثالثاً هو حياته، ويسمى بروح القدس،
وأنه أيضاً رب حي يحي؟!!

فلو كان النصارى آمنوا بنصوص الأنبياء، كما آمن المؤمنون، لم يكن
عليهم ملام.

ومن اعترض على نصوص الأنبياء كان لفساد فهمه ونقص معرفته ولكن هم
ابتدعوا أقوالاً وعقائد ليست منصوصه عن أحد من الأنبياء عليهم السلام، وفيها
كفر ظاهر وتناقض بين <<(١)>>.

ثم يذكر شيخ الإسلام - بعد ذلك - أن عقيدة النصارى في التثليث عقيدة
متناقضة، ولاحقيقة لها، وأنه من مجرد التصور التام لتلك العقيدة كان كافياً للحكم
بفسادها من غير احتياج إلى دليل، إذ كيف يجوز لذي عقل أن يعتقد في شيء أنه
ثلاثة مع اعتقاده فيه بأنه واحد!!؟!

>> ولما كان قول النصارى في التثليث متناقضاً في نفسه للاحقيقة له صار
مجرد تصوره التام كافياً في العلم بفساده من غير احتياج إلى دليل، وإن كانت
الأدلة تظهر بفساده.

(١) المرجع السابق، ج ٣، ص ١٤٢

ولهذا سلك طائفة من العلماء في الكلام معهم هذا المسلك وهو أن مجرد تصور مذهبهم كاف في العلم بفساده فإنه غير معقول.

وقالوا: إن النصارى ناقضت في اللفظ، وأحالت في المعنى، فلا يجوز أن يعتقد ما يدعون انتحاله لتناقضه.

وذلك انهم يزعمون أن الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة، وهذا لا يصح اعتقاده، لأنه لا يجوز أن يعتقد المعتقد في الشيء أنه ثلاثة مع اعتقاده فيه أنه واحد، لأن ذلك متضاد.

وإذا كان ذلك كذلك، فليس يخلو من أن يعتقد أنه ثلاثة، أو أنه واحد. وليس يحتاج أن يعرف بدليل بطلان قول من ادعى أن الواحد ثلاثة، وأن الثلاثة واحد، لأن ذلك لا يعقل.

وهو كمن ادعى في الشيء أنه موجود معدوم، أو قديم محدث، أو في الجسم أنه قائم قاعد، متحرك ساكن.

وإذا كان كذلك فتنقضه أظهر من أن يحتاج فيه إلى دلالة << (١)

>> فقولهم عن المسيح : > عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس < (٢).

(١) المرجع السابق، ج ٣ ، ص ١٦٦ ، ١٦٧

(٢) متى ٢٨ : ١٩

أنه أراد بالابن كلمة الله القديمة الأزلية، وأنها متولدة منه وأنه أراد بروح القدس، حياة الله القديمة الأزلية، كذب محض على المسيح عليه السلام لا يوجد قط في كلامه ولا كلام غيره من الأنبياء أنهم سموا علم الله وحكمته، ولا شيئاً من صفاته القائمة به ابناً، ولا سموا حياته روح القدس >> (١)

ويعترض الإمام ابن حزم على ادعاء النصارى أن هذه الأقانيم الثلاثة شيء واحد، فيتساءل لماذا إذاً استحق كل واحد منها هذه التسمية (الآب والابن وروح القدس) مادام هؤلاء الثلاثة شيء واحد؟

ويستدل بنصوص من الأناجيل تبطل كون هذه الأقانيم شيئاً واحداً لاختلاف الأعمال التي يقومون بها !! وتبين أن هناك أموراً لا يعلمها إلا الآب وحده كعلم يوم القيامة.

وفيما يلي ننقل نص حديثه :

>> ثم يقال للقائلين بأن الباري تعالى ثلاثة أشياء: أب وابن وروح القدس: أخبرونا: إذاً هذه الثلاثة الأشياء لم تزل كلها، وأنها مع ذلك شيء واحد إن كان ذلك كما ذكرتم؟ فبأي معنى استحق أن يكون أحدهما يسمى أباً والثاني ابناً والثالث: روح القدس، وأنتم تقولون: إن الثلاثة واحد، وأن كل واحد منها هو الآخر، فالأب هو الإبن، والإبن هو الأب وهما روح القدس، وليس روح القدس سواهما وهذا هو عين التخليط، وإنجيلهم يبطل هذا بقولهم:

(١) الجواب الصحيح، ج ٣، ص ١٨٣ ، ١٩٢

<< سأقعد عن يمين أبي >> (١)

وبقولهم فيه :

<< إن القيامة لا يعلمها إلا الآب وحده، وأن الإبن لا يعلمها >> (٢).

فهذا يوجب أن الإبن ليس هو الأب.

وإن كانت الثلاثة متغايرة - وهم لا يقولون بهذا - فيلزمهم أن يكون في الإبن معنى الضعف، أو من الحدوث، أو من النقص به ووجب أن ينحط عن درجة الأب، والنقص ليس من صفة الذي لم يزل >> (٣)

>> وقد لفق بعضهم أشياء لا معنى لها، إلا أننا ننبه عليها ليتبين هجنة قولهم وضعفه بحول الله تعالى وقوته، وذلك أن بعضهم قال: لما وجب أن يكون الباري تعالى حياً وعالماً ووجب أن تكون له حياة وعلم، فحياته هي التي تسمى روح القدس، وعلمه هو الذي يسمى الإبن.

وهذا من أغث ما يكون من الاحتجاج، لأننا قد قدمنا أن الباري تعالى: لا يوصف بشئ من هذا من طريق الإستدلال، لكن من طريق السمع خاصة، ولا يصح لهم دليل - لا من إنجيلهم ولا من غيره من الكتب - أن العلم يسمى

(١) النص من إنجيل لوقا: < منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة > ٢٢ : ٧٠

(٢) النص من إنجيل متى : < وأما ذلك اليوم - يوم القيامة - وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة السموات إلا أبي وحده > ٢٤ : ٣٦

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: د. محمد نصر، د/ عبدالرحمن عميره، ج ١، ط ١، ص ١١٢، ١١٣

ابناً، ولا في كتبهم أن علم الله هو ابنه: وقد ادعى بعضهم أن هذا تقتضيه اللغة اللاتينية من أن علم الله يقال فيه: إنه ابنه.. وهذا باطل ظاهر الكذب، لأن الإنجيل الذي كان فيه ذكر الأب والإبن وروح القدس، لا يختلف أحد من الناس في أنه إنما نقل عن اللغة العبرانية إلى السريانية وغيرها، فعبّر عن معاني تلك الألفاظ العبرانية، وبها كان فيه (١) ذكر الأب، والإبن، وروح القدس وليس في اللغة العبرانية شيء مما ذكر وادعى.

وإن كانوا من يقولون: بتسمية الباري عز وجل من طريق الاستدلال فقد أسقطوا صفة القدرة، إذ ليس الاستدلال على كونه عالماً بأصح ولا أولى من الاستدلال على كونه قادراً لاسيما مع قول بولس (٢) وهو عندهم فوق الأنبياء، << إن المسيح قدرة الله وعلمه تعالى >> (٣).. فليضيفوا إلى هذه الثلاث صفة رابعة وهي القدرة، وأخرى وهي السمع، وأخرى وهي البصر، وأخرى وهي الكلام، وأخرى وهي العقل، وأخرى وهي الحكمه، وأخرى وهي الجود. فإن قالوا: القدرة هي الحياة.

قبل لهم: والعلم هو الحياة.

(١) أي (في هذا الإنجيل) انظر: هامش المرجع السابق، ص ١٣

(٢) للتعريف به، انظر: هامش ص ٣ من هذه الأطروحة

(٣) في رسالة بولس إلى العبرانيين << لله بعدما كلم بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، علمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله بارئاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين، والذي هو بهاء مجده، ورسم جوهره، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته >> الاصحاح الأول نقلاً عن هامش الفصل في الملل والنحل، ص ١١٣

فإن قالوا: ليس العلم الحياة لأنه قد يكون حي ليس عالماً كالمجنون، قيل لهم: قد يكون حي ليس قادراً كالمغشي عليه، ونحو ذلك، فالقدرة ليست الحياة. وأيضاً فإن كان الإبن هو العلم، وروح القدس هو الحياة، فما بال إقحامهم المسيح عليه السلام في أنه الإبن، وروح القدس.

أترى المسيح هو حياة الله وعلمه؟ وما بال قول بعضهم إن مريم ولدت ابن الله؟ أتراها ولدت علم الله؟!

أيكون في التخليط أكثر من هذا، وهل حظ المسيح عليه السلام من علم الله وحياته إلا كحظ غيره ولا فرق >> (١)

وينقل الإمام ابن حزم - يرحمه الله - إحدى شبه النصارى والتي تقول:

>> لما كانت الثلاثة تجمع الزوج والفرد، وهذا أكمل الأعداد، وجب أن يكون البارئ تعالى كذلك لانه غاية الكمال >> (٢).

وللرد عليهم : من قال إن الثلاثة أكمل الأعداد؟! وما هو دليلكم على هذه السفسطة، والتي لاعمى لها ولا دليل عليها؟! اللهم إلا الاستماتة في تبرير هذه العقيدة المنبثقة عن عقائد الشرك والمشركين الباطل، بل هي الشرك بعينه، وإذا دان المرء بثلاثة آلهه فما المانع أن تمتد هذه الثلاثة وتتكاثر إلى أن تصل إلى خمسة أو سبعة فالعشرات فالمئات، ثم ما هو الدليل على أن الثلاثة أكمل

(١) ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، ج ١، ص ١١٣، ١١٤

(٢) انظر : المرجع السابق، ج ١، ص ١١٥

الأعداد؟ ولماذا لا تكون الأربعة وفيها الزوج وفيها الفرد أو خمسة أو ثمانية وهم جراً، ثم إن هذا القول يتناقض مع مقولة النصارى المشهورة إن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة!!! ولهذا فإن عقائد النصارى تناقض بعضها البعض الآخر.

ويقول الإمام ابن حزم - يرحمه الله - >> هذا من أغث الكلام لوجوه

ضروريه:

>> أحدها : أن الباري تعالى لا يوصف بكمال ولا تمام، لأن الكمال والتمام من باب الإضافة، لأن التمام والكمال لا يقعان البتة إلا فيما فيه النقص، لأن معنهما إنما هو إضافة شئ إلى شئ به كملت صفاته، ولولاه لكان ناقصاً، ولا معنى للكمال والتمام إلا هذا فقط.

الوجه الثاني : إن كل عدد بعد الثلاثة فهو أتم من الثلاثة، لأنه يجمع إما زوجاً وفرداً، وإما زوجاً وزوجاً، وإما زوجاً وفرداً، وإما أكثر من ذلك.

وبالضرورة يعلم أن ما جمع أكثر من زوج فهو أتم وأكمل مما لم يجمع إلا زوجاً وفرداً فقط فيلزمه أن يقول: إن ربه أعداد لا تنتهي، أو أنه أكثر الأعداد، وهذا أيضاً ممتنع محال لو قاله، ويكفي فساداً بقول يؤدي إلى المحال.

الوجه الثالث : إن هذا الاستدلال مضاد لقولهم: إن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة، لأن الثلاثة التي تجمع الزوج والفرد هي غير الثلاثة التي هي عندكم واحد بلاشك، لأن الثلاثة التي تجمع الزوج والفرد ليست الفرد الذي هو فيها، وهي جامعة له ولغيره بل ذلك الفرد بعض لها، وهي كل له ولغيره والباري تعالى لا كل له ولا بعض، والكل ليس هو الجزء، والجزء ليس هو الكل، والفرد جزء للثلاثة والثلاثة كل للفرد وللزوج معه فالفرد غير الثلاثة،

والثلاثة غير الفرد، والعدد مركب من واحد يراد به الفرد، وواحد كذلك، وواحد كذلك إلى نهاية العدد المنطوق به، فالعدد ليس الواحد، والواحد ليس هو العدد، لكن العدد مركب من الآحاد التي هي الأفراد، وهكذا كل مركب من اجزاء، فذلك المركب ليس هو جزء من أجزائه، فالكلام الذي هو مركب من حرف وحرف حتى يقوم المعنى المعبر عنه، فالكلام ليس هو الحرف، والحرف ليس هو الكلام.

الوجه الرابع : إن هذا المعنى السخيف الذي قصده هذا الجاهل نجده في الاثنين لأن الاثنين عدد يجمع فرداً فرداً، وهو زوج مع ذلك، فقد وجدنا في الاثنين الزوج والفرد، فيلزمه أن يجعل ربه اثنين.

الوجه الخامس : أن كل عدد فهو محدث، وكذلك كل معدود يقع عليه عدد فهو أيضاً محدث << (١)

ويرد - أيضاً - على عقيدة التثليث المسيحية ابن كمونه اليهودي (٢) في كتابه << تنقيح الأبحاث للملل الثلاث >> إذ يقول:

<< إن هذه الأقسام التي ذكرتموها، ان كان مرادكم بها ذوات ثلاثة قائمه بانفسها فيرهان الوحدانية يبطله وهو أيضاً على خلاف معتقدكم في التوحيد، وان كان مقصودكم انها صفات على خلاف معتقدكم في التوحيد، وان كان مقصودكم انها صفات أو أحدها ذات والباقيتان صفتان، فهلا جعلتم صفة القدرة أقنوماً

(١) انظر : المرجع السابق، ج ١، ص ١١٥ ، ١١٦

(٢) للتعريف به، انظر : هامش ص ٩٤ من هذه الرسالة.

رابعاً؟ وكذا سائر ما يوصف به الله تعالى أقانيم؟ فإن قالوا - قدرته هي علمه - قلنا: وحياته أيضاً هي علمه فلم أفردتموها أقنوما؟ <<(١)

ومن شبه النصارى لاثبات صحة عقيدة التثليث:

<< قالوا : لو علم المسلمون مرادنا بالأب والإبن، وروح القدس لما أنكروا علينا، فإن مرادنا بالأب الذات، وبالإبن النطق الذي هو القائم بتلك الذات، وروح القدس الحياة، الثلاثة إله واحد، وهذه الثلاثة يعتقدونها المسلمون، ونحن لانطلق ذلك من قبل أنفسنا، بل في الإنجيل قال عيسى عليه السلام << اذهبوا إلى سائر الأمم وعمدوهم باسم الأب والإبن وروح القدس >>(٢).

وفي أول القرآن بسم الله الرحمن الرحيم فاقتنصر على هذه الثلاث الأب والإبن وروح القدس، ونريد بقولنا: المسيح ابن مولود من الله تعالى بلاحدث قبل الدهور، وأنه لم يزل نطقاً، ولم يزل الله تعالى ناطقاً، ثم أرسل الله تعالى نطقه من غير مفارقة الأب الوالد له، كما ترسل الشمس ضوءها من غير مفارقة العقل الوالد له وكما يرسل الإنسان كلامه إلى غيره من غير مفارقة العقل الوالد له فتجسم النطق إنساناً من الروح القدس، ومن مريم رضي الله عنها، وولد منها بالطبيعة البشرية لا بالإلهية، فإذا قلنا: المسيح ابن الله تعالى لانريد بنوة بشرية وإن له ولداً من صاحبه، وقد أثبت القرآن الولد بمعنى النطق كقوله تعالى: { ووالد وماولد } (٣)

(١) أنظر : تنقيح الأبحاث للملث الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام)،

ص ٥٤

(٢) متى : ٢٨ : ١٩

(٣) سورة البلد : آية ٣

وكذلك سمي القرآن عيسى عليه السلام روح الله، وكلمته، واسمه عيسى، فيكون الخالق واحداً وهو الأب ونطقه وحياته، ولا يلزم من تعددها تعدد الخالقين، كما تقول: الخياط خيط الثوب، ويد الخياط خيبت الثوب، ولا يلزم أن يقال: خيط الثوب خياطان، بل خياط واحد كذلك قولنا: الله تعالى وروحه وكلمته إله واحد، ولا يلزمنا أنا عبدنا ثلاثة كما لا يلزم إذا قلنا عقل الإنسان ونطقه وحياته ثلاثة أناسي» (١)

وللرد عليهم تقول :

أولاً : قولكم بأن التثليث يعتقد به المسلمون فهذا كذب بين، وافتراء صريح، فمن اعتقد بتعدد الآله على أي صورة أو هيئة فهو خارج عن الإسلام بنص القرآن الكريم وهو المصدر الأول من مصادر الشريعة الإسلامية: { وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم } (٢).

ثانياً : استدلالكم بنص الإنجيل وقد ذكرنا - سابقاً - بأن الأناجيل الحالية لاتعتبر حجة على صحة العقائد المسيحية لثبات تحريفها وتناقض نصوصها.

ثالثاً : استدلالكم بالبسملة في القرآن الكريم على التثليث هذا يظهر مدى جهلكم ومعرفتكم بمعاني ألفاظ البسملة، فلفظ الجلالة (الله) يدل على الحق سبحانه وتعالى المستحق للعبادة وحده دون سواه، أما الرحمن الرحيم فهما صفتان له سبحانه إلا أن صفة الرحمن أبلغ لشمولها رحمته تعالى في الدارين.

(١) انظر : الإمام القرافي، (الأجوبة الفاخرة)، ط ١، ص ٣٣ ، ٣٤

(٢) سورة البقرة : آية ١٦٣

رابعاً : أما تشبيهكم ولادة المسيح من الله تعالى بإرسال الشمس لضوئها من غير مفارقة للقرص، أو إرسال الإنسان كلامه من غير مفارقة العقل الوالد له، فهذا تشبيه مع الفارق، فالضوء والحرارة الصادر من الشمس تنفصل عنها وتتفرق في ذرات الهواء حتى تصل إلينا، وكذلك كلام الإنسان ينفصل عنه وينتقل صوته حاملاً الألفاظ والمعاني حتى يصل إلى السامع عن طريق الهواء، وأنتم تقولون: إن النطق تجسم فصار إنساناً!! فهل يمكن للمعاني أن تنقلب إلى أجسام؟! هذا أمر لا يقبله العقل.

خامساً : استدلالكم بالآية الكريمة من سورة البلد استدلال باطل ولا يدل على ما أردتموه من تجسم النطق إنساناً.

سادساً : استدلالكم بمثال الحياض لا يدل على ما أردتموه فأنتم تعتقدون بثلاثة آلهة منفصلة، فتقولون الآب إله، والابن إله، وروح القدس إله، وهذا ما نصت عليه أمانتكم^(١)، أما استدلالكم بالإنسان وبنطقه وحياته فهو - أيضاً - استدلال باطل فالنطق والحياة صفتان للإنسان وليست ذوات على خلاف اعتقادكم.

ويرد الإمام القرآني - يرحمه الله - على هذه الشبهة بطريقة فلسفية فريده مناقشاً النصارى بالحجة والبرهان، ويجادلهم بالتي هي أحسن.. يقول:

>> والجواب : أما ما اعتمد عليه نص الإنجيل فقد ثبت أن إنجيلهم ليس شيئاً يعتمد عليه، ولا هو مضبوط النقل، ولا مضبوط العين، ولا يوثق منه بشيء في

(١) انظر : ص ٤٣٤، ٤٣٥، من هذا البحث

الدين، وقد تقدم ذلك في تناقضه، وأما ما في القرآن من بسم الله الرحمن الرحيم فتفسيركم له غلط وتخريف، كما فعلتم في الإنجيل، لأن الله تعالى عندنا في البسملة معناه الذات الموصوفه بصفات الكمال، ونعوت الجلال، والرحمن الرحيم وصفان له سبحانه وتعالى باعتبار الخير والإحسان الصادرين عن قدرته.. فالرحمن معناه المحسن في الدنيا والآخرة لخلقته بفضلته، والرحيم معناه المحسن في الآخرة خاصة لخلقته بفضلته، وكذلك يقال يارحمن الدنيا والآخرة فالرحمن أبلغ من الرحيم لشموله الدارين، وأما النطق فلأمدخل لهما في الرحمن الرحيم، بل هو تخريف منه للقرآن، وإذا بطل المستند من الأناجيل والقرآن حرم هذا الإطلاق، قال: إطلاق الموهومات لما لا يليق بالربوبيه يتوقف على نقل صحيح ثابت عن الله تعالى، وليس هو عندكم فكنتم عصاة بهذا الإطلاق،

وأما قولكم : إن النطق موجد فغلط، فإن الموجد إنما هو القدرة دون غيرها، وكل صفة من صفات الله تعالى لها خاصية لا توجد لغيرها..

وقوله : ونريد بينوة المسيح وولادته من الله تعالى بلاحدث أنه لم يزل نطقاً، ولم يزل الله تعالى ناطقاً قلت: هذا كلام غير معقول أصلاً إلا على وجه لا يبقى لدين النصرانية أثر، وتقريره: أن النطق صفة قائمة بذات الله تعالى، وقد سلمتم ذلك، فهو من المعاني لامن الأجسام، بل هو كالعلم والحياة والإرادة فإن أردتم أن عيسى عليه السلام المتجسد أنه لم يزل هذه الصفة المعنوية فهو من باب قلب الحقائق الذي يستحيل وقوعه في زمن من الأزمان فضلاً عن كونه لم يزل كذلك، كما يستحيل أن السواد يكون بياضاً، والعلم يكون طعماً، أو الراححة لوناً كذلك يستحيل أن يكون النطق إنساناً، فهذا التفسير غير معقول ولامتصور، وإن أردتم أنه لم يزل نطقاً أي لم يزل الله تعالى يخبر عن وجود عيسى عليه السلام

في أزاله فهو صحيح مقصود، لأن خير الله تعالى يتعلق بجميع الأشياء الموجودات والمعدومات الماضيات، والحاضرات والمستقبلات، لكن هذا التفسير لا يبقى معه لدين النصرانية وجود فإن خير الله تعالى كما يتعلق بوجود عيسى عليه السلام يتعلق بوجود كل واحد من اليهود وغيرهم في الأزل، ولم يزل كل واحد من اليهود نظماً بهذا التفسير، فينبغي أن يكون كل واحد من اليهود ابن الله تعالى، ولا مزية لعيسى عليه السلام على أحد من اليهود في ذلك وإن أردتم تفسيراً ثالثاً فقولوه، فإنه غير معقول من قولكم: لم يزل المسيح عليه السلام نظماً فظهر أن أحد الأمرين لازم وهو إما إبطال مذهب النصارى، أو يكون كلامهم غير معقول فضلاً عن إقامة الدليل عليه، فإنهم لا يتكلمون بكلام إلا مثل هذا لا يتحصل منه شيء.

قوله : ثم أرسل الله نطقه من غير مفارقه.

قلت : هذا غلط وعمى وعدم بصيره فإن إرسال الشيء اتصاله بغيره المبين له، وهو غير معقول في كل صفة من الصفات النطق وغيره >> (١)

>> وأما إرسال الشمس لضوئها فليس معناه أن صفة قائمة بالشمس اتصلت بالغير، بل الله تعالى يخلق الأنوار والأضواء في أجرام الهواء الكائن بين السماء والأرض، فالضوء الحاصل في كل جزء من الهواء غير الضوء الحاصل في الجزء الآخر، وغير الضوء القائم بجرم الشمس، فهنا صفات عديده، وموصوفات كثيرة لم يرسل منها صفة واحدة، بل كل صفة لازمة لمحلها لم تفارقه، فإن

(١) انظر: الإمام القرافي (الأجوبة الفاخرة) ط ١، ص ٣٤ - ٣٦ بتصرف

أردتم أن الله تعالى خلق في عيسى عليه السلام نطقاً بما طلبه الله تعالى من العباد أو بغيره، فكذلك سائر الأنبياء عليهم السلام بل العلماء كذلك خلق الله تعالى نفوسهم للإخبار عن أحكامه تعالى، فإن كان عيسى عليه السلام بهذا ابناً فالعلماء كلهم كذلك، وإلا فلا أحد من خلق الله تعالى ابناً وهو الحق >> (١).

قوله : فتجسم النطق إنساناً من الروح القدس، ومن مريم رضي الله عنها.. قلت : هذا موضع الخطب والجهل والكفر، وعدم الإنسانية بالكلية كيف يتخيل عاقل أن النطق يصير جسماً، وذلك كقول القائل: الألوان والطعوم والروائح صارت جمالاً وبراذين (٢) فمن قام به لون قام به برذون، ومن قام به رائحة قام به جمل، أو فرس، وكيف يتخيل عاقل أن المعاني تنقلب أجساماً مع أن المعاني مفتقرة للمحال لذاتها >> (٣).

>> قوله : إن القرآن الكريم أثبت هذه البنوة بقوله تعالى: { ووالد وما ولد }.

قلت : هذا افتراء على الله تعالى، وعلى كتابه وعلى المسلمين، وإنما أقسم الله تعالى بآدم وذريته، فليس للنصراني أن يتسلط بالتحريف على كتابنا كما تسلط على كتابه >> (٤).

>> قوله : الله وكلمته وروحه إله واحد، فلا يلزمنا القول بثلاثة آله

كما تقول الإنسان وعقله وحياته ثلاثة، وهو إنسان واحد.

(١) المصدر السابق، ص ٣٦ ، ٣٧

(٢) مفردة: برذون وقد يكون البغل وهو ما يُولد من ذكر الخيل وأنثى الحمار.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٧

(٤) المصدر السابق، ص ٣٨

قلنا : بل يلزمكم، لأنكم قلمت الكلمة انتقلت للمسيح عليه السلام فاستحق العبادة لأجل ما انتقل له من الكلمة، والله يستحق العبادة لذاته من غير أن ينتقل له من غيره شيء، والروح القدس الذي هو الحياة، ونحن ننكر عليكم هذا الإطلاق أيضاً لما فيه من الإلهام بأحوال الأجسام الحيوانية سوية بالله تعالى، وتقولون في صلاتكم والروح القدس مساو لك في الكرامة، ولا تفضلون أحد الثلاثة على الآخر، فالثلاثة عندكم مستوية مستحقة للعبادة والخضوع، فلکم ثلاثة آله بالضرورة >> (١).

>> ولا شك أن النصارى لغلبة الجهل عليهم لا يفهمون معنى الإله ولا أي شيء هو الموجب لاستحقاق العبودية، فلذلك عبدوا ثلاثة آله، وهم لا يشعرون، فهم كمن لا يفهم حقيقة القتل ثم يقتل، ثم ينكر على من ينسب له العمل ويتعجب منه ويغلطه، فينبغي لهذه الطائفة النصرانية أن تبكي وتنوح على فقد العقل قبل أن تبكي على فقد الدين، فإذا وهبها الله تعالى عقلاً سألت عن حقيقة الإلهية حتى تعلمها بحدودها وشروطها وخواص ماهيتها وما يجب للإلهية، وما يستحيل عليها.. وإذا علمت هذه الأمور كلها كما علمها المسلمون استيقظت من سكر جهلها، وظهر أنها تعبد ثلاثة آله وأن المتعين أن لا يعبد إلا الله وحده >> (٢)

ويناقد الإمام الشيخ رحمة الله العثماني النصارى في إدعائهم أن التوحيد

(١) المصدر السابق، ص ٣٩

(٢) المصدر السابق، ص ٤٠

والتثليث حقيقيين، وأنه يمكن اجتماعهما ولا تناقض في ذلك، ويثبت في مناقشاته تلك أن التوحيد والتثليث لا يمكن أن يجتمعا وإلا لزم اجتماع الضدين، وأن قائل التثليث لا يمكن أن يكون موحداً...

وفيما يلي ننقل نص حديثه:

>> لما كان التثليث والتوحيد حقيقيين عند المسيحين.. فإذا وجد التثليث الحقيقي لا بد من أن توجد الكثرة الحقيقية أيضاً ولا يمكن بعد ثبوتها ثبوت التوحيد الحقيقي وإلا يلزم اجتماع الضدين الحقيقيين... وهو محال فلزم التعدد وفات التوحيد يقيناً، فقائل التثليث لا يمكن أن يكون موحداً لله تعالى بالتوحيد الحقيقي، والقول بأن التثليث الحقيقي والتوحيد الحقيقي وإن كانا ضدّين حقيقيين في غير الواجب لكنهما ليسا كذلك فيه سفسطه محضة لأنه إذا ثبت أن الشئيين بالنظر إلى ذاتيهما ضدان حقيقيان أو نقيضان في نفس الأمر فلا يمكن اجتماعهما في أمر واحد شخصي في زمان واحد من جهة واحدة، واجباً كان ذلك الأمر أو غير واجب، كيف وأن الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح، والثلاثة لها ثلث صحيح، وهو واحد، وأن الثلاثة مجموع آحاد ثلاثة، والواحد الحقيقي ليس مجموع آحاد رأساً، وإن الواحد الحقيقي جزء الثلاثة، فلو اجتمعا في محل يلزم كون الجزء كلاً والكل جزءاً، وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الحق سبحانه وتعالى مركباً من أجزاء غير متناهية بالفعل، والكل مركب، فكل جزء من اجزائه أيضاً مركب من الأجزاء التي تكون عين هذا الجزء وهمم جراً، وكون الشئ مركباً من أجزاء غير متناهية بالفعل باطل قطعاً >> (١)

(١) انظر: اظهار الحق، ج ١، ط قطر، ص ٥٨٣، ٥٨٤==

وقد اعتمد حديث الشيخ رحمة الله الهندي - السابق - على عدة مقدمات منها مايلي :-
لأمر السابع >> قد لا يدرك العقل ماهية بعض الأشياء وكنهها كما هي لكن مع ذلك يحكم بإمكانها ولا يلزم من وجودها عنده استحالة ما ، ولذا تعد هذه الأشياء من الممكنات ، وقد يحكم بداهة أو بدليل قطعي بامتناع بعض الأشياء ، ويلزم من وجودها عنده محال ما ، ولذا تعد هذه الأشياء من الممتنعات ، وبين الصورتين فرق جلي ، ومن القسم الثاني اجتماع النقيضين الحقيقيين وارتفاعهما ، وكذا اجتماع الوحدة والكثرة الحقيقيتين في مادة شخصية في زمان واحد من جهة واحدة ، وكذا اجتماع الزوجية والفردية وكذا اجتماع الأفراد المختلفة ، وكذا اجتماع الأضداد مثل النور والظلمة والسواد والبياض والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، والبصر والعمى ، والسكون والحركة في المادة الشخصية مع اتحاد الزمان والجهة واستحالة هذه الأشياء بديهية يحكم بها عقل كل عاقل ، وكذا من القسم الثاني لزوم الدور والتسلسل وأمثالها يحكم العقل بطلانها بأدلة قطعية.

لأمر التاسع >> العدد لما كان قسماً من الكم لا يكون قائماً بنفسه بل بالغير ، وكل موجود لا بد أن يكون معروضاً للوحدة أو الكثرة والذوات الموجودة بالامتياز الحقيقي المتشخصة بالتشخص تكون معروضة للكثرة الحقيقية ، فإذا صارت معروضة لها لا تكون معروضة للوحدة الحقيقية ، وإلا يلزم اجتماع الضدين الحقيقيين كما عرفت في الأمر السابع ، نعم يجوز أن تكون معروضة للوحدة الاعتبارية بأن يكون المجموع كثيراً حقيقياً وواحداً اعتبارياً.

لأمر العاشر >> المنازعة بيننا وبين أهل التثليث والتوحيد كليهما حقيقان وإن قالوا التثليث حقيقي والتوحيد اعتباري فلانزاع بيننا وبينهم لكنهم يقولون إن كلاً منها حقيقي كما هو مصرح به في كتب علماء البروتستانت ، قال صاحب ميزان الحق في الباب الأول من كتابه المسمى بحل الإشكال هكذا : >> إن المسيحيين يحملون التوحيد والتثليث كليهما على المعنى الحقيقي >>
: رحمة الله الهندي إظهار الحق ح ١ ط قطر ص ٥٧٣ - ٥٧٥ ولم يذكر المصدر الذي قد نقل عنه.

وينقل الإمام الشيخ رحمة الله العثماني:

>> أنه قد تنصر ثلاثة أشخاص وعلمهم بعض القسيسين العقائد الضرورية سيما عقيدة التثليث، وكانوا في خدمته فجاء محب من أجباء هذا القسيس وسأله عن تنصره؟ فقال: ثلاثة أشخاص تنصروا، فسأل هذا المحب: هل تعلموا شيئاً من العقائد الضرورية، فقال: نعم، وطلب واحداً منهم ليرى محبه، فسأله عن عقيدة التثليث، فقال: إنك علمتني أن الآلهة ثلاثة أحدهم الذي هو في السماء، والثاني تولد من بطن مريم العذراء، والثالث الذي نزل في صورة الحمام على الإلهة الثاني بعدما صار ابن ثلاثين سنة، فغضب القسيس وطرده، وقال: هذا مجهول، ثم طلب الآخر منهم وسأله، فقال: إنك علمتني أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحداً منهم فالباقي إلهان، فغضب عليه القسيس أيضاً وطرده، ثم طلب الثالث وكان ذكياً بالنسبة إلى الأولين فسأله فقال: يامولاي حفظت ما علمتني حفظاً جيداً وفهمت فهماً كاملاً بفضل الرب المسيح، أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد، وصلب واحد منهم ومات فمات الكل لأجل الاتحاد ولا إله الآن !! وإلا يلزم نفي الاتحاد >> (١)

وهذه القصة إن دلت على شيء فإنما تدل على تهاة عقائد النصارى الحالية حيث أن بعض الأشخاص بعد التنصر وتعليمهم لعقائد النصارى من أحد قساوستها لم يستطيعوا مع ذلك فهمها، فانتهى بهم الأمر إلى الطرد من حظيرة هذا الدين !! أما الآخر ولأنه استطاع ان يتفلسف قليلاً لديهم، ويأتي بعبارات ملؤها التناقض

(١) انظر: إظهار الحق، ج ١، ص ٥٨٩، ٥٩٠

والسفسطه استطاع أن يقحمهم ، فأصبح وكان إحدى مصادر دينهم عقول بعض الأشخاص حديثي العهد بهذا الدين، والله المستعان على ما يصفون. ويطرح الأستاذ محمد مجدي مرجان تساؤلات استنكارية في كتابه (الله واحد أم ثلوث) عن كيفية أن يقال إن الأقانيم الثلاثة التي يعبدها النصارى، هم واحد في الجوهر بينما يقومون بأعمال مختلفة يختص بها البعض دون البعض الآخر، ويوضح التناقض البين في هذه الأقوال، ثم يستدل على ما يقول بنصوص من أناجيلهم، كما يستدل - أيضاً - من اعترافهم بإرسال أحد الأقانيم لأقنوم آخر بأن ذلك يعني انفصلاً يمنع الوحدة بينها حيث أن المرسل غير المرسل، كما أن المرسل أعلى درجة من المرسل.

وفيما يلي نص حديثه:

>> ولكن كيف يقال أن الأقانيم الثلاثة هم واحد في الجوهر، وأنهم يتقاسمون جميع الأعمال الإلهية على السواء، بينما يختص بعضهم بصفات ووظائف لا يختص بها بقية الأقانيم، ويعجز البعض منهم عن فعل ما يفعله البعض الآخر وما يختص به، ومع ذلك يقال أنهم واحد في كل الصفات والخصائص والمميزات، أليس في هذا القول تناقض، وكيف يتميزون ولا يتميزون؟

وإذا ذهبنا نطالع الكتب المسيحية فإننا نجد فيها أقوالاً منسوبة إلى الأقانيم

الثلاثة يخاطب كل منهما الآخر، ويتحدث عنه وإليه >> (١)

ويتكلم الإبن عن الآب فيقول:

« أنا أعرفه لأني منه وهو أرسلني » (١)

ويتكلم الإبن عن الروح القدس فيقول:

« ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم » (٢)

ويتحدث الإبن عن نفسه قائلاً:

« بعد قليل لاتبصروني، ثم بعد قليل أيضاً تروني لأني ذاهب إلى الآب » (٣)

ويقول الإبن: « خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم » (٤)

« هذا التخاطب بين الأقانيم وخروج أحدهما من الآخر، وإرسال أحدهما للآخر، يعني انفصلاً بين الأقانيم، انفصلاً يمنع الوحدة بينها، بل يمنع أيضاً المساواة بينها، ففي موضوع الإرسال مثلاً لاشك أن المرسل أعلى درجة من المرسل أو الرسول فحين يُرسل الآب الإبن مثلاً، فلاشك أن الآب أعلى من الإبن، فهو كارسال السيد خادمه، أو كارسال الرئيس مرءوسه، يقول السيد المسيح:

(١) يوحنا: ٢٩:٧

(٢) يوحنا: ١٤:١٦

(٣) يوحنا: ١٦:١٦

(٤) يوحنا: ٢٨:١٦

>> الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مرسله << (١)

كذلك فإن المرء ليتساءل كيف أمكن خروج الإبن الذي هو في اعتقاد فلاسفة المسيحية السيد المسيح عليه السلام كيف أمكن خروجه وتجسده وانفصاله عن اللاهوت، ودخوله برحم السيدة العذراء مريم وامتزاجه بلحمها ودمها، ثم خروجه من بطنها إنساناً له كل الصفات الانسانية ومع ذلك يمثل جانباً في الله، جانباً يمثل في نظرهم أهم جوانب الله!! (٢)

ويذكر الأستاذ محمد مجدي مرجان إعترافات بعض المسيحيين له عندما كان منهم، وحتى بعد ان هداه الله إلى الإسلام، يذكر أن الكثير من المسيحيين يعترفون بأنهم لا يستطيعون فهم عقيدة الثالوث هذه، وأنهم يعيشون في صراع بين عقولهم وبين ماورثوه من معتقدات..

يقول في ذلك:

>> هكذا تبين لنا مدى مجافاة عقيدة الثالوث لأبسط قواعد العقل والمنطق والحساب، ومدى بعدها عن الواقع والحق والصواب، ولقد قمت بنفسي بمناقشة كثير من الإخوة المسيحيين في مدى فهمهم وتقبلهم لهذه العقيدة، تارة حين كنت محسوباً في الجماعة المسيحية، وتارة بعد انسلاخي عنها وكثير من هؤلاء المسيحيين أصدقاء وأقارب يولوني ثقتهم ويصدقونني الحديث فأخبروني أنهم لا يستطيعون

(١) يوحنا: ١٣:١٦

(٢) انظر: الأستاذ محمد مجدي مرجان (الله واحد أم ثالوث)، ص ٣٣

فهم كنه الثالوث المقدس، وأن كثيرين منهم يعيشون في صراع بين عقولهم وموروث معتقداتهم، وحين تناقشت في ذلك مع بعض الآباء الكهنة أخبروني أنه يجب الإيمان بالثالوث دون أي تمحيص أو تفكير، وأنه يلزم التسليم بهذا الاعتقاد الثالوثي تسليماً مطلقاً أي تسليماً أعمى، فعلى المسيحي أن يؤمن ويعتقد أولاً في الثالوث المقدس ثم يمكنه أن يجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقد، فإذا لم يفلح في ذلك فإنه خير له أن يلغي عقله ولا يلغي عقائد الآباء، وتراث الأجداد، وتعاليم القسوس.

والحقيقة أن هذا الذي يدعو إليه آباؤنا الكهنة ويغنون قسراً عليه شيء عجيب، فكيف يستطيع الإنسان منا أن يلغي عقله الذي لا يعيش إلا بهديه والذي يفضل على العيش نفسه، ان الأخ المسيحي في محاولته فهم عقيدة الثالوث إنما يصارع كل عقل وفكر ومنطق، وفي خضم هذا الصراع بين منطق عقله وموروث اعتقاده قد يصل به الأمر إلى الإلحاد، وهذا ما وصل إليه الكثيرون فعلاً للأسف المرير << (١)

>> والأمر يدعو للحيرة، ترى إذا كان الفلاسفة والعلماء قد عجزوا عن فهم هذا الثالوث فمن ياترى يستطيع فهمه؟ وما هو موقف البسطاء والعامّة إذا ما حاولوا الفهم؟ وإذا لم نستطع إدراك عقائدنا الدينية بعقولنا وأفهامنا فبماذا ياترى يمكننا إدراكها؟ هل يطلب منا دعاة الثالوث أن نتخلى عن عقولنا ونسلم بالثالوث !! وإذا كنا جميعاً نحن وهم لا ندرك هذا الثالوث، فكيف يمكن لأي منا أن يتبعه أو يسير عليه << (٢)

(١) انظر: (الله واحد أم ثالوث)، ص ٧٣

(٢) المرجع السابق، ص ٧١

المسألة السادسة:

بطلان عقيدة التثليث نقلاً:

إن الآيات الكريمت والتي تبطل نصوصها شبهة تأليه المسيح عليه السلام تبطل كذلك شبهة التثليث، لأن تأليه المسيح وكما هو معلوم عند النصارى أحد أقطاب أو أقانيم التثليث، وإذا بطل الجزء يبطل الكل، وماجاز لأحد المثليين جاز للآخر.

وقد ذكرنا تلك الآيات الكريمت في معرض الحديث عن إبطال عقيدة تأليه المسيح عليه السلام^(١) وبالإضافة إلى الآيات الكريمت السابقات فقد وردت آيتان كريمتان تنصان على بطلان التثليث نصاً ولفظاً.

قال تعالى:

{ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً }^(٢)

والشاهد في هذه الآية الكريمة قوله تعالى:

{ ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه }

(١) انظر: ص ٣٩٦ من هذا البحث

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧١

ويقول الإمام الفخر الرازي في تفسير الشاهد من هذه الآية الكريمة

>> المعنى : ولا تقولوا إن الله سبحانه واحد بالجواهر ثلاثة بالأقانيم، وأعلم أن من مذهب النصارى مجهول جداً والذي يتحصل منه أنهم أثبتوا ذاتاً موصوفة بصفات ثلاثة إلا أنهم وإن سموها صفات فهي في الحقيقة ذوات^(١) بدليل أنهم يجوزون عليها الحلول في عيسى وفي مريم بأنفسهم، والا لما جوزوا عليها أن تحل في الغير وأن تفارق ذلك الغير مرة أخرى، فهم وأن كانوا يسمونها بالصفات إلا أنهم في الحقيقة يثبتون ذوات متعددة قائمة بأنفسها، وذلك محض الكفر، فهذا المعنى قال تعالى: { ولا تقولوا ثلاثة انتهوا }^(٢)

>> وبالجملة فلا نرى مذهباً في الدنيا أشد ركاكة وبعداً عن العقل من مذهب النصارى <<^(٣)

ويقول الإمام الخازن في تفسير الشاهد من هذه الآية الكريمة:

>> ولا تقولوا الآلهة ثلاثة وذلك ان النصارى يقولون أب وابن وروح القدس، وقيل انهم يقولون ان الله بالجواهر ثلاثة أقانيم، وذلك انهم اثبتوا ذاتاً موصوفة بصفات ثلاثة بدليل انهم يجوزون على تلك الذات

(١) يقصد: وإن سموها صفات فاعتقادهم في الحقيقة بأنها ذوات، واعتقد ان الإمام الفخر الرازي قد سمع هذه المقالة من فرقة نصرانية كانت في عصره، وإلا فمعظم النصارى لا يعتقدون بأن هذه الأقانيم صفات، بل يقولون إنها ذوات، ويتناقضون حيث يقولون بأنها ثلاثة آلهة في واحد، انظر: ص ٤١٨ وما بعدها وص ٤٢٣ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) انظر: التفسير الكبير: ج ١١، ط ٢، ص ١١٦

(٣) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

الخلول في عيسى وفي مريم فاثبتوا ذواتاً متعددة ثلاثة، وهذا محض الكفر، فلهذا قال الله تعالى: { ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم } يعني يكن الإنتهاء عن هذا القول خيراً لكم من القول بالتثليث، ثم نزه الله تعالى نفسه عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى: { إنما الله إله واحد } (١)

>> والنصارى مع فرقهم مجمعون على التثليث ويقولون : إن الله جوهر واحد وله ثلاثة أقانيم، فيجعلون كل أقنوم إلهاً ويعنون بالأقانيم الوجود والحياة والعلم، وربما يعبرون عن الأقانيم بالأب والابن وروح القدس، فيعنون بالآب الوجود، وبالروح الحياة، وبالابن المسيح، وفي كلام لهم فيه تحبط بيانه في أصول الدين، ومحصول كلامهم يؤول إلى التمسك بأن عيسى إله بما كان يجريه الله سبحانه وتعالى على يديه من خوارق العادات على حسب دواعيه وإرادته >> (٢)

والآية الكريمة الثانية من سورة المائدة تحكم بكفر القائلين بأن الله ثالث ثلاثة آلهة كفراً مطلقاً، لأن هذا هو الشرك بعينه، وتؤكد بأن الإله واحد وهو الحق سبحانه وتعالى ويتوعد الله سبحانه وتعالى القائلين بهذه المقالة بالعذاب الأليم جزاء ما اقترفوا من ذنب عظيم لاعتقادهم وقولهم بهذه المقالة الشنيعة.

قال الله تعالى:

{ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم، أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم } (٣)

(١) انظر: تفسير الخازن، ج ١، ط دار المعرفة، ص ٤٢٦

(٢) انظر: الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ج ٦، ص ٢٣

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٣ - ٧٤

ويقول الإمام الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية الكريمة:

>> في تفسير قول النصارى (ثالث ثلاثة) طريقان:

الأول : قول بعض المفسرين، وهو أنهم أرادوا بذلك أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة، والذي يؤكد ذلك قوله تعالى للمسيح } أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله { فقوله: (ثالث ثلاثة) أي أحد ثلاثة آلهة، أو واحد من ثلاثة آلهه، والدليل على أن المراد ذلك قوله تعالى في الرد عليهم: { وما من إله إلا إله واحد }.

الطريق الثاني: أن المتكلمين حكوا عن النصارى أنهم يقولون: جوهر واحد، ثلاثة أقانيم أب، وابن، وروح القدس، وهذه الثلاثة إله واحد، كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة، وعنوا بالأب، الذات وبالابن الكلمة، وبالروح الحياة، وأثبتوا الذات والكلمة والحياة، وقالوا: إن الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمير، واختلاط الماء باللبن، وزعموا أن الأب إله والإبن إله، والروح إله، والكل إله واحد. وأعلم أن هذا معلوم البطلان ببديهية العقل، فإن الثلاثة لا تكون واحد، والواحد لا يكون ثلاثة، ولا يرى في الدنيا مقالة أشد فساداً وأظهر بطلاناً من مقالة النصارى << (١).

(١) انظر : التفسير الكبير، ج ١٢، ط ٢، ص ٦٠
أيضاً : تفسير الخازن، المجلد ١، ط دار المعرفة، ص ٤٨٢ ، ٤٨٣
ولا يخفى على القارئ الكريم أننا قد رددنا على هذه الأقاويل والادعاءات
ونقلنا ردود أئمة الإسلام الأعلام في ذلك.
أنظر : ص ٤١٨ من هذه الرسالة وما بعدها.

ويقول الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية الكريمة:

>> كانوا فيما بلغنا يقولون الاله القديم جوهر واحد يعم ثلاثة أقانيم أبا
والدأ غير مولود، وابنأ مولودأ غير والد، وزوجأ متبعة بينهما، يقول الله تعالى
ذكره مكذبأ لهم فيما قالوا من ذلك: >> وما من إله إلا اله واحد >> يقول:
مالكم معبود أيها الناس إلا معبود واحد وهو الذي ليس بوالد لشيء ولا مولود
بل هو خالق كل والد ومولود >> (١).

(١) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، ج٦، المجلد٤، ط ١٤٠٧هـ، ص ٢٠٢

المبحث الثالث

إبطال عقيدة الحلول والاتحاد عند النصارى

وفيه خمس مسائل، وهي كما يلي:

المسألة الأولى : معنى الحلول والاتحاد.

المسألة الثانية: أهم النصوص التي يستدل بها النصارى على
الحلول والاتحاد وبطلان الاستدلال بها.

المسألة الثالثة: إقتباس النصارى لعقيدة الحلول والاتحاد من
الفلسفات والوثنيات القديمة.

المسألة الرابعة: بطلان عقيدة الحلول والاتحاد عقلاً.

المسألة الخامسة: بطلان عقيدة الحلول والاتحاد نقلاً.

المسألة الأولى :

معنى الحلول والاتحاد

الحلول لغة: النزول >> حلّ بالمكان حلولاً ومحلاً ومحلاً: وذلك نزول القوم بمحلة وهو تقيض الارتحال، وحلّه واحتلّ به واحتله: نزل به >> (١).

وجاء في القاموس المحيط الحلول بمعنى النزول (٢).

وقد عرف الإمام الجرجاني الحلول بأنه: >> عباره عن كون احد الجسمين ظرفاً للآخر كحلول الماء في الكوز >> (٣).

ويقول صاحب كتاب المفردات في غريب القرآن:

>> حللتُ نزلت، أصله من حل الأحمال عند النزول ثم جرّد استعماله للنزول فقبل حلّ حلولاً وأحلّه غيره قال عزو جل: { أو تحل قريباً من دارهم } (٤)، { وأحلوا قومهم دار البوار } (٥) ويقال: حلّ الدين وجب أدائه، والحلة القوم النازلون >> (٦).

-
- (١) انظر : ابن منظور، لسان العرب، باب اللام، فصل الحاء، ج ١١، ص ١٦٣
 - (٢) للفيروز أبادي، ط دار الفكر، فصل الحاء، باب اللام، ص ٥٩، ج ٣
 - (٣) انظر : التعريفات للجرجاني، ص ٩٨
 - (٤) سورة الرعد : آية ٣١
 - (٥) سورة إبراهيم : آية ٢٨
 - (٦) الإمام الأصفهاني تحقيق : محمد كيلاني، ط دار المعرفة، ص ١٢٨

أما الإتحاد فهو أبلغ وأعم من الحلول فلا اتحاد بغير حلول وقد عرف الاتحاد بأنه: «امتزاج الشئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحداً» (١).

أو هو «تصيير الذاتين واحدة ولا يكون إلا في العدد من الاثنين فصاعداً» (٢).

وقد قسم شيخ الإسلام ابن تيمية الحلول والإتحاد إلى خاص وعام.

«الحلول الخاص: وهو قول النسطوريه (٣) من النصارى ونحوهم

ممن يقول إن اللاهوت حلّ في الناسوت، وتدرع به كحلول الماء في الإناء» (٤).

«الحلول العام: وهو قول غالب متعبدة الجهميه (٥) الذي يقولون:

إن الله بذاته في كل مكان، ويتمسكون بمتشابه القرآن كقوله تعالى { وهو الله في السموات وفي الأرض } (٦)، { وهو معكم } (٧).

(١) (٢) انظر: التعريفات للجرجاني، ص ٦

(٣) للتعريف بها، انظر ص ٢٦٤ من هذا البحث.

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ٢، ط الرباط، ص ١٧٢

(٥) هم اصحاب جهم بن صفوان قالوا: لاقدرة للعبد اصلاً لامؤثرة ولاكاسبه بل هو بمنزلة الجمادات، والجنة والنار تفتيان بعد دخول اهلها حتى لايبقى موجود سوى الله تعالى، انظر: التعريفات للجرجاني، ص ٨٤

(٦) سورة الأنعام: آية ٣

(٧) سورة الحديد: آية ٤

«الاتحاد الخاص : وهو القول : بأن اللاهوت والناسوت اختلطا
وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء» (١)

«الاتحاد العام : وهو قول هؤلاء الملاحده الذين يزعمون أنه عين
وجود الكائنات» (٢).

وأعتقد أن معنى الحلول والاتحاد يحملان معنى التجسد أيضاً في الفكر
المسيحي، والذي يقصدون به هبوط المسيح ابن الاله والأقنوم الثاني على زعمهم
وتجسده باختلاط اللاهوت بالناسوت، جزء من الإله وجزء من مريم العذراء
الإنسان.

« وكلمة التجسد *Incarnation* مشتقة من الكلمة اللاتينية
Incarnatio ومعناها < بالجسد > أي تجسد المسيح، وقد استعملت هذه الكلمة في
نص < عقيدة نيقية > (٣) حين نتحدث عن المسيح عيسى ابن مريم.
وقد تم التوصل إلى هذه الصيغة في مجمع نيقية عام ٣٢٥م أصلاً حين
ابتدعت الكنيسة عقيدة التثليث المقدسه معارضة بذلك عقيدة الموحدين، وتشرط
هذه العقيدة أن يقول معتقها:

(١) (٢) انظر: شيخ الإسلام ابن تيميه (مجموع الفتاوى)، ج ٢، ص ١٧٢

(٣) تحدثنا عن مجمع نيقية، انظر : ص ٣٦٦ من هذا البحث.

«أومن برب واحد هو عيسى المسيح، الإبن الواحد للإله، الذي نزل من السماء لخلاصنا نحن البشر، وتجسد عن روح القدس من مريم العذراء فأصبح إنساناً».

ويستعمل اصطلاح < التجسد > في الفكر المسيحي في وصف حلول الله سبحانه وعمله في شخص عيسى المسيح - على زعمهم - فهم يقولون إن الله سبحانه قد تواجد بين البشر في شخص عيسى بطريقة خاصة فذة وفي صورة آدمية حقيقية، وبهذا يصبح المسيح إلهاً وإنساناً في نفس الوقت»^(١) تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(١) انظر : عبد الصمد شرف الدين (حول أسطورة تجسد الإله)، ط جامعة الملك عبد العزيز، ص ٢

المسألة الثانية :

أهم النصوص التي يستدل بها النصارى على عقيدة (الحلول والاتحاد)

وبطلان الاستدلال بها

ويستشهد النصارى بعدة نصوص من العهدين القديم والحديث على عقيدة < الحلول والاتحاد > وهي نصوص - كما سيتبين - لاتدل على ما أرادوا إثباته، بل هي إن صح نقلها ولفظها فإن معانيها بعيدة كل البعد عن إثبات هذه العقيدة والتي يحاول النصارى باستماتة أن يثبتوها لكي يثبتوا ما يعتقدون من حلول الإله أو الجزء الإلهي في المسيح عليه السلام، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. وسننقل أهم هذه النصوص ثم نثبت بطلان الاستدلال بها بإذن الله تعالى.

وفيما يلي أهم النصوص التي يستشهدون بها من العهد القديم:

١ - ويستشهدون بما ينقلونه عن النبي زكريا قوله:

>> افرحي يا بنت صهيون، لأني آتيتك وأحل فيك، قال الله: ويؤمن بالله في ذلك اليوم الأمم الكثيرة، ويكونون له شعباً واحداً، ويحل هو وهم فيك، وتعرفين أنني أنا الله القوي الساكن فيك، ويأخذ الله في ذلك اليوم الملك من يهودا، ويملك عليهم إلى الأبد >> (١)

(١) نقلاً عن ابن تيمية (الجواب الصحيح)، ج ٢، ص ١٩١، ويقابله النص في زكريا اصحاح ٢، فقرة ١٠-١٣ >> ترنمي وافرحي يا بنت صهيون لأني هأنذا آتي وأسكن في وسطك يقول الرب، فيتصل أمم كثيرة بالرب ==

وللرد عليهم:

إن المتأمل للنص السابق يلاحظ أن المراد بالحلول بأنه سيكون في بيت صهيون، ولم يقل أنه سيحل في المسيح عليه السلام أو في أحد من خلق الله تعالى.

>> فيقال مثل هذا قد ذكر عندهم عن إبراهيم وغيره من الأنبياء أن الله تجلى له، واستعلن له، وترى له، ونحو هذه العبارات ولم يدل ذلك على حلوله فيه.

وكذلك إتيانه، وهو لم يقل إني أحل في المسيح وأتحد به، وإنما قال عن بيت صهيون < آتيك وأحل فيك > كما قال مثل ذلك عندهم في غير هذا ولم يدل على حلوله في بشر وكذلك قوله: < وتعرفين أنني أنا الله القوي الساكن فيك >، ولم يرد بهذا اللفظ حلوله في المسيح، فإن المسيح لم يسكن بيت المقدس،

== في ذلك اليوم، ويكونون لي شعباً فأسكن في وسطك فتعلمين أن رب الجنود قد أرسلني إليك، والرب يرث يهوذا نصيبه في الأرض المقدسه ويختار أورشليم بعد، اسكتوا يا كل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه <<.

وأعلل الاختلاف في بعض الألفاظ بين النصين لقدم العهد بين النسختين المترجمتين من - غير العربية إليها - النسخة التي كانت بين يدي شيخ الإسلام ابن تيميه، وبين هذه النسخة التي بين أيدينا الآن، ولا يخفى أن الأيدي تمتد دائماً إلى هذا الكتاب لتحريفه وتبديله. وقد اخترت النص الذي نقله شيخ الإسلام ابن تيميه لأن فيه التصريح بلفظ الحلول فهو أبلغ في الاستدلال، ومع ذلك فهو لا يدل مطلقاً على حلول الإله سبحانه في المسيح أو في أحد من خلقه تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وهو قوي بل كان يدخلها وهو مغلوب مقهور حتى أخذ وصلب - على زعمهم - أو شبهه، والله سبحانه إذا حصلت معرفته والإيمان به في القلوب اطمأنت وسكنت.

وكان بيت المقدس لما ظهر فيه دين المسيح عليه السلام بعد رفعه حصل فيه من الإيمان بالله ومعرفته ما لم يكن قبل ذلك.

وجماع هذا أن النبوات المتقدمة والكتب الإلهية كالتوراة والإنجيل والزبور وسائر نبوات الأنبياء لم تخص المسيح بشئ يقتضى اختصاصه باتحاد اللاهوت به وحلوله فيه، بل لم تخصه إلا بما خصه به محمد صلى الله عليه وسلم في قوله:

{ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه } (١).

فكتب الأنبياء المتقدمة، وسائر النبوات موافقة لما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم يصدق بعضها بعضاً، وسائر ما تستدل به النصارى على الهيته من كلام الأنبياء قد يوجد مثل تلك الكلمات في حق غير المسيح، فتخصيص المسيح بالإلهية دون غيره باطل، وذلك مثل اسم الإبن والمسيح، ومثل حلول روح القدس فيه، ومثل تسميته إلهاً، ومثل ظهور الرب أو حلوله فيه أو سكونه فيه أو في مكانه. فهذه الكلمات وما أشبهها موجودة في حق غير المسيح عندهم،

(١) سورة النساء : آية ١٧١

ولم يكونوا بذلك آله، ولكن القائلين بالحلول والاتحاد في حق جميع الأنبياء
والصالحين قد يحتجون بهذه الكلمات.

وهذا المذهب باطل باتفاق المسلمين واليهود والنصارى^(١) وهو باطل في
نفسه عقلاً ونقلاً، وإن كان طوائف من أهل الإلحاد والبدع المنتسبين إلى المسلمين
واليهود والنصارى نقول به، فهؤلاء اشتبه عليهم ما يحل في قلوب العارفين به من
أهل الإيمان به ومعرفته ونوره وهداه والروح منه، وما يعبر عنه بالمثل الأعلى
والمثال العلمي.

وظنوا أن ذلك ذات الرب، كمن يظن أن نفس اللفظ بالإسم هو المعنى
الذي في القلب، أو نفس الحظ هو نفس اللفظ، ومن يظن أن ذات المحبوب حلّت
في ذات المحب واتحدت به أو نفس المعروف المعلوم حلّ في ذات العالم العارف به
واتحد به مع العلم اليقيني أن نفس المحبوب المعلوم باين عن ذات المحب روحه
وبدنه لم يحل واحد منهما في ذات المحب.

فالمؤمنون يعرفون الله ويحبونه ويعبدونه ويذكرونه ويقال هو في قلوبهم،
والمراد معرفته ومحبته وعبادته، وهو المثل العلمي ليس المراد نفس ذاته^(٢).

(١) قد يقصد المحققين المنصفين منهم وإلا فمعظم اليهود والنصارى يقول بهذه
العقيدة.

(٢) انظر : الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٩١ ، ١٩٢

{ وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون } (١)

وننقل فيما يلي ردّ شيخ الإسلام ابن تيميه على المستدلين بهذا النص على عقيدة الحلول:

>> فيقال هذا السفر يحتاج إلى أن يثبت أن الذي تكلم به نبي، وأن ألفاظه ضبطت وترجمت إلى العربية ترجمة مطابقة، ثم بعد ذلك يقال فيه ما يقال في أمثاله من الألفاظ الموجودة عندهم، وليس فيها ما يدل على اتحاده بالمسيح فإن قوله:

>> وأسكن في وسط بني اسرائيل << لا يدل على المسيح، إذ كان المسيح لم يسكن مع الناس في الأرض، بل لما أظهر الدعوة لم يبق في الأرض إلا مدة قليلة، ولم يكن ساكناً في موضع معين، وقبل ذلك لم يظهر عنه شيء من دعوى النبوة فضلاً عن الإلهية، ثم إنه بعد ذلك رفع إلى السماء فلم يسكن مع الناس في الأرض، وأيضاً فإذا قالوا سكونه هو ظهوره في المسيح عليه السلام قيل لهم: أما الظهور الممكن المعقول، كظهور معرفته ومحبته ونوره، وذكره وعبادته، فهذا لا فرق فيه بين المسيح وغيره.

وحيث أن فليس في هذا اللفظ ما يدل على أن هذا السكون كان بالمسيح دون غيره، وإن كان بالمسيح فليس هذا من خصائصه عليه السلام وليس في ظهوره فيه أو حلو له معرفته ومحبته ما يوجب اتحاد ذاته به << (٢).

(١) سورة النمل : آية ٧٤

(٢) انظر : الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٩٦ ، ١٩٧

٣ - ويحتج النصارى بما ورد في سفر أشعياء:

«ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل» (١).

«وعما نوئيل كلمة عبرانية تفسرها بالعربية «إلهنا معنا» قالوا: فقد

شهد النبي أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت كلاهما» (٢).

تقول : وإن صح نقل وترجمة هذا النص ، وإن كان معنى كلمة «عمانوئيل» إلهنا معنا، فليس معنى ذلك أن مريم ولدت الناسوت المتحد باللاهوت، وهذا تفسير بعيد كل البعد عن المعنى الذي يحمله هذا اللفظ، والأحرى والأقرب للمعنى أن تفسر المعية هنا معية العلم أو هي بمعنى دعاء بالرعاية والحماية والحفظ.

« ويقال: ليس في هذا الكلام أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت، وأنها ولدت خالق السموات والأرض، بل هذا الكلام يدل على أن المولود ليس هو خالق السموات والأرض، فإنه قال: تلد ابناً.

وهذا نكره في الإثبات كما يقال في سائر النساء: إن فلانه ولدت ابناً، وهذا دليل على أنه ابن من البنين، ليس هو خالق السموات والأرضين، ثم قال: ويدعى اسمه «عمانوئيل» فدل بذلك على أن هذا اسم يوضع له، ويسمى به كما يسمى الناس ابناءهم بأسماء الأعلام، أو الصفات التي يسمونهم بها. ومن تلك الأسماء ما يكون مرتجلاً ارتجلوه.

(١) ٧ : ١٥

(٢) نقلاً عن ابن تيمية، (الجواب الصحيح)، ج ٢، ص ٢١١

ومنها ما يكون جملة يحكونها، ولهذا كثير من أهل الكتاب يسمي ابنه <<عمانوئيل>> ثم منهم من يقول العذراء المراد بها غير مريم، ويذكرون في ذلك قصة جرت.

ومنهم من يقول: بل المراد بها مريم، وعلى هذا التقدير فيكون المراد أحد معنيين:

إما أنه يريد أن إلهنا معنا بالنصر والإعانة، فإن بني اسرائيل كانوا قد خذلوا بسبب تبديلهم، فلما بعث المسيح عليه السلام بالحق كان الله مع من اتبع المسيح والمسيح نفسه لم يبق معهم، بل رفع إلى السماء ولكن الله كان مع من اتبعه بالنصر والإعانة كما قال تعالى: {وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة} (١).

وإما أن يكون يسمي المسيح إلهاً كما يقولون: إنه يسمي موسى إله فرعون أي هو الأمر الناهي له المسلط عليه، وقد حرف بعضهم معنى هذه الكلمة فقال: معناها الله معنا <<(٢)>>.

<< قلت : ومعلوم أن الله مع المتقين والمحسنين والمقسطين بالهداية والنصر والإعانة، ويقال للرجل في الدعاء: الله معك فإذا سمي الرجل بقوله: <الله معك> كان هذا تبركاً بمعنى هذا الإسم، وإذا قيل إن المسيح سمي الله معنا، أو إلهنا معنا ونحو ذلك كان ذلك دليلاً على أن الله مع من اتبع المسيح وآمن به فيكون الله هاديه وناصره ومعينه <<(٣)>>

(١) سورة آل عمران : آية ٥٥

(٢) (٣) انظر : الجواب الصحيح، ج ٢، ص ٢١٢ ، ٢١٣

ومن النصوص التي يستشهد بها النصارى من العهد الجديد ما يلي:

ما جاء في إنجيل يوحنا

١ - << أنا والآب واحد >> (١).

وللرد عليهم : فلو صح نقل وترجمة هذا النص فإن المسيح عليه السلام لا يمكن ان يقصد بهذا النص حلول أو اتحاد الله - سبحانه وتعالى - أو جزء منه في المسيح أو في غيره من الخلق، لأن هذا أمراً منافياً للتزيه الإلهي، ومخالفاً للمنطق والمعقول - كما سنوضح فيما بعد - أما أن يؤول هذا النص بالاتحاد في الأوامر والنواهي فلا يخفى أن شريعة المسيح وهو نبي ورسول من رسل الله تعالى صادرة عن الله تعالى، كما هو حاصل لجميع أنبياء الله ورسله - عليهم الصلاة والسلام، كما قال تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: { وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى } (٢)

ويقول الشيخ رحمة الله العثماني في الرد على احتجاج النصارى بهذا

النص:

<< إن مثل هذا (أي مثل هذا النص) وقع في حق الحواريين كما ورد في إنجيل يوحنا: >> ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الأب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني، وأنا قد أعطيتهم المجد

(١) ٣٠ : ١٠

(٢) سورة النجم : آية ٣

الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد» (١) «وأنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحد» (٢).

فقوله ليكون الجميع واحداً، وقوله ليكونوا واحداً كما أننا واحد، وقوله يكونوا مكملين إلى واحد، تدل على اتحادهم، وسوى في القول الثاني بين اتحاده بالله وبين اتحاده فيما بينهم، وظاهره أن اتحاده فيما بينهم ليس حقيقياً، فكذا اتحاده بالله، بل الحق أن الاتحاد بالله عبارته عن إطاعة أحكامه والعمل بالأعمال الصالحة، وفي نفس هذا الاتحاد المسيح والحواريون وجميع أهل الإيمان متساوية الأقدام، وإنما الفرق باعتبار القوة والضعف، فاتحاد المسيح بهذا المعنى أشد وأقوى من اتحاد غيره» (٣).

٢ - ويحتج النصارى على عقيدة الحلول والاتحاد بما ورد في إنجيل يوحنا على لسان المسيح عليه السلام:

«الذي رأي فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت أننا الآب؟ ألسنت تؤمن أنني أنا في الآب والآب فيّ، والكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي، لكن الآب الحالّ فيّ هو يعمل الأعمال» (٤).

(١) ١٧ : ٢١ ، ٢٢

(٢) ١٧ : ٣٣

(٣) إظهار الحق، ج ٢، ط قطر، ص ٤٨ ، ٤٩

(٤) ١٤ : ٩ ، ١٠

نقول : أما وإن صرح هذا النص بحلول الله تعالى في المسيح عليه السلام فهذا دليل واضح وبرهان ساطع على زيف هذا النص وعلى أنه نص مكذوب على المسيح عليه السلام ولا يمكن أن يدعي المسيح ذلك لأن هذا القول مخالف لتزيه الله سبحانه وتعالى، كما أنه مخالف للعقل والمنطق كما ذكرنا من قبل. ويقول الشيخ رحمة الله العثماني - يرحمه الله - رداً على هذا الاحتجاج:

<< فلأن رؤية الله ممتنعه عندهم فيؤولونها بالمعرفة، ومعرفة المسيح باعتبار الجسميه أيضاً لاتفيد الاتحاد فيقولون إن المراد بالمعرفة باعتبار الألوهيه والحلول واجب التأويل عند جمهور أهل التثليث فيقولون إن المراد به الاتحاد الباطني (١).

وبعد هذه التأويلات يقولون إنه لما كان إنساناً كاملاً وإلهاً عاملاً، صحت أقواله الثلاثة بالاعتبار الثاني (٢) وقد عرفت مراراً أنه باطل لأن التأويل يجب أن لا يخالف البراهين والنصوص >> (٣)

فمعرفة المسيح بهذا الاعتبار بمنزلة معرفة الله، وأما حلول الغير في الله أو حلول الله فيه، وكذا حلول الغير في المسيح، أو حلول المسيح فيه فقد يقصد به التعبير عن طاعة أمرهما وقد ورد في رسالة يوحنا الأولى: << من يحفظ وصاياها يثبت فيه وهو فيه، وبهذا تعرف أنه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا >> (٤)

-
- (١) قد يقصد بهذا التعبير الاتحاد الحقي عن أعين الناس.
(٢) اعتقد أن الشيخ يشير إلى النص السابق من إنجيل يوحنا.
(٣) اظهر الحق، ج ٢، ص ٥١
(٤) ٣ : ٢٤

المسألة الثالثة

إقتباس النصرى لعقيدة (الحلول والإتحاد) من الوثنيات والفلسفات القديمة

وكبقية عقائد النصرى هذه العقائد المزيفة والتي هى بعيدة كل البعد عن التنزيل الإلهي فإن عقيدة (الحلول والإتحاد) أيضاً قد أقتبست من الوثنيات والفلسفات القديمة فإن الديانة البرهمية أو الهندوسية^(١) وهى ترجع في قدمها إلى ٣٠٠٠ عام قبل ميلاد المسيح عليه السلام^(٢) تقول: بعقيدة (الحلول والإتحاد) ليس فقط في آلهتهم المتعددة بل إن روح كل كائن حي - في اعتقادهم - ستعود وتتجسد في نهاية تجوالها إلى مصدرها الأول الذي انبثقت منه.

يقول صاحب كتاب (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)

>> تقرر العقيدة البرهمية ان روح كل كائن تعود في نهاية مطافها إلى مصدرها الأول الذي نشأت منه وهو الله تعالى، والإنسان أحد هذه الكائنات، فيعرض له مايعرض لها، وروحه قطرة من نور الله، انفصلت عن الله تعالى إلى أجل محدود، واتصلت به ثم تتصل بعده بكائن آخر وآخر وهكذا على طريق

(١) الهندوسية : ديانة الجمهرة العظمى في الهند الآن، وقد قامت على أنقاض الويدية، وتسمى الهندوسية أو الهندوكية إذ تمثلت فيها تقاليد الهند وعاداتهم وأخلاقهم وصور حياتهم، وأطلق عليها البرهمية ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة إلى براهما وهو القوة العظمى السحرية التي تطلب كثيراً من العبادات كقراءة الأدعية وإنشاد الأناشيد وتقديم القرابين، ومن براهما اشتقت الكلمة (البراهمة) لتكون علماً على رجال الدين انظر: د/أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٥، ص ٣٩

(٢) المرجع السابق، ص ٤٢

التناسخ وتجوال الروح، ثم تعود في النهاية إلى الله تعالى متى جاء الأجل، كالقطرة من الماء العذب، تصعد بخاراً، وترقى في السماء، وتنتقل من جهة إلى جهة، وقد تتحول إلى قطع من الثلج أو البرد و غير ذلك، ثم تسقط على قمم الجبال، وتجري في الأنهار، ثم ترجع في نهاية مطافها الى البحر الذي انفصلت عنه في أول الأمر، أو كالهواء الحبيس في قدح مقلوب حسب تشبيه أسفارهم نفسها يظل منفصلاً عن الهواء الخارجي وإن كان منه حتى يتحطم القدح، وحينئذ يزول الفاصل بينهما ويتحدان»^(١)

وكذلك يتعقد البوذيون^(٢) بعقيدة الحلول وقد جاء في المقارنة التي عقدها الأستاذ محمد طاهر التنير يرحمه الله بين أقوال الهنود الوثنيين في بوذا ابن الله، وأقوال النصرى المسيحيين في يسوع المسيح ابن الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً مايلي:

« كان تجسد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا^(٣) »

(١) د/ علي عبد الواحد وافي، ص ١٥٩، ١٦٠

(٢) نسبة إلى بوذا عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، وقد كان من عظماء القادة والمفكرين الهنود هاجم المعتقدات والطقوس وسخر من الأفكار التي كان الناس يتبعونها في عهده وقال بالغاء نظام الطبقات في الهند ولم يعترف بالآلهة الويدية ومن صفاته أنه كان عدواً للتعصب الديني عاش هادئاً ومات هادئاً ورأى بنفسه نجاح وذبوع دعوته أنظر: د/ أحمد شلبي (أديان الهند الكيري)، ص ١٤٩

(٣) انظر: كتاب (دوان) ص ٢٨٩، وكتاب بنصون المدعو (الملاك المسيح)، ص ١٠، ٢٥ نقلًا عن الأستاذ محمد طاهر التنير (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) ص ١٣٢

كان تجسد يسوع المسيح بواسطة حلول الروح القدس على العذراء مريم (١).

ولما نزل بوذا من مقعد الأرواح ودخل في جسد العذراء مايا صار رحمها كالبور الشفاف النقي وظهر بوذا فيه كزهرة جميلة (٢)

لما نزل يسوع من مقعده السماوي ودخل في جسد مريم العذراء صار رحمها كالبور الشفاف النقي وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة» (٣)

» ومع أن بوذا لم يعن بالحديث عن الإله، ولم يشغل نفسه بالكلام عنه إثباتاً أو إنكاراً، وتحاشى كل ما يتصل بالبحوث اللاهوتية، وقد كان ينهي أصحابه وزواره أن يخوضوا في هذه الأبحاث، بل إن بوذا اتجه أحياناً إلى جانب إنكار الإله أكثر من اتجاهه إلى جانب الإثبات، فقد وقف في إحدى خطبه يسخر ممن يقولون بوجود الإله.. ومع ذلك كله إلا أن الإيمان بإله إتجاه نفسي قوي لا يقل عن قوة الغرائز في البشر، وإهمال هذا الإتجاه يحدث إرتباكاً واضطراباً، ومن أجل هذا نجد أتباع بوذا من بعده يفكرون في الإله، ويعملون على الوصول إليه أو التعرف عليه، ولما كان بوذا قد ترك هذا المجال خالياً، فقد لعبت بهم الأهواء فاتجه بعضهم إلى الاعتقاد أن بوذا ليس إنساناً محضاً، بل إن روح الإله قد حلت فيه، وهذه العقيدة تشبه (عقيدة الحلول) التي يعتنقها بعض المسيحين في السيد المسيح، فيقولون إن شخصيته ثنائية: لاهوتية وناسوتية، وإن الشخصية

(١) متى : ١ : ٢١

(٢) انظر: بنصون المذكور، ص ٢٠ ودوان، ص ٢٩٠، نقلاً عن: الأستاذ محمد التنير (العقائد الوثنية) ص ١٣٢

(٣) انظر: كتاب دوان ص ٢٩٠، وكتاب بنصون (الملاك المسيح)، ص ٢٠، وكتاب الكونت امبرلي المدعو (تحليل العقائد الدينية) ص ٤٢٤ نقلاً عن الاستاذ محمد التنير (العقائد الوثنية)، ص ١٣٢ ، ١٣٣

اللاهوتية حلت بالناسوت»^(١)

ويقول أحد الباحثين^(٢) >> إن بين الديانة المسيحية والديانة البوذية
مشابهة في بعض الوجوه وخاصة الحلول والتجسد»^(٣)

وفي المقارنة التي عقدها الأستاذ محمد طاهر التنير بين أقوال الهنود الوثنيين
في كرشنة^(٤) ابن الله وأقوال النصارى المسيحيين في يسوع المسيح ابن الله،
تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

يقول:

>> قال كرشنه أنا علة وجود الكائنات، فيّ كانت وفي تحل وعلي جميع
ما في الكون يتكل وفيّ يتعلق كاللؤلؤ المنظوم في خيط <<^(٥)

(١) انظر: د/ أحمد شلي (أديان الهند الكبرى)، ط ٥، ص ١٦٧، ١٦٨

(٢) هو الباحث ماكس مولر نقلاً عن الأستاذ أنور الجندي (المؤامرة على
الإسلام)، ط ٢، ص ٥٣

(٣) المرجع السابق، نفس الصحيفة

(٤) هو أحد زعماء الهنود الذي يعتقدون فيه بأنه المخلص والفادي وابن الله
- تعالى الله عن قولهم - والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس، وتشبه
معظم اعتقادات الهنود الوثنيين به معظم اعتقادات المسيحيين بالمسيح عليه
السلام وهذا يدل على إقتباس النصارى عقائدهم هذه من الوثنيين الذين
قد سبقوهم بأزمان سحيقة!!

انظر: الأستاذ محمد طاهر التنير (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية)،
ط ١، ص ١١٩

(٥) انظر: مورس وليمس (ديانة الهنود الوثنيين) ص ٢١٢، نقلاً عن الأستاذ
التنير (العقائد الوثنية) ص ١٣٠

>> من يسوع في يسوع وليسوع كل شيء كل شيء به كان وغيره لم يكن شيء مما كان << (١)

كما أن الفرس الوثنيين يقولون (بعقيدة الحلول) هذه وأن الإله حلّ في زعيمهم زرادشت (٢) ومما يجدر ذكره أن هذه الديانة نشأت قبل ميلاد المسيح عليه السلام ب ٦٦٠ عاماً (٣) فالسابق أستاذ اللاحق والعكس غير صحيح.

ويقول الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)

>> ويروي عن مولده قصص وأساطير كثيرة يشبه بعضها ما يقوله المسيحيون عن المسيح وأن روح الله قد حلت فيه أو أنه أحد الأقانيم المكونة للإله.. ومن ذلك ماشاع اعتقاده عند قدامي الإيرانيين من أن الله قد نفخ في رحم أمه من روحه فتقمصت روح الله جسد زرادشت، فنشأ جامعاً بين اللاهوت والناسوت على نحو ما يعتقد المسيحيون في المسيح << (٤).

(١) إنجيل يوحنا ١ : ١ - ٣

(٢) ولد بأذربيجان في القسم الغربي من بلاد فارس، وقد اختلف الباحثون في شخصيته، ففريق منهم ينكر وجوده، ويقرر أنه شخصية أسطورية خيالية، وفريق يرى أنه شخصية حقيقية وأنه هو إبراهيم الخليل الذي ورد ذكره في التوراة والقرآن الكريم وأن أسفاره والتي تسمى (الابستاق) هي صحف إبراهيم!! وقد ساد هذا الرأي الكثير من الزرادشتيين، ولكن ليس لهذا الرأي سند يعتد به، فقد ظهر زرادشت في القرن السابع ق.م في حين أن إبراهيم الخليل ظهر في القرن السابع عشر ق.م، والرأي الصحيح ما ذهب إليه الفريق الثالث الذي يقرر أن زرادشت شخصية حقيقية وأنه غير إبراهيم الخليل وأنه إيراني الجنس.

انظر د/ علي وافي (الأسفار المقدسة)، ص ١٢٧ - ١٢٩

(٣) المرجع السابق، ص ١٣٠

(٤) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

المسألة الرابعة :

بطلان عقيدة (الحلول والاتحاد) عقلاً

ويظهر بطلان عقيدة (الحلول والاتحاد) عقلاً حيث أنها توجب أموراً يستحيل على العقل تصورها، حيث أن الإيمان بهذه العقيدة يقتضي القول بأن يحل واجب الوجود في ممكن الوجود وهذا محال عقلاً، كما تستلزم هذه العقيدة التجزؤ والانقسام لواجب الوجود وهو الحق سبحانه وتعالى وهو محال عقلاً أيضاً.

ثم كيف يجوزون حلوله سبحانه وتعالى واتحاده بمخلوق من مخلوقاته مع العلم بأن أحداً من المخلوقين لا يطبق القدرة على رؤيته - سبحانه وتعالى - في هذه الحياة الدنيا؟ كما ورد الخير في القرآن الكريم عن نبي الله موسى عليه السلام حيث قال تعالى:

{ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني انظر إليك قال لن تراني ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخرّ موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين }^(١) فإذا كان المخلوق بل هو من أعظم المخلوقين إذ هو نبي من أنبياء الله تعالى لم يطق رؤيته فكيف يطبق الحلول به والاتحاد معه؟!}

إذاً فالإيمان بهذه العقيدة (عقيدة الحلول والاتحاد) تقتضي وتستلزم أموراً يستحيل على العقل السليم تصديقها فهي عقيدة يناقض الإيمان بها العقل المجرد.

(١) سورة الأعراف : آية ١٤٣

١ - >> يقول النصارى : إنه اتحد بالمسيح وأنه صعد إلى السماء، وجلس عن يمين الأب، وعندهم أن اللاهوت منذ اتحد بالناسوت لم يفارقه، بل لما صعد إلى السماء، وجلس عن يمين الأب كان الصاعد عندهم هو المسيح الذي هو ناسوت ولاهوت إله تام، وإنسان تام فهم لا يقولون: إن الجالس عن يمين الأب هو الناسوت فقط بل اللاهوت المتحد بالناسوت جلس عن يمين اللاهوت >> (١).

>> فأى تبويض وتجزئة أبلغ من هذا، وليس هذا من كلام الأنبياء حتى يقال: إن له معنى لانفهمه بل هو من كلام أكابرهم الذي وضعوه وجعلوه عقيدة إيمانهم، فإن كانوا تكلموا بما لا يعقلونه، فهم جهال لا يجوز أن يتبعوا، وإن كانوا لا يعقلون (٢) ما قالوه فلا يعقل أحد من كون اللاهوت المتحد بالناسوت جلس عن يمين اللاهوت المجرد عن الاتحاد، إلا أن هذا اللاهوت منفصل مباين لللاهوت المتحد، وليس هو متصلًا به، بل غايته أن يكون مما ساء له، بل يجب أن يكون الذي يماس اللاهوت المجرد هو الناسوت مع اللاهوت المتحد به، فهذا حقيقة التبويض والتجزئة مع انفصال أحد البعضين عن الآخر.

وأيضاً فيقال لهم: المتحد بالمسيح أهو ذات رب العالمين، أم صفة من صفاته؟ فإن كان هو ذات الأب فهو الأب نفسه، ويكون المسيح هو الأب نفسه، وهذا مما اتفق النصارى على بطلانه فإنهم يقولون: هو الله، وهو ابن الله، كما حكى الله عنهم، ولا يقولون هو الأب والابن.

(١) نقلا عن شيخ الإسلام ابن تيمية (الجواب الصحيح)، ج ٢، ص ١٥٦

(٢) (لا يعقلون) هكذا كتبت واعتقد أنه قد وقع خطأ مطبعي فأضيفت (لا) من غير قصد.

والأب عندهم هو الله، وهذا من تناقضهم، وإن قالوا المتحد بالمسيح صفة الرب فصفة الرب لاتفارقه، ولا يمكن اتحادها ولا حلولها في شيء دون الذات. وأيضاً فالصفة نفسها ليست هي الإله الخالق رب العالمين، بل هي صفة، ولا يقول عاقل إن كلام الله، أو علم الله أو حياة الله هي رب العالمين الذي خلق السموات والأرض، فلو قدر أن المسيح هو صفة الله نفسها لم يكن هو الله، ولم يكن هو رب العالمين، ولا خالق السموات والأرض» (١).

« وإن قالوا: المتحد به بعض ذلك دون بعض، فقد قالوا بالتبعيض والتجزئة فهم بين أمرين: إما بطلان مذهبهم، وإما اعترافهم بالتبعيض والتجزئة مع بطلانه» (٢).

٢ - وهناك شبهة أخرى للنصارى يحتجون بها على عقيدة الحلول والاتحاد تقول « إن اللطائف لاتظهر إلا في الكثائف أي إن الأشياء اللطيفة كالأرواح لايمكن أن تظهر ويراها الناس إلا في الكثائف كالأجسام، وأن الإنسان أجل ما خلق الله تعالى لذلك ظهرت كلمة الله وروحه في المسيح، وبذلك خاطب الناس وشاهدوا منه ما شاهدوا» (٣).

« والجواب من طرق :

أحدها : أنه يقال : هذا الذي ذكروه، وادعوا أنه تجسم كلمة الله الخالق بإنسان مخلوق، وولادتهما معاً أي الكلمة مع الناسوت، وهو الذي يعبر عنه باتحاد اللاهوت بالناسوت وهو أمر ممتنع في صريح العقل، وما عُلم أنه ممتنع في صريح

(١) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥٧

(٣) انظر : الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٦٠

العقل، لم يجز أن يجبر به رسول، فإن الرسل إنما تخبر بما لا يعلم بالعقل أنه ممتنع، فأما ما يعلم بصريح العقل أنه ممتنع، فالرسل متزهون عن الإخبار عنه.

الطريق الثاني : أن الأخبار الإلهية صريحه بأن المسيح عبدالله ليس بخالق العالم، والنصارى يقولون: هو إله تام وإنسان تام.

الطريق الثالث : فيما ذكره، فأما الطريق الأول فمن وجوه:

أحدها: أن يقال: المتحد بالمسيح إما أن يكون هو الذات المتصفه بالكلام أو الكلام فقط، وإن شئت قلت: المتحد به، إما الكلام مع الذات، وإما الكلام بدون الذات، فإن كان المتحد به الكلام مع الذات كان المسيح هو الأب وهو الإبن وهو روح القدس، وكان المسيح هو الأقانيم الثلاثة. وهذا باطل باتفاق النصارى، وسائر أهل الملل وباتفاق الكتب الإلهية، وباطل بصريح العقل.

وإن كان المتحد به هو الكلمة فقط فالكلمة صفه، والصفه لا تقوم بغير موصوفها، والصفه ليست إلهاً خالقاً، والمسيح عندهم إله خالق، فبطل قولهم على التقديرين، وإن قالوا: المتحد به الموصوف دون الصفه فالموصوف هو الأب، والمسيح عندهم ليس هو الأب، وإن قالوا: الصفه فقط، فالصفه لا تفارق الموصوف ولا تقوم بغير الموصوف، والصفه لا تخلق ولا ترزق، وليست الإله، والمسيح عندهم صعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وأما كونه هو الأب فقط، وهو الذات المجردة عن الصفات، فهذا أشد استحالة، وليس فيهم من يقول بهذا.

الوجه الثاني: إن الذات المتحد به بناسوت المسيح مع ناسوت المسيح إن كانتا بعد الإتحاد ذاتين، وهما جوهران كما كان قبل الإتحاد، فليس ذلك بإتحاد.

وإن قيل: صارا جوهرًا واحدًا، كما يقول من يقول منهم، إنهما صارا كالنار مع الحديد، أو اللين مع الماء: فهذا يستلزم استحالة كل منهما، وانقلاب صفة كل منهما بل حقيقته كما استحال الماء واللين إذا اختلطا والنار مع الحديد، وحينئذ فيلزم أن يكون اللاهوت استحال وتبدلت صفته وحقيقته، والاستحاله لا تكون إلا بعدم شيء ووجود آخر، فيلزم عدم شيء من القديم الواجب الوجود بنفسه، وما وجب قدمه استحاله عدمه، وما وجب وجوده امتنع عدمه، فإن القديم لا يكون قديماً إلا لوجوبه بنفسه، أو لكونه لازماً للواجب بنفسه^(١) إذ لو لم يكن لازماً له - بل كان غير لازم له - لم يكن قديماً بقدمه، والواجب بنفسه يمتنع عدمه، ولازمه لا يعدم إلا بعدمه، فإنه يلزم انتفاء اللازم انتفاء الملزوم <<(٢).

>> ويقال لهم: ظهور اللطائف في الكنائف كلام مجمل، فإن أردتم أن روح الإنسان تظهر في جسده، أو الجني يتكلم على لسان المصروع ونحو ذلك فليس هذا مما نحن فيه، وإن أردتم أن الله تعالى نفسه يحل في البشر فهذا محل النزاع فأين الدليل عليه؟ وأنتم لم تذكروا إلا ما يدل على تقيض ذلك <<(٣).

>> وإن ظهور ما يظهر من الأمور الإلهية إذا أمكن ظهوره فظهوره في اللطيف أولى من ظهوره في الكثيف، فإن الملائكة نزل بالوحي على الأنبياء عليهم السلام وتتلقى كلام الله من الله تعالى، وتتزل به على الأنبياء - عليهم السلام، فيكون وصول كلام الله إلى الملائكة قبل وصوله إلى البشر، كما قال تعالى:

(١) وذلك كصفات الباري عز وجل.

(٢) انظر: الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٦٠ - ١٦٢

(٣) المرجع السابق، ص ١٦٩

{ أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء } (١) والله تعالى أيد رسله من البشر حتى أطاقوا التلقي عن الملائكة، وكانت الملائكة تأتيهم أحياناً في غير الصورة البشرية، وأحياناً في الصورة البشرية، فكان ظهور الأمور الإلهية باللطائف ووصولها إليهم أولى منه بالكثائف ولو جاز أن يتحد الرب سبحانه بجي من الأحياء، ويحل فيه، لكان حلوله في ملك من الملائكة واتحاده به أولى من حلوله واتحاده بواحد من البشر << (٢).

>> وأنه من المعلوم أن الأنبياء الذين كانوا قبل المسيح أفضل من عوام النصارى الذين كانوا بعد المسيح، وأفضل من اليهود الذين كذبوا المسيح، فإذا الرب قد يفضل باتحاده في المسيح حتى كلم عباده بنفسه فيتحد بالمسيح محتجياً ببدنه الكثيف، وكلم بنفسه اليهود المكذبين للمسيح وعوام النصارى، وسائر من كلمه المسيح فكان أن يكلم من هم أفضل من هؤلاء من الأنبياء والصالحين بنفسه أولى وأحرى مثل من يتحد بإبراهيم الخليل، فيكلم إسحاق ويعقوب ولو طأ محتجياً ببدن الخليل أو يتحد بيعقوب فيكلم أولاده أو غيرهم محتجياً ببدن يعقوب، أو يتحد بموسى بن عمران فيكلم هارون ويوشع بن نون وغيرهما محتجياً ببدن موسى، فإذا كان سبحانه وتعالى لم يفعل ذلك، إما لامتناع ذلك، وإما لأن عزته وحكمته أعلى من ذلك مع عدم الحاجة إلى ذلك عُلْم أنه لا يفعل ذلك في المسيح بطريق الأولى والأحرى << (٣)

(١) سورة الشورى، الآية : ٥١

(٢) انظر: الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٧١، ١٧٢

(٣) المرجع السابق، ص ١٧٤

ونضيف إلى ماسبق:

إن اللطائف والكثائف كلاهما مخلوقة ومملوكة لله سبحانه وتعالى وبما أن الفرق كبير وشاسع بين الخالق والمخلوق ولا يمكن للمخلوق أبداً أن يشابه أو يماثل خالقه لا في ذاته ولا في صفاته إذاً لا يمكن أبداً أن يحمل الإله الخالق العظيم في مخلوقه ومصنوعه الحقير - نعم فهو حقير أي المخلوق مهما بلغ من العظمة أمام خالقه - سواء أكان ذلك المخلوق من اللطائف كالأرواح أو من الكثائف كالأجسام، وإذا كان المخلوق لا يطبق رؤية خالقه وإلهه في هذه الحياة الدنيا - كما ذكرنا - فكيف إذا يطبق حلوله فيه أو اتحاده به !!؟

٣ - >> والمسيح عليه السلام لم يكن يسمع منه إلا ما يسمع من مثله من الرسل، ولو كان المتكلم على لسان الناسوت هو جنياً أو ملكاً لظهر ذلك، وعرف أنه ليس هو البشر، فكيف إذا كان المتكلم هو رب العالمين؟ فإن هذا لو كان حقاً لظهر ظهوراً أعظم من ظهور كلام الملك والجنى على لسان البشر بكثير كثير.

٤ - وأما مشاهدته من معجزات المسيح عليه الصلاة والسلام فقد شاهدوا من غيره ما هو مثلها وأعظم منها، وقد أحيا غيره الميت وأخبر بالغيوب أكثر منه (١) ومعجزات موسى أعظم من معجزاته وأكثر، وظهور المعجزات على يديه يدل على نبوته ورسالته، كما دلت المعجزات على نبوة غيره، ورسالتهم ولاتدل على الإلهية << (٢)

(١) كني الله إلياس عليه السلام، انظر: الجواب الصحيح، ج ٢، ص ٢٧٣

(٢) المرجع السابق، ج ٢، ص ١٨٥، ١٨٦

>> ومع هذا لم تكن المعجزات دليلاً على اتحاد اللاهوت بالنبي الذي ظهرت على يديه، فعلم أن الإستدلال بظهور المعجزات على يديه في غاية الفساد>> (١)

>> بل أبلغ من ذلك يطلق لفظ الحلول والاتحاد، ويراد به معنى صحيح لما يقال فلان وفلان بينهما اتحاد، إذا كانا متفقين فيما يجبان ويغضان ويواليان ويعاديان، فلما اتحد مرادهما ومقصودهما صار يقال هما متحدان، وبينهما إتحاد، ولا يعني بذلك أن ذات هذا إتحدت بذات الآخر، كاتحاد النار والحديد، والماء واللبن، أو النفس والبدن>> (٢)

٥ - >> وقد يقال فلان ما في قلبه إلا الله وما عنده إلا الله يراد بذلك: إلا ذكره ومعرفته ومحبه وخشيته وطاعته، وما يشبه ذلك أي ليس في قلبه ما في قلب غيره من المخلوقين، بل ما في قلبه إلا الله وحده، ويقال: فلان ما عنده إلا فلان إذا كان يلهج بذكره، ويفضله على غيره>> (٣)

>> وليس المراد به أن ذات الرب حلت فيه، بل يقال: فلان ساكن في قلبي، وهو في سري، وسويداء قلبي، ونحو ذلك وإنما حل فيه مثاله العلمي (٤)، وإذا كان كذلك فمعلوم أن المكان إذ خلا ممن يعرف الله ويعبده لم يكن هناك ذكر الله، ولاحلت فيه عبادته ومعرفته، فإذا صار في المكان من يعرف الله ويعبده ويذكره ظهر فيه ذكره، والايان به وحل فيه الإيمان بالله وعبادته وذكره، وهو بيت الله عز وجل، فيقال: إن الله تعالى فيه، وهو حال فيه.

(١) المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٧٧

(٢) المرجع السابق، ج ٢، ص ١٨١

(٣) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

(٤) أي محبه ومعرفته، فتسكن في القلب مودته ومحبه لاعين ذاته، أنظر: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٨١

كما يقال : إن الله في قلوب العارفين، وحالّ فيهم، والمراد به حلول معرفته والإيمان به ومحبته ونحو ذلك، فإذا كان الرب في قلوب عباده المؤمنين، أي نوره ومعرفته، وعبر عن هذا بأنه حال فيهم، وهم حالون في المسجد قيل : إن الله في المسجد، وحال فيه بهذا المعنى، كما يقال: الله في قلب فلان وفلان ما عنده إلا الله كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: أن الحق سبحانه وتعالى يقول: << أما علمت أن فلاناً مرض فلو عدته لوجدتني عنده >> (١).

٧ - << وفي الجملة فجميع ما يعرفه الناس من الاتحاد إذا صار الإثنان واحداً وارتفعت الثنوية، فلا بد من استحالة الإثنين.

وإذا قيل : فيه طبيعة الإثنين، ومشية الاثنين كما في الماء واللبن قوة الماء وقوة اللبن.

قيل : لا بد مع ذلك أن تتغير كل قوة عما كانت عليه فتتكسر الأخرى، كما يعرف في سائر صور الاتحاد، إذا اتحد هذا مع هذا كسر كل منهما قوة الآخر عما كانت عليه.

كما إذا إتحد الماء البارد بالماء الحار إنكسرت قوة الحر وقوة البرد عما كانت فيبقى المتحد مرتبة متوسطة بين البرد المحض والحر المحض.

وكذلك الماء واللبن وسائر صور الاتحاد.

(١) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (باب فضل عيادة المريض)، ج ٦، ط ٣، ص ١٢٥

انظر : الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٨٢

وعلى هذا، فيجب إذا اتحد أن تتغير قوة اللاهوت وطبيعته ومشئته عما كانت، وتنكسر قوة الناسوت وطبيعته ومشئته عما كانت عليه، ويبقى هذا المتحد ممتزجاً من لاهوت وناسوت، وذلك يستلزم نقص اللاهوت عما كان وبطلان كماله، كما أنه يوجب من كمال الناسوت ما لم يكن.

فكل ما يصفون به الناسوت من اتحاد اللاهوت به فهو مستلزم، من نقص اللاهوت وسلب كما له الذي يختص به، وبطلان صفاته التامة بحسب ما حصل له من ذلك الناسوت بحكم الإتحاد، وإلا فإن كان اللاهوت كما كان، فلا إتحاد بوجه من الوجوه، بل الناسوت كما كان. ثم هما إثنان لم يتحد أحدهما بصاحبه ولا صاراً شيئاً واحداً >> (١).

٨ - >> والإتحاد بين الجوهر اللاهوتي والناسوتي إذا كان حقيقاً لكان أقنوم الابن محدوداً متناهيّاً وكل ما كان كذلك كان قبوله للزيادة والنقصان ممكناً، وكل ما كان كذلك كان اختصاصه بالمقدار المعين لتخصيص مخصص وتقدير مقدر، وكل ما كان كذلك فهو محدث فيلزم أن يكون أقنوم الابن محدثاً ويستلزم حدوثه حدوث الله تعالى >> (٢) تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً.

إن عقيدة الإتحاد النصرانية هذه يستحيل الإعتقاد والقول بها وذلك لإستحالة الإتحاد بين اللاهوت والناسوت لأنه يستلزم القول بحدوث الحق سبحانه وتعالى، ولأن أقنوم الابن محدود وهو قابل للزيادة والنقصان، كما أنه يخصص

(١) انظر : الجواب الصحيح، ج ٣، ص ١٢٧ ، ١٢٨

(٢) انظر: الشيخ رحمة الله العثماني، (أظهار الحق)، ج ١، ص ٥٨٥، ط قطر

بمقدار معين فهو إذاً حادث، وهو جزء من الثالوث المقدس وما يجري على الجزء يجري على الكل فيلزم من ذلك القول بحدوث الحق سبحانه وتعالى وهو محال تعالى الله وتزه وتبارك عن أقوالهم ومعتقداتهم الآثمة.

٩ - >> إما أن يقال بأن الإله هو هذا الشخص الجسماني المشاهد، أو يقال حل الإله بكتليه^(١) وجزء منه فيه^(٢) والأقسام الثلاثة باطلة: أما الاول فلأن إله العالم لو كان هو ذلك الجسم فحين قتله اليهود كان ذلك قولاً بأن اليهود قتلوا إله العالم فكيف بقى العالم بعد ذلك من غير إله (!!؟) ثم إن أشد الناس ذلاً ودناءة اليهود فالإله الذي تقتله اليهود إله في غاية العجز، وأما الثاني وهو أن الإله بكتليه حل في هذا الجسم، فهو أيضاً فاسد لأن الإله إن لم يكن جسماً ولا عرضاً امتنع حلوله في الجسم، وإن كان جسماً فحينئذ يكون حلوله في جسم آخر عبارة عن اختلاط أجزاء ذلك الجسم، وذلك يوجب وقوع التفرق في أجزاء ذلك الإله، وإن كان عرضاً كان محتاجاً إلى المحل وكان الإله محتاجاً إلى غيره، وكل ذلك سخيف، وأما الثالث وهو أنه حل فيه بعض من أبعاد الإله وجزء من أجزائه فذلك أيضاً محال، لأن ذلك الجزء إن كان معتبراً في الإلهية فعند انفصاله عن الإله وجب أن لا يبقى الإله إلهاً وإن لم يكن معتبراً في تحقيق الإلهية لم يكن جزءاً من الإله، فثبت فساد هذه الأقسام فكان قول النصارى باطلاً.

>> وقد ثبت بالتواتر أن عيسى عليه السلام كان عظيم الرغبة في العبادة والطاعة لله تعالى ولو كان إلهاً لاستحال ذلك لأن الإله لا يعبد نفسه >>^(٣)

(١) اعتقد أنه يقصد: الجزئين اللاهوتي والناسوتي - على زعمهم والله أعلم.
(٢) أي في المسيح عليه السلام
(٣) إظهار الحق، ج ٢، ط قطر، ص ٥٨-٥٩

١٠- ومن نقل الإمام القرافي يرحمه الله شبهة للنصارى حول عقيدة الحلول والإتحاد تقول:

>> إن الله تعالى جواد فجاد بأعظم الموجودات وهو كلمته، فجعله متحداً بأفضل المحسوسات وهو الإنسان وهذا باطل لوجوه:

أحدها: أن الجود بالشئ فرع إمكانه، فإن الكرم بالمستحيل محال، فينبغي أن يبين أولاً تصور انتقال الكلام النفسي من ذات الله تعالى الى مريم رضى الله عنها، ثم يقيم الدليل على وقوع هذا الممكن بعد إثبات إمكانه.

وثانيها: سلمنا أنه ممكن، لكن لم قلت أن الكلام هو أفضل الموجودات، ولم لا يكون العلم أفضل منه، لأن الكلام تابع للعلم.

وثالثها: أن الذات الواجبة الوجود التي الصفات قائمة بها أفضل من الصفات، لأن الصفة تفتقر للذات في قيامها، والذات لا تفتقر لمحل بخلاف الصفة.

ورابعها: أن صفتين من الصفات والصفات يجملتها مع الذات أفضل من الكلام وحده، ولم يقل أحد باتحاد هذا، فالأفضل لم يحصل حينئذ، ولما كان كلام النصراني نوعاً من الوسواس اتسع الخرق عليه >> (١)

ونضيف إلى ما سبق:

(١) الأجوبة الفاخرة، ط١، بيروت، ص ٤٤-٤٥

أنه قد تنتقل الصفة من إنسان لآخر بالمعايشة والمخالطة كالكرم والجود والشجاعة والإقدام أو البخل والجبن وما إلى ذلك وقد لا تنتقل .. ولكن يقال أن تنتقل صفة من صفات الباري عز وجل إلى أحد مخلوقاته وتحل وتتحد به!! فيتكون هذا المخلوق من جزئين مختلفين تمام الاختلاف جزء لاهوتي وآخر ناسوتي مع الفرق الشاسع والبون العظيم بينهما!! فهذا هو الهراء والكفر والسفسطة الكافرة، وليس لهذا القول أصل من الفطر الصافية والعقول السليمة، بل إن هذا القول يناقض المنطق والمعقول، ويخالف ما أخبر به أنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام، ويخالف ما نطقت به الكتب السماوية، وخاصة التي حُفظت من التبديل والتحريف فهو سبحانه وتعالى: { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير } (١)

١١ - >> ثم إن الإله إذا كان خالقاً للناسوت، ثم ظهر فيه، متحداً به، فقد حدثت له صفة بعد خلقه وهي إتخاده به، وظهوره فيه.

فنعول: إذاً هذه الصفة إن كانت واجبة الوجود، استحال إتصافها بالحدوث، وإن كانت ممكنة الوجود، استحال اتصاف الباري بها، لأن صفات الباري كلها واجبة الوجود.

لأن كل مالزم من عدم وجوده محال، فهو واجب الوجود وصفات الإله يلزم من عدم وجودها محال بين.

فإن قيل: إن كان هذا لازماً، استحال خلق العالم، بل استحال خلق مخلوق

(١) سورة الشورى، الآية : ١١

واحد، لأن الله عز وجل، إذا خلق مخلوقاً واحداً، حدثت له صفة وهي اتصافه
بخلقه، فيلزم المحال المذكور!!

فالجواب: إن هذا غير لازم ألبنه، لأن المعنى من كون الله خالقاً: تقديره
الخلق في الأزل، وهذه الصفة ثابتة له أزلاً، فإذا خلق مخلوقاً، فعلمه بوجوده في
زمن خلقه، والقدرة على إيجاده في ذلك الزمن أيضاً، كلاهما ثابت أزلاً.
فلم يبق حادث سوى وجوده، ووجوده ليس صفة قائمة بذات الإله، جل
اسمه بل بذات المخلوق.

وأما نسبة الوجود إلى تأثير القدرة فيه، زمن إيجاده، فذلك من باب
النسب والإضافات، والنسب والإضافات ليست أمراً وجودياً، كالفوقية والتحتية
والأبوة والبنوة، وهذا معنى بين الظهور بخلاف ماتقدم << (١)

وقد أبطل أحد الباحثين عقيدة (اللول والاتحاد) هذه عند دراسته لها
ونختصر ذلك بالنقاط التالية:

١ - << لو حلت الكلمة في جسد المسيح أو خالطته فهي في حال
اللول إما صفة أو ذات فان كانت صفة فان فارقت الآب فقد بقي الله تعالى
بدون كلمة، وهو نقص لا يليق بذاته تعالى، وأيضاً يلزم عليه إنتقال الصفات
وهو محال، لأن الإنتقال من خصائص الذوات لا الصفات والأعراض،

(١) انظر: الإمام أبي حامد الغزالي (الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل)
تحقيق: د/محمد الشرقاوي، ط١، ص ١٤٩، ١٥٠

وإن لم تفارقه لزم قيام الصفة الواحدة بمكانين مختلفين في وقت واحد وهو محال، لأنه يستحيل قيام البياض في محل مع قيامه عينه في محل آخر» (١)

٢ - « قالوا: إن الإبن الحال بالناسوت إله غير محدود ولا متناه وقد حل في جسد إبن مريم الإنسان، وهو محدود متناه وإبطال ذلك نقول: لو حل اللامحدود بالمحدود للزم إما محدودية اللامحدود، أو لا محدودية المحدود، والتالي باطل، بيان الملازمة: أنه لو حل الإبن على فرض أنه لا يحده مكان أو جهة، أو زمان بمقتضى ألوهيته في جسد إنسان وهو محدود، ذو أبعاد محصورة متناهية لأصبح اللامحدود محدوداً متناهياً حيث أن الوعاء الذي حل فيه محدود.

والإنسان المحدود المتناهي يصبح لا محدوداً، لأنه أصبح حاوياً للامحدود. أما بطلان التالي: فلأن صيرورة اللامحدود محدوداً، والمحدود لا محدوداً فمحال لما فيه من إنقلاب الطباع، والنقص للإله حيث قد حل في جزء محدود، وصيرورة المحدود الجزئي لا محدوداً لكي يصح احتواؤه اللامحدود، أو جعل الصغير يحتوي أعظم منه ظاهر البطلان

على أن قبول اللامتناه للزيادة والنقصان يجعله ممكناً، وقد فرض واجباً، وهو باطل، كما يلزم عليه كون الإبن محدثاً وهو قديم في زعمهم» (٢)

(١) انظر: د/ محمد أبو الغيط الفرت (رسالة محفوظة بكلية أصول الدين بالمكتبة تحت رقم ٤٧١) ص ١٧١، وما بعدها نقلاً عن د/ محمود كريت (إنجيل برنابا بين الإسلام والنصرانية) رسالة دكتوراه كلية أصول الدين جامعة الأزهر، ص ١٢١

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٢ بتصرف

٣ - >> في حالة اتحاد اللاهوت بالناسوت إما أن تتلاشى طبيعة أحدهما في طبيعة الآخر فلم يبق الا واحد، والمعدوم لا يبنى عليه حكم فلا اتحاد لأن المعدوم لا يتحد بالموجود.

وأما أن يبقى الإثنان بطبيعتهما، فلا اتحاد أصلاً، لأنهما اثنين لا واحد.

وإما أن يتحول الإثنان إلى طبيعة جديدة تغايرهما، فلا هي هذا ولا هي ذلك، فلا معنى للإتحاد أيضاً حيث تولدت طبيعة ثالثة >> (١)

ولابأس أن ننقل نص إبطال (ابن كمونة اليهودي) لعقيدة الحلول والإتحاد حيث يشابه النص السابق في طريقته ومغزاه حيث يقول:

>> فأما الإتحاد فهو غير معقول، لأن الشئين، إذا اتحدا، فإما أن يكونا موجودين أو معدومين، أو أحدهما موجوداً والآخر معدوماً، فان كانا موجودين فلم يتحدا لأنهما إثنان لا واحد، وإن كان معدومين فلا يصيران واحداً بل عُدماً وحدث ثالث، وإن عدم أحدهما وبقي الآخر، فظاهر أن ذلك ليس باتحاد، فإن فُسر الإتحاد بمعنى الممازجة والمخالطة والتركيب، فإن كان الآب والإبن ذاتين غيرين بحيث يتحد الإبن وحده بالمسيح دون الأب بالمعنى المذكور، فهو يخالف اعتقاد التوحيد، وإن كان الإبن صفة، فلا يعقل في الذات العالمه أن يصير كونها عالمة ممازجة لجسم من الأجسام دون الذات، كما لا يعقل أن يكون زيد ببغداد وكونه عالماً بخراسان، ثم علم كل شئ هو قائم به فيلتزم أن يكون

(١) المصدر السابق، ص ١٢٣ بتصرف.

علم الله تعالى موجوداً فيه وفي المسيح دفعة واحدة، فللصفة الواحدة في الحالة الواحدة موصوفان، وهو محال فإن لم يكن تعالى عالماً حال الاتحاد كان كونه عالماً حكماً جائزاً فيفتقر إلى مخصص يخصصه، وذلك يخرج عن الإلهة.

والقول بالإمتزاج باطل لأنه لا يعقل إلا في الأجسام والكلمة عندهم ليست بجسم، فإن قالوا: الممازجة بالتركيب الإرتباطي كالإنسان الواحد من نفس وبدن، فارتباط أحد الشئين بالآخر لا يعقل إلا باحتياج أحدهما إلى صاحبه، إما مع العكس كاحتياج النفس إلى البدن باعتبار واحتياج البدن إليها أو باعتبار آخر، وإما من غير عكس كاحتياج صورة السرير إلى الخشب وعدم احتياج الخشب إليها، لكن فيما نحن فيه يمتنع احتياج الجزء اللاهوتي إلى غيره بوجه من الوجوه ولو كان الإتحاد لاحتياج الجزء الناسوتي إلى اللاهوتي من غير انعكاس لكان مثل هذا الإتحاد حاصلًا مع كل المخلوقات لأن كلها محتاجة في وجودها وسائر كمالاتها إلى الله تعالى >> (١)

ومع كل هذه المناقشات لعقيدة (الحلول والاتحاد) والتي يؤمن بها النصارى والتي دحضها - على مرّ العصور - العلماء والمتعلمون والفلاسفة الإسلاميون والمفسرون، ومع كل هذا فإن النصارى لازالوا يؤمنون بهذه العقيدة رغم صعوبة فهمها، واستيعاب فحواها، ورغم عدم تقبل العقل والمنطق لها، ورغم ضآلة حججها وبراهينها إلا أنهم للأسف لازالوا يؤمنون بها، ويصدقون الناعقين بها دون حجة أو برهان أكيد ومتين ومعقول !!

(١) انظر: تنقيح الأبحاث الثلاث للملث الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام)، ص ٥٤ ، ٥٥ ، ط دار الأنصار

يقول القس صموئيل مشرفي رئيس المجمع العام للكنائس الحمسينية:
>> لاشك أن كيفية اتحاد اللاهوت بالناسوت موضوع عميق ولذلك فقد تركه مسيحو العصر الحديث كمسألة عويصة بخلاف ما فعله القدماء، وكان من وراء ذلك أن المسيحي اليوم لا يستطيع توضيح هذا السرّ مكتفياً بتقديم جواب وحيد عنه وهو:

إن هذه الحقيقة قد تجاوزت العقول ولذلك فإننا نقبلها بالإيمان دون حجة أو برهان >> (١) !!*

(١) انظر : كتاب (الظهور الإلهي)، ط ١٩٦١م، ص ٩٣

* وقد تسللت عقيدة الحلول والاتحاد هذه من النصرانية أو من غيرها من الملل - مع شديد الأسف إلى بعض المنتسبين إلى الإسلام، أو المحسوبين عليه!!، فقال بها بعضهم فاعتقدوا أن الحق سبحانه وتعالى يحل ويتحد في بعض أولياء الله تعالى ومحبيه، وهؤلاء - بلا شك - أشد سوءاً من النصارى، لأن النصارى ادعوا حلوله واتحاده بنبي من أنبياء الله وهو المسيح عليه السلام وهو أفضل من الأولياء والصالحين وأفضل ممن ادعوا حلوله فيهم، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

>> ومن قال من ضلال المسلمين إن الرب يتحد أو يحل في الأنبياء والأولياء وإن هذا من السر الذي لا يباح به، فقلوه من جنس قول النصارى في المسيح، وهذا كثير في كلام المدعين للمعرفة والتحقيق والتوحيد، فيجعلون توحيد العارفين أن يصير الموحد هو الموحد، ومنهم من يقول: إن الله يحل في قلب العارف ويتكلم بلسانه، كما يتكلم الجني على لسان المصروع!!.

وهؤلاء في دعواهم الإتحاد والحلول بغير المسيح، شر من النصارى، فإن المسيح - صلوات الله عليه - أفضل من كل من ليس بنبي بل هو أفضل من جماهير الأنبياء والمرسلين. فإذا كان من ادعى أن اللاهوت اتحد به (أي بالمسيح) كافراً، فكيف بمن ادعى ذلك فيمن هو دونه؟! >>.

انظر : الجواب الصحيح، ج ٣، ص ١٩٩ ، ٢٠٠

المسألة الخامسة :

بطلان عقيدة (الحلول والإتحاد) نقلاً

وبالإضافة إلى الآيات الكريمت والتي ذكرناها في مبحث << ابطال عقيدة ألوهية المسيح وبنوته لله تعالى >> (١) والتي تنفي بوضوح وبصراحة ألوهية المسيح وبنوته لله تعالى فإنها تنفي في نفس الوقت <<عقيدة الحلول والإتحاد>> وذلك لأنهم يدعون حلول الإله فيه وإتحاده لكي يتسنى لهم إدعاء ألوهيته وعبادته كما حصل منهم بالفعل.

ونضيف إلى تلك الآيات الكريمت نصوصاً قرآنية أخرى أكد الأئمة المفسرون على أنها تنفي في فحواها عقيدة الحلول والإتحاد عند النصارى. قال الله تعالى:

{ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير } (٢)

ويؤكد الحق سبحانه وتعالى - في هذه الآية الكريمة - كفر الذين يدعون أن الله تعالى هو المسيح ابن مريم أو كما يقولون إنه حالٌ فيه و متحد به، وتنص الآية الكريمة على كفرهم بألفاظ صريحة وواضحة وغير مبهمه ولا يمكن

(١) انظر : ص ٣٩٦ وما بعدها من هذا البحث

(٢) سورة المائدة : سورة آية ١٧

تأويلها أو صرفها عن معناها الحقيقي، ويساء لهم النص الكريم عمن يملك أمام الله شيئاً إن أراد سبحانه وتعالى هلاك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً، فهل يستطيع أحد من مخلوقاته - وكل مخلوق أمام الله سبحانه وتعالى ضعيف - ردّ مشيئته في أي شيء كان؟ فهو سبحانه هو المالك لكل شيء وهو المتصرف والقادر على كل شيء تبارك وتعالى وتتره عن أقوالهم المنكرة وكفرهم.

ويقول الإمام الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية الكريمة:

أ وفي الآية سؤال، وهو أن أحداً من النصارى لا يقول: إن الله هو المسيح بن مريم، فكيف حكى الله عنهم ذلك مع أنهم لا يقولون به ؟

وجوابه : إن كثيراً من الحلولية يقولون: إن الله قد يحل في بدن إنسان معين، أو في روحه، وإذا كان كذلك فلا يبعد أن يقال: إن قوماً من النصارى ذهبوا إلى هذا القول، بل هذا أقرب مما يذهب إليه النصارى، وذلك لأنهم يقولون: أن أقنوم الكلمة اتحد بعيسى عليه السلام فأقنوم الكلمة إما أن يكون ذاتاً أو صفة، فإن كان ذاتاً فذات الله تعالى قد حلت في عيسى واتحدت بعيسى فيكون عيسى هو الإله على هذا القول، وإن قلنا: إن الأقنوم عبارة عن الصفة، فانتقال الصفة من ذات إلى ذات أخرى غير معقول، ثم بتقدير انتقال أقنوم العلم عن ذات الله تعالى إلى عيسى يلزم خلو ذات الله عن العلم، ومن لم يكن عالماً لم يكن إلهاً، فحينئذ يكون الإله هو عيسى على قولهم، فثبت أن النصارى وإن كانوا لا يصرحون بهذا القول إلا أن حاصل مذهبهم ليس إلا ذلك >> (١)

(١) انظر : التفسير الكبير، ج ١١، ص ١٩٠ ، ١٩١

>> وقد روي أنه لما رفع عيسى عليه السلام اجتمع طائفة من علماء بني إسرائيل فقالوا: ما تقولون في عيسى عليه الصلاة والسلام؟ فقال أحدهم: أو تعلمون أحداً يجي الموتى إلا الله تعالى؟ فقالوا: لا، فقال: أو تعلمون أحداً يرى الأكمة والأبرص إلا الله تعالى؟ قالوا: لا، قالوا: فما الله تعالى إلا من هذا وصفه أي حقيقة الإلهية فيه، وهذا كقولك: الكريم زيد أي حقيقة الكرم في زيد، وعلى هذا قولهم: إن الله تعالى هو المسيح >> (١).

>> قال ابن عباس هؤلاء نصارى نجران فانهم قالوا هذه المقالة وهو مذهب اليعقوبية والملكانية (٢) من النصارى لأنهم يقولون في المسيح انه الله تعالى - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً-، وإنما قالوا هذه المقالة الخبيثة لأنهم يقولون بالحلول وأن الله حل في بدن عيسى، فلما كان إعتقادهم ذلك لاجرم حكم الله تعالى عليهم بالفكر.

{ فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً }. ووجه الاحتجاج على النصارى بهذا أن المسيح لو كان إلهاً كما يقولون لقدرة على دفع أمر الله إذا أراد إهلاكه وإهلاك أمه ومن في الأرض جميعاً >> (٣).

>> ويملك >> بمعنى يقدر من قولهم: ملكت على فلان أمره أي اقتدرت

(١) انظر: الإمام الألويسي (روح المعاني)، ج ٦، ص ٩٩

(٢) للتعريف بهما: أنظر ص ٢٦٠، ٢٦٢ من هذه الأطروحة.

(٣) انظر: تفسير الخازن، المجلد الأول، ط دار المعرفه، ص ٤٤٨

عليه، أي فمن يقدر أن يمنع من ذلك شيئاً؟ فأعلم الله تعالى أن المسيح لو كان إلهاً لقد رعى على دفع ما يتزل به أو بغيره، وقد أمات أمه ولم يتمكن من دفع الموت عنها، فلو أهلكه هو أيضاً فمن يدفعه عن ذلك أو يردده، والمسيح وأمه مخلوقان محدودان محصوران، وما أحاط به الحد والنهية لا يصلح للإلهية >> (١).

قال الله تعالى:

{ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار } (٢)

وفي هذه الآية الكريمة يحكم المولى عز وجل باللفظ الصريح بكفر من يدعي أن في المسيح عليه السلام أي نسبة أو جزئية من الألوهية، وهل للألوهية أن تتجزأ؟! ويؤكد الحق سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة - أيضاً - أن من يشرك بالله فقد حرم الله عليه دخول الجنة، فما هو مصيره إذًا؟ إن مصيره ومأواه النار وبئس مثوى الكفار، والعياذ بالله.

يقول الإمام الفخر الرازي:

>> قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم، وهذا قول اليعقوبية لأنهم يقولون: إن مريم ولدت إلهاً، ولعل معنى هذا المذهب أنهم يقولون: إن الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذات عيسى، ثم حكى تعالى عن المسيح أنه قال:

(١) انظر: الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ٦، ص ١١٩
(٢) سورة المائدة: آية ٧٢

{ اعبدوا الله ربي وربكم } وهذا تنبيه على الحجة القاطعة على فساد قول النصارى، وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام لم يفرق بين نفسه وبين غيره في أن دلائل الحدوث ظاهرة عليه << (١)

يقول الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية الكريمة:

>> وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن بعض مافتن به الإسرائيليين الذين أخبر عنهم أنهم حسبوا أن لا تكون فتنة يقول تعالى ذكره (أي معنى ذلك) فكان مما ابتليتهم واختبرتهم به فنقضوا فيه ميثاقي، وغيروا عهدي، الذي كنت أخذته عليهم بأن لا يعبدوا سواي، ولا يتخذوا رباً غيري، وأن يوحّدوني وينتهوا إلى طاعة عبدي عيسى ابن مريم، فأبى خلقته وأجريت على يده نحو الذي أجريت على يد كثير من رسلي، فقالوا كفراً منهم هو الله، وهذا قول اليعقوبية من النصارى - عليهم غضب الله - يقول الله تعالى ذكره (أي معنى ذلك) فلما اختبرتهم وابتليتهم بما ابتليتهم به أشركوا بي، وقالوا لخلق من خلقي وعبد مثلهم من عبيدي وبشر نحوهم معروف نسبه وأصله مولود من البشر يدعوهم إلى توحيدني، ويأمرهم بعبادتي وطاعتي، ويقرّ لهم بأبي ربه وربهم، وينهاهم عن أن يشركوا بي شيئاً هو إلههم جهلاً منهم بالله وكفراً به ولا ينبغي لله أن يكون والداً ولا مولوداً، ويعني بقوله { وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم } يقول: إجعلوا العبادة والتذلل للذي له بذل كل شيء وله يخضع كل موجود ربي وربكم يقول: مالكي ومالككم، وسيدي وسيدكم الذي خلقتني وإياكم << (٢).

(١) التفسير الكبير، ج ١٢، ط ٢، ص ٥٩

أيضاً: تفسير الخازن، المجلد الأول، ط دار المعرفة، ص ١٨٢

(٢) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، ط ١٤٠٧هـ، ص ٢٠٢

وإذا كان القرآن الكريم قد أكد بنصوص صريحة عدم إمكانية البشر التحدث مع المولى عز وجل، وتكليمه إلا وحيًا أو من وراء حجاب، أو بواسطة الرسول، وكذلك عدم إمكانية البشر لرؤية الحق سبحانه وتعالى في هذه الحياة الدنيا، فكيف يتسنى للمدعين إدعاء حلول الحق سبحانه وتعالى واتحاده في بشر من مخلوقاته؟! فإذا لم يتمكن البشر من تكليمه أو رؤيته فيمتنع إذاً حلوله فيه أو اتحاده به (١).

يقول الله تعالى :

<< وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم >> (٢)

<< ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخرّ موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين >> (٣)

<< فإن الله تعالى إذا لم يكلم أحداً من الأنبياء إلا وحيًا أو من وراء حجاب، فالمسيح عيسى ابن مريم يجب أن لا يكلمه إلا وحيًا، أو من وراء حجاب، أو يرسل إليه رسولاً، وهذا يعم كل البشر المسيح وغيره، وإذا امتنع أن

(١) انظر : ص ٥٠٦ من هذه الرسالة

(٢) سورة الشورى : آية ٥١

(٣) سورة الأعراف : آية ١٤٣

يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب فامتناع أن يتحد به، أو يحل فيه أولى وأحرى فإن ما اتحد به، وحل فيه كلمة من غير حجاب بين اللاهوت والناسوت، وهم قد سلموا أن الله لا يكلم بشراً إلا من وراء حجاب» (١).

«فتبين أن نفي الأنبياء لأن يراه المرء في الدنيا هو نفي لمعاسته ببشر بطريق الأولى والأحرى، والناسوت المسيحي هو بشر فإذا لم يمكنه أن يرى الله، فكيف يمكنه أن يتحد به، ويماسه ويصير هو وإياه كاللبن والماء، والنار والحديد، أو كالروح والبدن؟

ومن المعلوم أن رؤية الآدمي له - سبحانه وتعالى - أيسر من اتحاده به، وحلوله فيه وأولى بالإمكان، فإذا كانت الرؤية في الدنيا قد نفاها الله ومنعها على ألسن رسله - عليهم السلام - فكيف يجوز اتصاله بالبشر واتحاده به» (٢).

(١) انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية (الجواب الصحيح)، ج ٢، ص ١٦٦، ١٦٧.

(٢) المرجع السابق، ج ٢، ص ١٦٨.

المبحث الرابع

إبطال عقيدة الصلب والفداء عند النصاري

ويشتمل على ست مسائل :

المسألة الأولى : معنى الصلب والفداء.

المسألة الثانية : إقتباس النصارى لعقيدة الصلب والفداء من الوثنيات والفلسفات القديمة.

المسألة الثالثة : بولس ودوره في إدخال هذه العقيدة ضمن عقائد النصارى الحالية.

المسألة الرابعة : تناقض ألانجيل الأربعة في رواياتها لحادثة الصلب دليل على عدم صدقها.

المسألة الخامسة : إبطال عقيدة الصلب والفداء عقلاً.

المسألة السادسة : إبطال عقيدة الصلب والفداء نقلاً:

أولاً : من القرآن الكريم.

ثانياً : من إنجيل برنابا.

ثالثاً : من الكتاب المقدس.

المسألة الأولى :

معنى الصلب و الفداء.

« صَلَبٌ يُصَلَّبُ صَلْباً، صليب : صلب الضحية تعليقها على صليب تنفيذاً لحكم الإعدام فيها، وكان يتم ذلك بربط اليدين والرجلين به أو بصورة أفطح بتسمير الجسم بالمسامير عن طريق الأجزاء اللحمية، وكانت طريقة القصاص هذه معروفة لدى أمم كثيرة.. وكثيراً ما كان يسبق الصلب تعذيب الضحية بالجلد، وللصلبان نماذج رئيسية ثلاثة: أحدها بشكل والثانية بشكل وثالثها بشكل (١)».

« ولما كان المسيح - باعتقاد النصارى مات صلْباً أصبح الصليب علامة المسيحي وشعاره وهو رمز الحياة.. والظاهر من الآثار أنه لم يشع استعمال الصلبان في النصرانية إلا في القرن الثالث إما لأنهم كانوا يخافون أن يجاهروا بها، وإما لأنهم لم يكونوا اعتادوا تكريمها على ما هو جار في هذه الأيام. وكانوا في القرون الأولى يأنفون من إظهار مثال السيد المسيح مصلوباً عليها ولا أثر قبل القرن الرابع والخامس يدل على أنهم مثلوه معلقاً على الصليب (٢)»

(١) انظر : قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ط٦، ص ٥٤٥ - ٥٤٦ باختصار

(٢) انظر : دائرة المعارف للبستاني، ط دار المعرفة، ج ١١، ص ١١ ، ١٢ باختصار

ونعتقد أن السبب الحقيقي لعدم المجاهرة بالصليب في تلك القرون هو أن هذه العقيدة الباطلة لم تدخل بعد ضمن عقائد النصارى، ثم اقتبست من العقائد الوثنية القديمة وساهم في إدخالها ضمن عقائد النصارى بولس اليهودي كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى (١)

معنى الفداء :

أما نظرية الفداء المسيحية، فيعتقد النصارى بأن المسيح صُلب فداءً للبشرية والتي تدنست بذنب أبويهم المتوارث!! وهو الأكل من الشجرة المحرمة (المنهي عنها) عندما كانا يسكنان الجنة، ولأنه من صفات الله تعالى العدل فلا بد وأن يعاقب ذرية آدم عليه السلام ولأنه سبحانه وتعالى من صفاته الرحمة فلا بد وأن يرحمهم من العقاب ويغفر لهم هذا الذنب فكان لابد للتوفيق بين صفتي العدل والرحمة أن يتجسد ابنه الوحيد وتجل به السيدة العذراء مريم ويولد ويكبر كسائر البشر ثم يصلب ليكفر عن خطيئة البشر، وهذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن بها غفران خطيئة ذرية آدم وذنبهم الموروث، وبلاشك أنه اذا انتفى القول بالصلب انتفى القول بالفداء لأن ما بنى على الباطل فهو باطل، وهذا ما سنثبتته إن شاء الله تعالى في هذا المبحث.

يقول القس إبراهيم لوقا :

>> إن المسيحية تعلم أن الله لكي يجمع بين عدله ورحمته في تصرفه

(١) انظر : ص ٥٢٩ و ص ٥٣٠ من هذه الرسالة.

مع الإنسان عقب سقوطه دبر طريقة فدائه بتجسد ابنه الحبيب وموته على الصليب نيابة عنا، وبهذا أخذ العدل حقه، واكتملت الرحمة فنال البشر العفو والغفران وهذه هي نظرية الفدية <<(١)>>.

وفي الإنجيل المنسوب إلى مرقس: <<لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين >>(٢).

<<لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية، لأنه لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم >>(٣).

(١) انظر: المسيحية في الإسلام، ص ١٧١ نقلا عن د/ أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ١٥٥

(٢) ١٠ : ٤٥

(٣) يوحنا ٣ : ١٦ - ١٧

المسألة الثانية :

إقتباس النصرارى لعقيدة (الصلب والفداء) من الوثنيات والفلسفات القديمة.

ويظهر أن جميع عقائد النصرارى الحالية قد إقتبست من الديانات الوثنية والفلسفات القديمة، ومما يؤكد هذا القول ما نقله مؤرخي وعلماء مقارنات الأديان عن مدى التشابه الكبير بين العقائد الوثنية وعقائد النصرارى الحالية.

وبين يديّ الآن كتاب (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) تأليف الاستاذ/ محمد طاهر التنير، وفيه يعقد عدة مقابلات ومقارنات في أدق العقائد عند النصرارى وعند الوثنيين الذين سبقوهم بآلاف السنين كالبوذيين والفراعنه والفرس وغيرهم ليؤكد حقيقة أن المقتبس والناقل عند التشابه البيّن هو اللاحق وليس السابق.

وسأنتقل فيما يلي ما يخصنا في دراستنا هذه حول عقيدة الصلب والفداء النصرانية، ومدى الشبه الكبير بينها وبين العقائد الوثنية السابقة لها!!.

>> وكان الوثنيون يقدمون البشر ذبيحة أيضاً والغالب عندهم تقديم الأرقاء والأسارى ذبيحة فداء عن الخطيئة وليس هذا فقط بل ونفس أولادهم، وكان الرومانيون واليونان يقدمون أنفسهم ذبيحة للآلهة استرضاء لها، وكانوا في مصر يقدمون من البشر ذبيحة وتمكنت بهم هذه العادة الشريرة حتى أنهم صاروا يقدمون الإبن البكر من أحد العائلات الأثنايتيه ذبيحة، يأخذونه إلى هيكل

في فستات في عالوس ويضعون على رأسه إكليلاً ثم يذبحونه قرباناً للآلهة كما تذبج الأنعام» (١).

«ويعتقد الهنود الوثنيون بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداءً عن الناس من الخطيئة» (٢).

«ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصلية، ومما يدل على ذلك ما جاء في تضرعاتهم التي يتوسلون بها بعد الكياتري وهي إني مذنب ومرتكب الخطيئة وطبيعتي شريرة وحملتني أُمي بالإثم فخلصني ياذا العين الحند قوقيه (٣) ياخلص الخاطئين يامزيل الآثام والذنوب» (٤).

«ويعتقد الهنود بأن كرشنا (٥) المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنو والذي لا ابتداء ولا انتهاء له على رأيهم تحرك حنواً كي يخلص الأرض من ثقل حملها فأناها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه»

قال العلامة القس جورج كوكس :

-
- (١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد طاهر التنير، تحقيق: محمد بن إبراهيم الشيباني، ط١، الكويت، ص ٤٨ ، ٤٩
 - (٢) العلامة هوك من كتابه (رحلة هوك) المجلد الأول، ص ٣٢٦، نقلاً عن الاستاذ التنير (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية)، ط١، ص ٤٩
 - (٣) الحندقوق والحندقوق بقله أو حشيشه كاللفت الرطب، انظر: لسان العرب، ج ١٠، باب القاف فصل الحاء، ص ٧١
أيضاً : منجد الطلاب، ط١٠، ص ١٤٣
 - (٤) مرينور وليمس (الهنود) ص ٣٦ نقلاً عن الأستاذ التنير (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية)، ص ٤٩
 - (٥) للتعريف به انظر: هامش ص ٤٩٩ من هذا البحث.

>> ويصفون أي الهنود كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتاً لأنه قدم شخصه ذبيحة، ويقولون أن عمله هذا لا يقدر عليه أحد سواه >> (١).

قال الموسيو كوينو ما نصه :

>> يذكر الهنود موت كرشنا بأشكال متعددة أهمها أنه مات معلقاً على شجرة سُمر بضربة حربة >> (٢).

>> والمقصود من الشجرة (الصليب) وأن المستر مور قد صور كرشنا مصلوباً كما هو مصور في كتب الهنود مثقوب اليدين والرجلين ومعلق بقميصه صورة قلب الإنسان >> (٣).

>> ومن الألقاب التي يدعى بها كرشنا الغافر من الخطايا والمخلص من أفعى الموت، وقد صور الراهب جورج جوس الإله أندرا الذي يعبداه أهالي النيبال مصلوباً كما يصورنه يوم عيدهم الذي يقع في شهر آب.

قال العلامة هيجين نقلاً عما كتبه أندرادا الكروزويوس وهذا المذكور أول أوروبي دخل بلاد النيبال والتببت وقال عند تكلمه عن الإله أندرا الذي يعبدونه ويقولون أنه سفك دمه بالصلب وثقب المسامير كي يخلص البشر من ذنوبهم: إن صورة الصلب موجودة في كتبهم والعلامة دوان قال: وفي جنوب الهند وتنجور وفي أيونديا يعبدون إلهاً صلب، اسمه (بالي) ويعتقدون بأنه فشنو (٤) تجسد (أي ظهر بالناسوت) ويصورونه مثقوب الجنب واليدين >> (٥).

(١) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

(٢) كوينو كتاب (الديانات القديمة) نقلاً عن المرجع السابق، نفس الصحيفة، ولم يذكر رقم الصحيفة التي نقل منها.

(٣) كتاب العلامة دوان ص ١٨٤ نقلاً عن المرجع السابق، ص ٤٩ - ٥٠.

(٤) هو أحد أقانيم الثالوث الهندي وللتعريف به انظر ص ٤٤١ ، ٤٤٢ من هذا البحث.

(٥) انظر : الأستاذ التنير (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية)، ط ١، ص ٥٠.

>> ويعتقد البوذيون في بوذا^(١) بأنه الطبيب العظيم ومخلص العالم والمسوح والمسيح المولود الوحيد وغير ذلك وأنه قدّم نفسه ذبيحة ليكفر آثام البشر ويجعلهم ورثاء ملكوت السموات، وبولادته ترك كافة مجده في العالم ليخلص الناس من الشقاء والعذاب كما نذر <<^(٢).

>> ثم إن بوذا ينظر البوذيين إنسان وإله معاً وإنه تجسد بالناسوت في هذا العالم ليهدي الناس ويفديهم ويبين لهم طريق الأمان، وهذا التجسد اللاهوتي يعتقد أنه كافة البوذيين كما يعتقدون أن بوذا هو مخلص الناس <<^(٣).

ويلاحظ القارئ الكريم كما نلاحظ أن هذا الاعتقاد كبير الشبه باعتقاد النصارى في المسيح عليه السلام وهذا يدل دلالة كبيرة على إقتباسهم عقائدهم من هؤلاء الوثنيين.

>> ويقول البوذيون ومن رحمته (أي بوذا) تركه للفردوس ومجيئه إلى الدنيا من أجل خطايا بني الإنسان وشقائهم كي يبررهم من ذنوبهم ويزيل عنهم القصاص الذي يستحقونه <<^(٤).

(١) للتعريف به أنظر هامش ص ٤٩٧ من هذه الأطروحة

(٢) انظر : الأستاذ التنير (العقائد الوثنية)، ص ٥٠ ، ٥١

(٣) انظر : (بيل) كتاب (تاريخ بوذا) ص ٣٣ نقلاً عن الأستاذ التنير (العقائد الوثنية)، ص ٥١

(٤) انظر : (وليمس) كتاب المدعو (ديانة الهند) ص ٢١٤ نقلاً عن : الأستاذ التنير (العقائد الوثنية)، ص ٥١

>> ويعد الفراعنة القدماء أو سيريس^(١) أحد مخلصي الناس وأنه بسبب جده لعمل الصلاح يلاقي اضطهاداً وبمقاومته للخطايا يقهر ويقتل >>^(٢).

ويحترم الفراعنة أو سيريس ويعدونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة >>^(٣).

ويقول الدكتور صابر جيره إن كلمة الحياة عند قدماء المصريين ترسم كما يرسم الصليب، وليس بعيداً إذاً أن يكون رسم الصليب مقتبساً من الفكر المصري، بمعنى نهاية الحياة أو الحياة التي تلي الصلب، ويقول كذلك. إن فكرة التثليث عند قدماء المصريين كانت نبوءة فطرية للتثليث في المسيحية >>^(٤)

>> إن كثيراً من المفكرين يتجهون إلى أن الثالوث يرجع إلى خمسة عشر قرناً على الأقل قبل مولد المسيح، فقد وُجد في مصر في ذلك التاريخ، وتأثر الفكر المسيحي بالفكر المصري وبخاصة بسبب قرب المسافة بين موطن الفكر

(١) أحد أقانيم الثالوث الفرعوني القديم وللتعريف به، انظر ص ٤٤٠ من هذه الرسالة.

(٢) انظر : (بونوبك) من كتاب (عقيدة المصريين) ص ١٦٥ نقلاً عن (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية)، ص ٥٢

(٣) انظر : موري كتاب (الخرافات) ص ٣٨٤ نقلاً عن الأستاذ التنبير (العقائد الوثنية)، ص ٥٢

(٤) مجد الكتاب المقدس ص ١٠٣ نقلاً عن د/ أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ١٧٣

الفرعوني والفكر المسيحي» (١)

« إن المسيحية كدين ليست بعيدة في أسسها عن العقائد المصرية القديمة، وهناك تشابه كبير بين الإثنين في كثير من الوجوه» (٢).

ويقول أحد الباحثين في مقارنة الأديان :

« يسرني أن اسجل أنه من بين المسيحيين الذين تعرضوا لكتابي هذا بالنقد والمناقشه، لا يوجد واحد عارض الحقائق التي ذكرتها به والتي قادتني إلى أن أقرر أن أكثر تعاليم المسيحية الحالية مستعار من الوثنيه» (٣).

« وكان الفرس يدعون مترا (٤) الوسيط بين الله والناس والمخلص الذي يتألمه خلص الناس ففداهم ويدعونه الكلمه والفادي» (٥).

(١) انظر : د/ سامي جيره (في رحاب المعبودتوت)، ص ٢٤ نقلاً عن د/ أحمد شلبي (المسيحية)، ص ١٧٣

(٢) د/ محمد حماد (الفنون والطرز القبطيه)، ص ٦، نقلاً عن د/ أحمد شلبي (المسيحية)، ص ١٧٤

(٣) *The Sources of Christianity p.15* نقلا عن د/ أحمد شلبي (المسيحية)، ص ١٧٦

(٤) مترا أو مترات أو متراس أحد أقانيم ثالوث الفرس.

انظر : ص ٤٤٢ من هذه الرسالة.

(٥) انظر : الأستاذ التنبير (العقائد الوثنية)، ص ٥٥

ويقول أحد الباحثين الغربيين >> إن ديانة متراس لم تنته في روما إلا بعد أن انتقلت عناصرها الأساسية إلى المسيحية >> (١).

>> وإذا كانت ديانة متراس قد أمدت المسيحية بهذه التعاليم فإن ديانة بعل إله البابليين كانت معيناً للمسيحية في موضوع هام من موضوعاتها العاطفية ذلك هو قصة محاكمة عيسى وصلبه، وقد وضع البابليون قصة محاكمة بعل في تمثيلية مؤثرة كانت تمثل كل عام قبل مولد المسيح بقرون عديدة، وكانت تمثيلية حافلة بالغموض، وقد اكتشفت في مطلع هذا القرن بأرض بابل لوحتان يرجع تاريخهما إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وسُجّلت عليها قصة محاكمة بعل ونهايته، وقد أخذ اليهود إلى سجن بابل منذ عهد بختنصر، وهناك رأوا هذه التمثيلية تعرض كل مطلع ربيع، وعندما عاد اليهود إلى ديارهم كانت هذه القصة عالقة بأذهانهم ومؤثرة في حياتهم، فانعكست على آدابهم وعلى حياتهم العامة وعقب نهاية المسيح ظهرت تمثيلية بعل بنفس عناصرها مع اسم جديد وضع مكان بعل وهذا الاسم هو المسيح، حتى يمكن القول إن قصة صلب المسيح كما توردها الأناجيل هي قصة منتحلة تماماً، وفيما يلي بعض عناصر التشابه بين القصتين:

(١) انظر : *Repertson Ibid: 350* نقلاً عن د/ أحمد شلي (المسيحية)، ط ٦، ص ١٧٨.

(١) *Khwaja Kamal-ud-din: The Sources of Christianity pp.44-49* نقلاً عن: د/ أحمد شلي (المسيحية)، ط ٦، ص ١٧٩، ١٨٠.

ومما يظهر جلياً للقارئ الكريم مدى التشابه الكبير بين القصتين السابقتين حتى يمكن الجزم بأن إحداها نسخة طبق الأصل من الأخرى وهذه هي الحقيقة، فالمسيحيون نقلوا واقتبسوا قصة الصلب والفداء من الأساطير الوثنية القديمة من بوذية وبابلية وفرعونية فهي الأسبق بعدة قرون من وجود المسيح عليه السلام^(١)

>> وعبد المكسيكيون إلهاً مصلوباً دعوه المخلص والفادي ويدعونه ابن الله بلغتهم < باكوب > و < أبوكو > ولو لم يحرق الأسبانيون كتب سكان المكسيك والبيرو ويخربون هياكلهم وينحتون تصاويرهم ورسومهم لعلمنا عنهم أكثر مما نعلم الآن بكثير، ولولا التزر القليل الذي سلم من يد الأسبانيين الظالمه لما علمنا أنهم كانوا يعبدون إلهاً صلب فداءً عن الخطيئة، وأنهم كانوا يدعونه ابن الله الفادي << (٢).

>> ولاتكتف المسيحية باقتباس الأحداث وإنما اقتبست أيضاً الأيام والتواريخ، فمولد عيسى وصلبه وعودته للحياة تقع في أيام تتفق تماماً مع أحداث وثنيه ترتبط بمثل هذه الأيام << (٣).

(١) وقد عقد كل من الدكتور / أحمد شلي في كتابه (المسيحية)، والأستاذ محمد طاهر التنير في كتابه (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) الكثير من المقارنات والمقابلات بين العقائد الوثنية وعقائد النصارى الحالية تجاوزناها خشية الإطالة، فمن أراد التوسع فليرجع إلى هذين الكتابين.

(٢) انظر: محمد التنير (العقائد الوثنية)، ص ٥٥، ط ١

(٣) انظر: *The Sources of Christianity* p.X نقلا عن د / أحمد شلي (المسيحية)، ط ٦، ص ١٨٤

المسألة الثالثة :

بولس ودوره في إدخال (عقيدة الصلب والفداء) ضمن عقائد

النصارى الحالية.

تجمع المراجع الموثوق بها على أن لبولس دوراً كبيراً وخطيراً في تحريف وتبديل المسيحية الأصلية^(١) ومن تحريفاته تلك إدخاله عقيدة الصلب والفداء ضمن عقائد النصارى الحالية، ولا يخفى ما لبولس «شاؤول اليهودي»^(٢) من دور كبير في ذلك بحيث ينسب له جزء كبير من العهد الجديد يحتوي على ١٤ رسالة تحتوي على ١٠٠ اصحاح.

(١) ويدل على ذلك ما يأتي :

١ - أنه كان يهودياً من فرقة الفريسيين اليهودية المعروفين بأنهم ألد أعداء المسيح عليه السلام - انظر سفر الأعمال ٢٢:٤

٢ - إنتسابه الى الرومان الوثنيين أحياناً إذا خاف على نفسه من العقاب < سفر الأعمال ٢٢ : ٢٥-٢٩ >.

٣ - إضطهاده الشديد للمسيحيين قبل دخوله المسيحية، وهذا يدل دلالة قاطعة على أنه ليس من تلاميذ المسيح ولا من أنصاره، بل إنه لم يره أو يسمع منه < سفر الأعمال ٨ : ١-٣ > أيضا < ٩ : ١-٣ >.

٤ - التحول المفاجئ والغريب من الإضطهاد الشديد للمسيحيين إلى كونه رسولا بل مصدراً للوحي والشرع أحياناً !!

<< سفر الأعمال ٩ : ٣ - ٦ >>

انظر : التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة (رسالة ماجستير) للباحثة، ص ٧٥ - ٧٩ بتصرف واختصار.

(٢) للتعريف به، انظر ص ٣ من هذا البحث

يقول بولس في رسالته إلى أهل غلاطيه :

« >> أيها الغلاطيون الأغبياء من رقاكم حتى لاتذعنوا للحق أنتم الذين أمام
عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً >> (١).

وفي رسالته هذه يقول أيضاً:

« >> وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي
به قد صلب العالم لي وأنا للعالم >> (٢).

ويقول في رسالته إلى أهل كولوسي :

« >> شاكرين الآب الذي أهلنا لشركة ميراث القديسين في النور، الذي
اتخذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا الى ملكوت ابن محبته، الذي لنا فيه الفداء بدمه
غفران الخطايا >> (٣).

ويقرر كذلك في رسالته إلى أهل كورنثوس حيث يقول :

« >> إني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه
مصلوباً >> (٤).

ويلعل > ول ديورانت < (٥) لادخال بولس عقيدة الصلب والفداء ضمن
عقائد النصرى الحالية فيذكر أنه قد تأثر بالفلسفه الأفلاطونية وكذلك بالسنة
اليهودية والوثنيه، وأنه قد أنشأ لاهوتا ليس له إلا أسانيد غامضه يقول:

(١) ١ : ٣

(٢) ١٤ : ٦

(٣) ١٤ - ١٢ : ١

(٤) ٢ : ٢

(٥) للتعريف به، انظر هامش ص ٢٨ من هذه الرسالة

>> وقد أنشأ بولس لاهوتاً لاجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح وكانت العوامل التي أوحى إليه بالأسس التي أقام عليها ذلك اللاهوت هي إنقباض نفسه وندمه، والصورة التي استحال إليها المسيح في خياله، ولعله قد تأثر بنبذ الأفلاطونية والرواقية للمادة والجسم، واعتبارهما شراً وخبثاً، ولعله تذكر السنة اليهودية والوثنية سنة التضحية والفدائية للتكفير عن خطايا الناس: أما هذه الأسس فأهمها أن كل ابن انثى يرث خطيئة آدم ولاشئ ينجيه من العذاب الأبدي الا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته، وتلك فكرة كانت أكثر قبولاً لدى الوثنيين منها لدى اليهود، ولقد كانت مصر وآسيا الصغرى، وبلاد اليونان تؤمن بالآلهة من زمن بعيد، تؤمن بأوزوريس، وأثيس وديونيشس التي ماتت لتفتدي بموتها بني الإنسان، وكانت القاب مثل سوتر (المنقذ) واليوثيريوس (المنجي) تطلق على هذه الآلهة، وكان لفظ كريوس (الرب) الذي سمى به بولس المسيح هو اللفظ الذي تطلقه الطقوس اليونانية السورية على ديونيشس الميت المفتدى، ولم يكن في وسع غير اليهود من أهل أنطاكية وسواها من المدن اليونانية، الذين لم يعرفوا عيسى بجسمه، أن يؤمنوا به إلا كما آمنوا بآلهتهم المنقذين >> (١).

وهاهو أحد كبار علماء المسيحيين والباحثين يعترف بأن بولس قد نقل إلى المسيحية الكثير من أفكار زمانه ومصطلحاته، وأنه هو الذي قال بأن المسيح ابن الله نزل ليقدم نفسه قرباناً، ويصلب عن خطيئة البشر يقول: ويلز *H. G. Wiles*

(١) قصة الحضارة، ج ٣، (١١)، ط ٣، ص ٢٦٣ ، ٢٦٤

المسألة الرابعة :

تناقض الأناجيل الأربعة في رواياتها لحادثة الصلب دليل على عدم صدقها وصحتها.

ومما يظهر لأدنى ذي لب أنه عندما يتحدث شخص ما ويظهر من أقواله تناقضها وتضاربها، فيستدل من ذلك على كذبه وافترائه فيما يدعي ويقول.. إذ أن التناقض والإضطراب في الأقوال دليل على عدم صحتها وبعدها عن الحقيقة والمصدقية.

والأدلة التي يتمسك بها المسيحيون على عقائدهم عامة وعقيدة الصلب خاصة هي روايات الأناجيل الأربعة المعتمدة حالياً عند النصارى، وإذا ثبت تناقض هذه الروايات واختلاف نصوصها ثبت عدم صحتها وعدم حجية الاستدلال بها أي أنها ليست وحياً من الله تعالى كما يعتقدون.

وفيما يلي أهم النصوص التي يستدل بها المسيحيون على حادث الصلب والفداء، ويظهر للباحث المنصف تناقضها وتضاربها - فيما بينها - واضحاً وجلياً.

أولاً : الحديث عن خوف يسوع وهلعه عندما قربت ساعة الأجل، ففي الأناجيل المنسوبة إلى متى ومرقص ولوقا تصور وتصف المسيح عليه السلام بشدة هلعه وخوفه من دنو أجله لدرجة أنه جثا على ركبتيه، وأخذ يدعو الله أن يجيز عنه كأس الموت، بينما يناقض الإنجيل المنسوب إلى يوحنا الأناجيل الثلاثة السابقة وينص على أن المسيح أمر يهوذا الخائن أن يعجل بحياته، وأن يقوم بما يريد القيام به أكثر سرعة !!

وإذ كانوا يطلبون أن يسكوه خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبي «(١)».

أما في رواية مرقس :

« وجاءوا إلى أورشليم، ولما دخل يسوع الهيكل ابتداءً يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب مواثد الصيارفه، وكراسي باعة الحمام، ولم يدع أحداً يجتاز الهيكل بمتاع، وكان يعلم قائلاً لهم أليس مكتوباً بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الأمم، وأنتم جعلتموه مغارة لصووس، وسمع الكتبة ورؤساء الكهنة فطلبوا كيف يهلكونه لأنهم خافوه إذ بهت الجمع كله من تعليمه «(٢)»

وكذلك رواية مؤلف إنجيل لوقا أتت بنفس المعنى (٣).

إذاً يفهم من الروايات الثلاثة أن السبب المباشر في القبض على يسوع وصلبه - كما يدعون - هو دخوله إلى الهيكل وما قام به من أعمال فيه من إخراج للبائعين والمشتريين، وقلب مواثد الصيارفه وكراسي باعة الحمام وعدم السماح لذي متاع بأن يجتاز الهيكل، كما تضيف الروايات بأن هذه الأعمال قد ألبت عليه قلوب الكهنة ورؤساء الكتبة، فأخذوا يفكرون كيف ينتقمون منه بإهلاكه.

أما مفاد نص إنجيل يوحنا فإن السبب المباشر للقبض على يسوع وصلبه

(١) متى ٢١ : ٤٥ - ٤٦

(٢) ١١ : ١٥ - ١٨

(٣) ١٩ : ٤٥ - ٤٨

- على زعمهم - هو إحيائه رجلاً قد مات وأنتن، وهذا الرجل يدعى لعازر، بعد ذلك جمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجماً وأخذوا يتشاورون ليقتلوه خوفاً من أن يؤمن به الجميع لما كان يصنع من معجزات. وبذلك يظهر للقارئ الكريم التناقض والإختلاف واضحاً وجلياً بين آراء مؤلفي الأناجيل مما يشكك في صدق وصحة هذه الروايات فهي إذاً ليست دليلاً يعتمد عليه على عقيدة الصلب والفداء وبقية العقائد المسيحية.

وفيما يلي نص مؤلف إنجيل يوحنا :

>> فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً، ورفع يسوع عينيه إلى فوق، وقال: أيها الأب أشكرك، لأنك سمعت لي، وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني، ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم: لعاذر هلم خارجاً، فخرج الميت ويده ورجلاه بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل، فقال لهم يسوع: حلوه ودعوه يذهب.

فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم، ونظروا ما فعل يسوع آمنوا به، وأما قوم منهم فمضوا إلى الفريسيين، وقالوا لهم عما فعل يسوع، فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجماً وقالوا: ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة، إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به، فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا >> (١)

>> حينئذ جاء معه يسوع إلى ضيعة يقال لها: جشيماني^(١) فقال للتلاميذ: اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك، ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي، وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت، امكثوا هنا، واسهروا معي، ثم تقدم قليلاً وخزّ على وجهه وكان يصلي قائلاً: يا أبته إن أمكن فلتعبر عني هذا الكأس <<^(٢).

وأتى مؤلف إنجيل مرقس بالمعنى ذاته^(٣).

الرأي الثاني : لمؤلف إنجيل، لوقا ومفاد نصه أن المسيح عليه السلام أمر تلاميذه بالصلاة، وابتعد عنهم نحو رمية حجر، وكان منفرداً في صلاته ولم يشاركه منهم في صلاته الأخيرة هذه أحد، وكما هو واضح فقد خالف الرواية السابقة. وفيما يلي نص مؤلف إنجيل لوقا :

>> وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون، وتبعه أيضاً تلاميذه ولما صار إلى المكان قال لهم: صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة، وانفصل عنهم نحو رمية

(١) كلمة آراميه معناها < معصرة الزيت > وكان بستاناً فيه اشجار الزيتون ومعصرة لعصره، وهو يقع شرق أورشليم فيما وراء وادي قدرون قرب سفح جبل الزيتون، وكان المسيح يتردد عليه كثيراً طلباً للعزلة وترويح النفس، وهو الآن مكان مقدس لأنه كان مكان ألمه وتسليمه والقبض عليه (كما يزعمون).

انظر: قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوي الاختصاص، ط ٦، ص ٢٤٩

(٢) ٢٦ : ٣٦ - ٣٩

(٣) ١٤ : ٣٢ - ٣٦

حجر، وجثا على ركبتيه، وصلى قائلاً: يا أبتاه، ان شئت أن تجيز عني هذه الكأس، ولكن لتكن لإرادتي بل لإرادتك >> (١)

الرأي الثالث : لمؤلف إنجيل يوحنا، فإن رواية نصه تختلف عن الروايتين السابقتين إذ أن روايته تفيد أن المسيح عليه السلام إجتمع بتلاميذه، ولم يفصل عنهم لا لصلاة ولا لغيرها.

وها هو نص مؤلف إنجيل يوحنا :

>> قال يسوع هذا، وخرج مع تلاميذه إلى عبر وادي قدرون، حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه، وكان يهوذا مسلمه يعرف الموضع، لأن يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه، فأخذ يهوذا الجند، وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاءوا إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح، فخرج يسوع، وهو عالم بكل ما يأتي عليه >> (٢).

رابعاً: وقد اختلفت أناجيل النصارى - أيضاً - في كيفية القبض على المسيح - كما يدعون - على روايات ثلاث:

الرواية الأولى : لمؤلفي متى ومرقس ومفادها أن يهوذا الاسخريوطي قبّل المسيح عند القبض عليه كعلامة لرؤساء الكهنة والكتبة بأن الذي قبله هو المسيح عليه السلام.

(١) ٢٢ : ٣٩ - ٤٢

(٢) ١٨ : ١ - ٤

وفيما يلي نص مؤلف إنجيل مرقس :

>> وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحد من الإثني عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ، وكان مسلمه قد أعطاهم علامة قائلاً الذي أقبله هو هو أمسكوه وامضوا به بحرص، فجاء للوقت وتقدم إليه قائلاً ياسيدي ياسيدي وقبله، فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه، فاستل واحد من الحاضرين السيف وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه.

فأجاب يسوع وقال لهم كأنه على لصٍ خرجتم بسيوف وعصي لتأخذوني، كل يوم كنت معكم في الهيكل أعلم ولم تمسكوني، ولكن لكي تكمل الكتب، فتركه الجميع وهربوا، وتبعه شاب لابساً إزاراً على عربة فأمسكه الشبان، فترك الإزار وهرب منهم عرياناً.

فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة >> (١)

وقد وافقه متى في ذلك (٢).

الرواية الثانية : لمؤلف إنجيل لوقا ومفاد نصه: أن يهوذا الاسخريوطي لم يقبل المسيح بالفعل كعلامة بأنه هو المسيح للقبض عليه، وإنما كان على وشك ذلك ولكنه لم يفعل..

(١) ١٤ : ٤٣ - ٥٣

(٢) ٢٦ : ٤٧ - ٥٤

وها هو نص مؤلف لوقا:

>> وبينما هو يتكلم إذا جمع والذي يدعى يهوذا أحد الاثني عشر يتقدمهم فدنا من يسوع ليقبله، فقال له يسوع يا يهوذا أبقبلتة تسلم ابن الإنسان >> (١) .. >> فأخذوه وساقوه وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة >> (٢).

الرواية الثالثة : لمؤلف إنجيل يوحنا، وكما يتضح من نصه أنه لم يذكر أي شيء عن هذه القبله، بل ذكر أموراً أخرى لا توجد في الأناجيل.

وفيما يلي نص يوحنا :

>> فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصاييح وسلاح، فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال لهم من تطلبون أجابوه يسوع الناصري، قال له يسوع أنا هو، وكان يهوذا مسلمه أيضاً واقفا معهم، فلما قال لهم إني أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض، فسألهم أيضاً من تطلبون، فقالوا يسوع الناصري، أجاب يسوع قد قلت لكم إني أنا هو، فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون، ليتم القول الذي قاله إن الذين أعطيتني لم أهلك منهم أحداً.

ثم إن سمعان بطرس كان معه سيف فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى وكان اسم العبد ملخس، فقال يسوع لبطرس اجعل سيفك في الغمد، الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها.

(١) ٢٢ : ٤٧ - ٤٨

(٢) ٢٢ : ٥٤

ثم أن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه >> (١).

خامساً: إختلاف الأناجيل فيما بينها فيمن هو الشخص الذي تبع المقبوض عليه وهو المسيح عليه السلام - في زعمهم - على ثلاث روايات:

الرواية الأولى : لمؤلفي إنجيلي متى ولوقا ومفادها أن بطرس وحده هو الذي تبع المسيح عند القبض عليه.

وفيما يلي نص مؤلف إنجيل متى :

>> حينئذ تركه التلاميذ كلهم، وهربوا والذين أمسكوا يسوع مضوا به إلى قيافا رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ وأما بطرس فتبعه من بعيد إلى دار رئيس الكهنة فدخل إلى داخل، وجلس بين الخدام لينظر النهاية >> (٢).

وأتى لوقا بنفس المعنى تقريباً (٣)

وأما الرواية الثانية : وهي لمؤلف إنجيل مرقس ومفادها أن بطرس لم يكن وحده هو الذي قد تبع المسيح، وإنما هناك شاب آخر قد تبعه وفيما يلي نص مرقس:

>> فتركه الجميع وهربوا وتبعه شاب لابساً إزاراً على عربة، فأمسكه الشبان، فترك الإزار وهرب منهم عرياناً، فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة،

(١) ١٨ : ٣ - ١٢

(٢) ٢٦ : ٥٦ - ٥٨

(٣) ٢٢ : ٥٤ - ٥٥

فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة، وكان قد تبعه من بعيد الى داخل دار رئيس الكهنة، وكان جالساً بين الخدام يستدفئ عند النار >> (١).

والرواية الثالثة: لمؤلف إنجيل يوحنا ومفاد نصه أن هناك شخصاً آخر مع بطرس تبعاً للمسيح ولكن هذا الشخص لم يهرب كما هرب الشاب - حسب رواية مرقس السابقة - بل كان معروفاً لدى رئيس الكهنة بحيث استطاع التوسط لبطرس في الدخول.

وفيما يلي نص مؤلف إنجيل يوحنا:

>> وكان سمعان بطرس، والتلميذ الآخر يتبعان يسوع، وكان ذلك التلميذ معروفاً عند رئيس الكهنة، فدخل مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة، وأما بطرس، فكان واقفاً عند الباب خارجاً، فخرج التلميذ الآخر الذي كان معروفاً عند رئيس الكهنة، وكلم البوابه، فأدخل بطرس >> (٢)

ويلاحظ القارئ الكريم تباين وتضارب الروايات الثلاث فيما بينها.

سادساً : الاختلاف في استجواب المسيح - كما يزعمون - ومحاكمته على

روايتين :

فيروي مؤلفوا متى ومرقس ولوقا أن المسيح عند استجوابه أثناء محاكمته

(١) ١٤ : ٥٠ - ٥٤

(٢) ١٨ : ١٥ - ١٦

لم يزد على قوله < أنت تقول > فقط وتختلف هذه الرواية عن رواية إنجيل يوحنا حيث كان مفادها أن المسيح قام بمجادلة الوالي الروماني ومناقشته حتى قام الوالي بالخروج تاركاً المسيح!!

وفيما يلي أنقل نص مؤلف إنجيل متى :

>> فوقف يسوع أمام الوالي فسأله قائلاً أنت ملك اليهود؟ فقال له يسوع: أنت تقول، وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب عليه بشيء، فقال له بيلاطس: أما تسمع كم يشهدون عليك؟ فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالي جداً >> (١).

وقد وافقه مرقس (٢) ولوقا (٣) في روايته.

وفيما يلي نص مؤلف إنجيل يوحنا:

>> ثم دخل بيلاطس أيضاً إلى دار الولاية ودعا يسوع وقال له أنت ملك اليهود، أجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عني، أجابه بيلاطس ألعلي أنا يهودي. أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إلي، ماذا فعلت، أجاب يسوع مملكتي ليست من هذا العالم، لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود، ولكن الآن ليست مملكتي من هنا، فقال له بيلاطس أفأنت إذاً ملك، أجاب يسوع أنت تقول إني ملك، لهذا قد ولدت أنا

(١) ٢٧ : ١١ - ١٤

(٢) ١٥ : ٢ - ٥

(٣) ٢٣ : ١ - ٣

ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق كل من هو من الحق يسمع صوتي، قال له بيلاطس ما هو الحق؟ ولما قال هذا خرج أيضاً إلى اليهود وقال لهم أنا لست أجد فيه علة واحدة >> (١).

>> والمرء إذ يطالع كل ذلك في الأناجيل الثلاثة يأخذه العجب، فها هما ذا انجيلان يؤكدان أن كل ما قاله هذا الذي يحاكم على أنه المسيح لبيلاطس > أنت تقول < ويحاول بيلاطس بعد ذلك أن يتحدث معه فلا يجيبه ولا عن كلمة واحدة، ويؤكد الإنجيلان سكوته على هذا النحو بأن يضيفا أن الوالي تعجب لذلك جداً، ولكن الإنجيل الأخير لا يقول بذلك، بل يقول أنه أخذ يرد على بيلاطس ويناقشه في كل ما يقول، ويدور بينهما حديث لا ينتهي إلا بأن يخرج بيلاطس بعد ذلك لليهود تاركاً المسيح، ويحسبون المسيح قد سكت ولم يجب الوالي عن كلمة واحدة حتى أثار ذلك السكوت منه عجب الوالي جداً، وأن يكون في نفس الوقت لم يسكت على الإطلاق بل أخذ يناقش الوالي في كل ما يقوله، إن هذا هو المستحيل عينه للعقل، وإن هذا ليقطع أن في القليل إحدى الروايتين غير صحيحة على الإطلاق >> (٢).

سابعاً : الإختلاف والتضارب فيمن حمل الصليب إلى موضع الصلب
اختلفت الأناجيل - أيضاً - على روايتين:

الرواية الأولى : من الأناجيل "متى ومرقس ولوقا" وقد ذكروا بأن حامل الصليب هو رجل قيرواني يُدعى سمعان.

(١) يوحنا ١٨ : ٣٣ - ٣٨

(٢) انظر : منصور حسين عبدالعزيز (دعوة الحق)، ط دار الاعتصام، ص ٣٢٨

وفيما يلي نص الأنجيل المنسوب إلى متى :

>> وفيما هم خارجون وجدوا إنساناً قيروانياً اسمه سمعان فسخره ليحمل صليبه >> (١).

وواقفه مرقس (٢) ولوقا (٣).

الرواية الثانية: لمؤلف إنجيل يوحنا ومفاد نصه أن المسيح هو نفسه الذي حمل صليبه إلى موضع الصلب، وبالطبع لا يمكن الجمع بين هاتين الروايتين، كما لا يمكن الترجيح بدون مرجح.

وفيما يلي نص إنجيل يوحنا:

>> فأخذوا يسوع ومضوا به فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له الجمجمه ويقال له بالعبرانيه جلجثة. حيث صلبوه.. >> (٤)

>> وهذه الرواية هي عكس ما اتفق عليه البشرون الثلاثة حيث نفهم من روايتهم أن من ظنوا أنه المسيح منذ أن خرج من دار الولاية إلى حيث صلب، لم يحمل صليبه بل سخر لحمله رجل قيرواني يدعى سمعان حمل الصليب

(١) ٢٧ : ٣٢

(٢) ١٥ : ٢٠ ٢٢

(٣) ٢٣ : ٢٦

(٤) ١٩ : ١٦ - ١٨

وسار به خلفه حتى مكان صلبه، أما يوحنا البشير فيذكر لنا أن من ظنوا أنه المسيح هو الذي حمل الصليب منذ خروجه وحتى مكان صلبه، ومحال أن تكون كلا الروايتين صحيحة، وفي القليل فإن إحداهما على الأقل ليست صحيحة << (١)

(١) انظر : الأستاذ منصور حسين عبد العزيز، (دعوة الحق)، ص ٣٢٩

المسألة الخامسة :

إبطال عقيدة الصلب والفداء عقلاً

وهذه العقيدة (عقيدة الصلب والفداء) تناقض العقل والمنطق والفطرة السليمة - كما سيتضح فيما بعد - وعقائد النصارى الحالية عامة تناقض العقل والمنطق والمعقولة - كما اتضح فيما سبق - وكذلك فإن عقائد النصارى تتناقض فيما بينها.. إذ كيف فيمن يعتقدون بأنه إله عظيم متعالى ذي الجاه والسلطان الكبير المستحق للطاعة والعبودية.. كيف بهذا الإله أن يتجسد ويُجبل به ويُولد كما يولد البشر طفلاً ثم يكبر ويتعرع كالbشر تماماً، ثم يحدث له مالم يحدث لأتفه الخلق من تمكن اليهود منه وضربه وجلده وإهائته، وشتمه، والبصق عليه، ثم تنتهى حياته بالعذاب الأليم ليموت مصلوباً، وذلك فداءً عن الخليقة في إثم لم يرتكبه هم، بل ارتكبه أبوهم الأول بأكله من الشجرة المحرمة، ثم يموت فداءً عن الخليقة الذين لا يعدون أن يكونوا عباداً له وخلق من مخلوقاته؟!!

والمسيحيون يحاولون التعليل لذلك: << بأن الله تعالى من صفاته العدل والرحمة فبمقتضى عدله لا بد من أن يعاقب آدم وذريته لتلك الخطيئة، وبمقتضى رحمته لا بد أن يعفو عنهم، لذلك فانه لا يمكن تخليص البشر من ذنبهم المتوارث إلا بتزول إبنه الوحيد وتجسده ليصلب ويتألم ويفدي البشر >> (١)!!

(١) انظر : الإنجيل والصليب للاستاذ عبدالأحد داود، ص٦، كذلك المسيحية في الإسلام للقس إبراهيم لوقا، ص١٧١، نقلا عن: د/ أحمد شلي (المسيحية)، ط٦، ص١٥٥، بتصرف واختصار

وفي الحقيقة أن هذه العقيدة لاتستحق المناقشة، ففسادها بين، والعقل السليم يرفضها، فإذا كان الله محبه لم ترك بني آدم هذه الفترة الطويلة من غير أن يغفر لهم ويكفر خطيئتهم ؟ وإذا كان الآب عادلاً فكيف يعاقب الذرية من آدم إلى المسيح عليهم السلام بالبعد عن رحمته؟ وما ذنب الأبناء في إثم ارتكبه أبوهم؟ قال الله تعالى :

{ ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى } (١).

{ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره } << (٢).

وإذا كان قد حرّمهم هذه المدة الطويلة من رحمته فما الجدوى إذاً من بعث الرسل قبل المسيح عليهم السلام ليبينوا لهم طريق الهدى من طريق الضلال؟

ثم ألا يستطيع الله سبحانه وتعالى وهو القادر على كل شيء وهو الغفور الودود - أن يغفر لهم ولأبيهم آدم بدون هذه الطريقة؟ وما الحكمة إذاً في اختيار هذه الطريقة القاسية؟ وما أحرأها أن تظهر العداوة والبغضاء لا المحبة والسلام.

والنصارى يناقضون أنفسهم في هذه العقيدة (عقيدة الصلب والفداء) حيث يقولون: إن الله تعالى رحيم، ومع ذلك ترك البشر حتى عهد المسيح في دنس خطيئة أبيهم ولم يغفر لهم ولم يرحمهم.

(١) سورة الإسراء : آية ١٥

(٢) سورة الزلزلة : آية ٧ - ٨

ويقولون: إنه تعالى عادل ومع ذلك يعتقدون بأنه عاقب ذرية آدم بالبعد عن رحمته الى عهد المسيح بسبب ذنب ارتكبه أبوهم ولادخل لهم فيه. وللرد عليهم : لأنه تعالى غفور رحيم فقد غفر لآدم عندما استتابه، ولأنه عادل فلم يعاقب الأبناء بذنوب آبائهم.

>> ثم كيف كان المسيح عندما عُلق على الصليب؟ هل كان لاهوتاً أم ناسوتاً؟ فإن قالوا: بأنه كان ناسوتاً فقط فهو إذاً ليس بإله كما يقولون بل إنسان فقط، والإنسان لا يستحق التأليه فهو مخلوق.

وإن قالوا: بأنه كان لاهوتاً فقط، أو لاهوتاً وناسوتاً معاً، فيلزم من ذلك القول بقتل الإله، إذ أن المسيح إله مطلق في نظرهم وابن للإله متساو معه في القدم !!

إذاً فالقول بقتل الإله خروج على العقل والدين معاً، فالإله الذي لا يستطيع دفع الضرر عن نفسه ليس بإله ولا يستحق الألوهية.

فإن قالوا : قتل الناسوت، فهذا القول يناقض قولهم بأن المسيح ليس ناسوتاً محضاً، مع أنهم يطلقون القول بالصلب.

إذا فقد ثبت بطلان وتناقض قولهم بأن المسيح قد صلب مع أنه إله >> (١)

وقد أعجبتني تساؤلات ومناقشات مفحمة يطرحها د. أحمد شلي على

(١) إمام الحرمين الجويني (الشامل في أصول الدين)، ص ٦٠٧ بتصرف

المسيحين عند حديثه عن عقيدة الصلب والفداء فيقول:

>> ولست أدري ما الذي حدا بالمسيحيين أن يصوروا نبيهم أو إلههم هذا التصوير البشع، وإن أي مفكر لتخطر بنفسه الأسئلة الآتية:

١ - ادعى المسيحيون أن صلب المسيح كان لتحقيق العدل والرحمة، وأي عدل وأي رحمة في تعذيب غير مذنب وصلبه؟ قد يقولون إنه هو الذي قبل ذلك، ونقول لهم إن من يقطع يده أو يعذب بدنه أو ينتحر، مذنب ولو كان يريد ذلك.

٢ - إذا كان المسيح ابن الله فأين كانت عاطفة الأبوة وأين كانت الرحمة حينما كان الإبن الوحيد يلاقي - دون ذنب - ألوان التعذيب والسخرية ثم الصلب مع دق المسامير في يديه؟

٣ - ما هي صورة المسيحيين عن الله (جل في سماه) الذي لا يرضى بأن يتزل العذاب المهين بالناس، والعهد في الله الذي يسمونه الأب ويطلقون عليه (الله رحمه) أن يكون واسع المغفرة كثير الرحمات؟

٤ - من هذا الذي قيد الله (جلّ جلاله) وجعل عليه أن يلزم العدل وأن يلزم الرحمة وأن يبحث عن طريق للتوفيق بينهما؟

٥ - ويدعي المسيحيون أن ذرية آدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة أبيهم، وفي أي شرع يلتزم الأحفاد بأخطاء الأجداد، ومخاصة أن الكتاب المقدس ينص على أنه > لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان

بخطيئته يقتل < (١) .

٦ - وإذا كان صلب المسيح عملاً تمثيلاً على هذا الوضع فلماذا يكره المسيحيون اليهود ويرونهم آثمين معتدين على السيد المسيح؟

٧ - وهل كان نزول ابن الله وصلبه للتكفير عن خطيئة البشر ضرورياً أو كانت هناك وسائل أخرى من الممكن أن يغفر الله بها خطيئة البشر؟
الجواب عن ذلك يقدمه كاتب مسيحي هو القس بولس سباط بقوله:

>> لم يكن تجسد الكلمة ضرورياً لإنقاذ البشر، ولا يتصور ذلك مع القدرة الإلهية الفائقة الطبيعية << (٢)

ثم يسترسل هذا الكاتب فيذكر السبب في اختيار الكلمة ليكون فداءً لخطيئة البشر فيقول: إن الله على وفرة ماله من الذرائع إلى فداء النوع البشري، وإنقاذه من الهلاك الذي نتج من الخطيئة ومعصية أمره الإلهي قد شاء سبحانه أن يكون الفداء بأعز ما لديه، لما فيه من القوة على تحقيق الغرض وبلوغه سريعاً << (٣).

ويرد عليه: بأنه ليس من الحكمة في أي شيء أن نفتدي بدينار ما نستطيع أن نفتديه بفلس، تعالى الله عن ذلك << (٤).

(١) تشييه ٢٤ : ١٦
(٢) (٣) المشرع ص ٤٢-٤٣ نقلا عن د. أحمد شلبي (المسيحية)، ص ١٥٩
(٤) د. أحمد شلبي (المسيحية)، ص ١٥٩

٨ - >> ويطرح سؤالاً آخر على القس بولس سباط: إذ كان الكلمة قد تجسد لمحو الخطيئة الأصلية فما العمل في الخطايا التي تحدث بعد ذلك؟
ويجيب هذا الكاتب بما يلي بالحرف الواحد: إذا عاد الناس إلى إجتراف الخطايا فالذنب ذنبهم، لأنهم أنسوا النور وعشوا عنه مؤثرين الظلمة بإرادتهم >> (١).

>> ومعنى ذلك أن خطيئة واحدة محيت وأن ملايين الخطايا سواها بقيت وجدّت بعد ذلك وسيحاسب الناس على ما اقترفوه، وبعض ما اقترفوه أقسى من عصيان آدم، لقد أنكر بعض الناس وجود الله، وهاجمه آخرون وسخروا بجنته وناره - والعياذ بالله - فلما ذا كانت مظاهر التجسد لخطيئة واحدة وتركت خطايا لاتعد؟

٩ - أين كان عدل الله ورحمته منذ حادثة آدم إلى صلب المسيح؟ ومعنى هذا أن الله (تعالى عن ذلك) كان حائراً بين العدل والرحمة آلاف السنين حتى قبل المسيح منذ حوالي ألفي عام هل يصلب للتكفير عن خطيئة آدم؟!>>

١٠ - ويلزم في جميع الشرائع أن تناسب العقوبة الذنب، فهل يتم التوازن بين صلب المسيح على هذا النحو، وبين الخطيئة التي ارتكبتها آدم؟

١١ - هذا إلى أن خطيئة آدم التي لم تزد عن أن تكون أكلًا من شجرة نهي عنها، قد عاقبه الله عليها بإخراجه من الجنة، ولا شك أنه عقاب كاف،

(١) المشرع ص ٤٤ نقلاً عن د. أحمد شلبي (المسيحية)، ص ١٦٠

فالحرمان من الجنة الفينانه، والخروج إلى الكدح والنصب عقاب ليس بالهين، وهذا العقاب قد اختاره الله بنفسه وكان يستطيع أن يفعل بآدم أكثر من ذلك، ولكنه اكتفى بذلك، فكيف يستساغ أن يظل مُضمرًا السوء غاضباً آلاف السنين حتى وقت صلب عيسى؟

١٢ - وقد مرت بالبشر من عهد آدم إلى عهد عيسى أحداث وأحداث، وهلك كثيرون من الطغاة وبخاصة في عهد نوح، حيث لم ينج إلا من آمن بنوح واتبعه وركب معه السفينة، فهؤلاء هم الذين رضي الله عنهم، فكيف بعد ذلك تبقى ضغينة وكرهية تحتاجان لأن يضحى عيسى بنفسه فداءً للبشرية؟

١٣ - والكاتب المسيحي الذي أسلم <عبد الأحد داود> ينتقد قصة التكفير هذه انتقاداً عقلياً سليماً فيقول: << إن من العجيب أن يعتقد المسيحيون أن هذا السر اللاهوتي وهو خطيئة آدم وغضب الله على الجنس البشري بسببها ظل مكتوماً عن كل الأنبياء السابقين، ولم تكتشفه إلا الكنيسة بعد حادثة الصلب >> (١).

١٤ - << ويقول هذا الكاتب إن ما حمله على ترك المسيحية، هو هذه المسألة وظهور بطلانها لأن الكنيسة أمرته بأوامر لم يستسغها عقله وهي: أ - نوع البشر مذنب بصورة قطعيه ويستحق الهلاك الأبدي

(١) الإنجيل والصليب، نقلا عن د/ أحمد شلبي (المسيحية)، ص ١٦١

ب - الله لا يخلص أحداً من هؤلاء المذنبين من النار الأبدية المستحقة عليهم، بدون شفيع.

ج - والشفيع لابد أن يكون إلهاً تاماً وبشراً تاماً!!!

ويدخل الكاتب في نقاش طويل مع المسيحيين بسبب هذه الأوامر، فهم يرون أن الشفيع لابد أن يكون مطهراً من خطيئة آدم، ويرون أنه كذلك وُلد عيسى من غير أب لينجو من الخدار الخطيئة إليه من أبيه، ويسألهم الكاتب: ألم يأخذ عيسى نصيباً من الخطيئة عن طريق أمه؟ ويجيب هؤلاء بأن الله طهر مريم من الخطيئة قبل أن يدخل الله الابن رحمها، ويعود الكاتب فيسأل: إذا كان الله يستطيع هكذا في سهولة ويسر أن يطهر بعض خلقه، فلماذا لم يطهر خلقه من الخطيئة كذلك بمثل هذه السهولة وذلك اليسر؟ بدون إنزال ابنه وبدون تمثيلية الولادة والصلب <<(١).

١٥ - >> وإذا فرضنا جدلاً أن الانسان قد أخطأ، لأنه ورث عن آدم المعصية، فما ذنب الإله - تعالى - ليتعذب، ويهان، ويبصق عليه ويشتم، ويتهكم الناس به، ويضرب، ويصلب، ويقتل قتلة الأشرار؟؟

١٦ - إذا قيل أن الإله لم يتعذب، بل الذي تعذب هو ناسوت المسيح، فيقال: اما أن يكون ناسوت المسيح جزءاً من الله، فيكون العذاب قد وقع على

(١) الإنجيل والصليب، ص ١٢٤، ١٢٧ نقلًا عن د. أحمد شلبي (المسيحية)، ص ١٦٢

الإله - تعالى - وهو غير جائز عقلاً أو يكون ناسوت المسيح جزءاً من آدم كسائر البشر الذي توالد منه، فيكون آدم قد فدى ببعضه، وفداء الناس بأحد منهم مبطل لعقيدة الفداء، ولا يكون هناك معنى لتزول الله أو لتجسده، أو لقيامه بالكفاره، إذ أن عقيدة النصارى تنص على أن الإله انتقم من الناس في شخص أحدهم، أو قبل فداء واحد منهم عن الآخرين، وإما أن يكون العذاب قد وقع على ناسوت المسيح ولاهوته ولا يخرج حكم ذلك على ما قدمنا، فثبت بهذا بطلان عقيدة الفداء.

١٧ - إن المسيح وجميع الرسل والأنبياء قبله - عليهم الصلاة والسلام - لم يذكروا لنا شيئاً مطلقاً عن هذا الذنب المغروس، وها هي التوراة التي بين أيديهم، وها هي الأناجيل التي يؤمنون بها لم يذكر في أحدهما أن بني آدم وُصموا بذنوب لم يقترفه أحدهم.

يقول المسيحيون: إن المسيح هو الله، وأنه ما نزل في هذا العالم وما انحط الى مستوى البشر إلا ليخلص الناس من ذلك الذنب - المزعوم - فاذا كان هذا هو السبب الوحيد الذي أرسل من أجله المسيح، فلم لم يقل عنه شيئاً؟ ولم لم يبينه؟؟

لقد كان المسيح معلم الشعب، فإذا كان نزل للفداء، كان عليه أن يشرح ما جاء من أجله خاصة، وما كان هناك أدنى داع للتعليم والتهذيب والإرشاد إلى الطريق الذي يدخل الجنة، ويباعد عن النار مادام محض مجيئه يكفي لخلاصهم، وخلص العالم معهم.

١٨ - إذا كان الله سبحانه وتعالى قد أذن للشيطان أن يدخل على الإنسان بالشر، وأن يغريه بالعصيان، والخروج عن طاعة الله، أفما كان في قدرته سبحانه أن يسلح الإنسان بقوى يستطيع بها أن يبطل كيد الشيطان، ويفسد تدبيره؟؟

ألم يكن هناك تدبير غير هذا التدبير الذي يتجسد الله فيه في جسد إنسان، وأن يمثل القصة بين «اليهود» وأن يثير الحرب بينه وبينهم حتى يسوقوه الى الصلب ويذيقوه العذاب والهوان ألواناً؟؟

١٩ - إذا كان آدم وأبناؤه قد استوجبوا عقاب الله بسبب معصية وقع فيها أبوهم، وإذا كان الله سبحانه قد رثى لحال آدم ورحمه، وأحب أن يعيده إليه مرة أخرى، وإذا كان حب الله للإنسانية لا يظهر ولا يتأكد إلا إذا جاء الله بنفسه إليها على صورة آدمية، وإلا إذا تحمل أمامها تلك الآلام التي تصدعت لها الأرض اذا كان الأمر كذلك، ووجب على الله أن يلبس هذا الجسد الآدمي، وأن يقدم نفسه ذبيحة للناس أمام الناس ليشهدوا حبه لهم، وتضحيتته من أجلهم كي ينقذ الإنسانية ويخلصها، أيكون مما يتفق مع العدل والحق والمنطق أن يضع الله نفسه بهذا الوضع، وأن يغري أبناء آدم به، فلا يقفون عند حد عصيانه في أنفسهم، بل يتطاولون عليه <مجسداً> ويغمسون أيديهم في دمه!! أبهذا ينال أبناء آدم العفو؟ أبقتل الله وصلبه عياناً يغفر الله لهم، ويفسح لهم في مرضاته؟

٢٠ - أليس أولى من هذا كله، وليبقى لله جلاله، وللإنسان وجوده أن يكون الإنسان نفسه هو الذي يواجه الشيطان وينتصر عليه؟

إن في الحرب الدائرة بين الإنسان والشيطان، والتي لا تنتهي لمجالاً فسيحاً لترقي الإنسان، واستعلائه على أهواء نفسه، وفي ذلك ما يقيم للإنسان وزناً ويعطيه مجداً بين يدي الله إذا هو جاهد وحارب وانتصر. وليست رسالات الرسل ودعوات الأنبياء، وما أنزل الله من كتب، وما أرسل من رسل إلا قوى سماويه أمد الله بها الإنسان في شخص المؤمنين من عباد الله والصدّيقين، والقديسين، والشهداء من أجل الحق والخير.

فلو كان الإنسان واقعاً تحت حكم اللعنة والخطيئة التي لا يرجى له خلاص منهما الا على يد الله في تلك الصورة التي تنتهي بصلب الله واراقة دمه، لو كان الأمر كذلك لما كان هناك داع لإرسال الرسل إلى الخلق مبشرين ومنذرين ولالإنزال الكتب التي تحت على الفضائل وتنفر من الرذائل، ولما كان هناك داع لأي عمل يعمله الإنسان، ولما كان هناك فرق بين محسن ومسيء، إذا الجميع في يد البوار والهلاك كلهم غرقى، وكلهم مهلكون << (١).

ويذكر صاحب كتاب (الفارق بين المخلوق والخالق) أخباراً تاريخية تؤكد نفي وقوع الصلب على السيد المسيح عليه السلام كما يسمي عدة طوائف تنكر وقوع الصلب على ذاته عليه السلام وتعتبر هذا القول إهانه ونقص لشرف المسيح عليه السلام.

(١) انظر: د/ محمود كريت (إنجيل برنابا بين الإسلام والنصرانية)، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، ص ١٨٤ - ١٨٦

يقول :

أ - >> وأنا أنقل في هذا الخصوص ما يشفي الغليل ويبرئ العليل فأقول لا يخفى على من وقف على حقائق التاريخ إن مسألة الصلب من أهم المسائل التي ولدت الشقاق بين النصارى عموماً ونصارى البلاد الشامية ومصر - قبل الإسلام - خصوصاً فإن الأكثر منهم كانوا يرفضون حصول الصلب رفضاً كلياً لأن البعض منهم كان يعده إهانة لشرف المسيح ونقصاً وأي نقص أعظم من نقص الاله الذي تلحقه مثل هذه الاهانات، والبعض الآخر كان يرفضه استناداً على الأدلة التاريخية، وهؤلاء الأقسام الجاحدون للصلب طوائف كثيرة منهم (الساطر ينوسيون، والكاربوكراتيون، والمركونيوم، والبارديسيانيون، والتاتبانيسيون، والمانيسون، والبارسكاليونيون، والبوليسيون) وهؤلاء مع كثيرين غيرهم لم يسلموا بوجه من الوجوه إن المسيح سُمر فعلاً ومات على الصليب حتى استخفوا بالصلب والصليب.

ب - قال الموسيو اردوارسيوس في باريس المشهور بمعارضة المسلمين في كتابة (عقيدة المسلمين في بعض المسائل النصرانية): >> إن القرآن ينفي قتل عيسى وصلبه ويقول بانه ألقى شبهه على غيره فغلط اليهود فيه وظنوا أنهم قتلوه وما قاله القرآن موجود عند طوائف نصرانية منهم (الباسيليديون) كانوا يعتقدون بغاية السخافة أن عيسى وهو ذاهب لمحل الصلب ألقى شبهه على (سيمون السيرناي) تماماً وألقى شبه سيمون عليه ثم أخفي نفسه ليضحك على مضطهديه اليهود الغالطين، فإنهم قرروا أن أحد الحواريين صلب بدل عيسى، وقد عثر على فصل من كتاب

الحواريين واذا كلامه نفس كلام الباسليديين >> (١)

وها هو أحد معارضي العقيدة الإسلامية يعترف بأن ما قرره القرآن الكريم قد آمنت به بعض الطوائف النصرانية بل إن ذلك موجود في أحد كتب حوارى المسيح عليه السلام والحق ما شهدت به الأعداء.

ج - قال أحد الباحثين (٢) في الديانة النصرانية: >> إن تنفيذ الحكم كان في وقت الغلس وإسدال ثوب الظلام فيستنتج من ذلك إمكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا في سجون القدس منتظرين تنفيذ حكم القتل عليهم كما اعتقدت بعض الطوائف وصدقهم القرآن >> (٣).

>> وبالجملة فإن أغلب الشعوب الشرقية قبل الإسلام رفضت قبول مسألة الصلب والقتل حتى قال باسيليوس الباسليدي إن نفس حادثة القيامة أي دعوى قيام المسيح من الأجداث المدعى بها بعد الصلب الموهوم هي من ضمن البراهين الدالة على عدم حصول الصلب على ذات المسيح >> (٤)

د - >> ويعلم كل مطلع على أحوال الأمم الماضية أن تسلط الرومانيين على اليهود كان تسلطاً محكماً وإن سعي الحكومة الرومانية إذ ذاك كان بضد عقائد

(١) ص ٤٩ نقلاً عن : العلامة عبدالرحمن الباجه جي زاده (الفارق بين المخلوق والخالق)، ص ٢٨١

(٢) يدعى <ملمن> من كتاب (تاريخ الديانة النصرانية) نقلاً عن المرجع السابق، ص ٢٨٢

(٣) (٤) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

اليهود ليتم لهم توحيد الوثنيه ويكفي في صحة ذلك ما ذكرته جريدة العالمين (١) تحت عنوان (اليهود تحت حكم الرومان) وهي من إنشاء الكاتب الشهير (أرنست رنان) قال من جملة كلامه: إن الحكومة الرومانية تجهد في نيل هذا المطلوب حتى كادت معالم اليهودية أن تمحى من صحيفة الوجود ووقع ذلك سئ الوقع في نفوس البقية القليلة من اليهود حتى اعتصمت بدينها >> انتهى.

>> فإذا كان الأمر كذلك فهل يصدق العقل بأن الحكومة الرومانية وهي على ما نرى من قصد محو معالم اليهودية أن تجيبهم إلى ما طلبوه من تنفيذ أمر الصلب أو تعيره أذناً صاغية، والحاكم الروماني إذ ذاك كان ذا حقد على اليهود وديانتهم فيكون تنفيذه لطلبهم هذا تأييداً لشعائهم الدينية >> (٢).

ومن الأمور التي ابتدعها المسيحيون مع عقيدة (الصلب والفداء) القول بقيامة المسيح عليه السلام من قبره وذلك بعد أن مات على الصليب ودفن ثم مكوثه بين تلاميذه أربعين يوماً، ثم صعوده وجلوسه عن يمين أبيه الآب ليجازي كل حسب عمله إن خيراً فخييراً وأن شراً فشرأ فشرأ - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وفي رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس يقول :

(١) بتاريخ ١٥ مارس سنة ١٨٩٣م نقلا عن المرجع السابق، ص ٢٨٢، ٢٨٣

(٢) انظر : العلامة عبد الرحمن الباجه جي زاده (الفارق بين المخلوق والخالق)، ص ٢٨٣

« فاني سلمت اليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب » (١).

وقد جاء كذلك في سفر أعمال الرسل ما يلي:

« فسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود لذلك وإذا ارتفع بين الله وأخذ موعود الروح القدس من الآب سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعون » (٢).

ويتحدث الكاتب المسيحي (جوش مكديويل) حديثاً طويلاً في كتابه (برهان يتطلب قراراً) فيما يقارب ستة وسبعين صحيفه (٣) ويحاول إثبات قيامة المسيح عليه السلام باستماتته، ويرد على منكريها من القائلين بأن المسيح عندما صلب لم يمت وإنما كانت حالة اغماء، ثم دفن فعاد إلى وعيه فخرج بنفسه !!، ومنهم من يقول: بأن الجثة قد سرقت وأنه لم يقم من قبره حياً، ومنهم من يقول: إن ظهوره لا يعدو أن يكون هلوسة وخيالات، ومنهم من يقول بوقوع الخطأ في رؤية القبر الفارغ إلى آخر ما هنالك من أقوال.

ثم هو يفتخر بأن الفكر المسيحي وحده هو الوحيد الذي يقول بقيامة مؤسسه من قبره بعد ثلاثة أيام، بينما لا يقول بذلك البوذيون والمسلمون يقول في ذلك:

(١) ١٥ : ٣ - ٥

(٢) ٢ : ٣٢

(٣) من ص ٢١٣ - ٢٨٧ طبعة دار الجبل.

>> لقد مات نبي الإسلام في الثامن من يونيو ٦٣٢م بالمدينة في الحادية والستين من عمره، ويزور قبره اليوم ملايين المسلمين المخلصين، ولا يدعي أحد أن مؤسسي اليهودية أو البوذية أو الإسلام قد قاموا بعد موتهم، وتقوم المسيحية على حقيقة قيامة المسيح، فقد قال هو أنه ذاهب لأورشليم ليصلب وفي اليوم الثالث يقوم، ولو أن القيامه باطله لكانت المسيحية كلها باطله، ولو أنها صحيحة لوجب أن تصدق كل ما قاله المسيح >> (١).

وبالطبع نحن لانهم بمحاولاته لإثبات قيامة المسيح عليه السلام من قبره بعد صلبه ودفنه تلك العقيدة المنحرفة والتي ابتدعها بولس اليهودي، لأننا في الحقيقة ننكر أصلاً صلب المسيح عليه السلام ويترتب على ذلك إنكار دفنه وقيامته من قبره، وقد أثبتنا - فيما سبق - فساد اعتقادهم هذا بالعقل وسيأتي إثباته بالنقل، فيما أن عقيدة الصلب والفداء باطله إذًا فالقيامه باطله لأن ما بني على الباطل فهو باطل ينتج أن المسيحية الحالية كلها باطله.

(١) جوش مكديويل (برهان يتطلب قراراً)، ص ٢١٦

المسألة السادسة :

إبطال عقيدة (الصلب والفداء) نقلاً

أولاً: إبطالها نقلاً من القرآن الكريم:

لقد نص القرآن الكريم على نفي القتل والصلب عن المسيح عليه السلام وكذب اليهود والنصارى القائلين بصلبه أو بقتله، وتدلل الآية الكريمة الآتية على أن هذه الشبهة يهودية، وعقيدة نصرانية، فاليهود ادعوا أنهم قتلوا المسيح صلباً، أي معلقاً على الصليب، وصدقهم النصارى فيما قالوه، ثم لفق بعض أحبارهم قصة انتقال ذنب آدم وراثته إلى أبنائه، وقصة فداء المسيح للبشر، وألصقوها بقصة الصلب، عند تصديقهم لليهود بادعائهم بقتله صلباً، فصارت (عقيدة الصلب والفداء)!!

وفي الحقيقة أن نفي القرآن الكريم القتل أو الصلب عن المسيح عليه السلام لا ينفي ذنب وتهمة اليهود لأنهم باعترافهم وقولهم (إننا قتلنا المسيح) كانوا جادين وراغبين في قتله مجتهدين في ذلك، ولو تمكنوا منه لقتلوه وصلبوه بدليل أنهم صلبوا وقتلوا من ألقى عليه شبهه. (قاتلهم الله أنى يؤفكون) قال الله تعالى:

{ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم. وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقيناً. بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً } (١).

(١) سورة النساء : آية ١٥٧ ، ١٥٨

وتؤكد الآية الكريمة أمرين مهمين في هذه القضية وهما:

- ١ - نفي وقوع القتل على المسيح عليه السلام صلباً أو عن طريق آخر غير الصلب الشاهد (وما قتلوه).
- ٢ - نفي وقوع الصلب سواء أُمات على الصليب أو لم يمّت الشاهد (وما صلبوه).

قال الإمام الطبري في تفسير (ولكن شبه لهم).

>> أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت وأحاطوا بهم، فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا سحرتمونا لتبرزنّ لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعاً فقال عيسى لأصحابه من يشتري نفسه منكم اليوم بالجنة، فقال رجل منهم أنا فخرج إليهم فقال أنا عيسى، وقد صوره الله على صورة عيسى فأخذه فقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا أنهم قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك وقد رفع عيسى من يومه ذلك >> (١)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - يرحمه الله:

(١) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، مجلد ٤، ج ٥، ص ١٠

أيضاً: الإمام الألويسي (روح المعاني، ج ٦، ط دار إحياء التراث، ص ١٠
أما الحديث عن رفع المسيح عليه السلام فليس له مكان في بحثنا هذا
، لأن مدار البحث هنا إبطال شبه وإدعاءات اليهود بصلب المسيح،
وإبطال عقيدة الصلب والفداء عند النصارى لقوله تعالى (ولكن شبه
لهم).

١١٠ . بواب المسيح ، ج ١ ، ص ١٤ ، ١٥

(٢) سورة آل عمران : آية ٥٢ - ٥٤

وقد يقول قائل: >> إن القول بالقاء الشبه على عيسى^(١) عليه السلام يفضي الى السفسطه والشك في الحقائق، والدخول حينئذ في الجهالات، ومالايلىق بالعقلاء، لأننا اذ جوزنا القاء شبه الإنسان على غيره، فإذا رأى الإنسان ولده لم يثق بأنه ولده، ولعله غيره ألقي عليه شبه ولده، وكذلك القول في إمرأته وسائر معارفه، لا يثق الإنسان بأحد منهم ولا يسكن إليه، بل إن القول بالشبه يمنع الوثوق بمدينة الإنسان ووطنه إذا دخله، ولعله مكان آخر ألقي عليه الشبه.

بل اذا اغمض الإنسان عينه عن صديقه بين يديه، ثم فتحها في الحال ينبغي له أن لا يقطع أنه صديقه، لجواز أن يلقى شبهه على غيره.

لكن جميع ذلك خلاف الضرورة، فيكون القول بالشبه محال، كالقول ان الواحد نصف العشرة، والمثلث هو عين المربع.

ويكون المقصود من هذه الشبهه أن المصلوب هو عين عيسى عليه السلام لا غيره <<^(٢).

وللرد عليهم يقال: >> إن هذا تهويل ليس عليه تعويل، لأن البراهين القاطعه والأدلة الساطعة قائمة على أن الله تعالى خلق الإنسان وجملة أجزاء العالم، وأن حكم الشئ حكم مثله، فما من شئ خلقه الله تعالى في العالم إلا وهو قادر على خلق مثله، إذ لو تعذر خلق مثله، لتعذر خلقه في نفسه، فيلزم أن يكون خلق الانسان مستحيلًا، بل جملة العالم، وهو محال بالضرورة.

(١) إلقاء الشبه كان على يهودا وقد يكون هذا ما قصده المؤلف .

(٢) انظر: الإمام أبي عبيده الخزرجي (بين الإسلام والمسيحية)، تحقيق د/ محمد شامه ص ١٦٤ - ١٦٥ بتصرف قليل.

وإذا ثبت أن الله تعالى قادر على خلق مثل لكل شئ في العالم فجميع صفات جسد عيسى عليه السلام لها أمثال في حيز الإمكان في العدم يمكن خلقها في محل آخر، غير جسد عيسى عليه السلام، فيحصل الشبه قطعاً.

والقول بالشبه قول بأمر ممكن، لا بما هو خلاف الضرورة، ويؤيد ذلك أن التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق جميع ما للحية في عصاة موسى عليه السلام وهو أعظم من الشبه فإن جعل حيوان يشبه حيواناً أقرب من جعل نبات يشبه حيواناً، وقلب العصا حية تسعى مما أجمع عليه اليهود والنصارى، كما أجمعوا على جعل النار لإبراهيم عليه السلام برداً وسلاماً، وعلى قلب الماء خمراً، فإذا جوزتم مثل هذا جوزتم أيضاً إلقاء الشبه من غير استحاله.

ثم إن الإنجيل ناطق بأن عيسى نشأ بين ظهور اليهود. يعظهم ويعلمهم في مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم^(١)

وإذا كان ذلك في غاية الشهرة عندهم، فلم نص الإنجيل على أنهم وقت ما أرادوا القبض عليه لم يحققوه، حتى دفعوا لأحد تلاميذه ثلاثين درهماً ليدهم عليه^(٢).

فلا شك أن هذا الالتباس العظيم مع تلك الشهرة العظيمة نحو ثلاث سنين في المحاورات العظيمة، والمجادلات البليغة، كلها تدل على وقوع الشبه قطعاً،

(١) انظر مثلاً: لوقا ١٩ : ٤٥ - ٤٨

(٢) انظر مثلاً : متى : ٢٦ : ١٤ ، ١٥ ، ١٦

خصوصاً أن في الإنجيل أنه أخذ في ليلٍ مظلم من بستان فشوهت صورته وغيرت محاسنه بالضرب والسحب وأنواع النكال^(١)، ومثل هذه الحالة توجب الالتباس بين الشئ وخلافه، فكيف بين الشئ وشبهه، فمن أين لكم أو لليهود القطع بأن المصلوب هو عين عيسى عليه السلام دون شبهه؟ بل إنما حصل الظن والتخمين <<(٢)>>.

وقد عجبت أشد العجب على ما صدر عن داعية مسلم كبير طالما وقف أمام قساوسة النصرانية مدافعاً عن العقيدة الإسلامية السمحاء، مثبتاً وجوب توحيد الله تعالى، ومؤكداً على نبذ الشرك بأنواعه، ومجاهداً ونافياً للعقائد النصرانية الحالية الباطله..

عجبت بل ودهشت لهذا الداعية الكبير (الأستاذ/ أحمد ديدات) لما صدر عنه مؤخراً في كتابه (مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء)^(٣)، حيث كان مدار بحثه في كتابه والذي يحوي ١٨٣ صحيفه كان فيها مدار بحثه إثبات أن المسيح صُلب أي عُلق على الصليب ولكنه أنزل منه دون أن يموت كما أنه يحاول وباستماته إثبات رأيه هذا !!! ولا أدري هل غض النظر عن ما نطقت وصرحت به الآية الكريمة؟! أم أنه لم يفهم مضمونها ومعناها؟! أم ماذا؟!

(١) متى ٢٦ : ٦٧ - ٦٨

(٢) انظر : الإمام أبي عبيده الخزرجي (بين الإسلام والمسيحية)،

تحقيق د/ محمد شامه، ص ١٦٥ - ١٦٧ بتصرف قليل.

(٣) نشرته (دار الفضيلة) عام ١٤٠٩هـ.

ولو كان صدور هذا القول عن حديث عهد بالإسلام. أو بدراسة الإسلام لهان الأمر، ولكنه صادر عن أحد دعاة الإسلام المعاصرين الكبار.

وقد أتى الاستاذ/ أحمد ديدات بـ ٣٠ دليلاً^(١) حسبما يسميها يثبت فيها - كما ذكرت - بأن المسيح عليه السلام عُلق على الصليب ولكنه لم يميت وأنزل عنه وهو ما يزال على قيد الحياة وذلك تحت عنوان (ليس الناس عمياناً).

وفيما يلي أنقل بعض عباراته لتتضح آراؤه أمام القارئ الكريم:

- >>الزعم بأنه قد بقي على الصليب ثلاث ساعات فقط، وحسب النظام المعمول به لا يمكن أن يكون أحد من المحكوم عليهم بالموت صلباً قد مات في مثل هذا الوقت القصير.

- رفيقا صلبه على الصليب ظل كل منهما حياً، ولذا فإن عيسى عليه السلام في ذات مدة البقاء على الصليب ظل حياً.

- عندما غز يسوع بالرمح خرج فور ذلك دم وماء وهذا دليل على أنه كان حياً.

- الساقان غير المقطوعين - اثناء الصلب - يكون لهما نفع عندما يكون عيسى حياً.

- الرعد والزلازل وكسوف الشمس في غضون ثلاث ساعات لإلهاء الجمهور المتطفل وليتمكن أتباعه السريون من مساعدته في أن يظل حياً.

(١) نفس المرجع ص ١٦٢ - ١٦٨

- كان القبر حجرة ضخمة فسيحة جيدة التهوية بحيث تشجع أيدي المساعده
كي تأتي للنجدة ليظل حياً.
- ويمنع مريم المجدليه أن تلمسه بسبب أن لمسه (ولم تكن جروحه قد
التأمت) يسبب له ألماً لأنه كان حياً.
- ولم تخف مريم المجدليه عندما تعرفت عليه لأنها كانت قد شاهدت علامات
الحياة فيه - عند إنزاله عن الصليب - فكانت تبحث عنه حياً >> (١).
- وهذا غيظ من فيض يسجلها المؤلف كأدلة على رأيه ذلك.

وقد أوضح مترجم الكتاب الأستاذ على الجوهري في تعقيبه الذي أورده في
نهاية ذلك الكتاب ما أوراده السيد أحمد ديدات بألفاظ صريحة حيث يقول:
>> وسواء كان المسيح قد مات على الصليب وأنزل عنه ميتاً وتم دفنه
ميتاً، أو كان ولم يميت على الصليب ونزل عنه وهو ما يزال على قيد الحياة، وهو
ما أثبتته العلامة أحمد ديدات، وقدم عليه ثلاثين دليلاً أجملها في الفصل الثامن
عشر من هذا الكتاب >> (٢)

وللرد على أقوال السيد أحمد ديدات نرجو أولاً بأن يعود إلى الآية
الكريمة تلك من سورة النساء { وما قتلوه وما صلبوه } ويعمن النظر في معناها ثم
يطلع على ما يقوله الأئمة المفسرون لهذه الآية الكريمة، أو يأتي بمن يشرح ويترجم
له ممن يجيد العربية (٣).

(١) انظر : أحمد ديدات (مسألة صلب المسيح)، ص ١٦٢، ١٦٤، ١٦٦
(٢) المرجع السابق، ص ١٨٨
(٣) هذا إذا كان هو لا يجيدها.

والآية الكريمة من سورة النساء والتي تنفي القتل بكل أنواعه، وتنفي الصلب بكل أشكاله، نفيًا قاطعاً عن المسيح عليه السلام أي تنفي عملية الصلب عنه عليه السلام بحد ذاتها، كما أن في الآية الكريمة دليل على تكريم وصون الله تعالى له من أن تعبت به أيدي السفلة الأشرار أيدي اليهود أو غير اليهود، فظهره برفعه إليه وصيانتته من تلك الأيدي الآثمة.

أما عنونته للفصل الثامن من كتابه المذكور < ليس الناس عمياناً > (١)

فللرد عليه نقول: أي نعم ليس الناس عمياناً عن عملية الصلب إذا كانت قد وقعت على شخص آخر وهو من ألقى عليه الشبه بقدرة الله تعالى، وهو الذي أجرى على يديه (أي على يد عيسى عليه السلام) المعجزات الباهرات، وقد قال تعالى وهو أصدق القائلين { ولكن شبه لهم } فالعقيدة الإسلامية لاتنفي عملية الصلب بحد ذاتها، بل تنفي وقوعها على المسيح عليه السلام، وقد ذكرنا فيما سبق أن هناك طوائف مسيحية كثيرة تنكر وتنفي وقوع الصلب على المسيح عليه السلام (٢) كما أنا سننقل - فيما بعد - إن شاء الله تعالى نصوصاً من إنجيل برنابا تثبت وقوع شبه المسيح على شخص آخر وهو الذي شبه لهم (٣).

ومما يجدر ذكره هنا أن الأساس الذي بنيت عليه عقيدة الصلب وهي خطيئة آدم عليه السلام الموروثة منه إلى أبنائه عقيدة باطلة من أساسها لأن آدم عليه السلام عندما عصا ربه بالأكل من الشجرة المحرمة قد استغفر الله تعالى وتاب وأتاب إليه، وقد قبل الله تعالى توبته، وهذا ما صرح به القرآن الكريم في عدة آيات من الذكر الحكيم.

(١) المرجع السابق، ص ١٦٢

(٢) انظر ص ٥٦٩ من هذا البحث، وما بعدها.

(٣) انظر : ص ٥٨٧ من هذا البحث.

قال الله تعالى: { وقلنا يآدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكُلَا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاع إلى حين * فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم } (١)

وقال تعالى: { ويآدم أسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووريَ عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين * فذلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين * قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين } (٢)

وقال تعالى: { ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما * وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى * فقلنا يآدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى * إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى * وأنتك لاتظمؤا فيها ولا تضحى * فوسوس إليه الشيطان قال يآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى * فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى } (٣).

(١) سورة البقرة : آية ٣٥ - ٣٧

(٢) سورة الأعراف : آية ١٩ - ٢٣

(٣) سورة طه : آية ١١٥ - ١٢٢

>> وليس عند أهل الكتاب في كتبهم ما ينفي توبته وإنما قد يقول قائلهم إننا لانعلم أنه تاب أو ليس عندنا توبته، وعدم العلم بشيء ليس علماً بعدمه، وعدم وجود الشيء في كتاب من كتب الله لاينفي أن يكون في كتاب آخر، ففي التوراة ما ليس في الإنجيل، وفيهما ما ليس في الزبور، وفي الإنجيل والزبور ما ليس في التوراة، وفي سائر النبوات ما لا يوجد في هذه الكتب، والقرآن لو كان دون التوراة والإنجيل والزبور والنبوات أو كان مثلها لأمكن أن يكون فيه ما ليس فيها، فكيف إذا كان أفضل وأشرف وفيه من العلم أعظم مما في التوراة والإنجيل >> (١).

ولو فرضنا جدلاً أن آدم وحواء عليهما السلام لم يتوبا إلى الله ولم يستغفراه، فهل يعقل أن تنتقل هذه الخطيئة أو غيرها وراثياً إلى أبنائهما من البشر؟! إنه قول يؤكد كل عقل سليم وكل فطرة صافية على أنه ظاهر البطلان والفساد، وأنه لا يمكن أن يرث شخص خطيئة أبيه أو أمه أو أي فرد مهما كانت قرابته، فكل مسؤول عما جنت يده إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرراً. وقد قرر القرآن الكريم المسؤولية الفردية في عدة آيات من الذكر الحكيم:

قال تعالى:

— { فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره } (٢)

(١) انظر : الجواب الصحيح، ج ١، ص ٣٦٤ ، ٣٦٥

(٢) سورة الزلزلة : آية ٧ ، ٨

- { من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد } (١)
- { اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب } (٢)
- { من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى } (٣).

(١) سورة فصلت : آية ٤٦

(٢) سورة غافر : آية ١٧

(٣) سورة الإسراء : آية ١٥

ثانياً: الأدلة من إنجيل برنابا^(١) على بطلان القول بصلب المسيح عليه السلام:

وكما ذكرنا فيما سبق أننا نستدل بنصوص القرآن الكريم لإنجيل برنابا لا العكس، وإنما نود ذكر هذه النصوص فيما يلي لأننا بحاجة إلى أن نعقد لعقيدتنا الإسلامية الواضحة والصريحة في مسألة الزعم بصلب المسيح عليه السلام ولكن ليتضح للقارئ الكريم موافقة إنجيل برنابا - والذي يوافق العقيدة الإسلامية في نقاط كثيرة أساسية يتضح موافقته - في هذه القضية أيضاً.

وهاهي الأدلة من إنجيل برنابا على بطلان القول بصلب المسيح عليه السلام وتأكيد إلقاء شبهه عليه السلام على يهودا الإسخريوطي والقبض عليه ومن ثم صلبه إعتقاداً منهم بأنه المسيح.

>> ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع سمع يسوع دنوهم غفير. فلذلك انسحب الى البيت خائفاً. وكان الأحد عشر نياما. فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل. سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم.

فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذه المشرفه على الجنوب. فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الإبد <<^(٢)

(١) للتعريف به انظر: ص ٢٤٤ من هذا البحث

(٢) إنجيل برنابا الفصل ٢١٥ الفقرات من ١-٧

>> ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أُصعد منها يسوع وكان التلاميذ نياماً. فأتى الله العجيب بأمر عجيب. فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شبيهاً بيسوع حتى أننا أعتقدنا أنه يسوع. أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم. لذلك تعجبنا وأجبنا > أنت ياسيد هو معلمنا. أنسيتنا الآن ؟

أما هو فقال مبتسماً: هل أنتم أغبياء حتى لاتعرفوا يهوذا الأسخريوطي. وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه >> (١)

>> فأمر رئيس الكهنة أن يؤتى بيسوع موثقاً أمامه. وسأله عن تلاميذه وعن تعليمه. فلم يجب يهوذا بشيء في الموضوع كأنه جُنّ. حينئذ استحلفه رئيس الكهنة بإله اسرائيل الحي. أن يقول له الحق.

أجاب يهوذا: لقد قلت لكم إني يهوذا الأسخريوطي الذي وعد أن يسلم إلى أيديكم يسوع الناصري. أما أنتم فلا أدري بأي حيلة قد جننتم. لأنكم تريدون بكل وسيلة أن أكون أنا يسوع >> (٢)

>> الحق أقول لكم إن صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه بيسوع ان اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة أنه هو يسوع. لذلك خرج بعضهم من تعليم يسوع معتقدين أن يسوع كان نبياً كاذباً وأنه إنما فعل الآيات التي

(١) إنجيل برنابا ٢١٦ : ١ - ٩ ترجمة د/ خليل سعادة

(٢) إنجيل برنابا ٢١٧ : ٢٢ - ٢٧

فعلها بصناعة السحر. لأن يسوع قال إنه لا يموت إلى وشك إنتضاء العالم لأنه سيؤخذ في ذلك الوقت من العالم» (١)

» ثم قص الملائكة الأربعة على العذراء كيف أن الله أرسل الى يسوع وغير (صورة) يهوذا ليكابذ العذاب الذي باع له آخر» (٢)

ويقول برنابا في إنجيله على لسان المسيح عليه السلام:

» فلما كان الناس قد دعوني الله وابن الله على أني كنت بريئاً في العالم أراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم بموت يهوذا معتقدين أنني الذي مت على الصليب لكيلا تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة. وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله. الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشرية الله» (٣)

ويقول - أيضا - على لسان المسيح عليه السلام:

» فأعلم يا برنابا إنه لأجل هذا يجب عليّ التحفظ وسيبيني أحد تلاميذي بثلاثين قطعة من نقود. وعليه فإني على يقين من أن من يبيعي يقتل بإسمي. لأن الله سيصعدني من الأرض. وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إياي. ومع ذلك لما يموت شرميتة أمكث في ذلك العار زمناً طويلاً في العالم. ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمه» (٤)

-
- (١) إنجيل برنابا ٢١٧: ٨٠ - ٨٣
(٢) إنجيل برنابا ٢٢٠: ١١
(٣) إنجيل برنابا ٢٢٠: ١٩ - ٢٠
(٤) إنجيل برنابا ١١٢: ١٣ - ١٧

ثالثاً : الأدلة من الكتاب المقدس على بطلان القول بصلب المسيح عليه السلام

ولو فرضنا جدلاً صحة أناجيل النصارى المعتمدة في عقيدة الصلب والفداء مثلاً، فإن هذه الأناجيل المعتمدة كما تحدثت بإسهاب عن قصة القبض على المسيح ومحاكمته، ومن ثم صلبه ودفنه، فإن نصوصاً كثيرة منها تشير بل تدل على عدم صلبه ومن ثم نجاته من أيدي المتآمرين الخونة، وقد أعمى الله بصيرة وبصر المحرفين الذين دأبوا على طمس الحقائق وتزوير الدلائل عن طمس وتزوير هذه النصوص والتي سننقلها فيما يلي:

١ - ما صرح به بولس^(١) في إحدى رسائله والتي تكوّن جزءاً كبيراً من العهد الجديد من أن المسيح عليه السلام تقدم إلى الله بتضرعات ودموع وصراخ شديد أن يخلصه من الموت، وأن الله سبحانه استجاب لدعائه من أجل تقواه. وها هو النص:

>> الذي في أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت، وسمع له من أجل تقواه <<^(٢)

٢ - صرح في الإنجيل المنسوب إلى متى أنه أثناء محاكمة المسيح استحلف رئيس الكهنة المسيح بالله أن يقر ويعترف إذا كان هو المسيح بالفعل، فلم يزد المتهم على قوله (أنت قلت) ولو كان هو المسيح حقاً لاعتترف سيما وأنه حلفه بالله وهذا دليل واضح على أن المحاكم هو المشبه به وليس المسيح.

(١) للتعريف به، انظر: هامش ص ٣ من هذا البحث

(٢) الرسالة إلى العبرانيين ٥ : ٧

>> فأجاب رئيس الكهنة وقال أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله. قال له يسوع أنت قلت >> (١)

٣ - وقد صرح في الإنجيل المنسوب إلى لوقا أن جبريل عليه السلام قد بشر السيدة مريم بأنها ستلد ابناً وسيكون عظيماً وأن الرب سيعطيه كرسي داود فيكون ملكاً ليس لحكمه نهاية.

وهذا يناقض بصورة واضحة وصريحة ماترويه الأناجيل من قصة القبض على المسيح والتهكم به وجلده ومحاكمته ومن ثم صلبه كما زعموا (٢)

والنص التالي يدل على أن المصلوب ليس هو المسيح بل المشبه به وإلا فكيف يمكن أن تصح بشارة جبريل عليه السلام.

>> فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. هذا يكون يكون عظيماً وابن العلي يُدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية >> (٣)

٤ - وفي الإنجيل المنسوب إلى يوحنا صرح بأن يهوذا والجنود الرومان والفريسيين عندما أتوا للقبض على يسوع خرج إليهم وقال: من تطلبون؟

(١) متى ٢٦: ٦٣ - ٦٤

(٢) انظر مثلاً مرقس ١٤: ٦٥

(٣) لوقا ١: ٣٠ - ٣٣

فلم يعرفوه!! حتى إن يهوذا مسلمه كان معهم ولم يعرفه أحد منهم. فأجابهم بأنه هو يسوع الناصري فرجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض فكرر عليهم السؤال، من تطلبون؟ قالوا: يسوع الناصري وكرر الجواب السابق بأنه يسوع الناصري... <<وهذا دليل على وقوع الشبه اذ كيف لا يعرفون شخصه وهو الناشئ بين أظهرهم والمربي بين جماعتهم وكانوا أعرف الناس به أولاً ولا سيما الدال عليه معهم ولكن شبه لهم كما أخبر سبحانه في القرآن العظيم ليصونه عما أرادوا به من الإهانة والقتل>> (١)

<< فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصاييح وسلاح. فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه، وقال لهم من تطلبون. أجابوه يسوع الناصري، وقال لهم يسوع أنا هو. وكان يهوذا مسلمه أيضاً واقفاً معهم. فلما قال لهم إني أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض. فسألهم أيضاً من تطلبون. فقالوا يسوع الناصري. أجاب يسوع قد قلت لكم إني أنا هو. فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون>> (٢)

٥ - << وفي الإصحاح المذكور في نفس الحكاية أنه حين قال لهم أني أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض أليس في هذا خذلان أعداء الله ووقاية المسيح من أن يمسه بسوء فلا يبعد أنهم لما سقطوا مغشياً عليهم إرتفع معزراً أو تنحى عنهم في تلك الساعة ثم صعد ثم قال الله تعالى

(١) عبد الرحمن الباجه جي زاده (الفارق بين المخلوق والخالق)، ص ٢٨٧

(٢) يوحنا ١٨ : ٣ - ٨

في القرآن الكريم > بل رفعه الله إليه < (١) فوقهم ما وقع على الشبه << (٢)

٦ - وتروي الأناجيل أنه أثناء الصلب، صرخ يسوع بصوت عظيم >> قائلاً ألوي ألوي لما شبقتني، الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني << (٣) وهذا دليل واضح بأن المصلوب ليس المسيح وإنما المشبه به وإلا فكيف يصرخ محتجاً على أمر الله الآب وهو الذي يعلم أنه إنما نزل وتجسد ليصلب تنفيذاً لأمره ولتكفير خطيئة البشر الموروثة عن أبيهم، وهذا الصراخ والإحتجاج لا يليق بشخص وصف بالتقي والصلاح، علاوة على أن يصدر من نبي من أنبياء الله أو فيمن يدعون فيه الألوهية، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

٧ - رُوي في الإنجيل المنسوب إلى متى على لسان المسيح عليه السلام قوله:

>> حينئذ قال لهم يسوع كلكم تشكون فيّ في هذه الليلة لأنه مكتوب أني أضرب الراعي فتتبدد خراف الرعيّة، ولكن بعد قيامي أسبقكم إلى الجليل. فأجاب بطرس وقال له وإن شك فيك الجميع فأنا لأشك أبداً، قال له يسوع الحق أقول لك إنك في هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرني ثلاث مرات << (٤).

(١) سورة النساء : آية ١٥٨

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق، ص ٢٨٧

(٣) مرقس ١٥ : ٣٤ ، متى ٢٧ : ٤٦

(٤) متى ٢٦ : ٣١ - ٣٤

وهذا دليل على ثبوت شكهم فيه أي في شخصه في تلك الليلة التي تم فيها القبض عليه - على حد زعمهم - وشكهم ذلك دليل على وقوع الشبه عليهم.

٨ - وتصرح الأناجيل بمحاولة اليهود الإعتداء عليه وقتله، عدة مرات، ولكن الله حفظه ونجاه من كيديهم ومن أن تمسه أيديهم الآثمة.

وفيما يلي بعض النصوص التي تدل على ذلك:

أ - << فقاموا وأخرجوه خارج المدينة، وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه إلى أسفل، أما هو فجاز في وسطهم ومضى >> (١)

ب - << فرفعوا حجارة ليرجموه، أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضى >> (٢).

ج - << فطلبوا أيضاً أن يسكوه فخرج من ايديهم ومضى >> (٣).

٩ - وصرحت الأناجيل - أيضاً - بأن للمسيح عليه السلام القدرة والإمكانية على تغيير هيئته وتبديل حالته إلى هيئة أخرى تختلف عن الهيئة الاعتيادية والتي اعتاد أصحابه على رؤيتها. وفي هذا دليل على إمكانية وقوع الشبه. << وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عالٍ منفردين، وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس

(١) لوقا ٤ : ٢٩ - ٣٠

(٢) يوحنا ٨ : ٥٩

(٣) يوحنا ١٠ : ٣٩

وصارت ثيابه بيضاء كالنور، وإذا موسى وإيليا قد ظهر لهم يتكلمان معه، فجعل بطرس يقول ليسوع يارب جيد أن تكون ههنا، فإن شئت نضع هنا ثلاث مظال، لك واحدة ولموسى واحدة وإيليا واحدة، وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له إسمعوا، ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جداً <<(١).

١٠- وبما أن عقيدة الصلب ترتكز أساساً على عقيدة الفداء أي أن المسيح صلب من أجل أن يكون فداءً للبشر عن ذنبيهم الموروث عن أبيهم، فإذا انتفى القول بالفداء انتفى القول بالصلب بطبيعة الحال، ولأن المسيحيين يقدسون ويؤمنون بالكتاب المقدس بعهديه القديم والحديث، فإن هناك نصوصاً عديدة من العهد القديم تنفي صحة القول بالفداء وسننقل أهم هذه النصوص فيما يلي:

<< النفس التي تخطئ هي تموت. الإبن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الإبن، ير البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون >>(٢).

<< لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل >>(٣)

وقد قرأت قصيدة أعجبتني في هذا الموضوع إذ يتعجب فيها قائلها من عقائد النصرى الحالية، ويسفه فيها أقوالهم الباطلة في المسيح عليه السلام فوددت نقلها كخاتمة لهذا البحث.

(١) متى ١٧ : ١-٧، مرقس ٩ : ١-٨، لوقا ٩ : ٢٨-٣٩

(٢) حزقيال ١٨ : ٢٠

(٣) تثنيه ٢٤ : ١٦

>> أعباد المسيح لنا سؤال
إذا مات الإله بفعل قوم
وهل لرضاه مانالوه منه
وإن سخط الذي فعلوه فيه
وهل بقي الوجود بلا إله
وهل خلت الطباق السبع لما
وهل خلت العوالم من إله
وكيف تخلت الأملاك عنه
وكيف أطاقت الأخشاب حمل
وكيف دنا الحديد إليه حتى
وكيف تمكنت أيدي عداه
وهل عاد المسيح إلى حياة
وياعجباً لغير ضم رباً !
أقام هناك تسعاً من شهور
وشق الفرج مولوداً صغيراً
ويأكل، ثم يشرب، ثم يأتي
تعالى الله عن إفك النصارى
فيا عبد المسيح أفق فهذي

نريد جوابه ممن وعاه
أماتوه، فما هذا الإله ؟
فبشراهم إذا نالوا رضاه ؟
فقوتهم إذا أوهت قواه
سميع يستجيب لمن دعاه ؟
ثوى تحت التراب، وقد علاه ؟
يدبرها، وقد شدت يداه ؟
بنصرهم، وقد سمعوا بكاه ؟
إله الحق مشدوداً قفاه ؟
يخالطه، ويلحقه أذاه ؟
وطالت حين قد صفعوا قفاه ؟
أم المحيي له رب سواه ؟
وأعجب منه بطن قد حواه !
لدى الظلمات من حيض غذاه
ضعيفاً فاتحاً للثدي فاه
بلازم ذلك، هل هذا إله ؟
سيسأل كلهم عمّن افتراه
بدايته وهذا منتهاه >> (١)

(١) نقلا عن : كتاب (منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب) للشيخ
عبدالعزیز آل معمر، ط ٢، ص ١٦٧، ١٦٨
ولم يذكر المصدر الذي قد نقل عنه ولا إسم الشاعر قائل هذه القصيدة.



الخاتمة

الخاتمة

وفيما يلي أهم النتائج التي قد توصلنا إليها في دراستنا هذه:

أولاً : احتواء العهد القديم على تلميحات وإشارات للمسيح ولأمه - عليهما السلام - دون ذكر صريح لهما.

ثانياً : أما التلمود وهو: (سفر يقدسه اليهود بل ويضعونه في منزلة أسمى من منزلة التوراة في التقديس، ومصدره روايات شفوية يتناقلها الحاخامات جيلاً بعد جيل) فقد تحدث بأسهاب مشين عن السيد المسيح عليه السلام، وكان حديثه عنه سباً مقذعاً وتهماً يندى لها الجبين.

وعندما تشير نصوص التلمود إلى المسيح عليه السلام تشير إليه بعبارات ملؤها التحقير والسخرية، وتصفه بأنه مضلل وكاذب ووثنى، وبأنه ابن النجار.. إلى ما هنالك من صفات لا يجوز أن تنسب إلى رجل عادي وُصف بالتقى والصلاح فضلاً عن أن تنسب إلى أحد أنبياء الله تعالى المصطفين الأخيار، وقد بحثت حتى وجدت النسخة الأصلية من التلمود مترجمة إلى اللغة الانكليزية، وذلك في المكتبة العامة في نيويورك، وقد عجبت بل دهشت عندما علمت بأن معظم ماذكر من أمور مهينة ومشيئة عن السيد المسيح عليه السلام قد حُذف في القرون الوسطى ومابعدها، أي حصل بعض التحريف والحذف من سفر التلمود، ويظهر أن ذلك على أثر خوف اليهود من بطش المسيحيين وحكامهم بهم.

ثالثاً : إقرار اليهود بمواقفهم العدائية من المسيح عليه السلام خلال أسفارهم ومؤلفاتهم ودوائر معارفهم، وذلك منذ ولادته وأثناء بعثته ودعوته، وموقفهم ورأيهم من تعميده ومعجزاته، ومن قصة القبض عليه وصلبه، ثم موقفهم من السيدة مريم أمه عليهما السلام.

رابعاً : المقارنة بين المسيح اليهودي، والمسيح النصراني، لأن اليهود كانوا ولازالوا ينتظرون مسيحاً يأتي ويخلصهم من الويلات التي أصابتهم خلال تاريخهم الطويل، إتضح لي أنه قد حصل تحول بالفعل في نظرة اليهود إلى المسيح عليه السلام وعللت لذلك أنه بسبب احتياطهم للنصارى وخوفهم منهم ولاستمالة الرأي العام العالمي، ومعظمة من النصارى، لذلك خففوا من غلوائهم في نظرهم للمسيح عليه الصلاة والسلام.

خامساً : أسفار النصارى المقدسة أكدت موقف اليهود العدائي من المسيح عليه السلام ثم يأتي القول الفصل من خلال آيات الذكر الحكيم، لتؤكد عداة اليهود وسوء مواقفهم من نبي الله عيسى عليه السلام كما هو ديدنهم مع جميع أنبيائهم.

سادساً : كان المسيح عليه السلام محور الحديث في العهد الجديد، تحدث عن حياته، منذ الحبل به وولادته ونشأته ودعوته حتى صلبه ودفنه وقيامته كما يزعمون، وكانت نصوصه عبارة عن روايات تاريخية مشوشة لا تخلو من التناقض والتحريف.

سابعاً : الخلاف الجوهرى بين الإسلام والنصرانية حول معجزات المسيح عليه السلام فبينما يؤمن المسلمون بأنها بإرادة من الله تعالى وبإذنه قبل كل

شئ، يؤمن النصارى بأنها بقدرة المسيح وإرادته وحده، كيف لا وهم يعتقدون بألوهيته وبنوته لله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ثامناً : أننا لانستطيع الحديث عن جميع فرق النصارى الإثنتين والسبعين المذكوره في حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام والذي يذكر فيه افتراق الأمم، لأن معظمها قد باد، ولم تستوعبها المصادر والمراجع التي بين أيدينا، وقد اتضح لي أن فرق النصارى يمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسيين: فرق حافظت على عقيدة التوحيد (الأصلية) في الله سبحانه وتعالى، وأن المسيح عبد الله ورسوله، وفرق جنحت عن هذه العقيدة الأصلية إما بسبب تسرب المعتقدات الوافدة من فلسفات ووثنيات قديمه، وإما بسبب روااسب ديانات ومعتقدات قديمة، وقد ثبت لي أن ما يجدر ذكره وجود طائفة الموحدين من النصارى في عصرنا الحاضر والتي تُدعى (الموحدون Unitarians) والتي تؤمن بإله واحد لا شريك له وتنكر ألوهية المسيح وعقيدة التثليث، وهي موجودة الآن في أمريكا الشمالية وبريطانيا وأوربا الوسطى.

تاسعاً : إثبات أهمية ومنزلة الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهره من حيث أنهما الميزانان المنصفان الذين يمكن للمسلمين ولغيرهم من المحققين المنصفين أن يزنوا بهما حقيقة كل شئ، وأن القرآن ما سُمي فرقاناً إلا لأنه يفرق بين الحق والباطل.

عاشراً : امتداح القرآن الكريم والسنة النبوية المطهره للمسيح ولأمه عليهما السلام وبيّن فضلها، واصطفاء الله تعالى للسيدة مريم والدة المسيح

وتفضيلها على نساء العالمين.. قال تعالى { وإذ قالت الملائكة يا مريم إن
الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * يا مريم اقنتي لربك
واسجدي واركعي مع الراكعين } (١)

حادي عشر : بيان ما أثبتته القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بأن المسيح عليه
السلام لا يعدو إلا أن يكون عبداً ورسولاً لله تعالى، ومن أولي العزم من
الرسل، وبيان نزوله آخر الزمان كشرط من أشراف الساعة. قال تعالى:
{ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة
كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أُنَى يُؤفكون } (٢)

ثاني عشر : إظهار مدى بطلان جميع شبه التلمود ودوائر المعارف والمؤلفات
اليهودية ضد المسيح عليه السلام وأنها شبه قد بنيت على باطل وما بني على
باطل فهو باطل، كما أنها ليس لها أساس من عقل أو نقل.

ثالث عشر : إثبات أن عقيدة تأليه المسيح قد فرضت بقوة السلطان في مجمع نيقية
والذي عُقد عام ٣٢٥م !!، وبيان تأثير المجمع القسطنطيني الأول والذي
عُقد في عام ٣٨١م في فرض وإقرار عقيدة التثليث على المسيحيين بالقوة،
وفي مجمع نيقية حيث رُفضت عقيدة آريوس الموحد وأُحرقت جميع
الأسفار التي تقول بالتوحيد، وقررت الكتب الأخرى والتي تقول بتأليه
المسيح !!

(١) سورة آل عمران : الآيتان ٤٢ ، ٤٣

(٢) سورة المائدة : الآية ٧٥

رابع عشر : بولس (شاؤول اليهود) ودوره الكبير في تحريف المسيحية الأصلية كما ثبت أن هدفه تقويض المسيحية من الداخل بتحريفها والابتداع فيها بعد أن فشل في هدمها ومحوها من الخارج كعدو ومُعذب ومضطهد، كما ثبت إدخاله لمعظم العقائد المنحرفة ضمن عقائد النصارى الحالية.

خامس عشر : بطلان دعوى كيفية وجود المسيح عليه السلام ومعجزاته دليلاً على ألوهيته وبنوته لله تعالى، كما ثبت أن خلق المسيح عليه السلام من أم دون الأب لا توصله إلى درجة الألوهية، ولا إلى البنوة لله تعالى، وإلا لكان آدم عليه السلام أحق بهذه الدعوى وهو أبو البشر جميعاً، وقد خُلق من غير أب ولا أم.

أما من يدعي ألوهية المسيح عليه السلام أو بنوته لله تعالى بائناً ومعجزاته دليلاً على هذه المزاعم، فقد ثبت أن لجميع رسل الله تعالى وأنبيائه معجزات اختصوا بها منها ماهي أعظم وأشهر من معجزات المسيح عليه السلام ومع ذلك لم يزعم أحد - حسب علمنا - بألوهيتهم.

سادس عشر : بيان أن العقل والفطرة السليمان ينفيان تماماً البنوة لله تعالى، إذ أن الخالق غير المخلوق، والفارق جد كبير بينهما، كما أن القول بوجود إلهين أو أكثر يؤدي إلى متاهات عقلية حالكة الظلام، والإنسان العاقل بغني عنها، وقد ردّ فطاحل الأئمة والعلماء بأدلة عقلية وفلسفية كشيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة عبدالرحمن الباجه جي زادة، والشيخ رحمة الله العثماني وغيرهم كثير.

سابع عشر : بطلان تأليه السيدة مريم والدة المسيح عليهما السلام وأن من الفرق

المؤلهة لأم المسيح عليها السلام فرقة البرابراية، ثم أثبت أن النصارى اقتبسوا هذه العقيدة من الوثنيات والفلسفات القديمة كالفراعنة وأهالي بابل وآشور.

ثامن عشر : بطلان محاولة المسيحيين الاستدلال بالتوراة على عقيدة التثليث المحرفة، هذا مع أن التوراة تصرح في كثير من المواضع منها بنصوص التوحيد المطلق لله تعالى، أما النصوص التي يستدل بها النصارى على التثليث فلا تدل مطلقاً على هذه العقيدة، لذلك يلجأ المسيحيون إلى القول بأن التثليث ظهر ضمناً في التوراة ثم صُرح به في الإنجيل، وقد استعنت بملخص لأهم ردود كبار العلماء مثل شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام القرطبي، والإمام رحمة الله العثماني رحمهم الله تعالى رحمة واسعة.

تاسع عشر : اقتباس النصارى (عقيدة التثليث) من أقوام قد سبقوهم إليها، وقد ثبت لي أن عقيدة التثليث ليست بدعاً في المسيحية، ولم يكن المسيحيون هم أول من قال بالتثليث، بل إن التثليث أو عبادة ثلاثة آله قد اعتقد به أو اعتنقه الكثير من الوثنيين في عصور ومن شعوب وبيئات مختلفة كالهنود والصينيين والفراعنة وغيرهم، وقد سبق الوثنيون المسيحيين لهذه العقيدة بآلاف السنين، فالسابق استاذ للاحق والعكس غير صحيح.

العشرون : إثبات أن التثليث يؤدي إلى التعدد أو هو التعدد بذاته، وتعدد الآله هو الشرك بعينه، وقد وصف الله تعالى الشرك بأنه ظلم عظيم: { وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم } (١).

(١) سورة لقمان : آية ١٣

وإذا كان الظلم ممقوت ومحرم في حق المخلوقين فمن باب أولى أن يكون أعظم مقتاً وأعظم تحريماً في حق الخالق الواحد سبحانه وتعالى عما يشركون.

الحادي والعشرون : إثبات بطلان استدلال النصارى بنصوص على عقيدة (الحلول والاتحاد) وبيان إن هذه النصوص إن صح نقلها ولفظها فإن معانيها بعيدة كل البعد عن إثبات هذه العقيدة والتي يحاول النصارى باستماتة أن يثبتوها لكي يشبتوا ما يعتقدون من حلول الإله أو الجزء الإلهي في المسيح عليه السلام تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

الثاني والعشرون : ثبوت اقتباس النصارى عقيدة (الحلول والاتحاد) من الوثنيات والفلسفات القديمة، حيث تؤكد لي أنه وكبقية عقائد النصارى المزيفة فإن (عقيدة الحلول والاتحاد) قد اقتبست من الوثنيات والفلسفات القديمة، حتى أن الديانة البرهمية وهي ترجع في قدمها إلى ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد تقول بهذه العقيدة، وكذلك اعتقاد البوذيين في بوذا، واعتقاد الهنود الوثنيين في كرشنه، واعتقاد الفرس الوثنيين في زرادشت من حيث إيمانهم بأن الإله قد حلّ واتحد فيهم مشابه تماماً لاعتقاد النصارى في المسيح عليه السلام وبما أن هؤلاء الوثنيين هم السابقون لهذه العقيدة بما يربو على مئات أو، آلاف السنين^(١) فإنه مما لا شك فيه أنهم اساتذة للنصارى في اعتناقها والقول بها ، وكما ذكرنا فالسابق استاذ للاحق.

(١) أي أن بعض هذه الديانات الوثنية سبقت النصرانية بآلاف السنين كالبرهمية، وبعضها سبقها بمئات السنين كالزرادشنيه.

الثالث والعشرون : بيان أن الإيمان بعقيدة (الحلول والاتحاد) يوجب أموراً يستحيل على العقل تصورها، حيث أن الإيمان بها يقتضي القول بأن محل واجب الوجود في ممكن الوجود، وهذا محال عقلاً، كما يستلزم الإيمان بهذه العقيدة التجزئ والانتقام لواجب الوجود وهو محال عقلاً أيضاً.

الرابع والعشرون : إثبات تناقض الأناجيل الأربعة في رواياتها لحادثة الصلب والفداء، وهذا دليل على عدم صدقها وصحتها، وقد نقلت عدة نصوص من الأناجيل والتي تروي حادث الصلب ثم أثبت مدى تناقضها وتضاربها وبعدها عن الحقيقة والمصادقية، وبذلك يثبت عدم صحتها وعدم حجية الاستدلال بها أي أنها ليست وحياً من الله تعالى.

الخامس والعشرون : مسؤولية بولس (شاؤول اليهودي) في ادخال عقيدة الصلب والفداء ضمن عقائد النصارى، وقد تأكد لي إجماع المراجع الموثوق بها على خطورة دور بولس في ادخال العقائد المحرقة والوثنية ضمن عقائد النصارى، ثم نقلت نصوصاً من رسائله التي كتبها والتي يحتويها العهد الجديد تصرح بمسؤوليته في ادخال هذه العقيدة ضمن عقائد النصارى الحالية.

السادس والعشرون : اقتباس النصارى لعقيدة الصلب والفداء - أيضاً - من الوثنيات والفلسفات القديمة، وقد أثبت ما أكده مؤرخي وعلماء مقارنات الأديان عن مدى التشابه الكبير بين العقائد الوثنية وعقائد النصارى الحالية، وقد أوضح الأستاذ محمد طاهر التنير في كتابه القيم (العقائد

الوثنية في الديانة النصرانية) عدة مقابلات دقيقة تبين عقائد الوثنيين وما يقابلها أو ما يشابهها من عقائد النصارى الحالية !!

السابع والعشرون : إن عقيدة الصلب والفداء تناقض العقل والمنطق والفطرة السليمة كما هو حاصل لجميع عقائد النصارى الحالية، كما أن هذه العقيدة أصلاً لا تستحق المناقشة لأن فسادها بين والعقل والفطرة السليمان يرفضانها.

الثامن والعشرون : بطلان عقيدة الصلب والفداء نقلاً من القرآن الكريم، ومن إنجيل برنابا، ومن الكتاب المقدس.. وذلك على فرض صحته جدلاً. إذ أن هناك نصوصاً كثيرة تشير بل تدل على عدم صلبه ونجاته من أيدي المتآمرين عليه، وقد أعمى الله بصيرة وبصائر المحرفين الذين دأبوا على طمس الحقائق وتزوير الدلائل.

التاسع والعشرون : إن الأساس الذي بنيت عليه عقيدة الصلب وهي خطيئة آدم عليه السلام الموروثة منه إلى أبنائه عقيدة باطلة من أساسها لأن آدم عليه السلام عندما عصا ربه بالأكل من الشجرة المحرمة استغفر الله تعالى وتاب وأتاب إليه، وقد قبل الله تعالى توبته، وهذا ما صرح به القرآن الكريم، قال تعالى: { فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم } (١).

(١) سورة البقرة : آية ٣٧

وبعد ظهور هذه الحقائق متجليةً ساطعةً يوماً بعد يوم، ألم يأن للذين
أشركوا أن تحشع قلوبهم لهدى الإسلام وما أتى به من الحق؟ إن فعلوا ذلك
فقد سعدوا سعادة الدارين في الدنيا الطمأنينة ورضى الله تعالى وفي الآخرة: النعيم
المقيم.

وكذلك فانهم ان اعتنقوا الإسلام فلن يكفروا بالمسيح عليه السلام بل إنهم
سيؤمنون به حق الإيمان، ويقدرونه قدره الذي منحه الله إياه كني معصوم مؤيد
بالمعجزات.

فعليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب

العالمين

مراجع الرسالة

- أولا : المراجع الإسلامية.
- ثانيا : المعاجم ودوائر المعارف.
- ثالثا : المراجع المسيحية.
- رابعا : المراجع اليهودية.

مراجع الرسالة

فيما يلي مراجع هذه الرسالة مرتبة حسب الأحرف الهجائية لاسم المؤلف الذي اشتهر به، والمراجع المذكوره هنا وردت في ذيل صفحات هذه الرسالة، أما المراجع الأخرى والتي أسهمت بطريق غير مباشر فلم تذكر في هذه القائمة.

أولا : المراجع الإسلامية

- ١ - القرآن الكريم
- أ - كتب السنة :
- ٢ - فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري لابن حجر العسقلاني. تحقيق: الشيخ عبدالعزيز بن باز. ط دار المعرفة.
- ٣ - صحيح مسلم بشرح النووي، ط ٣ دار الفكر.
- ٤ - سنن أبي داود. إعداد وتعليق عزت الدعاس وعادل السيد، ط ١
- ٥ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط ٥، المكتب الإسلامي.
- ٦ - صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي، ط دار الكتاب العربي.
- ٧ - سنن الدارمي، ط دار الكتب العلمية.
- ٨ - سنن ابن ماجه، تحقيق محمد الأعظمي، ط ٢

ب - كتب التفسير :

- ٩ - الإمام الألوسي، روح المعاني، ط دار احياء التراث.
١٠ - الفخر الرازي، التفسير الكبير، ط ٢ طهران.
١١ - تفسير الخازن، ط دار المعرفة.
١٢ - الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط ٢، دار احياء التراث العربي.
١٣ - الإمام الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ط ١٤٠٧هـ.
١٤ - الإمام ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط دار المعرفة.
١٥ - الزمخشري، الكشاف، ط دار المعرفة.
١٦ - تفسير أبي السعود، ط دار احياء التراث.
١٧ - محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ط دار المعرفة، ط ٢

ج - المراجع العامة :

- ١٨ - د. أحمد شلبي، المسيحية، ط ٦
١٩ - د. أحمد شلبي، اليهودية، ط ٥
٢٠ - د. أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، ط ٤
٢١ - ابن تيميه، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ط مطابع المجد.
٢٢ - ابن تيميه، مجموع الفتاوى، ط الرباط.
٢٣ - آدم عبد الله الألوي، تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم.
٢٤ - ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، تحقيق د/ محمد نصر، د/ عبدالرحمن عميره، ط ١
٢٥ - أبي عبيدة الخزرجي، بين الإسلام والمسيحية، تحقيق محمد شامه.
٢٦ - إبراهيم الجبهان، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير، ط ٢

- ٢٧- ابن كثير، البداية والنهاية، ط ٢
- ٢٨- أحمد عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ط ١
- ٢٩- أحمد عبد الوهاب، إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة، ط ١
- ٣٠- أبي محمد عبد الله الترجمان الميورقي، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، دراسة وتحقيق عمر وفيق الدعواق، ط عام ١٤٠٨هـ
- ٣١- الإمام الآمدي، أبنكار الأفكار في أصول الدين، تحقيق د/ أحمد المهدي، رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر.
- ٣٢- أحمد ديدات، مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، الناشر: دار الفضيلة، عام ١٤٠٩هـ.
- ٣٣- د. أحمد حجازي السقا، أرقام النصارى، ط دار الأنصار، القاهرة.
- ٣٤- الإمام الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد كيلاني، ط دار المعرفة.
- ٣٥- الإمام أبي حامد الغزالي، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، تحقيق: د/ محمد الشرقاوي، ط ١
- ٣٦- إمام الحرمين الجويني، الشامل في أصول الدين.
- ٣٧- أنور الجندي، المؤامرة على الإسلام، ط ٢
- ٣٨- حسن عز الدين الجمل، إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، ط ١
- ٣٩- ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، ط ٢، سنة ١٩٧٢م، الناشر: دار النفائس.
- ٤٠- الشيخ رحمة الله العثماني، اظهر الحق، ط قطر.
- ٤١- د/ رؤوف شلي، يا أهل الكتاب، ط ١
- ٤٢- التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، رسالة ماجستير للباحثة

- ٤٣- الإمام الشهرستاني، الملل والنحل، تقديم وإعداد عبداللطيف محمد العبد، ط ١
- ٤٤- التوراة تاريخها وغاياتها، ترجمة وتعليق: سهيل ديب، ط ٢
- ٤٥- علي عبدالواحد وافي الاسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ط ٣
- ٤٦- د/ عوض الله حجازي، المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم، ط ٤
- ٤٧- العلامة عبدالرحمن الباجه جي زادة، الفارق بين المخلوق والخالق، تصحيح ومراجعة عبدالمنعم فرج درويش، ط عام ١٤٠٧هـ
- ٤٨- عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ط ٣
- ٤٩- عبد العزيز آل معمر، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، ط ٢
- ٥٠- عبد الرحمن الميداني، ضوابط المعرفة، ط ١
- ٥١- عبد الصمد شرف الدين، حول اسطورة تجسد الإله، ط جامعة الملك عبدالعزيز.
- ٥٢- موسوعة عباس محمود العقاد، توحيد وأنبياء، المجلد الأول، ط ١
- ٥٣- عبد المنعم الحفني، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ط دار الأنصار.
- ٥٤- محمد فؤاد الهاشمي، الأديان في كفة الميزان.
- ٥٥- الإمام محمد أبو زهره، محاضرات في النصرانية، ط دار الفكر العربي.
- ٥٦- محمد علي زهران، إنجيل يوحنا تاريخاً وموضوعاً، رسالة دكتوراه.
- ٥٧- منصور حسين عبدالعزيز، دعوة الحق، ط دار الاعتصام
- ٥٨- محمد عزت الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ط دار الأنصار.
- ٥٩- محمد طاهر، التنبير العقائد الوثنيه في الديانة النصرانية، تحقيق / محمد بن إبراهيم الشيباني، ط ١، الكويت.

- ٦٠- د/ محمود كريت، إنجيل برنابا بين الإسلام والنصرانية، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر.
- ٦١- محمد مجدي مرجان، الله واحد أم ثالث. ط ١.
- ٦٢- الإمام محمد ابو زهرة، مقارنات الأديان والديانات القديمة، ط دار الفكر.
- ٦٣- محمد صبري، التلمود شريعة بني اسرائيل حقائق ووقائع.
- ٦٤- محمد الصابوني، النبوة والأنبياء، ط ٢.
- ٦٥- محمد السفاريني، المسيح الدجال وأسرار الساعة.
- ٦٦- الإمام القرطبي، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، تحقيق د. السقا
- ٦٧- الإمام القرافي، الأجوبة الفاخرة، ط ١.
- ٦٨- لولو جفري، مريم في الكتاب والسنة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى

ثانيا : المعاجم ودوائر المعارف

- ٦٩- ابن منظور، لسان العرب
- ٧٠- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ط دار الفكر
- ٧١- الإمام الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس.
- ٧٢- المعلم بطرس البستاني، دائرة المعارف، ط دار المعرفة
- ٧٣- التعريفات للجرجاني
- ٧٤- منجد الطلاب
- ٧٥- محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ط ٣
- ٧٦- الموسوعة البريطانية

٧٧- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط دار الفكر.

ثالثا : المراجع المسيحية

- ٧٨- الكتاب المقدس، العهد القديم، العهد الجديد.
- ٧٩- فهرس الكتاب المقدس، د/ جورج بوست.
- ٨٠- قاموس الكتاب المقدس، لنبخة من ذوي الاختصاص، ط ٦
- ٨١- تفسير إنجيل متى، لمجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس.
- ٨٢- تفسير إنجيل لوقا، جمع وتقديم هلال أمين موسى
- ٨٣- السنن القويم في تفسير اسفار العهد القديم، لمجموعة من اللاهوتيين، ط بيروت عام ١٩٧٣ صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى.
- ٨٤- تفسير إنجيل يوحنا، جمع وتقديم هلال موسى
- ٨٥- إنجيل برنابا، ترجمة د/ خليل سعادة، الناشر، السيد محمد رشيد، رضا منشئ، مجلة المنار.
- ٨٦- الأب أي بي براناتيس، فضح التلمود إعداد/ زهدي الفاتح، ط، ٣ عام ١٤٠٥هـ، الناشر: دار النفائس.
- ٨٧- البابا بولس السادس: إكرام مريم، ترجمة د/ بطرس كساب.
- ٨٨- جاد المنفلوطي، تاريخ المسيحية في العصور الوسطى، ط دار الجيل.
- ٨٩- جورج فورد، سيرة المسيح
- ٩٠- *The Merck Manual* تأليف: نخبة من الأطباء العالميين، ط ١٣
- ٩١- جوشر مكديويل، برهان يتطلب قراراً.

- ٩٢- حبيب سعيد، فجر المسيحية..
- ٩٣- القس صموئيل مشرقي، الظهور الإلهي، ط سنة ١٩٦١م
- ٩٤- نصري سهلب، في خطى المسيح، ط ٢
- ٩٥- د/ وليم إدي، الكثر الجليل في تفسير الإنجيل، ط بيروت عام ١٩٧٣م، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى.
- ٩٦- ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ط ٣
- ٩٧- وليم باركلي، تفسير العهد الجديد، الرسائل إلى فيلي و كولوسي وتسالونيكى، ترجمة القس جرجس هايبيل، ط ٢
- ٩٨- وليم باركلي، تفسير العهد الجديد، إنجيل مرقس، ط دار الجليل
- ٩٩- يوسف حلمي المصري، مريم في الإنجيل والقرآن، ط دار الهلال للطباعة.
- ١٠٠- مجلة *The Jerusalem Quarterly* العدد ١٩٨٢، 24 summer

رابعا : المراجع اليهودية

- ١٠١- بروتكولات حكماء صهيون، ترجمة محمد خليفة التونسي، ط ٥
- ١٠٢- الكثر المرصود من قواعد التلمود، وهو عبارة عن كتابين فرنسيين أحدهما: اليهودي على حساب التلمود، تأليف د/ روهلنج. والآخر: تاريخ سوريه لسنة ١٨٤٠م، تأليف د/ لوزان ترجمة: يوسف حنا نصرالله، ط ٢
- ١٠٣- ابن كمونه اليهودي، تنقيح الأبحاث للملثلاث، اليهودية والمسيحية، والإسلام، ط دار الأنصار.
- ١٠٤- مجموعة مقالات باللغة العبرية للبروفيسور يوسف كلورند، استاذ بالجامعة العبرية، الناشر، مكتبة العلوم بالقدس عام ١٩٥٥م، والمقالات بعنوان:

اليهودية والإنسانية.

١٠٥- التلمود البابلي، *Sedernezikin* جزء سان هيدن *San Hedin* المترجمة

للإنجليزية مع التعليق الربى د/ ابشاتين *Jepstein*

١٠٦- *Adinsteinsaltz, The essential Talmud* ترجمه من العبرية الى الانجليزية

Chayagalai ط ١٩٧٦، الناشر: *Ibasic Books, Inc. New York*

١٠٧- *Joseph Klausner: Jesus De Nazareth*

نقله من العبريه إلى الفرنسية *M. R. La Vilie* طبع سنة ١٩٣٣م

١٠٨- *Religion and Ethics, 1940*

١٠٩- *Jewish Encyclopedia, Published by: Funck and Wagnalls Company*

١١٠- *James Hastings: Encyclopaedia of Religion and Ethics. 1940*

١١١- *Graetz, Whose, History of the Jews, Geschder Judened 1863, Vol.III,*

p.p.222-252

١١٢- هرفورد *T. Herford*, المسيحية في التلمود.

فهرس المحتويات

الموضوع

الصفحة	
أ	شكر و تقدير
ب - ن	المقدمة
١	<u>الباب الأول</u> : المسيح عليه السلام عند اليهود
٢	الفصل الأول : المسيح وأمه عليهما السلام بأسفار اليهود
١١	— نبذة مختصرة عن التلمود
١٤	— المسيح عليه السلام في التلمود
٣٣	الفصل الثاني: موقف اليهود من المسيح عليه السلام
٣٤	— تمهيد
	المبحث الأول: إعراف اليهود بمواقفهم العدائية من المسيح عليه السلام
٣٦	من خلال مؤلفاتهم ودوائر معارفهم
	المسألة الأولى : موقف اليهود من المسيح عيسى ابن مريم عليه
٣٧	السلام من خلال أسفارهم ومؤلفاتهم
	المسألة الثانية: موقف اليهود ورأيهم في تعميم المسيح عليه
٧٨	السلام
٨١	المسألة الثالثة : موقف اليهود من معجزاته عليه السلام
	المسألة الرابعة: موقف اليهود من قصة القبض على المسيح عليه السلام
٩٧	وصلبه كما يزعمون
	المسألة الخامسة: موقف اليهود من السيدة مريم أم المسيح
١٠٦	عليهما السلام
١٠٩	المسألة السادسة: مقارنة بين المسيح اليهودي والمسيح النصراني
	المبحث الثاني: موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال أسفار
	النصارى المقدسة لديهم (العهد الجديد) ورأي النصارى عامة
١٢٥	في كتبهم ومؤلفاتهم

تابع - فهرس المحتويات

الموضوع

الصفحة

المبحث الثالث: موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال آيات

١٤٧

الذكر الحكيم

١٥٦

الباب الثاني: المسيح عليه السلام عند المسيحيين

١٥٧

الفصل الأول : مريم عليها السلام في العهد الجديد

١٥٨

المبحث الأول : معنى لفظ مريم والعذراء

١٥٩

المبحث الثاني : خطبة يوسف النجار لمريم عليها السلام

المبحث الثالث : بشرى الملاك للسيدة مريم وقصة وضعها لابنها المسيح

١٦١

عليهما السلام

١٦٦

المبحث الرابع : رحلة السيدة مريم عليها السلام إلى مصر

المبحث الخامس: السيدة مريم عليها السلام في العقيدة الكاثوليكية

١٧٠

والأرثوذكسية

١٧٦

المبحث السادس : السيدة مريم عليها السلام في العقيدة البروتستانتية

١٧٨

المبحث السابع : السيدة مريم عليها السلام في أيامها الأخيرة

الفصل الثاني : المسيح عليه السلام - حياته ودعوته - كما يصورها

١٨٠

العهد الجديد

١٨١

المبحث الأول : ميلاد المسيح عليه السلام

المبحث الثاني : طفولته وصباه ونموه عليه السلام كما يصور ذلك العهد

١٨٢

الجديد

المبحث الثالث : معموديته وتجربته عليه السلام كما ورد ذلك في العهد

١٩٢

الجديد

٢٠٢

المبحث الرابع : معجزات المسيح عليه السلام كما وردت في العهد الجديد

٢٠٤

- أولى معجزاته : تحويل الماء الى خمر

تابع - فهرس المحتويات

الموضوع

الصفحة

- من معجزاته عليه السلام شفائه للمرضى (البرص والمشلولين
والمحمومين، والعمي، ومن بهم جنون) ٢٠٦
- معجزة شفائه البرص ٢٠٦
- معجزة شفائه مشلول ٢٠٨
- معجزة شفائه المحمومه ٢١٠
- معجزة شفائه للعمي ٢١٢
- شفاؤه عليه السلام لمن بهم داء الصراع أو مس من الجن، كما
ورد ذلك في الأناجيل ٢١٣
- من معجزاته عليه السلام الواردة في الأناجيل: تكثير صيد السمك
عندما عجز غيره عن اصطياد سمكة واحدة ٢١٥
- من معجزاته أنه يهدئ العاصف الثائرة ٢١٦
- أمثله من معجزاته على إحيائه الموتى ٢١٧
- تكثيره عليه السلام للطعام فقد أشبع خمسة آلاف شخص من
طعام قليل ١١٩
- المسيح عليه السلام يمشي على الماء ٢٢٠
- المبحث الخامس : الحديث عن القبض عليه ومحاكمته، ثم صلبه ودفنه
وقيامته، وصعوده إلى السماء كما يزعم النصارى في أناجيلهم ٢٢٢
- القبض عليه كما تروي الأناجيل ٢٢٢
- محاكمته ٢٢
- المبحث السادس : صلبه كما يزعم النصارى في أناجيلهم ٢٣١
- المبحث السابع : تكفينه ثم دفنه كما تروي الأناجيل ٢٣٣
- المبحث الثامن : قيامته من قبره ٢٣٤
- المبحث التاسع : صعوده إلى السماء ٢٣٧

تابع - فهرس المحتويات

الموضوع

الصفحة

- ٢٤٢ الفصل الثالث : المسيح عليه السلام في نظر الفرق المسيحية
- ٢٤٣ - تمهيد
- المبحث الأول : أهم الفرق المسيحية التي ظلت محافظة على
- ٢٤٧ عقيدة التوحيد
- ٢٤٧ - فرقة أبيون أو الأيونيين *Ebionites*
- ٢٤٨ - فرقة بولس الشمشاطي *Pouls de Somosate*
- ٢٥٠ - أتباع أريوس
- ٢٥٣ - فرقة الموحدين في العصر الحاضر *Untarians*
- ٢٥٦ المبحث الثاني : أهم الفرق التي انخرقت عقائدها عن عقيدة التوحيد
- ٢٥٦ - فرقة المرقيونين
- ٢٥٨ - فرقة البربرانيه
- ٢٥٩ - فرقة اليان
- ٢٦٠ - فرقة اليعقوبين
- ٢٦٢ - فرقة الملكانيه
- ٢٦٤ - أتباع نسطور
- ٢٦٩ - الطوائف المسيحية الكاثوليك، الأرثوذكس، البروتستانت
- ٢٧٢ الباب الثالث : المسيح وأمه عليهما السلام في الكتاب والسنة
- ٢٧٣ - تمهيد
- ٢٧٥ الفصل الأول: مريم عليها السلام في الكتاب والسنة
- ٢٧٦ المبحث الأول : البيئة التي نشأت فيها السيدة مريم عليها السلام
- ٢٩٠ المبحث الثاني : البشارة بعيسى عليه السلام ثم الحمل به وولادته
- المبحث الثالث : فضل الصديقة مريم عليه السلام من واقع الآيات
- ٣٠٧ الكريمة، ثم من واقع السنة المطهرة

تابع - فهرس المحتويات

الموضوع

الصفحة

- ٣١٢ المبحث الرابع : هجرتها عليها السلام ووفاتها
- ٣١٥ الفصل الثاني : المسيح عليه السلام في الكتاب والسنة
- ٣١٥ المبحث الأول : صفاته عليه السلام الواردة في القرآن الكريم
- ٣٣٠ المبحث الثاني: آيات ودلائل نبوته (معجزاته) عليه السلام
- المبحث الثالث: فضل عيسى ابن مريم عليه السلام من واقع السنة
- ٣٣٨ النبوية المطهرة
- ٣٤١ المبحث الرابع: نزوله آخر الزمان كشرط من أشراف الساعة
- الباب الرابع: إبطال شبهات اليهود والنصارى حول المسيح
- ٣٤٧ عليه السلام
- ٣٤٨ - تمهيد
- ٣٥٠ الفصل الأول : إبطال شبهات اليهود حول المسيح وأمه عليهما السلام
- ٣٥١ المبحث الأول : إبطال شبهات التلمود حول المسيح وأمه عليهما السلام
- ٣٥٧ المبحث الثاني: إبطال شبهات اليهود من مؤلفاتهم ودوائر معارفهم
- الفصل الثاني: إبطال شبهات وعقائدى النصارى حول المسيح وأمه عليهما
- ٣٦٢ السلام
- ٣٦٣ المبحث الأول : إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته
- ٣٦٤ المسألة الأولى: بولس ودوره في تحريف العقيدة المسيحية الأصلية
- ٣٦٦ المسألة الثانية: مجمع نيقية وفرضه لعقيدة تأليه المسيح بقوة السلطان
- المسألة الثالثة: إبطال دعوى اتخاذ كيفية وجود المسيح عليه
- ٣٦٨ السلام ومعجزاته دليلاً على ألوهيته وبنوته لله تعالى
- المسألة الرابعة: ردود ومناقشات علماء مقارنات الأديان على
- ٣٧٣ زعم النصارى بألوهية المسيح عليه السلام

تابع - فهرس المحتويات

الموضوع

الصفحة

- المسألة الخامسة: إبطال شبهة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته عقلاً ٣٧٨
- المسألة السادسة: إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته نقلاً ٣٩٦
- أولاً: من القرآن الكريم ٣٩٦
- ثانياً: إبطال عقيدة بنوة المسيح وألوهيته من السنة النبوية المطهرة ٤٠٣
- ثالثاً: إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته من إنجيل برنابا ٤٠٤
- رابعاً: إبطال بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته من العهد الجديد ٤٠٧
- المسألة السابعة: بطلان تأليه السيدة مريم والدة المسيح عليهما السلام ٤١٤
- المبحث الثاني: إبطال عقيدة التثليث ٤١٨
- المسألة الأولى: معنى التثليث ٤١٩
- المسألة الثانية: أهم النصوص التي يستدل بها النصارى على عقيدة التثليث وإبطال الاستدلال بها ٤٢٣
- المسألة الثالثة: المجمع القسطنطيني الأول وأثره في إقرار عقيدة التثليث من أقوام قد سبقوهم إليها ٤٣٤
- المسألة الرابعة: إقتباس النصارى عقيدة التثليث من أقوام قد سبقوهم إليها ٤٣٧
- المسألة الخامسة: بطلان عقيدة التثليث عقلاً ٤٤٥
- المسألة السادسة: بطلان عقيدة التثليث نقلاً ٤٧٥
- المبحث الثالث: إبطال عقيدة الحلول والاتحاد عند النصارى ٤٨٠
- المسألة الأولى: معنى الحلول والاتحاد ٤٨١
- المسألة الثانية: أهم النصوص التي يستدل بها النصارى على عقيدة الحلول والاتحاد وبطلان الاستدلال بها ٤٨٥
- المسألة الثالثة: إقتباس النصارى لعقيدة الحلول والاتحاد من الوثنيات والفلسفات القديمة ٤٩٦

تابع - فهرس المحتويات

الموضوع

الصفحة

٥٠١	المسألة الرابعة: بطلان عقيدة الحلول والإتحاد عقلاً
٥١٩	المسألة الخامسة: بطلان عقيدة الحلول والإتحاد نقلاً
٥٢٦	المبحث الرابع: إبطال عقيدة الصلب والفداء عند النصارى
٥٢٧	المسألة الأولى: معنى الصلب والفداء
	المسألة الثانية: إقتباس النصارى لعقيدة الصلب والفداء من
٥٣٠	الوثنيات والفلسفات القديمة
	المسألة الثالثة: بولس ودوره في إدخال عقيدة الصلب والفداء
٥٣٩	ضمن عقائد النصارى الحالية
	المسألة الرابعة: تناقض الأناجيل الأربعة في رواياتها لحادثة الصلب
٥٤٣	دليل على عدم صدقها
٥٥٩	المسألة الخامسة: إبطال عقيدة الصلب والفداء عقلاً
٥٧٥	المسألة السادسة: إبطال عقيدة الصلب والفداء نقلاً
٥٧٥	أولاً : إبطالها من القرآن الكريم
	ثانياً: الأدلة من إنجيل برنابا على بطلان القول بصلب
٥٨٧	المسيح عليه السلام
	ثالثاً: الأدلة من الكتاب المقدس على بطلان القول بصلب
٥٩٠	المسيح عليه السلام
٥٩٧	الخاتمة
٦٠٨	مراجع الرسالة
٦١٧	فهرس الموضوعات